



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

## الأساليب الإقناعية في عرض العقيدة

### -دراسة دلالية في الخطاب القرآني-

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم

-تخصص اللغة والأدب العربي-

إشراف الأستاذ الدكتور

بوهادي عابد

الطّالِب:

دحام عبد العزيز

#### لجنة المناقشة:

جامعة تيارت	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	أد: زروقي عبد القادر
جامعة تيارت	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	أد: بوهادي عابد
جامعة تيارت	مناقشا	أستاذ التعليم العالي	أد: بوزيان أحمد
جامعة سيدي بلعباس	مناقشا	أستاذ محاضر "أ"	د: قندسي عبد القادر
م.ج. تيسمسيلت	مناقشا	أستاذ محاضر "أ"	د: بن فريجة الجيلالي
جامعة مستغانم	مناقشا	أستاذ محاضر "أ"	د: إبراهيم بلقاسم

الموسم الجامعي: 1438.1439 هـ / 2017.2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عز وجل:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ  
أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا  
الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ  
مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ  
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[الشورى: 52]

الإهداء:

إلى والديّ العزيزين رحمهما الله.

وإلى أسرتي محمد وآية ونجلاء وأمهم

أولئك الذين صبروا معي.

وإلى أهل الفضل عليّ جميعا.

أهدي هذا العمل حبا ووفاء.



# مقدمة

## • مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنُسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ (رَبِّ أَوْزَعِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل: 19].

أما بعد:

فإنه من البديهيات أن تكون العقيدة هي مجموعة الحقائق التي يملكها شخص ما أو جماعة بعينها، بحيث ينشأ لديه تصور خاص عن الكون والإنسان والحياة، ويترتب على هذا التصور الاعتقادي تعامل في الحياة الدنيا ومصير في الآخرة، وحينما نتكلم عن العقيدة؛ فإننا نعني: العقيدة الإسلامية على الإطلاق التي تنزل بها القرآن بكلياتها وجزئياتها، بعيدا عن التقسيمات التي يتطلبها البحث الدراسي.

وهذه العقيدة لم يكن لها سبيل لفهمها إلا أمران اثنان يندمجان مع بعضهما ويشكلان لحمة واحدة: النقل الصحيح، ولسان العرب في معهود خطابها، ومن ثم كان القدح في هذه القناة الناقلة الموصلة؛ هو قدح في العقيدة ذاتها، والذين أوتوا من الطوائف التي حادت عن المعتقد الصحيح، ما كان إلا بسبب جهلهم بلسان العرب وأساليبهم في الخطاب، فجاؤوا بالعجائب.

## • سبب اختيار الموضوع:

ويرجع اختياري لموضوع الرسالة الموسومة بـ [الأساليب الإقناعية في عرض العقيدة دراسة دلالية في الخطاب القرآني] لسببين: خاص وعمام.

السبب الخاص: رغبتني الواسعة في تعلم القرآن، عن عثمان رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(1)</sup> وقراءة القرآن وتدارسه هو شأن جبريل عليه السلام مع محمد صلى الله عليه وسلم، فهو معظم في السماء والأرض، وهو شأن صالحي هذه الأمة؛ أهل الله وخاصته، فأردت أن أقتفي أثرهم. السبب العام: أن قبول الأعمال متوقف على تحقق الاعتقاد الصحيح، والاعتقاد الصحيح تولاه القرآن بالبيان والتقرير، والتصحيح، والدعوة إليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] ففي صحة المعتقد وسلامته سعادة الدارين، والاعتقاد لا بد أن يكون مؤسسا على قناعة تركز على آليات معرفية كآلتي النحو والبلاغة، ومن الخير أن نعرف كيف عرضت العقيدة في القرآن بالأساليب المقنعة حتى لا تزيغ القلوب.

## • الإشكالية:

(1) -صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل، دار ابن كثير دمشق، ط1، 1423هـ/2002م: 1224، رقمه: 5027

يتأسس البحث في جوهره حول إشكالية رئيسة تكمن في المفارقة بين عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نعم بصفاء العقيدة، وما تلاه من أعصر ساءت فيها النيات وتغيرت فيها الفهوم، فلقد أثر عن الصحابة رضي الله عنهم الخلاف في الأحكام، أما في العقائد فلا، واستحقوا الوصف الرباني منه عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110] كما استحقوا الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير أمتي قرني»<sup>(2)</sup> لكن مع بداية القرن الثاني نجم النفاق، وظهرت الشبهات، وأثيرت قضايا عقديّة في الأسماء والصفات وغيرها، بل انتقل الطعن إلى الأصل الذي تركز عليه الأمة وهو القول "بخلق القرآن" فجذّت أمور ما حدثت من قبل!!.

ولا شك أنّ لوجود شخص الرسول صلى الله عليه وسلم في وقته الدور الكبير في بقاء العقيدة سليمة ونقية، كما أنه من المتيقن كما قال ابن تيمية: «يجب أن يُعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، فقلوه تعالى: ﴿لَتَبَيّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] يتناول هذا وهذا»<sup>(3)</sup> ويبدو أن الفهوم غير الصحيحة التي مست جوانب من العقيدة البسيطة فيما بعد وتكدير صفوها جاءت مع اتساع رقعة انتشار الإسلام، فبرزت مقررات ورواسب في الجانب الثقافي سببها الوافدون الجدد، فعملت فيما بعد تدريجياً في ظهور الخلخلة في الجانب الفكري، فضلاً عن كيد الأعداء ودأبهم في طمسها، بالإضافة إلى مؤثرات أخرى.

والنظر في ما داخل الاعتقاد الصحيح من أشياء ليست منه، هو هدف البحث الذي يركز على الجانب اللغوي والفكري، مبيّنا الأساليب التي عُرضت من خلالها العقيدة الإسلامية وأقنعت قرن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فأمن منهم من آمن بالدين الإسلامي ووجد من جحد، وأنّ هذه الأساليب الموجودة في الخطاب القرآني مازالت هي هي؛ لها الدور الريادي في إقناع الآخر بعد أربعة عشر قرناً من الزمان، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإبراز أنّ أمر العقيدة ما كان سيصير إلى ما صار إليه وما تقطّع بسببه من فرق لو فهمت أساليب القرآن التي جرى عليها التنزيل المحكم بعيداً عما جدّ من مؤثرات ثقافية أُفحمت في دراسة العقيدة وتلقّيها.

**أهمية البحث:** تكمن في أن بيان معاني القرآن الكريم لا تفهم إلا في ضوء أساليب العرب؛ فمعرفة التكليف ومنها الاعتقاد السليم والصحيح، وقراءة القرآن العظيم وفهم معانيه بالأداء القرآني على الوجه المطلوب، وبالجملة معرفة الأساليب القرآنية هو معرفة ضروب الإقناع فيها؛ الذي هو ثمرة الاستعمال القرآني، وإبراز المسافة الهائلة بين طريقة القرآن وغيره من الطّرق الأخرى في عرضه لمفهوم العقيدة الحقيقي.

(2) -م، ن: 897، رقمه: 3650

(3) -مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية (تح) عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة دمشق، ط2، 1392هـ/1972م: 35

واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها وتقرير حالتها كما هي، وتفسير ما تم جمعه وتصنيفه، أما طريقة المنهج المستعملة في البحث: فإنّ الباحث يُورد عند كلّ أسلوب من أساليب الخطاب: الآية القرآنية فالقراءات القرآنية إن تيسرت، ثم معهود لسان العرب (السليقة أو السنة المتبعة أو العرف الاجتماعي) ثم القاعدة النحوية، كما يُتبع ذلك بدلالات الخطاب لكلّ أسلوب، ومعلوم أن مرجعية البحث: كتب المعاني والتفاسير، وما تعلق بعلوم العربية.

وجاء البحث في مقدمة ومدخل وخمسة فصول وخاتمة.

### • المدخل:

ويرصد البحث فيه: العلاقة بين اللفظ والمعنى في الأسلوب الحامل للعقيدة، وتبيان عدم الفصل بينهما، مع بيان قيمة العقيدة في حياة الإنسان لأنّ الإنسان عابد بفطرته، فهو يعتقد معتقدا سواء كان هذا المعتقد صحيحا أووهما إذ لا وجود لإنسان فوق الأرض بدون عقيدة، ولعلّه من الخير إدراك العقيدة الصّحيحة كما هي في صورتها القرآنية، بعيدا عن الطّرق التي جفّفت معيها، وإننا لواجدون ما بين العرضين كما بين السّماء والأرض!! كما تتحدّد فيه أهم المصطلحات والمفاهيم التي يدور حولها البحث: كالخطاب وعلاقته باللّغة والإقناع، وعلاقة البلاغة بالإقناع، والإشارة للطاقة الحجاجية للأساليب إن في المعاني وإن في البيان، كما يقع التركيز على المكوّن الحجاجي الذي أولاه البلاغيون الكثير من اهتمامهم.

### • الفصل الأوّل:

فهو بعنوان: التلويّنات الصوتية دلالاتها المختلفة وتأثيراتها الإقناعية: حيث تطرق البحث فيه لعدة ظواهر صوتية: كالتنغيم والفاصلة والتكرار والصوائت والصوامت، وأشار البحث إلى طريقة القرآن في لمس القلوب واستجابتها بأسلوبه الفريد عبر مألوف طرائقهم في الكلام وما تعودوه منه، كما أبرز البحث طريقة القرآن الخاصة في سلطانه على القلوب متخطيا حواجز اللسان، ويعود ذلك لمصدره أولا وخطابه الكوني ثانيا.

### • الفصل الثاني:

فهو بعنوان: البنية الصرفية وتأثيراتها الإقناعية: وأكثر ما ينحو إلى التركيز على بنية المفردة لأنّها ذات شحنة حجاجية، واعتبارها هي أساس الجملة، وفهمها هو فهم لسائر الكلام، ورصدها البحث في المشتقات كاسم الفاعل، وأفعال التفضيل، وكالأبنية المجاورة، وصيغ الأفعال، والمفعول المطلق، وتبيان أن عدم العناية بالبنى الصرفية وعدم تحقيقها قد يثمر مزالق عقدية بعيدة عن جادة الصواب.

### • الفصل الثالث:

فهو بعنوان: التراكيب اللغوية وتأثيراتها الإقناعية: حيث تكفل البحث بإبراز جملة من الأساليب التي كان العرب يعرفونها من طرائقهم في كلامهم: كالاستفهام، والتقديم والتأخير، والحذف والتقدير، والقسم، والالتفات، وتحولات

الأفعال، وهذه التراكيب التي تتعلق بها المعاني والشائعة عند العرب؛ هي التي جاء القرآن الكريم موافقا لها، وحملت موضوعات العقيدة، وهي في استعمالاتها ذات ثقل كبير في المكون الحجاجي.

### • الفصل الرابع:

فهو بعنوان: دلالات الحروف مواقعها وتأثيراتها الإقناعية: وتناول البحث فيه حروف المعاني: من حروف الجر والعطف والنصب، والحرف في القرآن معجز في موضعه سواء كان من حروف المباني أو المعاني، وهو في خروجه عن أصله إلى دلالات أخرى ضرب من التحاجج، ولأهميته لا تستبين معرفة الأحكام والعمل واتضح القواعد إلا به، فهو مع قلته له دور كبير يؤديه في التركيب والمعنى.

### • الفصل الخامس:

جاء بعنوان: تنوع أساليب التعبير وتصوراتها التأثيرية: وتناول البحث فيه ظواهر أسلوبية ترتكز على الصورة: كالصورة الحقيقية والصورة المتخيلة، والمقابلة، والحوار، والوصف، حيث يستقل أسلوب التعبير بالتصوير لوحده بالارتقاء بالصورة الشاحصة إلى الإعجاز، ويجول الحادث الغائب مُشاهد، مما يجعل بعض مفردات العقيدة كمشاهد اليوم الآخر صوره اللحظة أماننا معيشة، والبناء الحجاجي قائم فيه على الصور المختلفة؛ التي تتمظهر في المقابلة والموازنة بين الخطابات، كما أن المتلقي لا يجد صعوبة في الوصول إلى بغيته من خلال الصورة المنقولة إليه باعتبارها سند حجاجي واقعي لا يمكن نكرانه.

### • الخاتمة:

وانتهى البحث بخاتمة خلص البحث فيها أن الغاية من هذه الفصول هي كشف النقاب عن هذه الأساليب في صورتها الإخبارية والحجاجية في عرض العقيدة، وأن العقيدة المنزلة علينا في القرآن والسنة جاءت موافقة لطرائق العرب في كلامها فلا تُفهم إلا من خلالها، كما أشار البحث إلى النتائج المتوصل إليها دون الادعاء أنه قد أتى على كل ما يمكن أن يُقال، ولم أقصد من وراء هذا العنوان المفتوح الاستقصاء، فمثلي يُستعصى عليه في هذا الميدان، وإنما قصدي أن أنال رشفة من بحر هذا البيان الإلهي العظيم.

وأخيرا أقدم شكري الخاص إلى أستاذي الفاضل: الدكتور عابد بوهادي الذي تفضّل بقراءة هذا البحث، ولكل يدٍ ساعدت من قريب أو من بعيدٍ: الشكر الجزيل.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

تبارت: 04 رجب 1438هـ/01 أفريل 2017م الطالب: عبد العزيز دحام

مدخل

## • مدخل:

القرآن هو المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعجز بلسان العرب الذي جرى مجراهم في الخطاب، ومعرفة خطابه والولوج إلى كشف مقاصده في التعبير يقتضي معرفة أسلوبه الذي عليه مدار النظم، قال الشاطبي(ت:790هـ) «القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:2]... فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»<sup>(1)</sup> فكما لا يفهم مقصد قوم من غير العرب إلا من جهة لسانهم، فكذلك لا يفهم القرآن إلا من جهة لسان العرب.

والمراد بما في (لسان العرب) الألفاظ والأساليب التي نزل بها القرآن، وقال الشاطبي أيضا: «إذا قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي ولا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليها من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجهه، والخاص في وجهه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره»<sup>(2)</sup> وهو ما تواضع عليه وورثه اللاحق عن السابق، فلا تُعرف معانيه إلا من كلامهم.

وأسلوب العرب هو ما تعودت عليه في كلامها من ضروب النظم والطريقة فيه<sup>(3)</sup> وإنما المأتى للمعتقد من الجهل به، كما قال الحسن البصري مبينا سبب ضلال من ضل من أهل الأهواء: «إنما أهلكتهم العجمة، يتأولون القرآن على غير تأويله»<sup>(4)</sup> مما أدى إلى اختلالات فكرية وعقدية نجم عنها تضعع في الأمة لازالت آثاره باقية.

ولما كان اللسان وعاء الفكر، كانت الفهوم المستنبطة من القرآن لا يتولاها إلا من سلم لسانه من العجمة وكان مع ذلك كما قال الزمخشري(467-538هـ): «مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان النفس داركا للمحة وإن لطف شأنها...متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر»<sup>(5)</sup> قال ابن قتيبة (ت:276هـ): «القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهرا

(1) -الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي (تح) عبد الله دراز وابنه محمد، دار المعرفة، بيروت، (دط تا):64/2

(2) -م، ن: 65/2

(3) -ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، مكتبة الخانجي القاهرة، (تح) محمود شاکر لقاهرة، ط5، 1424هـ/2004م:361

(4) -التاريخ الكبير، البخاري محمد ابن إسماعيل:93/5، الاعتصام، الشاطبي:264/3

(5) -الكشاف، الزمخشري، (تح) عادل عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م:97/1

مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر»<sup>(6)</sup> فمن لا يدرك هذا النهج في لغة العرب فلا سبيل له إلى معرفة معاني القرآن.

والذين نزل فيهم القرآن، كانت العربية مستحكمة فيهم فطرة وسليقة وقت نزوله، حيث أضحت (بمستواها هذا الفني المحكم، لغة الخطاب اليومي، لا لغة يصطنعها فحسب أهل الفكر والفن والأدب، ولم تكن بمستواها هذا الفني المحكم لغة الخطاب لدى الصفوة من سادة قريش فحسب، بل كانت هي لغة الخاصة والعامة)<sup>(7)</sup> رضعوا بلبانها وتعاهدوها كإبراهيم عن كابر، قال ابن النقيب (ت698هـ): «الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخلقة، وهم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها إلى الأمد، لا يباريهم فيها أحد، ولا يجاريهم في مضمارها جواد، ولا يماريهم في التفرد بها ممار ذو عناد»<sup>(8)</sup> فهم أعرف بما معرفتهم أبناءهم.

فلما نزل القرآن ما كان شيء عسر فهمه عليهم، أو طلبوا له شارحاً أو مستفهما بل كما قال الجاحظ: «كان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطبائهم أوجز والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقدوا إلى تحفظ، أو يحتاجوا إلى تدارس»<sup>(9)</sup> قال ابن خلدون (732-808هـ): «إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه»<sup>(10)</sup> ولما كانت البلاغة سجية فيهم، كان فهمه ميسوراً، قال الراجزي: «كانوا يتلقون عنه البلاغة بوجدان الحاسة اللغوية وإحساس الفطرة، كما يتلقى أهل الفن الواحد قواعد النبوغ عن المثال الذي يخرجه لهم نابغة الفن»<sup>(11)</sup> وإنما كانت خيفتهم من القرآن أن يتسمعه أحدهم فيجيب له ويستلين.

لقد أحدث القرآن دوياً هائلاً رج الجانب اللغوي والبياني عند العرب رجاً مزلزلاً لم يألفوه، البضاعة بضاعتهم في الألفاظ والتراكيب، غير أن شيئاً ما في لغتهم لم يعهدوه من قبل: هذا النظم الغريب الجديد عليهم والمباين لما بين أيدي شعرائهم وخطبائهم، قال محمد أبو موسى: «فالجيل الذي نزل فيه القرآن أقدر الأجيال على تمييز أصناف الكلام ونقده، ومعرفة طبقاته... ولما نزل القرآن وسمعه هذا الجيل لم يلتبس عليهم أمره، وإنما استيقنته أنفسهم، وأدركوا أنّ نظمهم ووصفه ليس من جنس ما هو تحت ألسنتهم»<sup>(12)</sup> فعلموا أنه مخالف لما تعودوه.

(6) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (تح) أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م: 86

(7) - ينظر: العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن، رؤوف أبو سعدة، دار الهلال القاهرة، ط1، 1432هـ/2011م: 47/1

(8) - مقدمة تفسير ابن النقيب، ابن النقيب (تح) سميد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط تا): 512

(9) - البيان والتبيين، الجاحظ (تح) عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط6، 1418هـ/1998م: 26/3

(10) - تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون: 223، مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون: 174/2

(11) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الزايفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1393هـ/1973م: 253

(12) - الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1418هـ/1997م: 18



من ذلك ما روى مسلم في صحيحه «أن أنيساً أخوا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس، قال: يقولون شاعر، كاهن، ساحر- وكان أنيس أحد الشعراء- قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرأ الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإثم لكاذبون»<sup>(13)</sup> ولم تكن هاته الشهادة وهذا التمييز بين الأسلوب القرآني وغيره من الأساليب من رجل بسيط وإنما كان من رجل عد من فحول الشعراء وصيارفة الكلام.

ذلك لتعلم أن أهل الطبقة الأولى كما قال الباقلاني (ت403هـ): «يعرفون دقيق هذا الشأن وجليله، وغامضه وجليله، وقريبه وبعيده، ومعوجّه ومستقيم، فكيف يخفى عليهم الجنس الذي هو بين الناس متداول، وهو قريب متناول؛ من أمر يخرج عن أجناس كلامهم ويبعد عما هو في عرفهم، ويفوت مواقع فُدهم!»<sup>(14)</sup> وإنما كان يلتبس الأمر ويشتبه على آحاد ليس لهم بصر بالصنعة، وأحجمت طباعهم عن معرفة طرق الكلام.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر الناس أفراداً وجماعات أنه مرسل إليهم، ولما يطالبوه بالبينة، لم يدخل معهم في جدال عقيم حتى يلزمهم الحجة، ولا كانت معه معجزة قاهرة كالأنبياء ممن سبقه عليهم السلام، وإنما يقرأ عليهم القرآن فقط، فأمر بالتلاوة وطولبوا بالاستماع، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:6] قال محمود شاکر: «يقروا له بصدق نبوته بدليل واحد، هو هذا الذي يتلوه عليهم من قرآن يقرؤه، ولا معنى لمثل هذه المطالبة بالإقرار بمجرد التلاوة، إلا أن هذا المقروء عليهم، كان هو في نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس من كلامه هو، ولا من كلام بشر مثله»<sup>(15)</sup> وكيف يقرون بمجرد التلاوة؟؟ ما لم يكونوا أكفاء، وفي وسعهم التمييز بين هذا وذاك!! وإنه لنعم، وقد كانوا كذلك.

فما يحمله القرآن من إعجاز هو الذي يستخرج منه صدق النبوة من خلال النظم والبيان؛ وهذا الذي عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم أول مرة، وعرفته العرب لما تلا عليهم القرآن، قال محمود شاکر: «كان البيان فيهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه، ولما طالبهم الحق أن يأتوا بمثله، لم ينصب لهم حكماً، بل خلي بينهم وبين الحكم على ما يأتون به معارضين له، ثقة بإنصافهم في الحكم على البيان، فهذه التخلية مرتبة من الإنصاف لا تدانيها مرتبة»<sup>(16)</sup> لأنهم برعوا في فنون القول وتصريفاته وتباروا فيه، حتى عُده معياراً في ارتفاع قوم وانخفاض آخرين، ولم يكن أمر النظم والبيان خافياً على أحد منهم بل كان حالة اجتماعية سائدة وقت تنزل القرآن.

(13) -صحيح مسلم فضائل الصحابة، مسلم ابن الحجاج، دار طيبة الرياض، ط1، 1427هـ/2006م: 1156/2، رقمه: 2476

(14) -إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني (تج) أحمد صقر دار المعارف القاهرة ط1 (د تا): 124

(15) -مداخل إعجاز القرآن الكريم، محمود شاکر، مطبعة المدني مصر، ط1، 1422هـ/2002م: 157

(16) -الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تفضل محمد دراز ومحمود شاکر، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4، 1987م: 27

إن الأسلوب القرآني لم يستغل فهمه على العرب الذين نزل القرآن بين ظهراهم، بدليل إثبات القرآن لهم أنهم أعلم بلغتهم الفطرية السليمة الذواقة للجمال ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:3] قال محمد أبو موسى: «ووصفهم بأنهم "يعلمون" يشير إلى قوة علمهم ودقة إدراكهم لخفايا هذا اللسان، وأنه لا يخفى عليهم ما فيه من تفاصيل دقيقة، وبلاغة عالية، وأنه ليس من جنس كلامهم... ولهم علم متسع باللسان العربي لا يخفى عليهم جوده وأجوده وأن هذا العلم سيهديهم لاحتمال إلى الأمر الخارق في هذا الكتاب الذي فصلت آياته»<sup>(17)</sup> فأكد إلى جانب عربيته نوع مستقبلية: لقوم يعلمون.

وقال البقاعي (885هـ) في شأن العرب العالمين بخبايا لسانهم أيضا: «فيهم قابلية العلم وتحدد الفهم، بما فيهم من سلامة الطبع، وسلاسة الانقياد لبراهين العقل والسمع، وحدة الأذهان وفصاحة اللسان، وصحة الأفكار وبعد الأغوار»<sup>(18)</sup> ومعيار البيان هذا كانوا يستعملونه في الحكم والشهادة على القصاص فيقتضوا لبعضها على بعض.

وحيثما سمع الكفار القرآن أول مرة استبد بهم القلق من أمر نظمه، فلم يكن يشبه ضربا من الأضراب التي برعوا فيها كالخطابة، وسجع الكهان، والسحر، والشعر، فصعب عليهم أن ينسبوه لأحد هاته الأجناس التي يعرفونها قال الفيروزآبادي (ت817هـ): «وإنما عجزوا عن نظم مثل نظمه... فجاء نظم التنزيل على أسلوب بديع لا يشبه شيئا من تلك الأنواع، فقصرت أيدي بلاغاتهم عن بلوغ أدنى رتبة من مراتب نظمه»<sup>(19)</sup> فكان الحديث بأنديتهم، وفي بيوتاتهم، بالليل والنهار، وبالخفاء والعلن، حول عدم مجازاة الأسلوب القرآني، وهو إقرار بالعجز البين.

واللافت في أمر الأسلوب القرآني: أنه يُعرض لا على كلمات يسمعها السامع ربما يتوقف لها وربما يمضي، ولكنه يُقدم بصورة هادئة، قوية، آسرة، تلامس عقل ووجدان الإنسان، بل يلج من مسارب شتى لا نعلمها إلى النفس الإنسانية، فهذا الوليد بن المغيرة لم يهد الله قلبه؛ رأس الشرك، وفي المشورة عنه يصدر، استمع إلى القرآن العظيم فلم يتمالك نفسه، وراح يعبر بعفوية عما لحقه من أسلوبه وما وجد في نفسه منه، في كلمات لم ينسها التاريخ، ولم يستطع أن يتبرم أو ينكص عن شهادة الحق وهو يدلي بدلوه، ولكنه في الأخير استبد به تعاضم الكبراء، وتقاليد الآباء، فحال دون ذلك، والله يهدي لدينه من يشاء.

وقد أبان القرآن المعركة التي دارت بداخله بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فُتِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ \* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ \* فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ \* إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:18 حتى 25] كان حكمه الأول مدحا، ثم انقلب ذما!! يقول عبد العظيم الزرقاني: «فانظر إلى الرجل حين أرسل نفسه على

(17) - آل حم غافر، فصلت دراسة في أسرار البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2010م:312،313

(18) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (تح) عبد الرزاق المهدي، دار النشر بيروت، ط1، 1995م:17/137

(19) - بصائر ذوي التمييز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (تح) محمد علي النجار، المكتبة العلمية لبنان، ط3 (داتا):68/1

سجيتها العربية وبديهيها الفطرية كيف أنصف في حكمه حين تجرّد ساعة من عناده وكفره، وقال: والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا... إلى أن قال: وإنه ليحطم ما تحتته، ثم انظر إلى الرجل حين غلبت عليه شقوته، وعاوده عناده وتعصبه، كيف قاوم فطرته وأكره نفسه على مخالفة شعوره ووجدانه وقال بعد أن حار وذهب كلّ مذهب في ضلاله وحيرته»<sup>(20)</sup> فكان يقاوم فطرته ويستكره نفسه على مخالفة وجدانه، أمام أسلوب القرآن الأسر للقلوب، فما السر في أنه يفعل بأساطين مكة الأفاعيل كلها ويتركهم في حيرتهم ساهمين؟؟.

وللعلم يجمع المتخصصون في الدراسات النفسية والدينية أن: «الكلام مرآة دقيقة لطبيعة المتكلم، فما تتجلى الأغوار النفسية لشخص ما على شيء، كما تتجلى على ما يكتبه أو يقوله، وكلما تبسّط الإنسان في حديثه ازدادت خصائصه النفسية جلاء ووضوحاً... فالأسلوب ليس طريقة معينة في صوغ العبارة فقط، بل هو قبل ذلك مرآة نفسية صاحب الأسلوب، فلئن استطاع أحدهم أن يقلد الآخر في صوغ العبارة فبهيات أن يستطيع تقليده في إبراز نفسيته واصطناعها في حديثه»<sup>(21)</sup> وهو حقيقة يثبتها العلم.

ومن هنا كان يأتي التمايز والتباين بين الأسلوب القرآني وغيره، ويأتي السر، فإذا كان ليس بوسع بشر أن يقلد بشرا في أسلوبه، فإنه لا يستطيع أن ينسب لنفسه معنى من معاني الربوبية فيدعي أنه ينزل الغيث أو يرسل الرياح!! كما لا يستطيع أن يدعي لنفسه مقتضى من مقتضيات الألوهية كالدعوة للتوحيد وإبطال الشرك! ولا حتى الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينسب لنفسه حرفاً حينما طُلب منه تبديل القرآن.

من أجل ذلك كان تحديد وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم: التلاوة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أتلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل:92] والمشركون كانوا يدركون مبينة الأسلوب القرآني لغيره تمام الإدراك من مجرد التلاوة، فكانوا يلحون في إثناءه عن هذا القرآن ﴿وَإِذَا تُلِيهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:15].

وهناك حقيقة بارزة لا تخفى في العلاقة بين الأسلوب القرآني وارتباطه بالفطرة، تتبين من قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:138] وقوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم:30] فالنفس الإنسانية تدعن لسماع القرآن، والسر كما قال الشعراوي: «لمخاطبته ملكات خفية في النفس لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان وهو أعلم به، هذه الملكات تنفعل حين تسمع القرآن فتلين القلوب ويدخل الإيمان إليها»<sup>(22)</sup> وهو ما استيقنه المشركون من أن مجرد سماع القرآن وحده

(20) - مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني (تح) أحمد زمزلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م:245/2

(21) - لا يأتيه الباطل، محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ/2007م:225، 226

(22) - تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي، مطبعة أخبار اليوم، (دط)1991م:10/1

يكفي لهدم كيانهم العقائدي والسياسي والثقافي، ويفصم عراهم القبلي والاجتماعي كله!! فكانوا يمعنون في العزلة لئلا يلتقي القرآن مع ما في فطرهم من حق.

وخوفاً مما يفعله الأسلوب القرآني في نفوس الناس وكسبهم إلى الإيمان، أخذ الطيش والجنون من الملاء كل مأخذ!! فأفقدتهم صوابهم وراحوا يحولون بين سماع القرآن بشتى الطرق، باللغو فيه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 26] أي: «عارضوه بكلام غير مفهوم، حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته، واللغو: الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته»<sup>(23)</sup> قال أبو جهل لكفار قريش: «إذا تلا محمد "صلى الله عليه" القرآن فالغو فيه، والغطوا لعله يبدل أو ينسى فتغلبوه»<sup>(24)</sup> وهي محاولات يائسة انكسرت على أعتاب الصبر.

وكما كان المشركون لا يحبون سماعه كانوا لا يحبون من يسمعه، بل قادوا حملة إعلامية بالليل والنهار في مكة وعلى مداخلها لمقاطعة استماعه؛ وهي سنة المجرمين، وحتى أن الذين كان يستهويهم ما سمعوا، يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة أو نفاقاً: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: 57] لهول ما أعدت قريش من بطش ونكل، وفي الجانب الآخر كان المسلمون في محاولة دائبة لإسماع الناس القرآن، حيث أفضى هذا النزاع من أجل الاستماع إلى القرآن إلى الحصار الخانق؛ حصار الشعب الذي دام ثلاث سنوات<sup>(25)</sup>.

إن الذي أبهر العربي وهو يستمع القرآن الكريم ليس الأسلوب الرائع من جهة اللفظ وحده، أيضاً المعاني الجديدة التي يحتويها، وكيف استعملت في ألفاظهم المعهودة التي يعرفونها، لقد قال عنها القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ﴾ [هود: 49] قال صاحب الموافقات: «ومنها أن يكون الاعتناء بالمعاني المبتوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى المقصود»<sup>(26)</sup> فمس التغيير بالقرآن كل شيء وأخرجهم من إيلافهم إلى شيء جديد.

ولما وقف الزركشي (ت794هـ) على أساليب القرآن وصف هذا النوع من العلم بأنه: «هو المطلع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجازه التنظيم المبين ما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما تضمنه في الخلاوة وجللته في رونق الطلاوة؛ مع سهولة كلمه وجزالتها وعدوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى»<sup>(27)</sup> فقصد بالنظم لفظه ومعناه معاً دون إرجاع الحسن إلى واحد منهما.

(23) -مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (تح) يوسف علي، دار الكلم الطيب بيروت، ط1، 1419هـ1998م:3/234

(24) -معاني القرآن، الفراء (تح): محمد علي النجار وأحمد يوسف، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ1983م:3/17

(25) -فقه السيرة النبوية من زاد المعاد في هدي خير العباد، السيد الجميلي دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1990م:73

(26) -الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي: 87/2

(27) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي (تح): محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت (دط) 1391هـ1984م:2/382

وقد يقتضي في عالم الدراسة أو طريقة البحث العلمي تجزئة الموضوع إلى بحث المعنى وحده والأسلوب أو اللفظ وحده، لكن في عالم الواقع غير موجود هذا الفصل!! روى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك قال: «لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»<sup>(28)</sup> ومعنى نكالا: «صنع به صنيعاً يُحذر به غيره»<sup>(29)</sup> فيكون عبرة للسامع والرأي، فأبي تصور للفصل بين الأسلوب والمعنى هو محاولة خاطئة من البدء لأن «نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»<sup>(30)</sup> ولذلك كان أول الطلب علوم اللسان.

ومن أعظم القضايا التي قررها كتاب الله تعالى، واعتنى بها: عقيدة المؤمن المتضمنة لمسائل الإيمان، ودحض الشبهات الباطلة بأساليب إقناعيه ودلائل متنوعة، لأن حاجة البشرية إلى العقيدة حاجة فطرية وأمر ضروري لا يستقيم الإنسان بدونه، يقول ابن تيمية (661-728هـ): «واعلم أن فقر العبد على أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ليس له نظير فيقاس به... فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره»<sup>(31)</sup> وهذه الحقيقة لا يمكن تطلبها دون الرجوع إلى القرآن والسنة النبوية.

والعقيدة: زنة فعيلة وهي والاعتقاد مترادفان بمعنى واحد، قال ابن فارس: «العين والقاف والذال: أصل واحد، يدل على شدة، وشدة وثوق، وإليه تُرجع فروغ الباب كلها... وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه»<sup>(32)</sup> وقال الفيومي: «هي ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك»<sup>(33)</sup> وجاء جذرها اللغوي في القرآن في كثير من الآيات منها ﴿وَلَكِنْ يُوَاحِدُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: 89] وكذلك جاء لفظ فعلها في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «نَصَرَ اللهُ امرأ سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا... لَا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَى ثَلَاثٍ خِصَالٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(34)</sup> ووردت بالصيغة نفسها عند أبي جعفر الطحاوي (ت321هـ) بقوله: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة»<sup>(35)</sup> ومعناها لا يفارق لما ينعقد عليه القلب.

والعقيدة شرعا «الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، والأخبار، والقطعيات، علمية كانت أو عملية»<sup>(36)</sup> وهذه الأمور

(28) -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المدينة المنورة، (دط) 1426هـ: 2/2288

(29) -القاموس المحيط، مادة (نكل) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة دمشق ط1، 1998م: 1065

(30) -اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (تح) عبد الكريم العقل، دار إشبيلية، السعودية، ط2، 1419هـ 1998م: 1/527

(31) -مجموع فتاوى، ابن تيمية (تح) عبد الرحمن ابن محمد، مكتبة الملك فهد الرياض (دط) 1425هـ 2004م: 1/24

(32) -معجم مقاييس اللغة مادة (عقد)، أحمد ابن فارس، دار الفكر، بيروت، (دط) 1399هـ 1979م: 4/86

(33) -المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، مكتبة لبنان بيروت (دط) 1987م: 160

(34) -المسند الجامع، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار البشائر بيروت، ط1، 1403هـ 1983م: 147رقمه 249

(35) -متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1416هـ 1995م: 7

(36) -مجموع أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن الرياض، ط2، 1412هـ: 5

الاعتقادية لا تفهم إلا من خلال معهود العرب في ما كان من طرق كلامها، قال جمال الدين القاسمي (1866-1914م) «وكل معنى مستنبط من القرآن، غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل»<sup>(37)</sup> فليس لمعرفة العقيدة المنزلة طريق إلا من أسلوبها القرآني المبين.

يقول ابن القيم (691-751هـ) بشأن أهمية الرسل؛ حملة العقيدة الصحيحة إلى الناس «الضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها... وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفه عين، فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي»<sup>(38)</sup> فيهم تكون الحياة أو الموت.

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلغ «ألفاظ القرآن للأمة، بلغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه، ولهذا وصل العلم بمعانيه إلى من لم يصل إليه حفظ ألفاظه، والنقل لتلك المعاني أشد تواترا وأقوى اضطرارا، فإن حفظ المعنى أيسر من حفظ اللفظ، وكثير من الناس يعرف صورة المعنى ويحفظها، ولا يحفظ اللفظ، والذين نقلوا الدين عنه، علموا مراده قطعاً، لما تلا عليهم من تلك الألفاظ»<sup>(39)</sup> ونحن نشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.

وفي صدر الإسلام حدث تنازع بين الصحابة رضي الله عنهم في مسائل الأحكام كما قال ابن القيم: «وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ولكن بمحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال»<sup>(40)</sup> قال أحمد المقرئ (766-845هـ): «فلم تُثر التساؤل عند واحد من العرب عامة، قروبيهم وبدويهم، ولم يستفسروا عن شيء بصددها، كما كانوا يفعلون في شأن الزكاة والصوم والحج وما إليه، ولم يرد في دواوين وآثار السلف أن صحابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفات الله تعالى، أو اعتبارها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما اتفقت كلمة الجميع على إثبات صفات أزلية لله تعالى من علم وقدرة وحياة وإرادة وسمع وبصر وكلام»<sup>(41)</sup> وغيرها من الصفات الأخرى وباقي الاعتقادات، وفق ما فهموه من سنن لسانهم.

<sup>(37)</sup> -محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (تح) فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/1957م: 63/1

<sup>(38)</sup> -زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط13، 1406هـ/1986م: 69/1

<sup>(39)</sup> -الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة، ابن القيم (تح) محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، (دط تا): 636/2

<sup>(40)</sup> -أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم: 49/1، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبي القاسم اللالكائي: 18/1

<sup>(41)</sup> -المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، أحمد المقرئ (تح) فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، لندن، (دط تا): 180/4

ومن جهة أخرى أن كيفية الصفات وكل ما يتعلق بذات الله جل شأنه أمر لا تحيط به العقول، قال شارح الطحاوية: «ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل»<sup>(42)</sup> فالعقل مخلوق ومحدود مجاله، وهو (ميزان صحيح وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يُدرك»<sup>(43)</sup> فليس غريبا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين «كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف حب صاحبه، وأزال عنهم ظلم الشكوك والأوهام»<sup>(44)</sup> وبصّرتهم بالطريق المستقيم فلزموه.

ومن المعلوم أن القرآن كما قال ابن القيم: «قد نقل إعرابه كما نقلت ألفاظه ومعانيه، لا فرق في ذلك كله، فألفاظه متواترة وإعرابه متواتر، ونقل معانيه أظهر من نقل ألفاظه»<sup>(45)</sup> فتواتر علومه ومعانيه من باب اللازم للملزم، لتعلقه بتواتر القرآن وحفظه، قال ابن تيمية: «معرفة العربيّة التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإنّ عامّة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنّهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك»<sup>(46)</sup> فتلقني أمور العقيدة لا يبتعد به عن القرآن الكريم والحديث الشريف، وعن لسانها العربي المبين.

والذين يرهنون لوجهة معتقدتهم ينجحون إلى الدليل العقلي تحت غطاء اللغة، قال ابن تيمية: «هم قوم اعتقدوا بمعان، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها»<sup>(47)</sup> فلم يتخلصوا من أفكار سابقة عندهم، فدخلوا بها على فهم كتاب الله، غير آبهين بالدليل السمعي، قال محمد العثيمين: «الأدلة سمعية وعقلية وفطرية وحسية وأشدّها إقناعا للمؤمن هو الدليل السمعي، لأنه يقف عنده ويعلم أن كل ما خالف دلالة السمع فهو باطل وإن ظنه صاحبه حقا»<sup>(48)</sup> والدليل السمعي لا ينفك عن اللغة الحاملة له، لأن الإقناع من أساسياته التأثير بلغة الخطاب.

(42) - شرح العقيدة الطحاوية، علي ابن أبي العز، (تح) التركي والأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1411هـ/1990م: 17

(43) - المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الجليل، بيروت، (دط تا): 509/1

(44) - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبي القاسم اللالكائي، (تح) حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، (دط تا): 18/1

(45) - مختصر الصواعق المرسلّة، محمد ابن الموصلي (تح) عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف الرياض، ط1، 2004م: 224/1

(46) - الإيمان، أحمد عبد الحليم ابن تيمية، (تح) الألباني، المكتب الإسلامي، ط5، 1416هـ/1996م: 111

(47) - المقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية: 81، 82

(48) - القول المفيد، محمد العثيمين (تح) سليمان بن عبد الله وخالد بن علي، دار العاصمة القاهرة، ط1، 1415هـ: 247/3

قال ابن قتيبة (213-276هـ) مخبراً عن الفرق في صرفها القرآن على ما يستحسنون وحمل التأويل على ما ينتحلون: «وفسروا القرآن بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم»<sup>(49)</sup> فاستعانوا ببعض الأساليب كالمجاز لتأويل جوانب في العقيدة، وأداروا برهنتهم على تطويع أساليب النحو والبلاغة والصرف لخدمة مذاهبهم التي يعتقدون، في توجيه الآيات القرآنية، واستخلاص القضايا العقدية منها.

يقول ابن جني تحت "باب فيما يؤمنه علم العربية من المعتقدات الدينية" «وطريق ذلك أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة... فلما كانت كذلك، وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها، وانتشار أنحاءها؛ جرى خطابهم بما مجرى ما يألّفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم على حسب عرفهم وعاداتهم في استعمالها»<sup>(50)</sup> ثم أجرى المجاز في آيات وأحاديث تتعلق بعقيدة الصفات، فاستقل بالقياس دون السماع فجانف الصواب.

لقد كان إخضاع الأدلة الثقلية لحجج عقلية ديدن كثير من الفرق التي قفزت على النصوص القطعية باعتماد النحو والصرف في توجيه النصوص الدينية لما يخدم معتقدها المنحرف، فقد أثنى ابن خلدون على تفسير الزمخشري، ورسوخه في علوم اللسان الصناعية، وأبان من جهة أخرى أغراضاً يرمي إليها تأييداً لمعتقده، من أنه «تتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن، بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجه البلاغة»<sup>(51)</sup> والغرض من علوم اللسان نبيل، نشأت ليُفهم كتاب الله وسنة نبيه بما على أليق وجهٍ حسن، فلا يُتعد بها عن الدليل السمعي.

ولما كان كلام الله أعز من نفوسنا ومحجب إليها، كان الخوض فيما أشكل لنا منه سوء أدب وذميمة خلق، وقد نهينا عن ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1] وأن نتأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الرب حيّاً وميتاً، يقول سيد قطب: «فلا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمر أو نهي، ولا يقترح عليه في قضاء أو حكم، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأياً مع خالقه، تقوى منه وخشية، وحياء منه وأدباً»<sup>(52)</sup> وإدراك حدود خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره: هو كمال الأدب ونظافة الضمير والشعور.

وما الكلام على تحميل الآيات القرآنية ما لا تحتمله من أساليب اللغة نصرة للمذهب العقدي إلا من هذا الباب!! وعدم التحرج هو جنافية في حق النص وحق الأسلوب، ومنهج السلف في تلقي آيات الصفات كما قال

(49) - تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، (تح) محيي الدين الأصفري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م: 67.

(50) - الخصائص، ابن جني، م، س: 247/3.

(51) - المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون: 2/376.

(52) - في ظلال القرآن، سيد قطب دار الشروق، القاهرة، ط 16، 1990م: 6/3336.



الشهرستاني: «أنهم قالوا إنما توقفنا في تأويل الآيات لأمرين: أحدهما المنع الوارد في التنزيل في سورة آل عمران في الآية السابعة حيث وصف المؤلفين بالزيغ فنحن نحذر عن الزيغ، وثانيهما أن التأويل أمر مظنون "بالاتفاق" والقول بالظن في صفات الباري غير جائز، فرمما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ»<sup>(53)</sup> فمنهجهم أعلم وأحكم وأسلم.

فلما وصل الأمر إلى المتكلمين كانت العقيدة ومن ورائها الأساليب العربية - من حيث الدراسة - أصيبت في مقتل، لدخولها دهاليز العقول، وتناولها بمنهج غير منهجها، فلم يستوف المنهج شرط المجانسة، يقول طه عبد الرحمن: «والمقصود به أن يكون المنهج من جنس الموضوع... ولقد غلب على سابق الدراسات العربية الإخلال بهذا الشرط، إذ كانت تتناول مختلف أقسامه وجوانبه بمنهج ليست من جنسها»<sup>(54)</sup> حيث أدخلوا عليها مصطلحات رياضية وفلسفية ومنطقية فتجهم محياها وتغيرت، والدخول بمقررات سابقة لفهم القرآن ليس منهجا صالحا في مواجهة النصوص القرآنية، وهذا الذي صير الاعتقاد الميسور الواضح والبسيط معقدا وعسيرا.

والبساطة أخص خصائص العقيدة الإسلامية، تلامس قلب وعقل الإنسان سريعا، لشعوره بالفراغ الروحي، وافتقاره إلى الإله الحقيقي الذي يبحث عنه، يقول سيد قطب: «وهي السمة التي تجتذب الأفراد الذين يدخلون في هذا الدين من الأوروبيين والأمريكيين المعاصرين، فيتحدثون عنها، بوصفها أول ما طرق حسهم من هذا الدين، وهي ذاتها السمة التي تجتذب البدائيين في أفريقيا وآسيا في القديم والحديث... لأنها سمة الفطرة التي يشترك فيها الناس أجمعين متحضرين وبدائيين»<sup>(55)</sup> ومن ثم يظهر العُبن في توكيل العقيدة إلى غير منهجها.

واللجوء إلى حمى القرآن<sup>(56)</sup> للتلقي منه وحده، عقيدة سليمة، وفي ذات الوقت المنهج الصواب، فالذين عمدوا إلى فصل قضايا عقدية وبترها من سياقاتها في القرآن، ثم معالجتها في غير أسلوبها تحت تأثيرات العقل!! هم في الحقيقة قفزوا على الأسلوب العربي الصريح، وتنكبوا طريق الأول الصحيح، قال الطبري: «وكتاب الله أبين البيان وأوضح الكلام، ومحال أن يوجد فيه شيء غير مفهوم المعنى»<sup>(57)</sup> وصدق مالك رحمه الله «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»<sup>(58)</sup> وما وسع جيل الصحابة يسعنا، لأنهم نزل عليهم القرآن، وهم به أدري.

(53) - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني دار المعرفة بيروت (دط) 1404هـ: 1/104

(54) - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000م: 23

(55) - مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط5، 1418هـ 1997م: 199

(56) - والسنة أيضا لأنها هي المفسرة له.

(57) - جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (نح) محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2 (دتا): 101/20

(58) - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية: 2/763

وقد يظن ظان أنّ موضوع العقيدة قد أصبح من التاريخ!! ولكنه موضوع الساعة وكل ساعة، لأهمية العقيدة في حياة الفرد والجماعة، إذ أنّ عناية القرآن بأمر العقيدة أعظم وأوكد، وإنما أوتي جانب الاعتقاد من وسائل الفهم، قال السيوطي (ت911هـ): «وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه، من أن سبب الابتداء الجهل بلسان العرب»<sup>(59)</sup> فعدم معرفة لسان العرب يقود إلى الفهم الخاطئ الذي ينجم عنه خلل في الاعتقاد لأن «علوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة فحقيقتها إذا أنها فقه التعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى»<sup>(60)</sup> ولذلك كان أول ما يبدأ به في تحصيل العلم علوم اللسان.

والملاحظ أنّ الأساليب في القرآن في مجملها ذات شقين: أساليب محورية تتكئ على الصورة بشكل عام، وأساليب فرعية عديدة، منها ما عرف من معهود العرب، ومنها ما تكفّلت به الصنّاعة النحوية، وكلّها له الأثر الكبير في بيان معاني القرآن الكريم من خلال إمعان النظر في استعمالها القرآني، وإدراك أن المعتقد الصحيح معرفته لا تمرّ إلا عبر الحاجة إلى معرفتها، والإحاطة بوجوه الخطاب القرآني وما ينطوي عليه في العملية الإقناعية التي تتفرد ببساطة وسلامة الاستدلال «يحمل طابعاً لا يلتبس معه بغيره، ولا يجعل طامعاً يطمع أن يحوم حول حماه؛ بل يدع الأعناق تشرّبُ إليه ثم يرُدّها ناكسة الأذقان على الصدور»<sup>(61)</sup> كونه يخاطب العقل والقلب معا.

ولعلمية الخطاب القرآني في البلاغ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:27] يجيء ارتكازه على المزاجية في خطابه بين وظيفتي الإخبار والتجاجج، وكلاهما مما يتأسس عليه الإقناع، فتعتبر وظيفة الإخبار في مجال العقيدة أولاً وهي الأصل بسبب كونه كتاب تربية وتوجيه للإنسان مطلقاً مكاناً وزماناً من جهة، ومن جهة أخرى خطاب حجاجي في رده على خطابات تعتمد عقائد فاسدة ومناهج مضللة، وهو ما نبده مبسوطاً في القرآن، على خلاف يسير فيما ذهب إليه أبو بكر العزاوي بقوله: «لا يمكن اعتبار الإخبار الوظيفة الوحيدة للغة، كما ذهب إلى ذلك كثير من النماذج اللسانية، فليست اللغة مجردة شفرة code بل لا يمكن اعتباره الوظيفة الأولى والأساسية»<sup>(62)</sup> ولكننا نجد قيام الخطاب على هاتين الثنائيتين في إفادة المعنى الإخباري والمعنى الحجاجي، يحكمه الموقف وطبيعة الخطاب، فإذا كان يعني غير المسلمين، فالتعريض بهم لا شك يحمل طابعه الاحتجاجي.

والخطاب الإقناعي في القرآن من أبرز آلياته البلاغة وذلك في توجيهه لقوم برعوا فيها، ولشد ما يشتغل على الحجاج حينما يكون موجهاً للمعاندين، فيتحول الأسلوب كله لغته وخطابه إلى إنجاز هدف مقصود، في إطار منظومة قواعد: كالصورة وكالظواهر الصوتية والصرفية والنحوية؛ وهي نفسها الحجاج ذاته في الخطاب «تحكم

<sup>(59)</sup> -صون المنطق والكلام، السيوطي (تح) سامي النشار وعبد الرزاق مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، (دط تا): 55/1، 56.

<sup>(60)</sup> -الاعتصام، الشاطبي، (تح) حسن آل سليمان، مكتبة التوحيد، (دط تا): 38/1.

<sup>(61)</sup> -النبا العظيم، عبد الله دراز دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 1417هـ/1997م: 100.

<sup>(62)</sup> -اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م: 126.

تسلسله وتناميته وتحكم توالي الأقوال وتتاليها»<sup>(63)</sup> لأنها أنظمة ولذلك اعتبرت اللغة ذات منطق، فإذا راعينا الاستعمال القرآني لها تأكد لنا من طبيعتها الحجاجية الإقناع الذي ينتهي بثمرة الإعجاز.

ونجد الزجاجي (ت337هـ) يحدد وظيفة إحدى هاتيه الآليات بقوله: «النحو علم قياسيٍّ ومسبار لأكثر العلوم لا يُقبَلُ إلا ببراهين وحجج، ما خلا ما لزم قبوله من علوم الشريعة بعد وضوح الدلائل وإقامة البراهين والدلائل العقلية الحقيقية على لزوم الحجة»<sup>(64)</sup> فالقصد من هذه الآليات الحجة والبرهان على صحة هذا الكلام ورفض ذلك، كما أنه لا يخرجها قياسيتها عن الركن الأول للنحو: السماع، قال السيوطي: «وكل من الإجماع والقياس لا بد له من مستند من السماع كما هما في الفقه»<sup>(65)</sup> فلا يغني القياس باعتباره تفسيراً عقلياً مقنعاً عن السماع خصوصاً إذا تعلق الأمر بقضية عقدية.

وهنا ملاحظة ينبغي التنبه إليها وألا تفوتنا ونحن نتكلم عن الإقناع في الأساليب القرآنية في عرض العقيدة، من أنه ليس كل إقناع مفض إلى نتيجة مرضية، وقد مر بنا سابقاً قصة الوليد بن المغيرة الذي لمس الحقيقة لمسا قويا بعينه ولسانه وقلبه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتنع بها!! ثم استكبر عن الاهتداء، وهذا أبو طالب<sup>(66)</sup> كان ملاصقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينصره ويغضب له، وأقرب الناس إليه، انطوى قلبه على عقيدة تقليد الآباء فضل عن السبيل، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56] ومثلها قصة نوح عليه السلام مع ابنه، وإبراهيم عليه السلام مع أبيه.

وقد تكون الحجة من السطوع مما لا يشك فيه عاقل، ويكون الطرف المحجوج مقتنعا، وهو تحت سلطة القهر بحيث لو فاه بنت شفة لسحقت عظامه، ولكن القدرة الإلهية تتدخل هادية فتخرجه عن إقناعه الصامت، وتجعل استجابته علنية وسط الخوف والتنكيل قائلة بلسان الحال، مثل قوله عز وجل: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه:72] كما في إيمان السحرة المؤمنين.

ف وراء الحجج القاطعة والبراهين الساطعة أمر آخر غيبي: إنه تدخل المشيئة الإلهية الخاصة في تدبير صورة الإيمان والإذعان، بالرفض والقبول، ولا يشفع للحجج والبراهين أن صاحبها نبي مرسل أو ملك مقرب! قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:23 و36 و33].

(63) - م، ن: 20

(64) - الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، (تح) مازن المبارك، دار النفائس، ط3، 1399هـ/1979م: 41

(65) - الإقناع في علم أصول النحو، السيوطي، علق عليه سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، السويس، (دط تا): 14

(66) - ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ط6، 1415هـ/1994م: 184/1

ويبقى الحجاج بمعناه الفئوي ركيزة أساسية في النصوص القصصية «فيدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية»<sup>(67)</sup> بحيث تتظافر العلاقات في اللغة والخطاب مشكلة ضروبا من الإقناع. والقرآن كونه خطاب كوني موجه لا ينفك طابعه الحجاجي عنه «في حالي إفراده وتركيبه وفي حالي حقيقته ومجازه، وهي مجمل الحالات التي تعتور الكلام، ولا كلام إلا وهو وارد على هذه الصورة أو تلك»<sup>(68)</sup> والعملية الإقناعية في التخاطب الإنساني كذلك تستدعي هذه الآلية البيانية الفاعلة لتحقيقها.

فمن المسلمات التي يجب أن نذكر بها أنّ النصوص المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ذات طبيعة حجاجية، فالقصص القرآني كله حجاج يدور بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم حول العقيدة الصحيحة، كما أن قصة أبينا آدم عليه السلام والشيطان هي معركة العقيدة في نطاقها الواسع، كذلك نجد القرآن الكريم قد دخل في حجاج مع المخالفين لهذه العقيدة منذ البدء، سواء مع الطوائف المعاصرة لتنزله: عرب ويهود ونصارى، أو مع جنس الإنسان مطلقا، فقدم العقيدة الصحيحة وهدم ما يضادها من تكذيب بحجاج نفعي، وطالب المخالف بالدليل والبرهان، ولا توجد نحلة أو دين غير الإسلام يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:64].

ولأن اللغة الحاملة لهاته العقيدة مبتناها أيضا حجاجي، فإنه في تقديمنا للأساليب الإقناعية في عرض العقيدة أثناء التحليل الحجاجي للخطاب، إننا نستند إلى السياق باعتباره الحاكم على جميع البنى التركيبية، ومرجعها الرئيس في الدلالة، بحيث يركز البحث في سيره على استلها المعاني من خلال الحجاج اللغوي كالروابط الحجاجية الصريحة والمضمرة والبنى الصرفية، وعلى الحجاج البلاغي من خلال أساليب التركيب والصوت والصورة بشكل عام؛ في شكل حجج ودلالات ذات نتائج متسلسلة حسب منطق اللغة الداخلي.

وأخيرا فإن الغاية من هذه الفصول هو كشف النقاب عن التحول الجوهرية في التفكير اللغوي والبلاغي، من خلال الأساليب الإقناعية في عرض العقيدة، والعناية بفعالية الخطاب البليغ بإبراز جوانبه الحجاجية والاستدلالية، مستنديين إلى النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(67) -التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر دمشق، ط1، 2008م:21

(68) -الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي بيروت، ط2، 2007م:55

\* الفصل الأول:

- التلوينات الصوتية دلالاتها المختلفة وتأثيراتها الإقناعية:

- التكرار
- التنغيم
- الصوائت
- الفاصلة

• **توطئة:**

كان الاستماع والإنصات للقرآن من البديهيات المأمور بها في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204] ومدح الله الجن لما استمعوا القرآن، وعرفوا ما فيه من الحق والهداية إلى الطريق المستقيم، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف:29] والهدف من الاستماع والإنصات إلى القرآن ليحصل به أمران: الهدى الذي يقذفه الله في محله القلب وهذا يتجاوز الألسنة والعقول، والأمر الثاني: ليحصل الفهم والتدبر ومن هنا فإن الدراسة الدلالية لا تكون مشمرة ما لم تركز على الصوت.

والقرآن يخاطب القلوب ابتداء قبل الألسنة، ولذلك يستوي عنده مخاطبة كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه فأمره يتعدى أهل اللغة العالمين به في مجال الاستماع إليه، إلى أهل لغات أخرى لم يعرفوا اللغة التي نزل بها، يقول الرافعي: «فهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي»<sup>(1)</sup> فيجد كل إنسان أعجمي أو عربي سلطانا على قلبه؛ حقيقة مستيقنه، تدركها النفس وتحفوا إليها من خلال فطرتها، معبرة بالخشوع، والدموع.

وهذه حال مطردة متى ما استمعت الفطرة إلى نداء الحق ومتى ما خلبي بينها وبينه، كما يوثقها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:83] يقول الخطابي: «صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن، منظوما ولا منشورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منها إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها»<sup>(2)</sup> ومن هنا يدخل القرآن ويتدسس إلى فطر وقلوب الناس جميعهم، رغم أنف ألسنتهم!

وهي حال وثقها القرآن حينما يحال بين الفطرة والهدى، كما في قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:14] وكبراء قريش يصدون الناس عن سماع صوت القرآن لا لشيء إلا لأنهم كانوا يدركون أنه غلاب وآسر للقلوب، فيعرفون ويجحدون «وكذلك الحق لا يجحده الجاحدون لأنهم لا يعرفونه، بل لأنهم يعرفونه! يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم، لأنهم يحسون الخطر فيه على وجودهم، أو الخطر على أوضاعهم، أو الخطر على مصالحهم ومغانمهم، فيقفون في وجهه مكابرين، وهو واضح مبين»<sup>(3)</sup> وأعظم ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام والذين معه؛ هو إسماع المدعوين القرآن، ثم يدعون بينهم وبين القرآن.

(1) -تاريخ آداب العرب، الرافعي(تح) سعيد العريان، مطبعة الاستقامة القاهرة، ط2، 1359هـ/1940م:2/226

(2) -ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني الخطابي الجرجاني(تح)خلف الله وزغلول دار المعارف مصر ط3، 1976م:70

(3) -في ظلال القرآن، سيد قطب:5/2630

أما إذا آل الأمر إلى أصحاب اللسان الذي نزل به القرآن، فإن المناسبة قائمة بين الأصوات المنطوقة والمعنى المؤدّى، وتلك نعمة أخرى؛ لأن: «اللغة العربية من أدق اللغات احتفاظاً بالمعاني الفطرية، ومن أكثر اللغات احتفاظاً بحركة الإنسان الأول في الإشارة إلى المعاني، وذلك حين يريد أن يقترب الصوت بحركة دالة على معنى من الإشارة، يفهم به المتكلم المخاطب ما يريد أن ينبهه إليه أو أن يحمل على فهمه»<sup>(4)</sup> ولما نزل الذكر الحكيم باللسان المبين، وقرئ القرآن على الناس يومئذ، وكانوا بلسانهم أعلم «رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، ألحاناً لغوية رائعة، كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة»<sup>(5)</sup> فصوت القرآن له في تصوير المعاني وتأثيراتها الإيجابية في إقامة البرهان ومخاطبة الوجدان، ما يغير الناس حسب المثل التي جاء بها.

ولإيصال المعنى إلى المتلقي، كان السمع قبل البصر منفذ القرآن، والصوت أصلاً: «أثر سمعي أو حدث نطقي، يدرس وينظر في إطار النظام الصوتي للغة المعينة The phonetic system of a given language لا في نظام الألفباء لهذه اللغة»<sup>(6)</sup> فسحروهم صوت القرآن لكونه أول ما لامس أسماعهم، فأدركوا مراميه، قال سيبويه: «ولكنّ العباد إنّما كُلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون»<sup>(7)</sup> ومناسبة الأصوات للمعاني لها أغراض تؤثر في السامعين، وهو ما يستعمله القرآن في تفجير طاقات اللّغة التأثيرية والتعبيرية.

وابن جني أشار إلى علاقة الحدث بالصوت في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" عند الفعل "بحث" قائلاً: «إن الباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها "أي البحة في الصوت" تُشبهه مخالِب الأسد وبرائث الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والباء للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً، فأى شبهة تبقى بعده، أم أي شك يعرض على مثله»<sup>(8)</sup> بحيث تحمل الكلمة القرآنية دلالات صوتية تصور المعنى وملايساته تصويراً مشخصاً يساعد في إقامة الحجة.

وقال صبحي الصالح عن الصوت في القرآن: «الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم بنحوه من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد: إن هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص، يلين أو يشتد، ويهدأ أو يهيج! ينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس!»<sup>(9)</sup> وهو وصف مقتضب.

(4) -جمهرة المقالات، محمد شاکر، (تح) عبد الرحمن العقل، دار الرياض مصر، ط1، 1426هـ/2005م: 718/2

(5) -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1393هـ/1973م: 214

(6) -دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشير، دار غريب، القاهرة، (دط) 1998م: 17

(7) -الكتاب، سيبويه (تح): عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م: 148/3

(8) -الخصائص، ابن جني: 163/2

(9) -مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977م: 340

## • التكرار:

أجمعوا على أنّ من سنن العرب التكرير والإعادة في كلامهم، وعلى ما عهدوه جاء أسلوب القرآن بالتكرارات وخصوصا على مستويين بارزين: القصص القرآني، والتوحيد، واعتُني بالتكرار للردود على شبه الملاحدة الذين طعنوا في القرآن ومن أول من تصدى لها ابن قتيبة (ت276هـ) وأبان بأنهم «تعلقوا بظاهرة التكرار في الكلام مثل قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13] وتكرار القصص والأنباء»<sup>(10)</sup> ثم شرع في الردود ببيان أساليب العرب من كلامها وأشعارها، وأورد الخطابي (ت388هـ) السبب مثله، وقبلهم أصحاب المعاني كالفراء (ت205هـ) ثم تولاهم المفسرون بدرجات مختلفة، أكثرهم عناية: القرطبي (ت671هـ).

وكذلك الذين ألفوا في متشابه القرآن بنوعيه «المشكل في معناه... والمتناظر في مبناه»<sup>(11)</sup> مثل ما هو في "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي (ت420هـ) و"أسرار التكرار في القرآن" لمحمود بن حمزة الكرمانبي (ت505هـ) و"ملاك التأويل" لأحمد الزبيري (ت708هـ) كما رصد الظاهرة مؤلفو الإعجاز والبلاغة، منهم ابن فارس (ت395هـ) في كتابه: الصحاحي في فقه اللغة، والباقلاني (ت403هـ) في إعجاز القرآن، وغيرهم، إلى أن آل الأمر إلى الزركشي (ت794هـ) في كتابه البرهان في علوم القرآن والسيوطي (ت911هـ) في كتابه الإتقان في علوم القرآن؛ فكأنهما لم يدعا زيادة لمستزيد؛ نظرا لبحوثهم الوافية.

ويجاء بالتكرار كما قال ابن فارس: «إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»<sup>(12)</sup> وخاصة إرادة التوكيد كما هو معروف في الغالب بغية التصديق، وهو الدلالة العامة التي أرجعها فريق إلى الجانب اللفظي من أن: «الكلمة قد تكرر العرب على التعليل والتخويف فهذا من ذلك»<sup>(13)</sup> بينما أرجع الفريق الآخر التكرار إلى المعنى كراي ثعلب (ت291هـ) في ما تكرر واتحد لفظه، قائلا: «إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى»<sup>(14)</sup> وأيضا أرجعه صاحب ملاك التأويل إلى المعنى قائلا: «للسائل أن يسأل عن تكرير ما ورد فيها؟ والجواب أنها لم تتكرر فيها آية واحدة إذا اعتبرت أن كل آية منها تفيد من المعنى وتحرر ما لا تفيد الأخرى بذلك التحرير»<sup>(15)</sup> يشير إلى التكرير في سورتي الرحمن والمرسلات.

(10) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 32

(11) - أبحاث في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، دار عمار عمان، ط1، 1426هـ/2006م: 300

(12) - الصحاحي في فقه اللغة، ابن فارس المكتبة السلفية، القاهرة، (دط) 1328هـ/1910م: 332/1

(13) - معاني القرآن، الفراء: 287/3

(14) - أمالي المرتضى، الشريف أبي القاسم مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1325هـ/1907م: 83/1

(15) - ملاك التأويل، الغرناطي (تح) سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي المغرب، ط2، 1428هـ/2007م: 1150، 1151



ومنهم من رأى التكرار هو الإعجاز، لأن التكرير في القصص والأنباء آية على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فأصح ما يقال فيه، كما قال ابن فارس: «كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبّر»<sup>(16)</sup> ورغم هذا التكرار المتنوع في القصة الواحدة؛ فقد طولوا بسور خالية من المعاني قوله تعالى: ﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود:13] وعجزهم كان بينا.

وإذا راعينا تنزّل القرآن والبعد الزمني بين الآية وشيبتها، فالتكرار مقصود للانتفاع من أسلوبه، فالقرآن كتاب التربية الذي يجب أن تترقى عليه الأمة؛ وتربية فردٍ واحدٍ أمرٌ شاقٌّ!! فكيف بالبشرية كلها، فإذا استشعرنا أمر التربية الشاق، فإنه كما يقول محمد قطب: «تقول غرابة هذه الظاهرة وتصبح بعض حكمتها على الأقل مفهومة لدينا... ونستطيع أن نقدر الهدف التربوي من عملية التكرار في القرآن»<sup>(17)</sup> فهو أمر ضروري وتذكير مطلوب.

ومع أهميته فإنه لا يصل إلى حدّ التماثل في القرآن كما هو مُشاهدٌ لأول نظرة! بل لا يوجد تكرار، وإنما هو نوع من التشابه، كيف؟؟ يستأنف مستدركا «تشابه فقط دون تماثل، تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الإخوة والأقارب ولكنه ليس تكراراً بحالٍ من الأحوال، إنه مثل ثمار الجنة قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالَُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة:25] فهم حين يتناولون الثمرة لأول وهلة يقولون: هذا الذي رزقنا من قبل فإذا تذوقوه عرفوا أنه مختلف عنه، يُشبهه ولكنه لا يماثله، ومن ثم يعيشون في مذاقات متجددة على الدوام وإن بدت لأول وهلة مكررة»<sup>(18)</sup> فهو بهذه الإشارة مدرج تحت المعنى.

والتكرار في اللغة من «كرر الشيء وكرره أعاده مرة بعد أخرى، والكرة المرة والجمع الكرات، ويقال كرتت عليه الحديث وكررته إذا رددته عليه»<sup>(19)</sup> أمّا التكرار اصطلاحاً فقد عرفه ابن الأثير بأنه: «دلالة اللفظ على المعنى مردداً، كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد»<sup>(20)</sup> فهو باب واسع من الفصاحة، وأما التأكيد والتأسيس غرضان من أغراضه، جاء في البرهان وغيره: «واعلم أنّ التكرير أبلغ من التوكيد»<sup>(21)</sup> ومع أن المعنى واحد اختلفت المدرستان في فتح أو كسر أوله، قال أبو سعيد الضيرير، قلت لأبي عمرو: «ما بين تفعال وتفعال؟ فقال: تفعال اسم، وتفعال بالفتح مصدر»<sup>(22)</sup> ومن العجيب أن مصطلح التكرار تتطابق فيها دلالة الصوت بالمعنى، وتضل الراء الساكنة يرتعش بها اللسان تكراً فهو اسم على مسمى.

(16) -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:178

(17) -دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط4، 1404هـ/1983م:245

(18) -م، ن:247

(19) -لسان العرب، ابن منظور (تح): عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (دط تا):3851/43

(20) -المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير مطبعة نهضة مصر، ط1، 1380هـ/1960م:345/2

(21) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي:3/11، الكليات، أبو البقاء الكفوي:270

(22) -لسان العرب، ابن منظور:3851/43

• **صور التكرير في القرآن:**

**1- تكرار الحرف:** يقول الرافي عن الأصوات المفردة في كلمات القرآن «تتألف كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خللاً بيناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حس السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف، وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت لذلك هجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتيبها، ولم تنفق على طبقاتها، وخرج بعضها طولاً وبعضها عرضاً، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة»<sup>(23)</sup> والحسن الصوتي ينشأ في أغلبه عن تكرير الحروف والكلمات على أبعاد متناسبة في ما بينها.

واختلف في تكرار الحروف وما يجلبه تقاربها من عسر في النطق، وكان فريق يراه عيا في الكلام يقول ابن الأثير: «والعرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرار الحروف في كثير من كلامهم؟ وذلك أنه إذا تكررت الحروف أدغموها استحساناً... حتى إنهم لشدة كراحتهم لتكرار الحروف أبدلوا أحد الحرفين، لما تكرر حرفاً آخر غيره فقالوا: أملت الكتاب والأصل من ذلك أملت، فأبدلوا اللام بياء طلباً للخفة على اللسان، وفراراً من الثقل والاستكراه»<sup>(24)</sup> قال ابن يعيش «وقالوا أملت الكتاب وأمليته، الباء بدل من اللام الثانية، قال الله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمَلِّي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5] وقال: ﴿وَلِيُمَلِّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 282] فجاء التنزيل بلغتين جميعاً»<sup>(25)</sup> والمعتمد على القرآن إذ هو الحافظ للعربية، وفيه تكرار الحرف وإبداله.

ورأى الفريق الآخر وهو أقرب إلى الصواب بتكرار الحروف لوجوده في كتاب الله تعالى، وأنه لا تنافر مطلقاً، يقول القلقشندي (ت821هـ): «يؤتى به بحسب التركيب، فقد تُكرر الحروف وتترادف في الكلمات المتتابعة مع القطع بفصاحتها وخفتها على اللسان وسهولة النطق بها، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَتِّعُهُمْ ثُمَّ يُمَسِّحُهُمْ مِّنَّا عَدَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]... كيف اجتمع فيه ست عشرة ميم في آية واحدة، قد تلاصق منها أربع ميمات في موضع، وميمان في موضع، مع ما اشتملت عليه من الطلاوة والرونق الذي ليس في قدرة البشر الإتيان بمثله والله أعلم»<sup>(26)</sup> فليس التكرار عيباً.

وإذا أرعيت سمعك كما يقول محمد المبارك: «إلى البحترتي يصف ذئبا جائعا يرتجف من البرد ظننته أمامك في قوله: يقضقض عصلا في أسرته الردى\*\* كقضقضه المقرور أرعده البرد

(23) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافي: 217

(24) - الجامع الكبير، ابن الأثير الجزري (تح) مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط1، 1375هـ 1956م: 273، 274

(25) - شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش (تح) فخر الدين قباوه، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1393هـ 1973م: 251

(26) - صبح الأعشى، القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، (دط) 1430هـ 1922م: 273/2

فإن تكرر القاف وتواليها خمس مرات، وتكرر الراء ست مرات مع الحروف الأخرى يوحي بصورة الذئب في ضراوته وجوعه وارتجافه»<sup>(27)</sup> فالتناغم نشأ في أغلبه عن تكرير الكلمات على أبعاد متناسبة في الكلام.

**أ- تكرر المدود:** المد في اللغة يراد به: «البسط وطموح البصر»<sup>(28)</sup> وهو التطويل مطلقا والحروف التي تؤديه: الألف، الواو، الياء، فإذا تجانست مع حركاتها المناسبة أشبعت زمنا أطول، قال: السيوطي: «كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم يريدون مد الصوت، ويتروكون ذلك إذا لم يترنموا»<sup>(29)</sup> وهذا المد في الصوت، المستعمل بواسطة حروف المد، لم يستعملوه إلا لشيء هام في كلامهم أرادوا أن يشيروا إليه بهذه المدود المترنم بها، فدلالة الصوت تنبيه إلى المعنى الأصل.

والقرآن استعمل ألف المد كثيرا، ففي قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13] تكررت الآية واحدا وثلاثين مرة، وفيها يجب المدّ «لحروف المد واللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر: كالسما، والبناء، وقائل، وبائع، وكالضالين، والعادين، والصاححة، ونستعين، والأبرار، ويوقنون، ويعلمون، إذا وقفت عليها، وما أشبه ذلك»<sup>(30)</sup> وتسمى بالحروف الهوائية لأنها تبعث من الجوف.

وأقوى المدود في الآية: المدتان المتمكنتان، يعلل ابن جني ذلك قائلا: «لأن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تباديت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت، فوفين له وزدن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد»<sup>(31)</sup> وتنبه المدود هنا والمنتهمية بحرف النون الذي يجري معه النفس في غنته من الخيشوم، إلى النعم المكذب بها من طرف الإنس والجن.

والوظيفة الموسيقية تشير إلى الدلالات المتنوعة التي حملتها الآية في كل مرة حسب سياقها، وجاءت الآية الكريمة مستفهمة الثقيلين الإنس والجن، عن إنكارهما نعم الله «وإن الرحمن جل جلاله ما عدّد آلاءه هنا إلا لبيكت من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ، كما يبيكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له»<sup>(32)</sup> وهذه النعم المنعم بها علينا تحمل دلالات الربوبية، والقوامة؛ لأن الذين يشركون به كالجاهلية الأولى يعرفون أنها من عند الله، لكن كانوا يجعلون نصيبا منها لأهلتهم، فهم لا يشكرونه وهم به يكذبون.

وصيغة الصاخة بالمد والتشديد، والصوت المدوي الملفت للحس المقرع للسمع، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ [عبس:33] الصاخة بمعنى اسم الفاعل: «صيحة تصخ الأذان فتصمها، ويقال: كأتما في أذنه صاخة،

(27) - فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، دار الفكر بيروت، ط2، 1968م:261

(28) - القاموس المحيظ، الفيروز أبادي، المطبعة الأميرية، ط3، 1301هـ:349/1

(29) - معترك الأقران، السيوطي (تح): أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ:1988م:53/1

(30) - الموضح في التجويد، القرطبي (تح) غانم قدوري، دار عمار عمان، ط1، 1461هـ:2000م:128

(31) - الخصائص، ابن جني: 125/3

(32) - معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، ط3، 1408هـ:1988م:573

أي: طعنة...والصخ: الضرب بالحديد والعصا الصلبة على شيء مصمت»<sup>(33)</sup> وفيها حرف الصاد الصفيري المشدّد «والصفيير من علامات قوة الحرف، و"الصاد" أقواها للإطباق والاستعلاء اللذين فيها»<sup>(34)</sup> وفي الصاد الإدغام وراءه الألف الممدودة، وحرف الخاء المعجمة والمفخمة والمشددة ذات الاستعلاء، والحرف المشدّد كما هو في الصاد والحاء يقول عنه المرعشي(ت1150هـ) «يكون زمانه أطول من زمان الحرف الواحد المخفف، وأقصر من زمان الحرفين المخففين»<sup>(35)</sup> يستعمل القرآن حروف التفخيم (القاف والطاء والحاء) مع المدّ الطويل، والسكون المشدّد المفاجئ، والوقف بالهاء إشارة لثقل الموقف في اليوم العظيم.

لفظ الصاخة صور معناه بجرس حروفه، يقول صاحب الضلال: «فهي لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً... في تمزيق هذه الروابط تمزيقاً، وتقطيع تلك الوشائج تقطيعاً»<sup>(36)</sup> والصاخة: يوم القيامة، فيها الكل منشغل بجمه مستغن عن أقرب الناس إليه.

والطامة كالصاخة: والمراد بها القيامة أيضاً، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات:34] كلاهما تخويف وترهيب، ولهما نفس البناء والمد والإدغام، مع اختلاف في مخرج الحرف الأخير؛ بين الخاء الحلقي والميم الشفوي، قال الغرناطي: «إن اسم الطامة أُرهب وأنبأ بأهوال القيامة؛ لأنها من قولهم طم السبيل إذا علا وغلب، وأما الصاخة فالصيحة الشديدة من قولهم صخ بأذنيه مثل أصاخ فاستعيرت من أسماء القيامة مجازاً، لأن الناس يصيخون له، فلما كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلى أهواله خص بها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار»<sup>(37)</sup> وكل لفظ منهما ناسب بناء السورة العام، وجوها الخاص، ولكل منهما في السمع والفؤاد تأثير.

وكذلك اجتماع الصاد والهمزة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة:8] لفظة مؤصدة «تدل شدة الصوت الشديد على الإقفال والحبس... بهمز الواو من لفظ مؤصده للإيجاء بهذا المعنى»<sup>(38)</sup> فيناسبها الانجباس في التوقف بالسكون فوق الواو المهموزة أعلاه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:13] الصاعقة: اسم فاعل، جاء في تهذيب اللغة: «الصاعقة والصّعقة: الصيحة يغشى منها على من يسمعها أو يموت»<sup>(39)</sup> وهي القيامة لأن الخلائق

<sup>(33)</sup> -تهذيب اللغة، الأزهري(تح) عبد السلام هارون علي النجار، المؤسسة المصرية للتأليف(دط)1964م:6/552-553

<sup>(34)</sup> -الرعاية لتجويد القراءة، مكي بن أبي طالب (تح) حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط3، 1417هـ، 1996م:124

<sup>(35)</sup> -جهد المقل، المرعشي(تح) سالم قدوري الحمد، دار عمار عمان، ط2، 1429هـ، 2008م:79

<sup>(36)</sup> -في ظلال القرآن، سيد قطب:6/3834

<sup>(37)</sup> -ملاك التأويل، الغرناطي:1135

<sup>(38)</sup> -اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ، 2007م:265

<sup>(39)</sup> -تهذيب اللغة، الأزهري:1/177

فيها يُصعقون أي: يموتون، وهنا في الآية إنذار لمشركي مكة من: «وقية مثل وقية عاد وثمود»<sup>(40)</sup> والآية قرعت سمع عتبة بن ربيعة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأها عليه، مخبراً قومه بقوله: «فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لا يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب»<sup>(41)</sup> فرجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم حتى عادوه.

والواقعة في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1] إشارة إلى القيامة باستطالة الألف، وتحمل تهودياً قصر عنه اللفظ، يقول سيد قطب: «فالواقعة بمعناها وبجرس اللفظ ذاته بما فيه من مد ثم سكون تلقى في الحس كأنما هي ثقل ضخمة ينقض من علٍ ثم يستقر، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال! "ليس لوقعتها كاذبة" ثم إن سقوط هذا الثقل ووقوعه، كأنما يتوقع له الحس أرجحة ورجحة يحدثها حين تقع»<sup>(42)</sup> وهو ظل يرافق جرسها. وكلما كان التهويل والتفخيم أكثر فيهما التكرير بالمدود للتنبية، والعجيب أنه يؤتى به للإخبار فإذا به يكرر بلا زيادة فيزداد الغموض! فيترك لتذهب به نفس المخاطب كل مذهب، من ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1، 2، 3] الحاقة: «القيامة سميت بذلك؛ لأن فيها الثواب والجزاء»<sup>(43)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1، 2، 3] والقارعة والواقعة والحاقة «من صفات ساعة القيامة، والقارعة التي تفرع بالأهوال»<sup>(44)</sup> فتكرر إرادة التنبية، والوصف أقل مما حقه أن يوصف.

وكذلك ألف المد في كافة، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: 208] وهي بمعنى اسم فاعل من كف، تأتي مجردة من التعريف وتفيد العموم، أي جميعاً «وفي الأصل صفة من كف بمعنى منع، استعمل بمعنى الجملة بعلاقة أنها مانعة للأجزاء عن التفرق، والتاء فيه للتأنيث أو للنقل من الوصفية على الإسمية، كعامية، وخاصة، وقاطبة، أو للمبالغة»<sup>(45)</sup> وهي هنا حال، والسلم هو الإسلام، ويأتي للسلم.

وفي التكرار بالواو جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتُهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ\*لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ [الواقعة 51، 52] مجموعة من أسماء الفاعلين لتأكيد الوصف أنهم هم المعنيون بهذا النوع من الأكل، وهذا طعامهم "الزقوم" اجتمع فيها حروف: الزاي صوت رخو، والقاف صوت مقلقل ينحبس معه الصوت ومخرجه قريب من البلعوم، والميم صوت أصله أنفي يخرج بإطباق الشفتين، وهذا الانسجام بين المتحرك الرخو والقاف المشدّد والمدّ المنتهي بالميم الساكنة، «يوحى بأن ثمرة هذه الشجرة تستعصي على البلع ويطول استعصاؤها بإيحاء تشديد القاف

(40) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي (تح) عبد المحسن التركي، مركز هجر القاهرة ط1، 1424هـ/2003م: 96/13

(41) - معالم التنزيل، البغوي: دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1414هـ/1993م: 167/7

(42) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 3462/6

(43) - معاني القرآن، الفراء: 173/3

(44) - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (تح) عبده شلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م: 355/5

(45) - روح المعاني، الألويسي دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط تا): 97/2

وطول الواو التي بين القاف والميم، ويضاف إلى ذلك مشاركة هذه الكلمة لكلمة "القمة" في حرفين من حروفهما مما يعزز فكرة إرادة البلع مع المشقة، واشتمال اللفظ على الزاي والقاف وهما الحرفان اللذان في: "زَقَّ" الطائر فرخه»<sup>(46)</sup> وخير ما يفسر به القرآن: نفسه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعْدَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل:12،13] فأشارت إلى معنى الآية السابقة.

ومثله في شراب أهل النار جاء قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَافًا﴾ [النبا:24،25] والمراد بالحميم والغساق: «الحميم هو الماء المنتهي في الحرارة...والغساق هو شراب منتن الرائحة شديد البرودة»<sup>(47)</sup> فهما شرابان لا كالشراب! ولذلك جاء استثناءهما مفرغاً، والغساق غير مستساغ يعبر عنه جرسه، لما في «مخرج الغين من التأخر في مكان الغرغرة التي تكون عند إرادة تنظيف الحلقوم، كما أن الغين صوت يستعمل ساكناً عند إرادة التعبير عن التقزز...وللتشديد الذي على السين لإيجاد توكيد للكراهية التي تستفاد من حروف المادة»<sup>(48)</sup> فالقاف يتوقف معه جريان الهواء، مما يجعل الاستساغة أمراً ليس بالهين.

وكما استعمل ألف المد في الرحمن في أكثر من آية استعمل المد بالياء في الرسائل في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الرسالات:15] عشر مرات، وكان هذا التطويل بالمد فاشياً في كلام العرب كما «قال سيبويه: إنهم يقولون: سِيرَ عليه ليلٌ يريدون: ليل طويل، وهذا إنما يفهم عنهم بتطويل الياء، فيقولون: سير عليه ليل، فقامت المدّة مقام الصفة»<sup>(49)</sup> والويل يكون في ذلك اليوم يوم الفصل، وأصل الويل «مصدر بمعنى هلاك وكان حقه النصب بفعل من لفظه أو معناه إلا أنه رفع على الابتداء للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته فمسوغ الابتداء به ظاهر والمشهور أن مسوغ ذلك كونه الدعاء كما في سلام عليكم»<sup>(50)</sup> والكلام يدل على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به.

**ب-تكرار الحروف الجوفية:** قال الخليل «وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»<sup>(51)</sup> والياء والواو لأن يكونا جوفيان لا بد أن يكونا ساكنين، وبعد حركة تجانسهما.

(46) -البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1413هـ/1993م: 294

(47) -تفسير جزء عم، صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط2، 1423هـ/2002م: 31

(48) -البيان في روائع القرآن، تمام حسان: 295

(49) -المحتسب في تبين شواذ القراءات، ابن جني: 207/2، الكتاب، سيبويه: 12/1

(50) -روح المعاني، الألوسي: 173/29

(51) -معجم العين، الفراهيدي(تح) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م: 57/1

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:18] حيث تكررت "لا إله إلا هو" مرتين، ومعناها الحقيقي «أي: لا معبود حق إلا الله، فكل ما عبد من دون الله فهو باطل، وإن سمي إلهًا، فإن ألوهيته مجرد تسمية»<sup>(52)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿لَئِن أَخَذَتِ الْهَمَّا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:29] فنصب نفسه إلهًا تسمية.

وشهادة أن لا إله إلا الله تحيء: «على هذه الصيغة الخاصة الجامعة بين النفي والإثبات، ليدل على حصر الإلهية لله تعالى؛ فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر»<sup>(53)</sup> فهو قصر حقيقي من الصفة وهي الألوهية بحق على الموصوف لا يشاركه أحد، والشهادة هي رأس هذا الدين، اجتمعت فيها دلالة الصوت بدلالة الرسم، وهما خاصيتان بارزتان: يقول الزركشي: «إحداهما، أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية، للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه؛ وهو القلب لا من الشفتين، الثانية أن ليس فيه حرف معجم، بل جميعها متجردة عن النقط؛ إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى»<sup>(54)</sup> والإيمان به وحده لا شريك له.

كما اجتمعت في هذه الآية شهادة الله لنفسه، والملائكة، وأولو العلم وهم الأنبياء عليهم السلام وورثتهم، وتكرر الجانب اللفظي للشهادة مرتين، ودلالته العامه «لقصده التأكيد»<sup>(55)</sup> لكن لكل مرة معناه في سياقه، يقول محمد العثيمين: «فشهد الله لنفسه أنه لا إله إلا هو، وحكم لنفسه أيضا بأن لا إله إلا هو، فاجتمع في كلامه عز وجل الشهادة والحكم، فكان شاهدا لنفسه، حاكما لها بالألوهية؛ لأن المعروف في المحاكمات والمرافعات أن تؤدى الشهادة أولا، ثم يأتي الحكم، فالله تعالى شهد أولا، وأخبر بمن شهد معه، ثم حكم ثانيا»<sup>(56)</sup>.

**ج-تكرار الحروف المهموسة:** أوتي بالحروف المهموسة كما في قوله عز وجل: ﴿وَوَخَّشَعْتُ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:108] التي يجمعها قولهم: "حته شخص فسكت" والتي تنبعث منها أصوات خافتة غير مسموعة، يقول ابن جني: «لأن الصوت الذي يخرج معها نفس، وليس من صوت الصدر، وإنما يخرج منسلا»<sup>(57)</sup> والمراد بالنفس جريانه، ويجرى معه النفس عند النطق به «لضعفه، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور، وبعض هذه الحروف المهموسة أضعف من بعض... وإنما لقب هذا المعنى بالهمس لأن

(52) - تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين، مؤسسة العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، 1436هـ:1/118

(53) - معنى لا إله إلا الله، الزركشي، (تح) علي القره، دار الاعتصام القاهرة، (دط تا):73

(54) - معنى لا إله إلا الله، الزركشي:2،73

(55) - فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية، الشوكاني (تح) عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، (دط تا):1/543

(56) - تفسير القرآن الكريم، آل عمران، محمد العثيمين:1/121

(57) - سر صناعة الإعراب، ابن جني (تح) هذاوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ:1/63

الهمس هو الحس الخفي الضعيف، فلما كانت ضعيفة لقبت بذلك، قال جل ذكره: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:108] قيل هو حس الإقدام<sup>(58)</sup> ولو تكلف في الجمهور لما أمكن، لانعدام جريان الهواء معه. وجيء بالحروف الخافته لتصوير المشهد بوضوح، فالهمس مظهر من مظاهر الخشوع، حيث أسند الخشوع للأصوات، يقول ابن عاشور: «وفي الأصل الخشوع لأصحاب الأصوات؛ أو استعير الخشوع لانخفاض الصوت وإسارته، وهذا الخشوع من هول المقام... أي لا يتكلم الناس بينهم إلا همسا ولا يجروون على الشفاعة لمن يهمهم نفعه، والمقصود من هذا أن جلال الله والخشية منه يصدان عن التوسط عنده لنفع أحد إلا بإذنه، وفيه تأيس للمشركين من أن يجدوا شفعا لهم عند الله»<sup>(59)</sup> فناسب الصوت معناه، وهو من بديع القرآن وإعجازه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:30] تكررت السينات أربع مرات وتخللتها الفاء مثلها الذي هو صوت صامت «أسناني شفوي احتكاكي مهموس»<sup>(60)</sup> والحاء والكاف ثلاث مرات، وكلها حروف مهموسة، وترديدها هنا مرده أن الهمس «حس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهازة في المنطق، ولكنه كلام مهموس»<sup>(61)</sup> فكلامهم مهموس في الفم كالسر أدبا مع الله سبحانه، عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات:11] تكرر حرفا الصفيير السين ثمان مرات، والزاي مرتين «فتكاد تحاكي جو الصفيير الذي يكون مرافقا في الغالب لحالات السخرية والاستهزاء، أما النونات المتكررة في الآية الثانية وما يتبعها من حركات تنوين فتوحي بالهيجان النفسي، حيث إن الظن عارض نفسي باطني، والأولى أن يتم التعبير عن هذه الحالة النفسية بما يحاكيها ويتفق معها من أصوات تعبر عن النفس والضمير أكثر مما تعبر عن المظهر والعوارض الخارجية»<sup>(62)</sup>.

**د- تكرير الحرف المدغم: والمضعف هو:** «ما اتحدت فاؤه وعينه أو فاؤه ولامه أو عينه ولامه»<sup>(63)</sup> يقول ابن جني: «الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع

(58) -الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب: 116

(59) -التحرير والتنوير، ابن عاشورالدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984م: 310/16

(60) -علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، (دط)، 2000م: 297

(61) -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (تح) علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت (دط تا): 344/5

(62) -التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1994م: 296.

(63) -المزهر في علوم اللغة العربية، السيوطي (تح) محمد النجاوي وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط3، (دتا): 5/2



وقطّع، وكسر وكسّر، زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه»<sup>(64)</sup> فكلما تكررت الحروف «في اللفظ الواحد كان ذلك إيذاناً بتكرير العمل ونقل الفعل من وزن إلى وزن لم ينجح إليه الواضع في الأصل إلا لهذا السر الخفي»،<sup>(65)</sup> وهو زيادة المعنى.

قال الله تعالى: ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ﴾ [الشعراء:94] استعمل الفعل ككببوا بالكاف والباء مضاعفين، وهما من حروف الشدة التي ينحبس فيها الصوت انحباساً كاملاً بين الحركة والسكون، وكببوا من الكبّة ومن الكبكبة وهما بمعنى واحد، جاء في اللسان «كب الشيء يكبه، وكبكه: قلبه... قال الليث: أي دُهورُوا، وجمعوا، ثم رمي بهم في هوة النار؛ وقال: الزجاج: ككببوا طُرح بعضهم على بعض؛ وقال أهل اللغة: معناه دُهورُوا، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقى ينكب مرة بعد مرة، حتى يستقر فيها، نستجير بالله منها»<sup>(66)</sup> فجاء التضعيف لتكرار الكب مرات.

والضمير الموجود في الفعل ككببوا للذين يعبدونهم من دون الله: قال الألوسي: «هم الأصنام وأكد بالضمير المنفصل أعني "هم" وكلا الضميرين للعقلاء واستعملا في الأصنام تمكماً أو بناءً على إعطائها الفهم والنطق؛ أي ككبب فيها الأصنام»<sup>(67)</sup> فيككب الذين أشركوا مع آلهتهم والأتباع مع مضلليهم، إشعاراً بالهوان لما يجدوا أنفسهم مع من كانوا يعظمونهم، فيتخاصمون ويدركون وقتئذ لا يملكون شيئاً لهم ولا لأنفسهم.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف:38] ومعنى آدركوا: لحق آخرهم أولهم، ويأتي منها الفعل اللازم والمتعدي «في أفعل وتفاعل وافتعل واحداً، وذلك أنك تقول أدرك الشيء وأدركته، وتدارك القوم وادّاركوا وادّركوا إذا أدرك بعضهم بعضاً ويقال: تداركته وادّركته وادّركته»<sup>(68)</sup> وادّاركوا فيه إبدال أصله: «تداركوا أبدلت التاء دالا، ثم سكنت ليصح إدغامها ثم أدخل عليها همزة الوصل ليصبح النطق وزنه: اتفاعلوا»<sup>(69)</sup> لأنه لا يمكن الابتداء بساكن فاحتلب همزة الوصل ليبدأ بها.

وأصل الإدغام في ادّاركوا: ادداركوا فأدغمت الدال في أختها قال السمين «وهذا مطرد في كل فعل على تفاعل أو تفعل فأؤه دال نحو: تداين، وادايين، وتدين وادين، أو طاء أو ضاد أو صاد نحو: تطاير واطّاير، وتطير واطير، وتظاهر واطاهر، وتطهر واطهر، والمصدر على التفاعل أو التفعل نحو: تدارؤ وتطهر نظراً إلى الأصل، وهذا أصل نافع في جميع الأبواب فليتأمل»<sup>(70)</sup> واختير الفعل ادّاركوا بالتضعيف، وجاء الفعل مسنداً إلى العلم في قوله

(64) -المحتسب في تبين شواذ القراءات، ابن جني (تح) النجدي وآخرون، إحياء كتب السنة، مصر، (دط) 1994م: 210/2

(65) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي مؤسسة الإيمان، ط3، 1416هـ 1995م: 369/8

(66) -لسان العرب، ابن منظور: 3803/44، كتاب الأفعال، السرقسطي: 146/2

(67) -روح المعاني، الألوسي: 103-102/19

(68) -لسان العرب، ابن منظور: 1365/16

(69) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 406/8

(70) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (تح) محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (دط تا): 435-434/1

تعالى: ﴿بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:66] وقول ابن عباس في ادراك أنه: «حين لم ينفع العلم»<sup>(71)</sup> وفي الآخرة أصبحوا مبصرين، وعرفوا الحقيقة، ولات مندم. ومثله قال الله تعالى: ﴿أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة:38] وكلمة اتاقلتم أصله: «تتاقلتم، ثم قلبت التاء تاء للإدغام بعد سكونها وزيادة همزة الوصل لمناسبة السكون، وكان وزنه تفاعلتم ثم أصبح افاعلتم أو اتفاعلتم قياساً على وزن اضطرِبَ افتعل حيث لا يتغير الوزن بوجود الإبدال في الكلمة»<sup>(72)</sup> والمعنى اللغوي لـ"اتاقلتم: «تباطأتم وتقاعدتم، وضمّن معنى الميل والإخلاق فعدى بإلى، والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه...وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وقريء: [اتاقلتم]؟ على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ»<sup>(73)</sup> ويأتي التعثر في نطق التاء المدغمة كالانحباس ما بعده انطلاق.

ويشارك الجرس والظلال في رسم المعنى، فنتصور ذلك الجسم المتناقل كما يقول صاحب الظلال «يرفعه الرافعون في جهده، فيسقط من أيديهم في ثقل، إن في هذه الكلمة "طنا" على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: تتاقلتم، لحف الجرس، ولضاع الأثر المنشود وتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها»<sup>(74)</sup>. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ﴾ [النساء:72] بطاً من البطيء: «معناه: تأخر»<sup>(75)</sup> وصورة التبطئة يرسمها «جرس العبارة كلها وفي جرس "ليبطئن" خاصة، وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يصل ببطء إلى نهايتها!»<sup>(76)</sup> والإدغام في الطاء والنون بينهما همزة هو الذي أوجد التعثر لفظاً وناسبه التأخر فعلاً.

وفي سوس الرباعي المدغم وزن فعلل: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤْسِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق:16] يتكرر السين، وهو صفيري يجري في مجرى ضيق بين طرف اللسان والأسنان الأمامية، وهو أيضاً من الحروف الخفية المهموسة، والوسوسة: صوت الحلي، واستعيرت لما تحدث به النفس، فهي أمر غيبي لا يطلع عليه ولا يعلمه إلا الله سبحانه «يعني: لا نعلم ظواهر عمله فحسب، إنما نعلم بواطنها، ونعلم ما يختلج في نفسه من خواطر وأفكار...والوسوسة تكون مرة من النفس ومرة من الشيطان لذلك لا تكون إلا بشر»<sup>(77)</sup> وفي الآية عرض لقدرة الله في خلقه بتبيان علمه الشامل في الأنفس، وما يدور فيها وما قدر لها.

(71) - تفسير السدي الكبير، عبد الرحمن السدي الكبير: 371 الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: 394/11

(72) - الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 339/10

(73) - الكشاف، الزمخشري: 44/3

(74) - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ/2004م: 91

(75) - كتاب الأفعال، ابن القطاع، مطبعة المعارف العثمانية، ط1، 1360هـ/96/1

(76) - م، س: 92

(77) - تفسير الشعراوي، الشعراوي: 14520/23

الفصل الأول: التلوينات الصوتية دلالاتها المختلفة وتأثيراتها الإقناعية **مبحث: التكرار**

واللفظ يصور «دأب إبليس على الإغواء وإجهاده نفسه لحملها على أن تزل بهما القدم، ويرتطما في مزالق الشر، فهو يوسوس إليهما المرة بعد المرة... ومثله قولك اخشوشن واعشوشب، فكأن العرب لما رأت كثرة العشب قالت اعشوشب، وهكذا فإن تكرار الحروف يفيد تقوية المعنى ومضاعفة مضمون الكلمة»<sup>(78)</sup> ويأتي هذا من باب مصاقبة الألفاظ لمعانيها، فتتطابق الحروف للأحداث المعبرة عنها.

**د- تكرير حرف في السورة كلها:** من ذلك حرف القلقلة في سورة: [ق] حيث ذكر الزركشي أن السورة مبنية على «الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكين، وقول العتيد، وذكر القريب، وذكر السابق، والقرين، والإلقاء في جهنم، والقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرن، والتنقيب في البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وسوق النخل، والرزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد، وغير ذلك»<sup>(79)</sup> وكذلك سورة ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: 1] «فإن فواصلها كلها على هذا الوزن، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية»<sup>(80)</sup>.

**2- تكرار اللفظة:** قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 1، 2] تكرر لفظ الجلالة للتعظيم فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: 20] وهو أسلوب العرب وكُرر لفظ الجلالة رغم أن "أحد والصمد" خبران أو صفتان أو بدلان، يقول عباس حسن: «وما ذلك إلا لبيان أنه هو المعبود المقصود وحده لقضاء حوائج الناس، وإذا أردت أن تدرك جمال موقعه، وحسن موضعه؛ فقل: قل هو الله أحد، الصمد، وانظر كيف ينزل الكلام عن تلك المرتبة الرفيعة؟ وكيف يذهب هذا الرونق، وبدوي هذا الجمال الذي يزين لفظه ومعناه... وهكذا؛ كل كلام تريد أن تزيد في تقريره؛ تقول مثلاً: الإسلام قول وعمل، الإسلام عبادة وقيادة، الإسلام دين ودولة، الإسلام مصحف وسيف، الإسلام توحيد ووحدة»<sup>(81)</sup> فالتكرير أمر مقصود .

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: 35] يقول مصطفى المراغي: «أفمن يهدي إلى الحق وهو الله، أحق أن يتبع فيما يشرعه، أم من لا يهدي غيره ولا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيره، وهو الله تعالى؛ إذ لا هادي غيره»<sup>(82)</sup> حيث التكرارات في أفعال الهدى مرتبطة بالحق، للدلالة على أنه لا يهدي للحق إلا الله وحده سبحانه، كما قال في غير آية، منها قوله: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50].

(78) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 369/8

(79) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 169/1

(80) -م، ن: 170/1

(81) -البلاغة فنونها وألفاظها، عباس حسن دار الفرقان، اليرموك، ط4، 1417هـ 1997م: 251

(82) -تفسير المراغي، مصطفى المراغي مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1365هـ 1946م: 104/11

وقرى: إلا أن يهدّي من هداه وهدّاه للمبالغة، قال الفراء: «يقول: تعبدون ما لا يقدر على النقلة من مكانه، إلا أن يحول وتنقلوه»<sup>(83)</sup> والمقصود بها الأصنام، وأصل كلمة يهدّي «فيه قلب التاء دالا وإدغامها مع الدال الثانية، أصله يهتدي، فلما أريد إدغام الدالين سكنت الأولى، وقد كانت الهاء قبل ذلك ساكنة، فكسرت تخلصا من التقاء الساكنين، وزنه يفتعل»<sup>(84)</sup> ويوحى التشديد صعوبة الاهتداء إلا بتوفيق منه سبحانه، فالسكون الذي يسبق الحركة في الحرف المشدد فيه توقف وإعانات مما يشير إلى أن الهدى أمره خارجي موكل إلى الله سبحانه.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59] تكرر الفعل أطيعوا مع الله ومع الرسول صلى الله عليه السلام، يقول تمام حسان: «ولم يتكرر الفعل أطيعوا مع أولى الأمر؛ لأن المطلوب منهم أن يكون عملهم تطبيق ما في كتاب الله وسنة رسوله، فإن لم يفعلوا فلا طاعة لهم، وإن فعلوا فإن طاعتهم ليست من أجلهم هم، وإنما لكونهم أحسنوا التطبيق»<sup>(85)</sup> فطاعتهم من طاعتهم لله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5] أولئك اسم للإشارة تكرر مرتين، وأشير إليهم بصيغة البعد لعلو مرتبتهم، والعناية بهم، فجاء التكرار «لزيادة الإيضاح، والتقرير، وليؤكد اختصاصه بالمسند، فهؤلاء الذين ثبتت لهم الهداية هم الذين ثبت لهم الفلاح واختصوا به دون غيرهم»<sup>(86)</sup> ولا تصافهم بالصفات الخمس السابقة؛ والتي يتأكد منها سلامة منهجهم، المؤدي إلى الغاية حتما وهي الفوز.

ومقام التوبيخ يناسبه التقرير كلاهما واحد، كما في قوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ انظُرُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ [المرسلات: 29، 30] قال ابن عاشور: «وأعيد فعل "انظُرُوا" على طريقة التكرير، لتقصد التوبيخ أو الإهانة والدفع، ولأجله أعيد فعل "انظُرُوا" وحرف إلى، ومقتضى الظاهر أن يقال: انظُرُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، فإعادة العامل في البديل للتأكيد في مقام التقرير»<sup>(87)</sup> وحملت لفظة "انظُرُوا" سخرية من المأخوذين فسرا إلى النار، فإذا أضيف إليها الظل كان الهزء بهم بلغ مداه.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾ [الواقعة: 51، 52] تبين الآية طعام الضالين المكذبين، فتحشد له هذه الحروف: الزاي صوت رخو، والقاف صوت شديد ينحبس معه الصوت ومخرجه قريب من البلعوم، والميم صوت شديد في أصله أنفي يخرج بإطباق الشفتين، وهذا الانسجام بين المتحرك الرخو والقاف المشدد والمد المنتهي بالميم الساكنة «يوحي بأن ثمرة هذه الشجرة تستعصي على البلع ويطول استعصاؤها بإجاء تشديد القاف وطول الواو التي بين القاف والميم، ويضاف إلى ذلك مشاركة هذه الكلمة لكلمة

(83) - ينظر: معاني القرآن، الفراء: 464/1

(84) - الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 124/11

(85) - البيان في روائع القرآن، تمام حسان: 298

(86) - البلاغة فنونها وأفانها، عباس حسن: 250

(87) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 435/29

"لقمة" في حرفين من حروفهما مما يعزز فكرة إرادة البلع مع المشتقة، واشتمال اللفظ على الزاي والقاف وهما الحرفان اللذان في "زَقَّ" الطائر فرخه»<sup>(88)</sup>.

والتكرير في قوله تعالى: ﴿أَيُّ قَدْ جِئْتُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَيُّ أَلْخُلُقِ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:49] كرر قوله: بِإِذْنِ اللَّهِ دفعا لتوهم من توهم فيه الألوهية، قال محمد العثيمين: «فجاء تكراره من أجل تحقيق التوحيد حتى لا يظن ظان أنه يخلق استقلالا، لأنه لولا هذا التقييد "بِإِذْنِ اللَّهِ"... فيظن الظان أن عيسى يخلق كخلق الله، فلهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام: بِإِذْنِ اللَّهِ»<sup>(89)</sup> وجاءت الآية مصدرة بمجموعة تأكيدات مبينة الخالق الحقيقي .

وقد تتكرر اللفظة بعينها أو بمعناها مصحوبة بحرف معين في السورة كلها، كما في سورة [ص] وما اشتملت عليه من الألفاظ الصادية التي عليها جل الخصومات في السورة «من الخصومات المتعددة؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم وقولهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:5] إلى آخر كلامهم، ثم اختصاص الملائة الأعلى في العلم، وهو الدرجات، والكفارات، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصاصه ثانيا في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم»<sup>(90)</sup> إلى غيره ما بلفظه أو بمعناه.

**3- تكرار الجملة:** كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ الْإِلَهِةِ﴾ [النمل:60] قرئ إليه بتحقيق الهمزتين وبالضم وكذلك «قرئ إله بالنصب على إضمار: أتدعون أو أتشركون إلهًا»<sup>(91)</sup> وجاء هذا الجزء من الآيات: "أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ الْإِلَهِةِ" المكرر خمس مرات، مستفهما منكرا عليهم إشراكهم آلهتهم مع الله، وتوحيد أن لا إله إلا الله يقتضي: «أنه لا شريك له... وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر»<sup>(92)</sup> واستندت الأسئلة في جميعها إلى الحقائق الكونية التي يعرفونها ويشاهدونها ويحيون عليها، والملاحظ أنه تكرر نفس اللفظ ولكن في سياقات مختلفة، فجاء الاستفهام يحمل معنى السياق الذي ورد فيه من إنكار وتقرير، وجاءت التعقيبات المختلفة مغايرة لما استفهم عنه.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ الْإِلَهِةِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:60] جاء التعقيب عقب ذكر خلق السماوات والأرض، وإنزال الأمطار، وإنبات الحقائق ذات البهجة، والمراد «أي: هل معه معبود سواه أعانه على صنعه»<sup>(93)</sup>

وفي الآية التي بعدها: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ الْإِلَهِةِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:61] جاء التعقيب بعد ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها من قرارها، ورواسيها، وبحارها «أي إذا ثبت أنه لا يقدر على ذلك إلا الله فهل إله في الوجود يصنع

(88) -البيان في روائع القرآن، تمام حسان:294

(89) -تفسير القرآن الكريم، آل عمران، محمد العثيمين:282/1

(90) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي:170/1

(91) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الحلبي:632/8، معاني القرآن، الفراء:297/2

(92) -مناهل العرفان، الزرقاني (تح) أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م:11/2

(93) -التفسير البسيط، الواحدي:275/17، تفسير بحر العلوم، السمرقندي:502/2

صنعه ويخلق خلقه فكيف يشركون به ما لا يضر ولا ينفع»<sup>(94)</sup> وكان المشركون يعلمون أن لا غيره يستطيع ذلك، و لا يملكون أن يقولوا أن معه إله، ولا أحد يدعي هذه الدعوى، مع أنهم يشركون معه آلهة شتى!! لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهكذا في بقية الآيات مقيما عليهم الحجة بما يشاهدون ويحسون.

وجاء تكرير "وما أدراك" في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ \* ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الإنفطار: 17، 18] مرتين تأكيداً ليوم الدين في الآية الخامسة عشر، قال البقاعي: «أي: أعلمك وإن اجتهدت في طلب الدراية به، "ما يوم الدين" أي: أي شيء هو؟ في طوله وأهواله وفظاعته وزلزاله، ولما كانت أهواله زائدة على الحد، كرر ذلك السؤال لذلك الحال، فقال معبراً بأداة التراخي زيادة في التهويل: ثم ما أدراك أي: كذلك ما يوم الدين»<sup>(95)</sup> ومثله التهديد في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: 4، 5].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القم: 17] تكررت أربع مرات وتكرر جزؤها ست مرات في نفس السورة، قال السمرقندي: «يعني: هل من معتبر يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح، فيترك المعصية، ويقال: فهل من مدكر يتعظ بأنه حق ويؤمن به»<sup>(96)</sup> وأصل مدكر: مفتعل من الذكر مذتكر، فأدغمت الذال في التاء ثم قلبت دالا مشددة، تؤيده قراءة «قتادة على ما نقل ابن عطية "مذكر" بالذال المعجمة على قلب تاء الافتعال ذالا وإدغام الذال في الذال...وقرأ قتادة فهل من مدكر بتشديد الكاف من التذكير أي من يذكّر نفسه أو غيره بها، وقرئ: مذتكر بدال معجمة بعدها تاء الافتعال كما هو الأصل»<sup>(97)</sup>.

ويتكرر تعقيب تيسر القرآن بعد ذكر كل قصة من قصص الأمم الغابرة وما حل بها من العذاب الأليم، والقرآن بهذا: «حاضر، سهل التناول، ميسر الإدراك، فيه جاذبية ليقرأ ويتدبر، فيه جاذبيه الصدق والبساطة، وموافقة الفطرة، واستحاشة الطبع، لا تنفذ عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وكلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد، وكلما صحبتته النفس زادت له ألفة وبه أنساً»<sup>(98)</sup> لأن العبرة لا توجد إلا في القصص القرآني.

ويأتي التكرار لتثبيته في العقول، والتذكير به كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134 و 141] تكررت الآية مرتين في نفس السورة، ناهية عن الانتساب إلى إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ثم لم يهتدوا بهديه، قال القرطبي: «التعلق بالأسلاف من غير اقتداء بهم ولا اهتداء بهديهم فليس بنافع بل لهم أعمالهم ولكم عملكم...فتكريرها ما نص عليهم من مرتكباتهم الدائرة على جامع واحد من تخيل التعلق بهم مع مخالفتهم فيما كانوا عليه»<sup>(99)</sup> فلأجل الادعاءات

<sup>(94)</sup> -فتح البيان، القنوجي (تح) إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت (دط)، 1412هـ/1992م: 61/10

<sup>(95)</sup> -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 308/21

<sup>(96)</sup> -بجر العلوم، السمرقندي (تح) محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م: 299/3

<sup>(97)</sup> -روح المعاني، الألوسي: 83/27، معجم القراءات، أحمد مختار وعبد العال مكرم: 34/7

<sup>(98)</sup> -في ظلال القرآن، سيد قطب: 3430/6

<sup>(99)</sup> -ملاك التأويل، الغرناطي: 238، 237/1

## الفصل الأول: التلويحات الصوتية دلالاتها المختلفة وتأثيراتها الإقناعية مبحث: التكرار

الجوفاء كرير «ولزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين؛ اهتماما بما تضمنه، لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين فلم يُقتنع فيه بمرة واحدة»<sup>(100)</sup> والتوكيد يناسبه التكرير والتذكير.

وتكررت هاتان الآيتان؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 190، 191] سبع مرات وهي تبين «أن الآيات الخارقة لا تستتبع الإيمان حتما، وإن خضع لها الناس قسرا، إنما الإيمان هدي في القلوب»<sup>(101)</sup> فهي لكل الناس ولا ينتفع بها إلا المؤمن، وفي قوله "وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ" ربوبية خاصة أحيطت بالمؤكدات تكريما للرسول صلى الله عليه وسلم، وتسليية لما يلاقيه من عنت الكفار.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5، 6] عزف العسر بأنه: «الفقر، والضعف وجهالة الصديق، وقوة العدو، وإنكار الجميل»<sup>(102)</sup> قال أبو البقاء: «العسر في الموضعين واحد، لأن الألف واللام توجب تكرير الأول، وأما يسرا في الموضعين فاثنان، لأن النكرة إذا أريد تكريرها جيء بضميرها أو بالألف واللام، ومن هنا قيل لن يغلب عسر يسرين»<sup>(103)</sup> وتعريف العسر بالألف واللام إما للعهد للعسر الذي كانوا فيه، أو لعموم الجنس الذي يخبرك عنه كل أحد.

وأما وجه اصطحاب يسرين للعسر، فالسورة مكية، كان بهم العسر، فأراد الله عز وجل أن يرفعه ويحدث الانفراج لدينهم وحياتهم، كما قال جل علاه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55] قال الزمخشري: «قرب اليسر حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسليية وتقوية القلوب... كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيماً وأي يسر»<sup>(104)</sup> وكرره قصد التفخيم، ورحم عباده المؤمنين بأن جعل يسرين مقابل عسر واحد، فسبحانه من رحيم.

وقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: 19، 20] الآية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة الذي كان يُرجع إليه في كل أمر، وهو صاحب كلمة ساحر التي رمى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولفظ قتل هو دعاء بمعنى: لعن، وكَيْفَ بمعنى التعجيب، قال الواحدي: «لعن على أي حال قدر ما قدر، كما يقال في الكلام: لأقتلنه كيف صنع، أي على أي حال كانت فيه»<sup>(105)</sup> فطرد من رحمة الله.

(100) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 748/1

(101) -م، ن: 2599/5

(102) -تفسير المراغي، مصطفى المراغي: 190/30

(103) -إملاء ما من به الرحمن، العكبري: 289/2، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 47/11

(104) -الكشاف، الزمخشري: 398، 397/6

(105) -التفسير البسيط، الواحدي: 427/22، الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 130

وجاء التكرير عليه باللعن مناسباً للحالات العنادية من نظر وعبوس وأدبار واستكبار، التي كان يجهد نفسه من أجل اختلاق الطعون في القرآن وفي الرسول صلى الله عليه وسلم، فتوعده المولى عز وجل سقر التي عظم من شأنها قال وهبة الزحيلي: «لأنه كان موقفاً بقلبه، مقتنعاً بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه كذب بلسانه إرضاء لهوى نفسه في حب الزعامة والرياسة والجاه، وإيثاراً للانضمام إلى صف أهل الشرك»<sup>(106)</sup> ومن عرف الحق وعانده، وزعم أن القرآن سحر فإنه يكون مكذباً بالنبوة والبعث ومنكراً للتوحيد؛ جملة وتفصيلاً.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: 30] تكررت الآية ثلاث مرات قبل هذا الموضع، قال الألوسي: «استفهام تعظيم، وتعجيب، أي: كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف، والنذر: مصدر كالإنذار، وقيل: جمع نذير بمعنى الإنذار، وجعله بعضهم بمعنى المنذر منه، وليس بشيء، وكذا جعله بمعنى المنذر، وكان: يحتل أن تكون ناقصة، فكيف في موضع الخبر؟ وتامة، فكيف في موضع الحال؟»<sup>(107)</sup> وكررت الآية وأخرجت مخرج الاستفهام وهي خبر، للعلم أن عذاب الله لا يحيط به الوصف.

قوله تعالى: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ \* ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ [القيامة: 34 و35] كُتِرَ للتهديد والوعيد، وخص به المجرم كما تقدم صفاته في الآيات؛ من أنه لا يصدق ولا يصلي؛ المكذب المختال المتكبر، والمستغني بكفره، وجاءت هاتاه الصفات على الغياب، ثم لما جرى بالتهديد والوعيد هنا عدل إلى الخطاب، قال الأصمعي: «قاربه ما يهلكه، أي نزل به، قال الجوهري: ولم يقل أحد فيها أحسن مما قاله الأصمعي»<sup>(108)</sup> وقال ثعلب مثله: «أي: دانه الهلاك»<sup>(109)</sup> وقال الغرناطي: «وكأن قد قيل في هذه الآية: الويل له ثم أشد الويل له، فأكد بتكرير اللفظ إشعاراً بالأهلية والاستحقاق، كما قالو: ويلا له ويلا ويلاً»<sup>(110)</sup> وهو كلام متلبس بالتعجب، جار مجرى الدعاء. وعموماً أسلوب التكرار في اللفظ والمعنى جاء في القرآن على ما كان متعارفاً عند العرب من كلامهم والقصد منه تنبيه المتلقي لأمر عظيم، أو إثبات شيء أو نفيه يراد التأكيد عليه، فيؤتى به كمستند حججاً تأكيداً لقائله.

(106) -التفسير المنير، الزحيلي دار الفكر، دمشق، 10، 1430هـ، 2009م: 246/15

(107) -روح المعاني، الألوسي: 83/27

(108) -معترك الأقران، السيوطي: 76/2

(109) -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 148

(110) -ملاك التأويل، الغرناطي: 1121/2



• **التنغيم:**

التنغيم هو من أساليب العرب في نطقها، إذ يعتبر قرينة من القرائن اللفظية في الكلام، جاء في اللسان أنه: «جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها»<sup>(1)</sup> وفي الاصطلاح: «صوت لابت زمانا واحداً محسوساً، ذا قدر في الجسم الذي يوجد فيه»<sup>(2)</sup> فهو أسلوب يساعد في توضيح المعنى الوظيفي للتركيب المسموع، ويتمثل في تلك الظاهرة المتغيرة في الكلام التي «تنتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود؛ لبيان مشاعر الفرح والغضب والنفي والإثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب»<sup>(3)</sup> ويقابله التقييم في الكتابة الذي استحدث لاحقاً، ولأمر ما كان التنغيم جزءاً أساسياً في لغات العالمين؛ لأنه يمدّها بالحياة والحركة، قال عنه تمام حسان: «يعتبر الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق»<sup>(4)</sup> وإلى جانب معرفة المعنى نتعرف من خلاله أيضاً على هوية المتكلم، وجنسه، وسنه، وعن حالته النفسية.

والتنوعات الصوتية التي أهمها الارتفاعات والانخفاضات؛ والتي نسميها النغمات؛ هي قمة الظاهرة الصوتية التي تغطي مساحة المنطوق كله الذي يترتب عليه فهم المعاني المقصودة؛ لأن الكلام لا يلقي بصورة أو بحال واحدة، فلا بد فيه من التفاوت والاختلاف، الذي أملتته حالات نفسية، وتغيرات في المواقف مختلفة من أداء لآخر؛ وهي هي إحدى «عوامل توضيح المعاني وتفسيرها، وتمييز أنماط الكلام بعضها من بعض، فالجملة الواحدة قد يتنوع معناها بتنوع صور نطقها، وكيفية التنوع في موسيقاها، فمثلاً عبارة مثل "يا إلهي" فقد تعني التحسر، أو الزجر أو عدم الرضا أو الدهشة وفقاً للحالة المعينة، وهذه المعاني وغيرها إنما ندرکها بلون الموسيقى التي تصاحبها عند النطق في كل حالة»<sup>(5)</sup> وهو مرتبط بنهاية الجملة من وقف واستئناف، وبذلك يعرف مرامي الكلام.

وقد أثبت سيبويه هذا الأسلوب للعرب مبيناً بأنهم كانوا أدري بما للتنغيم من أثر فعال في التغيير الدلاليّ الحاصل في سياقات الكلام، وأورد بيتاً لجرير:<sup>(6)</sup>

أعبداً حلّ في شُعبيّ غريباً \*\*\* ألوماً لا أباً لك واغتراباً

وقال عن كلمة "أعبداً" موضحاً أنها تُفهم حسب التنغيم «وأما عبداً، فيكون على ضربين: إن شئت على النداء، وإن شئت على قوله: أفتنخر عبداً، ثم حذف الفعل»<sup>(7)</sup> والحاصل أن التنغيم في علم اللغة يختص بأساليب معينة يبرز من «موسيقى الكلام التي بواسطتها نستطيع تمييز تعابير التعجب، والاستفهام، والتوكيد، والإثبات والنفي،

(1) - لسان العرب، ابن منظور: 449/55

(2) - معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، عبد العلي المسؤول دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م: 320

(3) - في البحث الصوتي عند العرب، خليل العظيمة، دار الجاحظ، بغداد، (دط)، 1403هـ/1983م: 63

(4) - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، (دط) 1994م: 226

(5) - الجامع الكبير في علم التجويد، نبيل عبد الحميد، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م: 325/2

(6) - خزنة الأدب، البغدادي، (تح): عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م: 308/1

(7) - الكتاب، سيبويه (تح): عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م: 339/1

وغير ذلك»<sup>(8)</sup> فيلعب التنغيم أو الأداء الموسيقي دورا هاما في التفريق بين مختلف الأساليب إلى جانب الإعراب، مما يساعدان في تنميط الكلام وتبيان مقصود المتكلم.

ولابن جني اليد الطولى في تبيان أسلوب التنغيم والإشادة به، حيث درس هذه الظاهرة الصوتية المصحوبة بالانفعال النفسي الذي يعتري الإنسان بقوله: «وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا! فتزيد في قوة اللفظ ب(الله) هذه الكمية وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك: إنسانا ليثما أو لحزا أو مبجلا أو نحو ذلك»<sup>(9)</sup> فالتنغيم: أداء نطق الكلام على ما هو معروف.

والتنغيم يعتبر من الظواهر ما فوق التركيبية المصاحب للكلام فيوجه المعنى التركيبي من خلال الصوت كدلالات: الخبر والإنشاء، والحوار والأمثال، والتهديد والوعيد، والتوبيخ والحسرة، والترغيب والترهيب، والاسترحام والتشويق، وفي الإغراء والتحذير وفي الوقف والابتداء، وغيرها.

**1- التنغيم على مستوى المفردة:** قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37] قال الزمخشري عن لفظة الإصطراخ «يتصارخون: فتعلون من الصراخ وهو صياح بجهد وشدة... واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته»<sup>(10)</sup> وقال سيد قطب عن "يَصْطَرِخُونَ": «نتخيل جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكنتة بالأصوات الخشنة؛ كما تلقى إليكم ظل الإهمال لهذا الإصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه ونلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه مُصْطَرِخُونَ»<sup>(11)</sup> والطاء بما فيها من استعلاء، تعلوا معها نعمة صاعدة تؤثر فيما بعدها، مشيرة إلى الدلالة الحسية للعذاب.

في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185] نجد التنغيم في الحرف الأنفي: النون، مع لفظة: زحج «فالزاي تعبر عن نفاذ باكتناز وازدحام، والحاء تعبر عن احتكاك باتساع مع جفاف، والفصل منهما يعبر عن انتقال جملة الشيء قليلا باحتكاك بمقره»<sup>(12)</sup> ومعنى زحج: أبعد إبعادا؛ لأن النار لها غرام

(8) - موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م: 681/4

(9) - الخصائص، ابن جني: 371/2

(10) - الكشاف، الزمخشري: 158/5

(11) - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: 92

(12) - المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م: 881

قال صبحي الصالح: «الزحزحة تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات، وما يصاحبهن زعر، الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصليه»<sup>(13)</sup> وكذلك الوقف على "فاز".

**2-التنعيم على مستوى المقطع:** يمتد المقطع الذي تنتهي فاصلته بالدال المنونة المشددة من الآية [مریم: 75 حتى 98] بحيث يختلف عن بقية المقاطع التي تتألف منها السورة، ويشد الانتباه لموضوعه الخاص الذي يثير الجدل عند طوائف المشركين: من يهود ونصارى وعرب في افتراءاتهم على الله والطعن في ألوهيته، كما يشتد النكير على القولة النابية! عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِرُّ الْجِبَالِ هُدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُنتُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مریم: 88 حتى 93]

يقول صاحب الظلال عن هذا المقطع بأنه: «يرسم جو الغضب والغيرة والانتفاض! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره... ويغضب الكون كله لبارئه، وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته، وتجا في ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه، وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها»<sup>(14)</sup> فنجد عدة أطراف أعظم من الإنسان تضافرت لتشارك في العملية الإقناعية كمستند حجائي: السماوات والأرض والجبال المفطورة على التوحيد، وكذلك العناصر التركيبية وما فوق التركيبية: الألفاظ وإيقاع العبارات وظلال المشهد وحرف القلقلة "الدال" المشدد المنون والفواصل المتماثلة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِنِّي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مریم: 3، 4، 5، 6] قال صبحي الصالح عن هذا التنعيم في أسلوب الدعاء جاء « ليرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة، وتنوينها المحول عند الوقف ألفاً لينة؛ كأنها في الشعر ألف الإطلاق: فهذه الألف اللينة الرخية المناسبة تناسقت به "شقياً، ولياً، رضياً" مع عبد الله زكريا، ينادي ربه نداء خفياً!!»<sup>(15)</sup> وهو جو فريد فيه حرارة الدعاء المرسل بالترنم فيه نجوى هادئة.

وعند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ \* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: 191 حتى 194] تكرار لفظة "ربنا" في

(13) -مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 335، الكشف، الزمخشري: 3/335

(14) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 4/2320-2321

(15) -مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 338

الدعاء من لوازم الطلب، فيجىء استخدامه مع الله والرب حسب ما يقتضيه كل اسم، قال ابن تيمية: «فالله: هو الإله المعبود. فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله. و"الرب": هو المرابي الخالق الرازق الناصر الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة... فعامّة المسألة والاستعانة المشروعة باسم "الرب"»<sup>(16)</sup> وعليه جاءت الآيات السابقة، رغم دلالتها الواحدة «فالوقوف بالسكون على الراء المذلفة المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يعين على الترخيم والترنيم، ويعوض في الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان»<sup>(17)</sup> والنغم مع إطلاق الألف اللينة فيه صعود للإلحاح في الطلب، مرفوق بنداوة الإيمان.

**3-التنغيم على مستوى السورة:** كما في سورة الناس نجد حرف السين صوت صامت مهموس احتكاكي، تلتقي الأسنان السفلى بالأسنان العليا في نطقه، يصور حالة الهمس الخفي التي يخافت بها أهل الجرائم والمكائد، والهمس: «الخفي من الصوت»<sup>(18)</sup> والنغم فيها التذاذ بصوت القرآن الملتبس بكل حرف فيه

وعن إيقاع سورة الرحمن يقول صبحي الصالح «المرء يتساءل: هل انبعث إيقاعها الرخي المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسري فيها كلها: في فواصلها ومقاطعها، وفي ألفاظها وحروفها، وفي انسيابها وانسيابها، حتى لو انتقى على حدة مقطع واحد من مقاطعها، أو موضوع واحد من موضوعاتها الجزئية، والتمس في أجزائه النغم والإيقاع لكان في كل جزء منه نغمة، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء!»<sup>(19)</sup> ويشمل الإيقاع القرآن كله، سواء كانت فواصله متجانسة أو غير متجانسة.

**4-التنغيم على مستوى الأساليب، ودلالاتها:** التنغيم في الأساليب هو «رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على النفي أو التهكم أو الاستفهام وغير ذلك، وهو الذي يفرق بين الجمل الاستفهامية والخبرية»<sup>(20)</sup> وغيرها من الأساليب والمعاني التي لا يبرزها إلا التنغيم فهو «قرينة صوتية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير النحوي الدلالي»<sup>(21)</sup> فهو صوت لافت لمعناه.

**أ-التنغيم بين الاستفهام والتعجب والنفي:** يلعب التنغيم أو الأداء الموسيقي دورا هاما في التفريق بين المعاني المتعددة من الاستفهام والتعجب والنفي، أو التقرير أو الإنكار، فالصوت المنطوق إلى جانب الإعراب يساعد في تنميط الكلام، وتبيان مقصود المتكلم، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بنهاية الجملة من وقف واستئناف.

<sup>(16)</sup> -التفسير الكبير، ابن تيمية (تح) عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا): 307/2

<sup>(17)</sup> -م، ن: 338

<sup>(18)</sup> -لسان العرب، ابن منظور: 4699/1

<sup>(19)</sup> -مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 336-337

<sup>(20)</sup> -المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م: 106

<sup>(21)</sup> -النحو والدلالة، محمد حماسة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م: 150

ففي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175] لفظة "ما" هي التي أحدثت التنوعات الأسلوبية لتعدد معانيها، فهي نكرة غير موصوفة تامة بنفسها، ومن ثم تجاذبها أساليب الاستفهام والتعجب والنفي، وهنا يساعد التنعيم في إيضاح معنى الآية فيكون تعجبا أو استفهاما، وفيه وجهان، قال الفراء: «أحدهما معناه: فما الذي صبرهم على النار؟ والوجه الآخر: فما أجرهم على النار!»<sup>(22)</sup> وما أجرهم تعجب، ومعنى التعجب: أن يدعونا الله أن نتعجب منهم، وهنا مسند إلى الله، لأنه هو المتكلم سبحانه، كما هو ثابت له بأنه من الصفات الفعلية في الكتاب والسنة.

"ما" تعجبية وتقدير الآية، شيء أصبرهم! أو ما أعظم صبرهم! والتعجب تنعيم صاعد في بدايته وهابط في نهايته، فبالاستفهام التقدير: أي شيء أصبرهم، ويبرز هذا المعنى نعمة صاعدة، وزاد العكبري وجها آخر لـ "ما" «قيل هي نفي، أي: فما أصبرهم الله على النار»<sup>(23)</sup> فإذا كان نفيًا تكون النعمة مستوية، وفي الحالات الثلاث يبقى التنعيم هو فيصل التفرقة بين هذه الأساليب، والسياق يحمل صورة معكوسة ظاهرها المدح وفحواها التهكم.

**ب- التنعيم بين الاستفهام والتعجب:** في قوله: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: 17] "ما" فيها وجهان قال ابن الأنباري «أحدها: أن تكون تعجبية، والثاني: أن تكون استفهامية»<sup>(24)</sup> قال الماوردي (364-450هـ) «عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله ما أحسنه، وأحزاه الله ما أظلمه، والمعنى: أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا»<sup>(25)</sup> وجوز الفراء الاستفهامية بمعنى التوبيخ «لفظه لفظ الاستفهام، أي: أي شيء أكفره، ثم بين من أمره ما كان ينبغي أن يعلم معه أن الله خالقه، وأنه واحد»<sup>(26)</sup> فعلى كل تنعيم معنى.

**ج- التنعيم بالاستفهام:** قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ\* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: 74-75] الآية فيها أربعة أوجه، قال أحمد مختار منها «لا بد أن تقرأ جملة "قَالُوا جَزَاؤُهُ" بتنعيم الاستفهام، وجملة "مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ" بتنعيم التقرير»<sup>(27)</sup> وإذا اعتبر جزاؤه «خبر مبتدأ محذوف أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه، كما يقول: من يستفتى في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم، ثم يقول: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: 95]»<sup>(28)</sup> فيكون التنعيم قد أخرج خبيء المعنى المراد.

(22) -معاني القرآن، الفراء: 103/1، معالم التنزيل، البغوي: 185

(23) -إملاء ما من به الرحمن، العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا): 77/1

(24) -البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري (تح) عبد الحميد طه، مطابع الهيئة المصرية، (دط تا): 494/2

(25) -النكت والعيون، الماوردي (تح) عبد الرحمن السيّد، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا): 250/6

(26) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 285/5

(27) -دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، (دط) 1418هـ/1997م: 368

(28) -الكشاف، الزمخشري: 309/3

ولكن أبا حيان قال عن هذا الوجه من المعنى رادا على الزمخشري الذي ذهب إليه: «وهو متكلف، إذ تصير الجملة من قوله: المسؤول عنه جزاؤه، على هذا التقدير ليس فيه كثير فائدة، إذ قد علم من قوله: فَمَا جَزَاؤُهُ، أن الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته، فأى فائدة بنطقهم بذلك»<sup>(29)</sup> وخالف السمين الحلبي (ت756هـ) شيخه، وانتصر للزمخشري قائلا: «بل فيه فائدة الإضمار المذكور في علم البيان، وفي القرآن أمثال ذلك»<sup>(30)</sup> والقصد التنعيم في إبراز المعنى، وتقدير الآية: جزاؤه استرقاق أو أخذ من وجد في رحله.

**د-التنعيم في التعجب:** قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:45] الاستئناف في "قَدْ خَسِرَ" قال الزمخشري: «صيره إلى معنى التعجب، كأنه قيل: ما أحسرهم!»<sup>(31)</sup> وقد شهد الله على خسارتهم في التكذيب بقاء الله.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:30] التنعيم صاعد مع إظهار التعجب بأسلوب الاستفهام وسؤالهم واقع «على صفة تستلزم إثبات شيء من العلم لأنفسهم»<sup>(32)</sup> فأعلمهم أنه يعلم ما لا يعلمون، بأن فيهم الصالحين كالأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وفيهم العصاة من تاب يتوب عليه منهم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر:41] يأتي التنعيم من المفارقة العجيبة من دعوتهم للنجاة وهم يريدون له النار، فحمل الكلام كله على دلالة التعجب، وكذلك التعجب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:7] بحيث يقرأ بتنعيم عالٍ فيه الدهشة والتعجب من قولهم.

**هـ- دلالة التوبيخ والتقريع والتهكم:** قد تجتمع هذه الدلالات وقد تفتق في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ\* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:83،84،85] جملة: "نحن أقرب إليه منكم" اعتراض بين الآية التي قبلها والجزء الذي بعدها، أفاد حضوراً أقرب من حضور الناظرين إلى المحتضر، ويصحب النغم دلالة عدم إسعاف المحتضر، فالاعتراض التفات لشيء غير من رتبة النعمة المستوية.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصفافات:25] الآية في الكفار، قال الواحدي: «توبيخاً لهم... يقول للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب»<sup>(33)</sup> فلا يستطيعون يوم القيامة، وقد تكون: تهكما لكونه كانوا يزعمون الاستطاعة، فالاستفهام أخرجها مخرج التوبيخ والتهكم .

(29) -البحر المحيط، أبو حيان(تح)عادل أحمدو علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م 1413هـ:327/5

(30) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي:6/531

(31) -الكشاف، الزمخشري:3/146

(32) -فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي:1/128

(33) -التفسير البسيط، الواحدي (تح) الفوزان، جامعة الإمام، السعودية، (دط تا):19/36



**و- دلالة الاستهزاء والتبكي:** في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ ﴾ [النحل: 27] فلا استفهام أخرجها مخرج الهزء بهم قال الألوسي: «أي لهم تفضيحا وتوبيخا (أَيُّ شُرَكَائِيَ) إلى آخره، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا في ذلك اليوم»<sup>(34)</sup> فالتنغيم صاعد للتبكي بالمشركين.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُنْعَلِمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحجرات: 16] جملة " قُلْ أُنْعَلِمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ " تقرأ بتنغيم عال، وناسبها الاستفهام بالهمز لشدته وانفجاره، قال الزمخشري: «وفيه تجهيل لهم»<sup>(35)</sup> أي للأعراب الذين زعموا أنهم بلغوا الغاية في الإيمان.

**ز- التهديد والوعيد:** قوله تعالى: ﴿ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ \* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: 16، 17] تنغيم عال شديد في الآيتين أفاد التهديد والوعيد، قال الزمخشري: «وفيه إضراب عن الوعيد بما تقدم إلى الوعيد بوجه آخر»<sup>(36)</sup> وعيد يعقبه وعيد للزجر، والقرآن يكثر فيه الوعيد والتهديد بتنغيمه العالي؛ لما فيه من الغضب.

**5- التنغيم على مستوى الوقف والاستئناف:** الوقف ظاهرة صوتية، تتحدد بالسكت عن الكلام، وهو وسيلة فعالة في إيصال المعنى إلى المستمع، قال النحاس: «أن يحرص القارئ على أن يفهم المستمعين في الصلاة وغيرها، ويكون وقفه عند كلام مستغن أو شبيهه، وأن يكون ابتداءه حسناً»<sup>(37)</sup> فتحديد المعنى يتحدد عند المستمع بناء على ثنائية الوقف والاستئناف.

**أ- التنغيم على مستوى الوقف التام:** ويأتي هذا الوقف للتمييز بين أشكال الكلام المختلفة، وإزالة اللبس بينها، والفصل بين جهات الكلام؛ كالتمييز بين كلام الله عز وجل وكلام الكفار؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة: 26] فالوقف اللازم على ﴿ مَثَلًا ﴾ ليتم كلام الكفار، و﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ جملة مستأنفة، من كلام الله عز وجل، ولو وُصِل الكلام لكانت صفة لـ ﴿ مَثَلًا ﴾ ولأفادت أنه كلام من الكفار.

وفي قوله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: 10، 11] السَّابِقُونَ الأولى: مبتدأ والسَّابِقُونَ الثانية خبر وهذا مذهب سيويه، قال ابن عطية السابقون: «الذين انتهوا في السبق والطاعات وبرعوا فيها... تقف على

<sup>(34)</sup> - روح المعاني، الألوسي: 126/14

<sup>(35)</sup> - الكشاف، للزمخشري: 589/5

<sup>(36)</sup> - م، س: 16/29.

<sup>(37)</sup> - القطع والانتشاف، النحاس (تح) إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب السعودية، ط1، 1413 هـ 1992 م: 97/1

قوله والسابقون وأن يكون متعلق السبق الأول مخالف لمتعلق السبق الثاني، وأن يكون السابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة، فعلى هذا جوزوا أن يكون السابقون خبراً لقوله والسابقون»<sup>(38)</sup> على تفخيم الأمر وتعظيمه.

وجاء الخبر هو عين المبتدأ، وهو كقول الشاعر: أنا أبو النجم وشعري شعري<sup>(39)</sup> قال الرازي: «ولإشارة إلى أن المبتدأ ما لا يحيط العلم به ولا يخبر عنه ولا يعرف منه إلا نفس المبتدأ... فقوله "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" أي لا يمكن الإخبار عنهم إلا بنفسهم فإن حالهم وما هم عليه فوق أن يحيط به علم»<sup>(40)</sup> وهنا يرتفع النغم.

قال أبو حيان «ورُجِّحَ الوقف على "السابقون" لأنه ذكر أصحاب الميمنة متعجباً منهم في سعادتهم، وأصحاب المشأمة متعجباً منهم في شقاوتهم، فناسب أن يذكر "السابقون" مثبتاً حالهم معظماً، وذلك بالإخبار أنهم نهاية في العظمة والسعادة، و"السابقون" عموم في السبق إلى أعمال الطاعات، وإلى ترك المعاصي»<sup>(41)</sup> فبالوقف على "السابقون" الأولى يكون التنعيم مصحوباً بالتفخيم والتعظيم، وتكون السابقون الثانية جملة استثنائية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7] الوقف لازم على لفظ الجلالة: «لمن زعم أن الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله، وهو قول أكثر أهل العلم»<sup>(42)</sup> فيدفع الوهم بأن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، وهو رأي الجمهور فالواو استثنائية، والرَّاسِخُونَ مبتدأ، والخبر: يَقُولُونَ، وعلى الوصل مثل مجاهد الوقف على العلم «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»، قال: يعلمون تأويله»<sup>(43)</sup> وجملة يَقُولُونَ حالاً منهم، تكون الواو عاطفةً، والرَّاسِخُونَ معطوفاً على لفظ الجلالة.

في الآية قراءتان قال ابن تيمية: «قراءة من يقف على قوله: "إِلَّا اللَّهُ" وقراءة من يقف عند قوله: "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" وكلتا القراءتين حق، ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله، ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره وهو تأويله، ومثل هذا يقع في القرآن»<sup>(44)</sup> وفي كل تنعيم خاص.

وأرجع أحد العلماء أن اختلاف السلف مرده إلى حمل الآية على معنيي التأويل وهما: التفسير، والشيء المجهول الذي لا يعلمه إلا الله، فإن كان المراد: «بالتأويل التفسير فقراءة الوصل أولى، لأن الراسخين في العلم يعلمون تفسير القرآن المتشابه، ولا يخفي عليهم، لرسوخهم في العلم، وبلوغهم عمقه... أما إذا جعلنا التأويل بمعنى العاقبة

(38) - المحرر الوجيز ابن عطية (تح) الرحالة الفاروق وآخرون، وزارة الأوقاف، قطر، ط2، 1428هـ/2007م: 190/8

(39) - أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي (تح) محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م: 373/1

(40) - مفاتيح الغيب، الرازي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م: 146/29

(41) - البحر المحيط، أبو حيان: 205/8

(42) - إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأنباري، (تح) عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق (دط) 1971م: 565

(43) - تفسير الإمام مجاهد بن جبر: 249، القطع والائتناف، النحاس: 126

(44) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 381/17 و400



والغاية المجهولة، فالوقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أولى؛ لأن عاقبة هذا المتشابه وما يؤول إليه أمره مجهول لكل الخلق»<sup>(45)</sup> ونعمة الاستئناف تختلف على نعمة العطف، مما يترتب على كل نعمة معنى مستفاد.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: 73] الوقف لازم على ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ بيميز قول النصارى القائلين بالتثليث وقول الله سبحانه المبدوء بالعطف، ولو وصل الكلام لأوهم أن يكون ذلك من كلامهم وهو تناقض، والوقف والعطف يشعيران عكس ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124] الوقف لازم على ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ تتحدد به الجملة الأولى والتنعيم ظاهر، وجملة: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: 124] تُعدُّ ابتدائية، ولو وصل الكلام لكان من قولهم، فيؤدي إلى الخلط .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: 65] فالوقف لازم على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ يدفع إيهام أن ما بعده من قولهم، وجملة: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ابتدائية، ولو وصل الكلام لكانت الجملة في محل نصب مفعول به للقول، فيترتب الجمع بين متناقضين، وهما: قول المنافقين والتوجيه الرباني.

والوصل والفصل يتبعان المعنى، قال ابن الأنباري: «الوقف لا يكون إلا مع تمام المعنى، وأن الابتداء، وهو الاستئناف، لا يكون إلا بعد انتهاء المعنى»<sup>(46)</sup> قال السيوطي: «العزّة استئناف لا مقولهم»<sup>(47)</sup> قال أبو حيان: «لا عزّة لهم ولا منعة، فهم لا يقدرون لك على شيء، ولا يؤذونك، إن الغلبة والقهر لله، وهو القادر على الانتقام منهم، فلا يعازه شيء ولا يغالبه، وكأن قائلًا قال: لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن؟ فقيل: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ليس لهم منها شيء»<sup>(48)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: 76].

وقال تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: 1، 2] يجوز الوقف على "البينة" قال ابن عاشور: «ويكون قوله: "رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ" جملة مستأنفة استئنافية بيانية وهو قول الفراء، أي: هي رسول من الله، يعني لأن ما في البينة من الإبهام يثير سؤال سائل عن صفة هذه البينة... ويجوز أن يكون "رسول" بدلا من "البينة" فيقتضي أن يكون من تمام لفظ "بينة" فيكون من حكاية ما زعموه، أريد إبطال معاذيرهم وإقامة الحجة عليهم بأن البينة التي ينتظرونها قد حلت ولكنهم لا يتدبرون أو لا ينصفون أولا يفقهون»<sup>(49)</sup>.

<sup>(45)</sup> - تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 35/1

<sup>(46)</sup> - إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأنباري: 961/2

<sup>(47)</sup> - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: 558/3

<sup>(48)</sup> - البحر المحيط، أبو حيان: 174/5

<sup>(49)</sup> - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 475/30

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رُؤُوكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: 112] الآية فيها قراءتان: «قرأ الكسائي تستطيع بالخطاب ربك بالنصب وهو على أصله في إدغام اللام في التاء وقرأ الباقون بالغيب والرفع»<sup>(50)</sup> وبين السيوطي قراءة الغيبة بأنها من إطلاق اسم اللازم على الملزوم، أي: «هل يفعل، أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له»<sup>(51)</sup> ومعنى قراءة الكسائي: «هل تستطيع سؤال ربك؟.. وإنما قالوا هل يستطيع ربك، وهم يعلمون أنه يستطيع، ولكن هذا كما تقول لصاحبك: هل تقدر معي، أي: قم»<sup>(52)</sup> فالآية جاءت على أساليبهم، قال الأخفش: «كقول العرب أتستطيع أن تذهب في هذه الحاجة وتدعنا من كلامك؟ وتقول أتستطيع أن تكف عني فإني مغموم فليس هذا لا يستطيع، ولكنه يريد: كف عني ويذكر له الاستطاعة ليحتج عليه، أي أنك تستطيع، فإذا ذكره إياها علم أنها حجة عليه»<sup>(53)</sup> والحواريون أنصار الله لم يشكوا، وكانوا أعلم بالله عز وجل، وكيف وقد اختارهم الله لمؤازرة نبيه عليه السلام.

وفي قوله تعالى: ﴿لَتَتُومُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: 9] قال النحاس: «يوقروا النبي صلى الله عليه وسلم ويسبحوا الله بكرة وأصيلا، وخولف في هذا لأن ويسبحوا معطوفا على ما قبله قد حذف منه النون للنصب فكيف يتم الكلام على ما قبله والتمام بُكْرَةً وَأَصِيلاً»<sup>(54)</sup> لأن التسيح لا يكون إلا لله عز وجل فلو وصل لأوهم اشتراك الرسول صلى الله عليه وسلم فيه، فالوقوف على "تُوَقِّرُوهُ" دفعا للإيهام وتمييزا للمعنى.

**ب- التنعيم على مستوى الوقف الخفيف:** مثل السكت في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ\* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: 26، 27] والاستفهام إما على حقيقته ممن حظر النزع، أو خرج مخرج «إبعاد وإنكار، أي قد بلغ مبلغا لا أحد يرقيه، كما عند الناس من ذا الذي يقدر أن يرقى هذا المشرف على الموت»<sup>(55)</sup> والمعنى أن أهله قالوا: «من راق يرقيه؛ يشفيه مما قد نزل به؟ وطلبوا له الأطباء والمداوين فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا»<sup>(56)</sup> أو يحتمل قول الملائكة من يرقى أي يصعد بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟؟.

وسكت حفص «من طريقه على نون "من راقٍ" سكتة لطيفة من غير تنفس، لثلا يتوهم أنها كلمة»<sup>(57)</sup> كما سكت نفس السكتة من غير نفس في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: 14] وفي كلتا القراءتين

<sup>(50)</sup> -النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 256/2، غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري السفاقي: 203

<sup>(51)</sup> -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 1512/4

<sup>(52)</sup> -إعراب القراءات السبع، ابن خالويه (تح) سليمان العثيمين، مطبعة المدني السعودية، ط1، 1992م: 150/1-151

<sup>(53)</sup> -معاني القرآن، الأخفش الأوسط (تح) هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي القاهرة ط1، 1411هـ 1990م: 291/1

<sup>(54)</sup> -القطع والانتفاف، أبو جعفر النحاس: 670

<sup>(55)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 181/8

<sup>(56)</sup> -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: 513/23

<sup>(57)</sup> -إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد البنا: 574/2، حجة القراءات، أبو زرة: 737

مخالف لقراءة الباقيين المدغمة، وهو ما جعل ابن جني يقول: «فأما قراءة عاصم: "وقيل من راقٍ"، ببيان النون من "من" فمعيب في الإعراب، معيف في السماع، وذلك أن النون الساكنة لا توقف في وجوب إدغامها في الراء... ويكفي من هذا إجماع الجماعة على إدغام "من راقٍ" وغيره مما تلك سبيله»<sup>(58)</sup> وقال شيخه أبو علي: «لا أعرف وجه ذلك»<sup>(59)</sup> يقصد في العربية.

وقال سيويه «إن النون تدغم في الراء وذلك نحو من راشد والإدغام بغنة وغير غنة، ولم يذكر البيان... وأما "بل ران" فقد ذكر سيويه أن اللام البيان فيها والإدغام مع الراء حسنان، فلما أفرط في شأن البيان في "بل ران" صار كالوقف القليل»<sup>(60)</sup> والمعلوم أن القراءة سنة، والقاعدة تبع، قال صاحب الانتصاف (683هـ): «ليس القصد تصحيح القراءة بالعربية، بل تصحيح العربية بالقراءة»<sup>(61)</sup> فالقراءة لا تتبع العربية، لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع، وهو نبينا صلى الله عليه وسلم و أصحابه رضي الله عنهم.

قال الأستاذ محمد علي النجار محقق كتاب الخصائص، معلقاً على كلام ابن جني: «وقد كان خيراً لابن جني أن يُنزه لسانه عن الوقوع في القراءة الصحيحة المتواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وغاب عنه أن عاصماً وتبعه حفص يسكت على "من" سكتة لطيفة، ثم يتبدئ "راقٍ" وعلى ذلك فلا سبيل إلى الإدغام، وهذه السكتة قُصِدَ بها دفع اللبس، وألا يتوهم أن "من راقٍ" هي مَرَّاق، فعَّال من مَرَّق»<sup>(62)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ [يس:52] الوقف على "مَرْقَدِنَا" سكتة خفيفة قال ابن الأنباري: «هو وقف حسن ثم تبدئ... ويجوز أن تقف على مَرْقَدِنَا هَذَا فتخفض هذا على الاتباع لـ"المَرقد" وتبدئ: مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ" على معنى بعثكم ما وعد الرحمن، أي: بعثكم وعد الرحمن»<sup>(63)</sup> والجواب بـ"هذا" كلام مستأنف بالابتداء، والوقف على "هذا" بالتخفيف: في موضع جر صفة للمرقد، فابن الجزري يرى: «الوقف على هذا قبيح عندنا لفصله بين المبتدأ وخبره ولأنه يوهم أن الإشارة إلى مرقدنا (وليس) كذلك»<sup>(64)</sup> أو ما بعده: مبتدأ لخبر محذوف التقدير: «ما وعد الرحمن حق»<sup>(65)</sup> أو خبراً لمبتدأ محذوف.

(58) - الخصائص، ابن جني: 94/1

(59) - الحجة للقراء السبعة الفارسي (تح) عبد الموجود ومعوض دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1428هـ/2007م: 346/6

(60) - تفسير البحر المحيط، أبو حيان: 381/8

(61) - دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عزيمة دار الحديث، القاهرة، (دط) 1972م: 28/1

(62) - الخصائص، ابن جني: 94/1

(63) - إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأنباري: 853، 854

(64) - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (تح) محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت (دط تا): 230/1

(65) - غيث النفع، السفاقي (تح) الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م: 493

وجوزوا أن يكون الرد من قوله جل وعلا، أو يجوز من قول الملائكة أو المؤمنون، أو من قول الكفار أنفسهم لأنهم «صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به، ثم قالوا: هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» فكذبنا به، أقروا حين لم ينفعهم الفرار»<sup>(66)</sup> لأنه لا ملجأ يومئذ من دون الله.

وقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس:30] الحسرة: الندامة والعناء، قال الزجاج: «أن استهزاءهم بالرسول حسرة عليهم، والحسرة أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له بعده حتى يبقى قلبه حسيراً»<sup>(67)</sup> وقرأ أبو الزناد وعبد الله بن ذكوان المدني وابن هرمز وابن جندب (يا حسرة على العباد) بسكون الهاء في الحالين «وحمل فيه الوصل على الوقف، ووقفوا على الهاء مبالغة في التحسر، لما في الهاء من التأهه كالتأوه ثم وصلوا على تلك الحال»<sup>(68)</sup> ونادى الحسرة نكرة ليتحسر بها من خالف الرسل، قال ابن خالويه: «معناها تعالي يا حسرة فهذا أوانك وإبانك الذي يجب أن تحضري فيه، ليتحسر بك من كفر بالرسول»<sup>(69)</sup> وهو تحسر لا يفارق.

قال ابن جني: «وقراءة من قرأ: (يا حسرة على أعباد)، بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس؛ وذلك أنه في موضع وعظ وتنبية، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر، المتعجب منه، الدال على أنه قد بمره، وملك عليه لفظه وخاطره، ثم قال من بعد: عَلَى الْعِبَادِ، عاذرا نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته لما كان فيه، ودالا للسامع على أنه إنما تجشم ذلك على حاجة الموصول إلى صلته وضعف الإعراب وتحجره على جملة ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالناطق»<sup>(70)</sup> فناسب التنعيم المعنى.

ومثله السكت في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا\* قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف:1،2] عند "عِوَجًا" سكتة خفيفة ثم يواصل الآية الثانية، حتى لا يفهم أن "قيما" صفة للعوج.

وبهذا السكت والاستئناف، والعلو والانخفاض، وسائر التموجات التي لزمتم أصوات الأساليب وما خرجت لها من دلالات، يظهر الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم وبهذه التنوعات الإيقاعية تصور المشاهد وتجسد الأحداث والوقائع، تصورا عجيبا، يدفع بالمستمعين إلى الاقتناع بما يسمعون من الذكر الحكيم.

<sup>(66)</sup> -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(تح): عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/2006م:29/465

<sup>(67)</sup> -معاني القرآن، الزجاج:4/285

<sup>(68)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان:7/318، معجم القراءات، عمر المختار وعبد العال مكرم:205

<sup>(69)</sup> -مشكل إعراب القرآن، القيسي، (تح) صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ/1984م:1/602

<sup>(70)</sup> -المحتسب في تبين شواذ القراءات، ابن جني: 210/2، 211

## • الصوائت:

مجموع الحركات ست في اللغة العربية قال ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو... وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضممة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة»<sup>(1)</sup> وظهر الاهتمام بالحركات القصار تاريخياً على يد أبي الأسود الدؤلي فيما عرف بنقاط الشكل في ضبط المصحف لتصويب قارئ القرآن، وأعقبه الخليل بن أحمد يجعل العلامات المعروفة: الفتحة والضممة والكسرة.

وتابع المحدثون الأقدمين في توزيع الصوائت إلى نوعيها: حركات قصيرة وحركات طويلة، مع اختلاف في المصطلح، وإشارة إلى «الفرق الكمي»<sup>(2)</sup> في الصوت لا في النوع، وهي الخاصة الأساسية التي تشترك فيها الحركات القصير والطويلة أي: حرية مرور الهواء عند أداءها نطقاً طولاً أو قصراً.

والحركة علامة تصاحب الحرف نطقاً وكتابة في الكلمة، وتقع في أولها أو وسطها أو آخرها، وتأتي مشاركتها في إنتاج الدلالة من ناحية الصوت، ومن ناحية توجيه الحرف، وهو تناوب الحركات عليه، قال ابن القيم: «فإن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيز إلى حيز، والحرف جزء من الصوت، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف»<sup>(3)</sup> وكذلك جعلوا بينهما تلازماً في الإعراب، قال ابن الجزري: «فلما لم تعرب أشياء من الكلام بالحركات، التي هي أصل الإعراب أعربته بالحروف التي أخذت الحركات منها، وذلك نحو التثنية والجمع السالم، ونحو الأسماء الستة، قالوا ألا ترى أنهم لم يعربوا هذا بالحركات أعربوه بالحروف التي أخذت الحركات منها، وقال آخرون: حروف المد واللين مأخوذة من الحركات، واستدلوا على ذلك بأن الحركات إذا أشبعت حدثت منها هذه الحروف الثلاثة»<sup>(4)</sup> والتغيير في الحركة لكلمة ما هو تغيير في بناء الكلمة ومعناها أيضاً.

والحركات ملازمة للحروف، ذهبوا بها إلى مناسبتها لأبواب النحو تبعاً لقوتها وخفتها قال ابن تيمية: «فإذا كانت أقوى الحركات هي الضمة، وأخفها هي الفتحة، والكسرة متوسطة بينهما، فجاءت اللغة على ذلك من الألفاظ المعربة والمبنية فمن كان من المعربات عمدة في الكلام لا بد منه كان له مرفوع، كالمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول القائم مقامه، وما كان فضله كان له النصب، كالمفعول والحال والتمييز، وما كان متوسطاً بينهما لكونه يضاف إلى العمدة تارة وإلى الفضلة تارة كان له الجر، وهو المضاف إليه»<sup>(5)</sup> وهو تناسب عجيب.

(1) - سر صناعة الإعراب، ابن جني: 17/1

(2) - فقه اللغة دراسة مقارنة للكلمة العربية، محمد المبارك مطبعة جامعة دمشق، (دط تا): 154

(3) - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (تح) أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م: 59/1-60

(4) - التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري: 92-93

(5) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 421/20

وإذا كانت حركات اللغة العربية قليلة فإنّ «قلة الحركات في لغة ما حسنة من حسنات هذه اللغة في النطق والأداء الفعلي للكلام...ومن الطبيعي أنه كلما زاد عدد الحركات كانت صعوبة النطق أقوى احتمالاً وظاهرة التغيير والتحول أكثر وقوعاً، زد على ذلك أن كثرة الحركات تقود حتماً إلى تداخلها والخلط بينها»<sup>(6)</sup> وعلى قلة هذه الحركات فإنها تضطلع بوظائف كبيرة على المستوى الصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي.

**1-المصوتات الطويلة:** هي حروف المد واللين المشبعة، قال ابن جني: «الألف والياء والواو التي هي حروف توام كوامل...تجد فيهن امتداداً واستطالة، فإذا أوقعت بعدهن الهزمة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً»<sup>(7)</sup> وعُرفت عند ابن جني بـ«حروف الاستطالة»<sup>(8)</sup> والحرف في أصله «هيئة عارضة للصوت الساذج، يتكون في مواضع من اللسان والحلق والسن والنطق والشفة»<sup>(9)</sup> فيساعد في قوتها وضعفها موقعها بين الحروف.

كما لاحظ ابن جني: «أن اختلاف الحرف الواحد في اللفظتين يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ، وأن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار فكأن هناك اختياراً مقصوداً للصوت يؤدي المعنى المختلف لما يؤدّيه الصوت الآخر، وهذه الظاهرة ليست محدودة في ألفاظ قليلة في العربية»<sup>(10)</sup>.

**أ-الألف:** نجد ألف الإطلاق على إطلاقها في سورة [الشمس:1 حتى15] من بدء السورة إلى محتمتها بقافية واحدة، وإيقاع موسيقي موحد، مشيرة إلى المخلوقات العظيمة، التي تدل على قدرة الخالق التي تبدئ ولا حد لها، وناسب الإشباع في الألف ضخامة المخلوقات التي لا نعرف نهايتها.

ومن الألف اللينة المشبعة من الفتحة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب:10] التي سميت ألف "الظُّنُونًا" وفي النحو سميت: ألف الإطلاق، وعلل الزركشي إلحاق الألف بالظنوننا وبغيرها في آيات الأحزاب «لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل»<sup>(11)</sup> كما ناسب إطلاق الظنون التي ركبتهم يوم الخندق لشدة الابتلاء.

والألفات في قوله: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب:66،67] من أثبتها وصلاً ووقفاً من القراء: أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم، قال ابن الأنباري (ت328هـ) عن حججهم في إثباتها: «إحداهن أن من العرب من يقف على المنصوب الذي فيه الألف واللام

<sup>(6)</sup> -دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشير: 200

<sup>(7)</sup> -سر صناعة الإعراب، ابن جني: 17/1

<sup>(8)</sup> -معجم الصوتيات، عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق ط1، 1428هـ/2007م: 16

<sup>(9)</sup> -تاريخ آداب العرب، الراجزي: 93/1

<sup>(10)</sup> -الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد العراق، (دط)1980م: 277

<sup>(11)</sup> -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 61/1

بالألف فيقولون: ضربت الرجل، ويقولون في الرفع: هذا الرجل، وفي الخفض: مررت بالرجلي، والحجة الأخرى أنهن رؤوس آيات، فحسن إثبات الألف لأن رأس الآية موضع سكت وقطع للفصل بينها وبين الآية التي بعدها... والحجة الثالثة لأصحاب القراءة الأولى اتباع المصحف<sup>(12)</sup> والكلام عن هؤلاء في النار وهم يمدون أصواتهم بالألف في بكائهم فجاءت الألف تعبيراً عن حالهم واصطراخهم فيها.

ومنه قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:8] نجد ست مواضع يمتزج فيها: «المدان الطويلان بالمدود القصيرة امتزاجاً يشعر فيه القارئ بتمكين النفي لغير الإله الحق بهذا الطول، وتحقيق "الأسماء" الحسنی مقابل النفي، بالتركيز عليها بامتداد صوتها»<sup>(13)</sup> وهو أمر سار في كلمة الشهادة.

**ب- الواو:** ومن الواو اللينة المشبعة من الضمة ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ \* طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان:43،44] قال الراغب شجرة الرقوم: «عبارة عن أطعمة كريهة في النار ومنه استعير: زقم فلان وترقم: إذا ابتلع شيئاً كريهاً»<sup>(14)</sup> يحملهم عليها الجوع فيتزقموها، قال تمام حسان عن الجانب الفني في الآية: «ولأمر ما جاء تشديد القاف موحياً بمكث اللقمة في فم الأثيم قريبة من مخرج القاف مدّة أطول من المعتاد، وزاد من هذا المكث أنّ القاف لحقتها الواو "لا الضمة" فدلّت بكونها أطول من الضمة على زيادة المكث، ثم تأتي الميم بما لها من ضمّ الشفتين للإيجاء ببلع الطعام فأنت تستطيع أن تبتلع السوائل بفم مفتوح، ولكنك لا تبتلع الطعام إلا بإقفال الشفتين»<sup>(15)</sup> وهو صنف من عذاب الجحيم.

## 2- المصوتات القصيرة: وهي الحركات القصيرة الملازمة للحروف، والمشبعة لحروف المد.

**أ- الضمة:** قال عنها ابن القيم: «تنشأ عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق، فيحدث مع ذلك صوت خفي مقارنة الحرف، إن امتد كان "واوًا" وإن قصر كان ضمة»<sup>(16)</sup> واعتبرها ابن تيمية بأنها أقوى الحركات: «فالأقوى له الضم وما دونه له الفتح فيقولون: كُره الشيء، والكراهية: يقولون فيها: كُرها بالفتح كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:83]»<sup>(17)</sup> ويأتي بعدهما الكسر.

ومما جاء على الارتفاع قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف:83] صبر مرتفعة مبيّنة قوة صبر نبي عليه السلام يختلف عن صبر الآخرين، قال الفراء: «الصبر الجميل مرفوع لأنه عزى نفسه،

(12) - إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأنباري: 376، 377

(13) - التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1407هـ/1986م: 64

(14) - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب (تح) صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ: 380

(15) - اجتهادات لغوية، تمام حسان: 266

(16) - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (تح) أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م: 590/1

(17) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 420/20

وقال: ما هو إلا الصبر ولو أمرهم بالصبر لكان النصب أسهل... وقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يقول: لا شكوى فيه إلا إلى الله جل وعز»<sup>(18)</sup> فهو مثل قوله في الآية: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:86] ففيه تفويض أمره إلى الله مما لحقه وأصابه.

**ب- بين الضمة والفتحة:** والارتفاع بالضم يأتي كثيرا ومتفوقا على الفتح والكسر؛ لأن: «الرفع أشرف الحركات وأعلاها لأنه إعراب العمدة ولا يخلوا كلام منه... ولعل السبب في كونه أعلى الحركات الإعرابية أنه يتحقق بالعوامل اللفظية والمعنوية في حين أن النصب والجر لا يتحققان إلا بالعوامل اللفظية فقط»<sup>(19)</sup>.

من هذا قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفوات:12] فيه قراءتان: بضم التاء للمتكلم: وهي قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وبفتح التاء لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم: وهي قراءة المدنيان وعاصم، والقراءتان بمعنى: «عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك... بل عجبك من ضلالتهم وسوء عملهم وجعلتها للناظرين فيها وفيما اقترن فيها من شرعي وهداي متعجبا»<sup>(20)</sup> وقال الطبري رحمه الله عن القراءتين المختلفتين: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»<sup>(21)</sup> ولكل قراءة معناها الثابت واللائق بها.

وقراءة الضم ببناء المتكلم: الفعل مسند إلى الباري عز وجل، وفيها إثبات صفة العجب لله جلّ جلاله من القرآن على الوجه اللائق من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكييف، كما دل القرآن ودلت السنة، قال أبو عبيد: «والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبْتُ قَوْمَهُمْ﴾ [الرعد:5] فأخبر جل جلاله أنه عجب، ومما يزيد تصديقا الحديث المرفوع: "عجب الله البارحة من فلان وفلانة"<sup>(22)</sup> وأورد النحاس رأيا واستحسنه، من أن: «معنى القراءتين واحد، والتقدير: قل يا محمد بل عجبك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالقرآن، وهذا قول حسن»<sup>(23)</sup> وإذا ثبتت القراءة، فالتقدير لن يقوم مع إمكان الحقيقة.

وإثبات صفة العجب لله من الصفات التي أخبر بها القرآن أنه اتّصف بها: كالغضب، والرضا، والفرح؛ والخبر مستفيض في القرآن وفي السنة عن أعلم الخلق به محمد صلى الله عليه وسلم، قال صاحب الأضواء: «وبذلك

(18) - معاني القرآن، الفراء: 53/2

(19) - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، نجيب اللبدي، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1405هـ/1985م: 94

(20) - معجم القراءات، الخطيب دار سعد الدين، دمشق، (دط تا): 14، 13/8

(21) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (تح) تركي: 514/19

(22) - حجة القراءات، ابن زنجلة (تح) سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ/1997م: 607

(23) - إعراب القرآن، النحاس: 16/3، معاني القرآن، النحاس: 413/3



تعلم أن دلالة الرفع في هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي، فيها إثبات العجب لله تعالى فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة»<sup>(24)</sup> ولن تنفع التقديرات مع ما صح من الأحاديث.

وإنما أنكر الذين استبعدوا إسناد الفعل إلى الله من أنهم قاسوا التعجب على المخلوق بأنه استعظام خفي، ونسوا أنّ اتّصاف الله به غير اتّصاف المخلوقين، قال ابن تيمية رحمه الله: «وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يده ونحو ذلك فقل له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلمه كيفيته؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له»<sup>(25)</sup> وخلاصة كلامه أنّ إثبات الصفات إثبات وجود، أي: الإيمان بها، لا إثبات كيفية؛ لأن كيفية الصفات هي فرع عن الذات؛ فهي من اتباع الصفات لموصوفها، واستحالة العلم بكيفيته سبحانه معلوم لدى كل عاقل.

ومن دلالاتي الرفع والفتح قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: 25] حكى عن الأضياف الكرام تسليمهم بالفتح بدون تفصيل، وحكى رد تسليم إبراهيم عليه السلام بالرفع بالابتداء، وتقدير سلاما: نسلم عليك سلاما، وتقدير "سلام: السلام عليكم قال ابن القيم: «والسلام بالرفع أكمل فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث، إبراهيم حياتهم أحسن من تحيتهم، فإن قولهم (سلاماً) يدل على سلمنا سلاما وقوله (سلام) أي سلام عليكم»<sup>(26)</sup> قال السهيلي عن الفرق بين الكلامين: «وهو أن السلام من دين الإسلام، والإسلام ملة إبراهيم عليه السلام، وقد أمرنا بالإتيان والافتداء به، فحكى لنا قوله ولم يحك لنا قول أضيافه، إذ لا فائدة في تعريف كيفيته، وإنما الفائدة في تبين قول إبراهيم وكيفية تحيته، ليقع الاقتداء به»<sup>(27)</sup> فأبانت دلالة الرفع عن سنة الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63] قال الراغب «الهوان ضابطه يأتي على وجهين: أحدهما: تدلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة، فيمدح به... الثاني: أن يكون من جهة متسلط مستخفّ به فيذم به»<sup>(28)</sup> وقال ابن القيم: «الهون بفتح الهاء أصله: من الشيء الهين وهو مصدر هان هونا أي: سهل... وأما الهون بالضم فهو الهوان، فأعطوا حركة الضم القوية للمعنى

(24) -أضواء البيان، الشنقيطي محمد الأمين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1417هـ/1996م: 743/6

(25) -مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 114/5، 115

(26) -جلاء الأفهام، ابن القيم (تح) شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1987م: 272/1

(27) -نتائج الفكر، السهيلي (تح) أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1412هـ/1992م: 319

(28) -مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: 848

الشديد، وهو الهوان وأعطوا حركة الفتح السهلة للمعنى السهل وهو الهون، فوصف مشيهم بأنه مشي حلم ووقار وسكينة، لا مشي جهل وعنف وتبختر»<sup>(29)</sup> وقال: "على الأرض" لتيقنهم أنهم راحلون عنها.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:102] قرأ المدنيان وعاصم وهي قراءة الجماعة بفتح التاء وقرأ علي رضي الله عنه وابن عباس والكسائي بضم التاء، فالقراءة «بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون... وبضم التاء، أخبر موسى عن نفسه أنه ليس بمسحور، قال علي رضي الله عنه: والله ما علم عدو الله [أي فرعون] ولكن موسى هو الذي علم»<sup>(30)</sup> والمعنى على القراءتين: إني أنا وأنت متحقق أن ما جئت به منزل من عند الله وإنما أنت جاحد.

ومما جاء بين الفتح والضم قوله: ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت:11] قرأ الأعمش الكره «كُرْهًا» بضم الكاف، والأصح إنها لغة في الإكراه على الشيء الموقوع التحيير بينه وبين الطواعية، والأكثر أن الكُرْه-بالضم-معناه: المشقة»<sup>(31)</sup> وقرأ غيره بفتحها، قال ابن عطية عن المعنى: «أَعْطِيَا مِنْ أَنْفُسِكَمَا مِنَ الطَّاعَةِ مَا أُرِدْتَهُ مِنْكُمْ، وَالْإِشَارَةُ بِهَذَا كَلَهُ إِلَى تَسْخِيرِهِمَا وَمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِهِمَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "أَوْ كَرْهًا" فِيهِ مَحْذُوفٌ وَمَقْتَضِبٌ، وَالتَّقْدِيرُ: ائْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا أَتَيْتُمَا كَرْهًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَتَا... نَطَقْنَا حَقِيقَةً، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَمَا حَيَاةً وَإِدْرَاكًا يَقْتَضِي نَطَقَهُمَا»<sup>(32)</sup> ونحن نؤمن بإيمان مصدق على الحقيقة، ولا نحتاج إلى كيفية إتيانها.

**ج- بين الحركات الثلاث:** ومما يجتمع فيه الحركات الثلاث: من معنى العزة، في قوله تعالى: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:6] العزة هي «حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، من قولهم أرض عزاز أي: صلبة... والعزير الذي يقهر ولا يقهر»<sup>(33)</sup> والعزة كما قال ابن تيمية تتضمن: «القدرة والشدة والامتناع والغلبة، تقول العرب: عز يعز "بالفتح" إذا قوي وصلب، وعز يعز "بالكسر" إذ امتنع، وعز يعز "بالضم" إذا غلب، فإذا قويت الحركة قوي المعنى، والضم أقوى من الكسر، والكسر أقوى من الفتح، فإذا كان مغلوبا لم يكن منيعا، وإذا لم يكن منيعا لم يكن قويا بطريق الأولى، ومن لا يكون قويا لا يكون ربا فاعلا»<sup>(34)</sup> واجتماع هذه الوحدات الصوتية حسب اشتقاقها في كلمة واحدة يكسبها قوة أكبر.

<sup>(29)</sup> -بدائع الفوائد، ابن القيم: 640/2

<sup>(30)</sup> -معجم القراءات، الخطيب: 128، 129

<sup>(31)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 466/7

<sup>(32)</sup> -المحرر الوجيز، ابن عطية: 467/7، 468

<sup>(33)</sup> -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: 61/2

<sup>(34)</sup> -دقائق التفسير، ابن تيمية (تح) محمد السيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط2، 1404هـ/1984م: 292/2

**ج- بين الضمة والكسرة:** ومن بين الفروق الدلالية التي تنشأ عن أثر الصوائت القصيرة وأهميتها: ما جاء عن الضمة والكسرة قال ابن جني: «الدّل في الدابة: ضدّ الصعوبة، والدّل للإنسان، وهو ضدّ العزّ، وكأثمّ اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدراً ممّا يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوّتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة»<sup>(35)</sup> وهذه الفروق حاصلة في اللغة العربية كما في مثلث قطرب.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:10] جاءت "عليه" بالضم، والجار والمجرور «متعلقان بعاهد وضمت الهاء مع أنّها تكسر، لمحيء سكون بعدها»<sup>(36)</sup> والألفاظ تتغير حروفها أو حركاتها من الأصل الطبيعي، إلى شكل آخر حسب الصورة التي ترسمها، والجو الذي تتحدث عنه، قال الخالدي: «فكان من غير المناسب أن تبقى مكسورة، لأن الكسرة لا تناسب هذا الجو، ولذلك تحولت تلك الكسرة إلى "ضمة" والضمة مناسبة للرفعة... فالضمة والرفعة جاءت للهاء من الجو الذي تصفه، والنتيجة التي تقرها، إذ لا يناسب هذا الجو وهذه النتيجة الكسرة»<sup>(37)</sup> والجو هنا جو رفعة ما بعدها رفعة.

**د- بين الفتحة والكسرة:** والفتحة والكسرة متشابهتان كما قال سيبويه: «الفتحة من الألف، وشبهه الفتحة بالكسرة كشبهه الألف بالياء»<sup>(38)</sup> لأن الفتحة «عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف، وحدث الصوت الخفي، الذي يسمى: فتحة أو نصبة، وإن مدت كانت ألفاً، وإن قصرت فهي فتحة، وكذلك القول في الكسرة»<sup>(39)</sup> ولا فرق بينهما في الكمية أيضاً.

ومما جاء بين الكسر والفتح في قوله تعالى: ﴿اٰتَيْنَا طُوًعًا اَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت:11] فيقولون في الشيء المذبوح والمنهوب: «ذبح، ونهب [بالكسر] كما قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفافات:107] وكما في الحديث (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهب الإبل) وفي المثل السائر: أسمع جمعجة ولا أرى طحنناً بالكسر؛ أي: ولا أرى طحيننا، ومن قال بالفتح أراد الفعل، كما أن الذبح والنهب هو الفعل»<sup>(40)</sup>.

<sup>(35)</sup> -المحتسب في تبين شواذ القراءات، ابن جني: 18/2

<sup>(36)</sup> -إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، (دط تا): 224/7

<sup>(37)</sup> -لطائف قرآنية، عبد الفتاح الخالدي دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ/1992م: 48، 49

<sup>(38)</sup> -الكتاب، سيبويه: 142/4

<sup>(39)</sup> -بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 59/1-60

<sup>(40)</sup> -مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 421/20

**د-السكون:** السكون: هو عدم الحركة من الناحية النطقية لكنه يشارك كما قال كمال بشر: «الحركات في الوظائف الصرفية والنحوية فهذا أمر مقبول، بل من الضروري أخذه في الحسبان عند معالجة قواعد العربية»<sup>(41)</sup> وعد من الحركات؛ لأنه دليل بعض الحروف المجزومة والبناء وفعل الأمر والمضارع.

وظاهرة الوقف بالسكون قال إبراهيم أنيس عنها «لم تكن أمرا عابرا أو عارضا يمثل ناحية متواضعة من نواحي اللغة، بل كانت صفة من الصفات التي انتظمت معظم القبائل العربية وجرت على ألسنتهم جميعا ولم تكن تقل أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات في حالة الوصل، بل لم تكن أقل شيوعا ودورانا في أفواه الناس من ظاهرة الوصل»<sup>(42)</sup> فكثرت في فواصل القرآن، كما اعتبرت صائتا مركزيا في حروف القلقل.

**و-بين السكون والفتح:** قوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:34] الحزن: جاء مخففا بالفتح، وجاء بالسكون في قوله: ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف:84] فالحزن يقال: «لما ارتفع من الأرض فإذا زاد قليلاً قيل: حزم»<sup>(43)</sup> ومن العجيب في هذا الاختلاف أن يختار الفتح للحاء في الحزن عند دخول الجنة بعد المقاساة التي كانت في الدنيا فيطوى كل شيء كأن لم يكن هناك مكابدة، فدلّت الفتحة عن انتفاء ما كان حزنا، قال سيد قطب: «الجو كُله يسر وراحة ونعيم، والألفاظ مختارة لتتسق بجرسها وإيقاعها هذا الجو الحاني الرحيم، حتى "الحزن" لا يتكأ عليه بالسكون الجازم، بل يقال: الحزن بالتسهيل والتخفيف»<sup>(44)</sup> لأن نعيم الجنة ينسى عند باهما نعيم الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ﴾ [مريم:59] و﴿ خَلَفٌ ﴾ قراءة الجماعة بالسكون، و«يقراً بفتح اللام»<sup>(45)</sup> وقال الزمخشري: «خلفه: إذا عقبه، ثم قيل في عقب الخير (خلف): بالفتح، وفي عقب السوء: خلف بالسكون، كما قالوا: (وعد) في ضمان الخير، و(وعيد): في ضمان الشر»<sup>(46)</sup> وقيل: خَلَفَ اللبن: إذا فسد وحمض من شدة بقائه في السقاء، وخلوف فم الصائم: إذا تغيرت ريح فمه قال الطبري: «ويقال منه هو خَلَفَ صدق وخَلَفَ سوء وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الدم بتسكينها، وقد تحرك في الدم وتسكن في المدح»<sup>(47)</sup> ومثله الخلف في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخْذُوا ﴾ [الأعراف:169].

(41) -دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر: 181

(42) -من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م: 236

(43) -اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين الدقيقي، (تح) يحيى جبر، دار عمار، عمان، ط1، 1405هـ/1985م: 99

(44) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 1962/5

(45) -إعراب القراءات الشواذ، العكبري: 51/2، معجم القراءات، الخطيب: 376/5

(46) -الكشاف، الزمخشري: 32/4

(47) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (تح) تركي: 209/13

الفصل الأول: التلوينات الصوتية دلالاتها المختلفة وتأثيراتها الإقناعية **=====** مبحث: الصوائت

وقال ابن الأعرابي: «الخلف بالفتح الصالح، وبالسكون الطالح، ومنه قيل للرديء من الكلام خلف بالسكون، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر والمعنى: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن كان قبله»<sup>(48)</sup> ففصلت دلالة السكون بين قرنين مختلفين استفيد من الأخير أنه قرن سوء؛ لما فيه من تضييع الصلاة واتباع الشهوات، أو من تنكبهم عما في الكتاب ولم يعملوا بما فيه.

وبالجملة فإن الصوائت قصيرة أو طويلة تشارك في إنتاج الدلالة، وهي ذات بعد حجاجي بحيث تؤدي دوراً متميزاً في تنوعها، ولا يتم التغيير في بناء ما للوصول إلى غرض معين إلاّ بها.

---

(48) -فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي: 65/5

• **الفاصلة:**

لأمر ما كان الوقوف عند رؤوس الآي سنة، كما جاء في قراءة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف، ثم يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، ثم يقول: الرحمن الرحيم ملك يوم الدين»<sup>(1)</sup> وسأل قتادة أنس ابن مالك، رضي الله عنهما: «كيف قراءة النبي صلى الله عليه؟ فقال: كانت مدًا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله، ومد الرحمن، ومد الرحيم»<sup>(2)</sup> والبيان النبوي نستشف منه كيفية الأداء التعبدي، ومراعاة الفاصلة، وما تحمله من قيمة جمالية ونحوية يترتب عليها فهم المعنى.

وأمر الله بترتيل القرآن كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:4] والترتيل غير القراءة قال أبو زهرة: «وليس الترتيل مجرد القراءة، إنما الترتيل قراءة منغمة تنغيمًا يظهر التناسق في الحروف والجمل والآيات ويكشف معانيها، ونغماتها، وتلك هي موسيقى القرآن»<sup>(3)</sup> وهي للعربي والأعجمي على السواء.

والفاصلة لغة: الحاجز يفصل بين شيئين، والجمع فواصل قال ابن فارس: «والفاء والصاد واللام، كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه»<sup>(4)</sup> وأصلها هي «الكلمة التي تكون في آخر الآية القرآنية، فهي كقريئة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر»<sup>(5)</sup> وهذه إشارة إلى فاصلة رأس الآية.

وأشار سيبويه عند باب "ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف والياءات" إلى الفواصل كما في قول الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسْرُ﴾ [الفجر:4] و﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ [الكهف:64] و﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9] و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر:32]»<sup>(6)</sup> وذكر معهم "مَا كُنَّا نَبْعُ" وليس برأس آية ولا فاصلة، وفي البرهان: أضاف الزركشي تبعاً لقول سيبويه: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود:105] وليس بفاصلة، وكذلك الداني (ت833هـ) قال: «وأما الفاصلة هي: الكلام التام المنفصل مما بعده والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين»<sup>(7)</sup> وأكدها صاحب شرح المفصل بأنها: «رؤوس الآي ومقاطع الكلام»<sup>(8)</sup> فهي ما انتهى عنده تمام المعنى.

(1) -النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 226/1، إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأنباري: 258

(2) -فتح الباري، العسقلاني (تح) شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 1421هـ/2001م: 721/8 رقمه 5046

(3) -المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت، (دط تا): 326

(4) -معجم مقاييس اللغة (مادة فصل)، ابن فارس: 505/4

(5) -معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ/2001م: 207

(6) -الكتاب، سيبويه: 185/4

(7) -البيان في عد القرآن، الداني: 126، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 54/1

(8) -شرح المفصل للزحشري، ابن يعيش دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م: 78/9

وأخذ مصطلح الفاصلة من مادة "فصل" منها قوله تعالى: ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ [الأعراف:52] قال ابن منظور في فصلناه «له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني: في فصلناه بيناه، وقوله عز وجل: ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف:133] بين كل آيتين فصل، تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة»<sup>(9)</sup> وقال المراغي: «كتاب الله بينت آياته، وميزت لفظا بفواصل ومقاطع، ومبادئ للسور وخواتم لها، وميزت معنى بكونها وعدا ووعيدا، ومواعظ ونصائح وتهذيب أخلاق ورياضة نفس، وقصص الأولين، وتاريخ الماضين»<sup>(10)</sup> لفهم معناها.

والفواصل في القرآن منزهة أن يؤتى بها لتزيين رؤوس الآي وحسب! قال الرماني: «وإنما هي حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجه الحكمة في الدلالة، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة... وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها»<sup>(11)</sup> فليست ابتغاء الوزن فقط.

والمعول عليه في هذا كما قال الزركشي وغيره: «لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرد ما إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يفتضيه حُسْنُ النظم والتأمام... فأما أن تحمل ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه، فليس من قبيل البلاغة، في فتيل أو نقيير»<sup>(12)</sup> وليست الفواصل هي دائماً تامة المعنى فقد تتعلق بما قبلها أو ما بعدها ولا يمنع أن تكون مصحوبة بالجانب الجمالي.

وليس لآلية التقديم والتأخير تعلق كبير في إبراز الفاصلة، قال تمام حسان: «هي ذات وظيفة مهمة تراعي في كثير من آيات القرآن وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، ولقد يتكلم البلاغيون في أغراض التقديم والتأخير فيوردون من أسباب ذلك أموراً تدور حول رعاية المعنى... ولكنني لا أعلم واحدا منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ»<sup>(13)</sup> فهي قيمة صوتية تتبع للمعنى.

وترد الفواصل أكثر في أسماء الله الحسنى مذيلة على الآيات، وفي الأساليب البلاغية: كالاستفهام والتوكيد وملازمة التكرار والتقديم والتأخير، وليس يعدل لقيمة صوتية لمجرد الفاصلة! بل لرعاية أنماط التراكيب النحوية ومعرفة المعاني، وإبراز الأثر الجمالي على القلوب.

(9) -لسان العرب، ابن منظور: 3424/39

(10) -تفسير المراغي، مصطفى المراغي: 104/24، 105

(11) -ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي والجرجاني (تح) خلف الله أحمد وزغلول سلام: 97، 98

(12) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 164/1، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: 1824/5

(13) -البيان في روائع القرآن، تمام حسان: 281، 282.

**1- علاقة الفاصلة بالآية التي وردت فيها:** وهو أن يكون الختام أنسب، وذا معنى، وقد لاحظ العلماء فيها أربعة أشياء، أهمها: ما اصطلحوا عليه بالتمكين، قال الزركشي: «وهو أن يمهد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً؛ بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم»<sup>(14)</sup> وهذا ما نقصده من الدلالة في العرض الإقناعي العقدي.

من هذا، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29] ختمت الفاصلة بعلم كل شيء، والمتبادر إلى الذهن أن تكون فاصلتها الختم بالقدرة؛ لأنها تكلمت عن الخلق الكبير والكثير في الأرض والسماء، وإنما أراد: «أنه يعلم الجزئيات كما يعلم الكلليات وإنما أثبت سبحانه لنفسه العلم بكل شيء لأنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما ثبت أنه خالقه»<sup>(15)</sup> وختم العلم مناسباً للمخلوقات العظيمة لأنه خلقها بعلم، فما جاءت عليه التلاوة هو الحق.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16] ختمت باللطيف الخبير والمتبادر أن تختتم بالسميع البصير، واللطيف من أسماء الله تعالى، وله معنيان حسب ما يتعدى به، قال محمد العثيمين: «إن تعدى باللام فمعناه الإحسان: ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: 100] وإن تعدى بالباء فمعناه العلم بالخفايا فهو لكمال علمه لطيف، كل شيء يعلم به... والخبير هو العليم ببواطن الأمور وهو مع اللطيف كالمؤكد له، وقلنا العلم ببواطن الأمور مأخوذ من الخبار يعني الأرض الرخوة التي تبذر فيها البذور وتدس فيها، فهو خبير عز وجل عالم ببواطن الأمور، ومنها هذه الحبة التي من خردل تكون في صخرة أو في السموات أو في الأرض»<sup>(16)</sup> وقال الرازي: «خبير بالبواطن، لطيف فعلمه يصل إلى كل شيء ومنه اللطيف الذي يدخل في المسام الضيقة ويخرج من المسالك المسدودة»<sup>(17)</sup> وهيمن على خلقه، فناسب الفاصلة مضمون الآية عن علم الله الواسع.

وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54] الفاصلة هنا في وسط الآية والمتبادر إلى الذهن في الآية أن الارتداد عن الدين أن يأتي الله بقوم أصلب منهم في الدين، لكن جيء بقوم يحبهم ويحبونهم، والمحبة هنا معلقة بطرفين يحبهم ويحبونه، وابن القيم يرى أن المحبة لا يمكن ضبط تعريف شاف لها فهي «لا تُحد "المحبة" بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدوها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها

(14) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 79/1

(15) - فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي: 124/1

(16) - تفسير القرآن الكريم سورة لقمان، محمد العثيمين: 103، 102

(17) - مفاتيح الغيب، الرازي: 211/25



وشواهدها، وثمراتها وأحكامها»<sup>(18)</sup> وهي أصل العبودية، فلا عبودية بدون محبة «والتعبد" آخر مراتب الحب، يقال: عبده الحب وتيممه: إذا ملكه وذلكه لمحوبه، ف"المحبة" حقيقة العبودية»<sup>(19)</sup> فلا يكونون أصلب في دينهم حتى ينعقد الميثاق مع الله، فناسب محبيء المحبين من غيرهم باستبدالهم ممن ارتدوا عن دينه.

فالمحبة هي حقيقة الألوهية، فإن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية «ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية؛ وهي المحبة والتعظيم، بل كانوا يؤلهون مع الله غيره، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله وصاحبه ممن اتخذ من دون الله أندادا»<sup>(20)</sup> كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:165] كانوا يصرفون محابهم لأصنامهم، ويسئئون للإله الحق.

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذُوهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29] فختمت بالقدرة، والمتبادر أن تكون فاصلتها الختم بالعلم؛ لأنها تتكلم عن إحاطته بالعلم في الصدور وفي السماوات وفي الأرض، قال محمد العثيمين: «ختم الآية ببيان عموم قدرته، إشارة إلى أن الله تعالى قد وسع كل شيء علماً وقدرة، وأنه قادر على الانتقام منكم فيما إذا أحفيتهم ما لا يرضاه، ولكنه لحكمته قد يؤخر الانتقام»<sup>(21)</sup> والعلم والقدرة متلازمان في صفات الله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:34] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:18] وعن سر ذلك يقول ابن المنير رحمه الله: «كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها، وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان، كونك ظلوما وكونك كفارا، ولى عند إعطائها وصفان: وهما أنى غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفرائي، وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء»<sup>(22)</sup> وهي معاني الربوبية تعم الخلق كافرهم ومؤمنهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَازْهَبُونَ﴾ [البقرة:40] ارهبون: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والنون الظاهرة نون الوقاية والياء محذوفة قال الواحدي: «وحذفت الياء من "فارهبون" لأنها فاصلة، أي: رأس آية ليكون النظم على لفظ متسق... ومعناه فخافوني في نقض العهد»<sup>(23)</sup>.

(18) -مدارج السالكين، ابن القيم (تح) حامد الفقي، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1363هـ/1973م: 11/3

(19) -م، ن: 28/3

(20) -م، ن: 20/3

(21) -تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 178/1

(22) -البحر الكبير في بحث التفسير، نقلا عن البرهان، الزركشي: 176/1

(23) -التفسير البسيط، الواحدي: 433/2

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ\* هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ\* قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 64، 65، 66] أشارت الآيات لمقتضيات الألوهية، وانتهت الفاصلة في الآيات الثلاث بـ "رَبِّ الْعَالَمِينَ" فجاءت كلها متفقة لفظاً ومعنى.

والسر في هذا أنّ من أساليب القرآن في التعريف بالألوهية، أن يعرف الألوهية بالربوبية لاستقرار الربوبية في فطر الناس، قال القرضاوي: «فيتخذ من توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الألوهية الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وهو أن الله وحده هو المستحق للعبادة لا شريك له، فما داموا يقرون بأن الله هو الرب الخالق الرزاق، المحيي المميت، المدبر للأمر كله، فالواجب أن تتجه العبادة إليه وحده، ولا يشرك به أحد ولا شيء»<sup>(24)</sup> وهذا كثير في القرآن الكريم دائماً بعد إقرارهم بربوبية الله ومقتضياتها، مثلاً نجده سبحانه يقول: ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَدَّكَّرُونَ﴾ [يونس: 3] ويقول ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: 102] وغيرها، فبني برهان هذه على تلك لاعتقادهم بها.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ\* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 54، 55] الملك قدم العلم على الأمانة، للاستفادة من علم يوسف عليه السلام لأنه هو الذي كان وراء تعبير الرؤيا وتخليص البلاد من خطر الجاعة، ويوسف عليه السلام عكس الترتيب، فاختار الأمانة وهي نظافة الضمير قبل العلم لأنها في المال هي أول، وهو المحل الثاني.

**2- علاقة الفاصلة بالمقطع الذي وردت فيه:** قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ\* مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِن وُلْدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ\* وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ\* فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ\* أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ\* وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ\* إِنَّا نَحْنُ نَرُثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مریم: 34 حتى 40] جاء هذا المقطع متفرداً عن بقية السورة في حسم اختلاف الأحزاب بشأن عيسى عليه السلام وتبيان حقيقة الألوهية: «وهو المقصود بذلك التعقيب في لغة التقرير وإيقاع التقرير»<sup>(25)</sup> ونلاحظ أن حرف الروي "يا" في السورة كلها عما قبل هذه الآيات وما بعدها يختلف عن روي الآيات السبع الذي جاء بميم أو نون قبلهما حرف مد، فسائر الإيقاع المعنى.

(24) - كيف تتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1421هـ/2000م: 51

(25) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 4/2308

وتغيرت الفاصلة هنا لتشارك في تصحيح أوهام أهل الكتاب الضالة بشأن الألوهية وبنوة عيسى عليه السلام قال محمد قطب عن مجيئها: «بأنها لفت نظر إلى شيء هام يراد لفت النظر إليه، وهو في الوقت ذاته خارج عن سياق القصة ذاتها، وهو التقرير الرباني بأن هذه هي حقيقة عيسى ابن مريم الذي امترى فيها الممترن، حتى إذا انتهى التعليق أو التقرير وعادت السورة تروى عدد قصص آخر من الأنبياء، عاد الروي الأصلي الذي استخدم في القصص من أول السورة»<sup>(26)</sup> فأبرزت الفاصلة المعنى المهيمن في القصة بتغيراتها المختلفة.

وجاءت الفواصل في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَكِتَابِي بِإِيمَانِي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ [الحاقة: 19، 20] قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ \* وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ \* يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ \* مَا أُعْنِي عَنِّي مَالِيَةَ \* هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴾ [الحاقة: 25 حتى 29] والفواصل هي: «كتابه، حسابه، ماله، سلطانيه» وفتحت الياء في جميعها مضافة لها الهاء المسكونة، وهذه الهاء هي هاء الوقف أو (هاء الاستراحة)<sup>(27)</sup> وهي لبيان الحركة، وعبر بها للتعب والعناء عن الآه والتنهيد والتأوه في يوم المحشر مصورة المشهد الذي هم فيه، فاتحدت الفاصلتان عند الطرفين في إبراز الشدة وفرقت في بيان مورد كل فريق.

### 3- علاقة الفاصلة بالسورة التي وردت فيها:

**أ- سورة المدثر:** كذلك في سورة المدثر جاءت الفاصلة مصاحبة المعنى وملتقمة معه، فالمقطع الأول: فيه توجيهات خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتهت الآيات الثمانية جاء المقطع الثاني: وقد تغير إيقاع الفاصلة بتغير الحديث عن اليوم الآخر فأصبح راء قبله مد فإذا انتهى الكلام عن اليوم الآخر وجاء التهديد والوعيد أخذت الفاصلة شكلا آخر بحرف الدال المسبوق بالمد، فأعانت تغيرات الفاصلة على تحديد المقاطع والمعاني.

**ب- سورة التكوير:** بحيث تلتزم السورة في مقطعها الأول: التاء الساكنة في الآيات من 1 حتى 14 من بينها 12 فعلا مبنيا للمجهول تتكلم عن مشاهد يوم القيامة، ثم يأتي المقطع الثاني: مبدؤه بالقسم فتتغير معه الفاصلة بين السين والميم والنون مسبوقة بمد، لإثبات حقيقة الوحي والرسالة، فالتاء شديدة مصحوبة بالراء المكرر ناسب الانفجار الذي يسبق قيام الساعة في الكون، وتتخذ الفاصلة في سورة التكوير في كل مفردة من مفرداتها تصويرا خاصا لمعناه، وفي المقطع الثاني جاء حرف السين ناسب الخفاء في المخلوقات المقسم بها.

**ج- سورة مريم:** أغلب الفواصل في سورة مريم بصيغة "فعليل" يشدد الحرف الأخير فيها ولا يشدد أحيانا (خفيا شقيا وليا رضيا سميا) وقد جاءت فواصل الآيات من 34 حتى 40 مختلفة تماما منتهية بالنون والميم المسبوقة بحرف اللين فإذا جئنا إلى خواتيم السورة وجدناها تنتهي بالدال المفتوحة مشددة وغير مشددة مناسبة الغضب الكوني من

(26) -دراسات قرآنية، محمد قطب، م، س: 8

(27) -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: 298/5

كلمة الشرك النابية؛ وهي ادعاءهم الولد لله، فاختلقت الفاصلة وأوتي بروي خاص ناسب إفحام الطوائف المشركة التي تهددها المقطع وتوعدها فردا فردا.

**د-سورة طه:** نجد الفاصلة قائمة على الألف المقصورة مرعية في فاصلة السورة كلها إلا ما جاء من قوله تعالى: ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:78] فمع إبرازها قدرة الله عز وجل وكيفية إهلاك فرعون وجنوده، فإنها من جهة أخرى تدلل من حيث اختلافها أن المقصود بالدرجة الأولى أن تكون الفاصلة تابعة للمعنى، فلو كانت الأولوية للفاصلة ما استقلت هذه عن بقية السورة.

**4-علاقة الفاصلة بالقرآن كله:** قال العقاد عن أصل النغم في اللغة العربية: «إن التركيب الموسيقي أصل من أصول هذه اللغة لا ينفصل عن تقسيم مخارجها، ولا أن تقسيم أبواب الكلمات فيها، ولا عن دلالات الحركات على معانيها ومبانيها بالإعراب أو بالاشتقاق»<sup>(28)</sup> وذهب الرافي وغيره إلى أن طريقة الاستهواء الصوتي الموجود في موسيقى ألفاظ القرآن هي التي تهز القلوب التي تفهمه والتي لا تفهمه.

وإننا وجدون حرفا النون والميم الموسيقيين مثلا؛ وهما حرفا غنة أصلا ونطقا يحتلان نسبة كبيرة في فاصلة القرآن كلها، لذا كثر في القرآن ختم الفواصل «بمحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكّن مع التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء القرآن على أسهل موقف وأعظم موقع»<sup>(29)</sup> وكانت الصدمة الأولى للعرب كلها في أوزان الكلمات وأجراس الحروف.

وحاصل القول جميعا كما قال أبو زهرة: «إذا قرأت القرآن مرتلا، أو كاشفاً بالصوت مع الترتيل تحس بأنه ليس من نوع الكلام الذي سمعته وتسمعه وتقرؤه، وإنك تميز بذوقك القرآن عند سماعه عن غيره... ولقد وجدنا للقرآن حلاوة في الألفاظ والأسلوب والفواصل ليست في غيره، وهذا ما سميناها النظم تقريبا للفهم»<sup>(30)</sup> فالقرآن فيه لذة لسماعه تحصل من التمام حروفه وتشاكلها مع بعضها، وهذا نوع من الإعجاز.

(28) - اللغة الشاعرة، العقاد، نضمة مصر للطباعة والنشر، (دط) 1995م: 31

(29) - معترك الأقران، السيوطي: 53/1

(30) - المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: 302

\* الفصل الثاني:

-البنية الصرفية وتأثيراتها الإقناعية:

- صيغ الأفعال
- اسم الفاعل
- المفعول المطلق
- أفعال التفضيل
- الأبنية المجاورة

• **توطئة:**

علم الصرف: مميز العناصر اللغوية فيما بينها، والمسؤول عن المبني وما يطرأ عليه، وضابط أوزان الكلمات العربية واشتقاقاتها إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مختلفة، فهو أصل العربية ولذا قال السيوطي: «وأما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم»<sup>(1)</sup> واستغنى بمصطلح التصريف عن الصرف «لأن في هذا العلم تصرفات كثيرة فاختر لفظ يدل على المبالغة والتكثير»<sup>(2)</sup> وتخيره له مع أنه بمعناه.

قال ابن جني: اختص التصريف بمعرفة: «الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكر، ورأيت بكرًا، ومررت ببيكر، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة»<sup>(3)</sup> فالبدء به واجب للمبتدئ.

وتأتي خطورة علم الصرف لأنه يعمل في أس الجملة وهو الكلمة، والخطأ في أس البناء يعني خطأ في البناء كله، فيسري الشك فيه فيتهدم، ولذلك زل أحد رؤوس المعتزلة لما جهل التفريق بين الصيغ الصرفية، فأخلط بين الأفعال وما ترجع إليها من مصادر، قال: أبو عثمان عمرو بن عبيد المعتزلي سائلاً أبا عمرو بن العلاء: «يا أبا عمرو؛ أيخلف الله وعده؟ قال أبو عمرو: لا. قال عمرو: أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا، أيخلف الله وعده؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد»<sup>(4)</sup> فشك في أفعال الله من حيث عدم فقهاء بلسان العرب، وإنما العناية بهذا العلم لصون اللسان عن الخطأ ولهذا الاعتبار.

والاستعمال القرآني للبنية الصرفية يختلف تماماً عما عهدته ذواقة العرب في حديثهم، وهو هو عينه الإعجاز!! الذي كان يبسر من عملية الإقناع في خطاب القرآن مشفوعاً بالمعاني الجديدة، ولذلك نجد كل كلمة بل كل حرف في القرآن الكريم لا يمكن أن يحل غيره محله ليؤدي المعنى المقصود نفسه، وإلى ذلك أشار ابن عطية: «وكتاب الله لو نزعته منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يُجد»<sup>(5)</sup> والنظام الصرفي والصوتي يتداخلان، بل أن المباني والصيغ الصرفية وما يطرأ فيها من تغييرات تخضع للتأثيرات الصوتية، بل أنظمة اللغة كلها تتداخل وتتواشج خصوصاً في الاستعمال القرآني لها حيث تعطي نظاماً عجيبياً.

(1) -المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: 1/ 330

(2) -شرح مختصر التصريف، سعد الدين التفتازاني(تح) سالم مكرم، المكتبة الأزهرية، مصر، ط8، 1417هـ/1997م: 28

(3) -المنصف، ابن جني (تح) إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م: 4/1، 5

(4) -صون المنطق والكلام عن في المنطق والكلام، السيوطي: 1/56

(5) -المرحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الغرناطي: 1/101.

## • صيغ الأفعال:

يعتبر الميزان الصرفي "ف ع ل" الذي جعل أصلاً للفعل وما اتصل به من مشتقات من أعظم منحزات الذهنية العربية التي تفتتت عن إيجاد معيار تصرف حسب الصيغ الصرفية والفعلية، وكل صيغة تفضي إلى دلالات مغايرة، بل الصيغة الواحدة تختلف معانيها من مجرد إلى مزيد ومن سياق إلى سياق، إذ أن "ف ع ل" تأخذ خطأ مستقيماً بحيث كما قال العكبري: «تشمل مخارج الحروف: فالفاء من الشفة، والعين من الحلق، واللام من اللسان»<sup>(6)</sup> وهذه الأعضاء الخلقية هي المرتكزات الأساسية في عملية النطق وبها تعلق مخارج الحروف.

وإذا كان الفعل لا يخلو من الدلالة الزمنية أو كما يقول ابن الحاجب: «ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة»<sup>(7)</sup> فإن دلالة الميزان الصرفي "ف ع ل" تجيء على الماضي فتعين على التصريف، وتسهل من معرفة أبواب الأفعال، وإن أريد أن يكون مزيداً أو في بأحرف الزيادة، ومنها أحرف المضارعة لـ "يفعل" التي لمعنى الحال والاستقبال، قال ابن الأثير: «العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي أطلع على أسرارها وفتش عن دوائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً»<sup>(8)</sup> وهذه الزيادة في الأفعال تكسبها معاني جديدة، في تغيراتها المختلفة.

**1- الثلاثي المجرد:** فالأفعال المجردة: هي ما كانت جميع حروفها أصلية ولا يسقط من بنائها حرف في تصريف من تصريفها، ويأتي الثلاثي المجرد على بناءات، قال السيوطي: «هي فَعْلٌ وَفَعِلٌ وَفَعَلَ وَفُعِلَ»<sup>(9)</sup> ويكون "فُعِل" الوحيد المخالف لغيره في الفاء، في حين تختلف الصيغ الأخرى في ما بينها في حركة العين، وللثلاثي المجرد معان كثيرة لا تكاد تنحصر، هذه بعض دلالاتها.

**أ-بناء فَعَلَ:** فعل يفْعَلُ أو يفْعِلُ: فإن كان ماضيه على وزن فعل مفتوح العين فمضارعه يفعل أو يفعل بضم العين أو كسرهما، وتجيء لمعان كثيرة: لا تنضب، لأن فعل أخف الأبنية فتوسعوا فيه، منه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج:15] فالفعل: نصر ينصُرُ مضارعه مضموم العين على بناء فعل يفْعَلُ، والضمير في ينصره عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير: «من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظاً، فإن الله ناصر»

(6) - اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (تح) عازي طليمات، دار الفكر سورية، ط1، 1416هـ 1996م: 221/2

(7) - شرح الرضى على الكافية، رضى الدين محمد الأسترابادي: 223/2.

(8) - المثل السائر، ابن الأثير: 12/2

(9) - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (تح) المولى بك وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط3، (دتا): 37/2

لا محالة»<sup>(10)</sup> ومن غريب معنى نصر ما قاله أبو عبيدة: «مجازه أن لن يرزقه الله وأن لن يعطيه الله... ويقال: نصر المطر أرض كذا أي جادها وأحيائها»<sup>(11)</sup> وهو ما تفرد به كما ترى.

ومن بناء فعل جاء في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:54] كتب يكتب مضموم العين، قال ابن القوطية: (من معانيها: الكتاب، فرضه، جعله، قضاه، وفرغ منه، أمر به، علم، وشد، وجمع)<sup>(12)</sup> وجاءت في القرآن مبنية للفاعل ومبنية للمفعول فإذا جاء بناؤها للمفعول "كتب"، قال أبوحيان: «حذف الفاعل للعلم به؛ إذ هو الله تعالى، لأنها مشاق صعبة على المكلف فناسب أن لا تنسب إلى الله تعالى وإن كان الله تعالى هو الذي كتبها، وحين يكون المكتوب للمكلف فيه راحة واستبشار يبنى الفعل للفاعل»<sup>(13)</sup> ومن مفتوح الفاء والعين من كتب قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة:22] ومن مضموم الفاء مكسور العين من كتب قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:183]

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:3، يونس:68] جاء مضارع عزب مكسور العين ومضمومها "يعزب ويعزب" قال الداني: قرأ في الآيتين: «الكسائي بكسر الزاي وقرأ الباقون بضمها»<sup>(14)</sup> ودلالته المعجمية تأتي للبعد والغياب، قال السرقسطي سعيد: «عزب الشيء أيضا: خفي»<sup>(15)</sup> والصيغة تصور علم الله الشامل الذي لا يند عنه شيء صغر أو كبر.

**ب- بناء فَعَل:** من معانيها، قال سيويه: «ما كان من الصغر والكبر»<sup>(16)</sup> فهو نحو: عظم، صغر، قدم، كثر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيحًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:7] فالوزن "فعل" يأتي للدلالة على الغرائز وما جرى مجراها من الخصال «لمعنى مطبوع عليه ما هو قائم به نحو: كرم ولؤم، أو كمطبوع عليه نحو: فقه وشعر إذا صارا طبعا، أو شبيهه بأحدهما»<sup>(17)</sup> وذلك لملازمته الصفات، ومنه تتخرج الصفة المشبهة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:69] حسن على بناء فَعَل قال السرقسطي: «حسن الشيء حسنا ضد

(10) - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 354/5، المقتطف من عيون التفاسير، مصطفى المنصوري: 424/3

(11) - مجاز القرآن، أبو عبيدة: 46/2

(12) - ينظر: الأفعال، أبو بكر بن القوطية: 65

(13) - البحر المحيط، أبو حيان: 35/2

(14) - النشر في القراءات العشر، الداني (تح): قباوة ومحمد ندم، الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م: 285/2

(15) - الأفعال، سعيد بن محمد السرقسطي: 214/2

(16) - الكتاب، سيويه: 30/4

(17) - المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، (تح) كامل بركات، دار الفكر، دمشق، (دط) 1400هـ/1980م: 585/2



قبح، ويخفف فيقال أيضاً: حَسُن الشيء، وحُسُن الشيء يريد: حَسُنَّ<sup>(18)</sup> ومعناه: وما أحسن أولئك الرفيق، والرفيق يستوي فيه المفرد والجمع، قال البقاعي: «العالوا الأخلاق، السابقون يوم السباق»<sup>(19)</sup> وهم الصفوة.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 187] ثقل: على بناء فعل قال ابن القوطية: «ثِقَلًا: ضد خف، والرجل: رَزَنٌ، وثَقُلَتْ في السماوات: خَفِيَ عِلْمُهَا، وَأَثْقَلَتْ المرأة: عَظُمَ حَمْلُهَا، والرجل: كَثُرَ مَالُهُ أَوْ عِيَالُهُ»<sup>(20)</sup> قال ابن عاشور: «ثِقَلُ السَّاعَةِ هُوَ مَا يَنْشَأُ عَنْ اخْتِلَالِ النَّظَامِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سِيرُ الْعَالَمِ وَذَلِكَ كُلُّهُ يَحْدِثُ شِدَّةَ عَظِيمَةٍ عَلَى كُلِّ ذِي إِدْرَاكٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ»<sup>(21)</sup> وثقلت هنا قال الشعراوي تعنى أن: «ميعاد الساعة لا يعرفه إلا ربنا، فلا يعرف ذلك الميعاد من هم في السموات وكذلك من هم في الأرض، وكل من على الأرض خائف مما سوف يحدث لحظة قيام الساعة»<sup>(22)</sup> والصيغة للمبالغة في إخفائها مع قربها عن جميع من في السماوات والأرض، واختصاص الله عز وجل بعلمها وتحليلتها في وقتها المعلوم.

**ج-بناء فَعِل:** بفتح الفاء وكسر العين تدل على الأدواء، ذكر في الكتاب: «هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وجع يوجع وجعاً وهو وجعٌ، لتقارب المعاني وذلك حبط يحبط حبطاً وهو حبطٌ... وقالوا حزن حزناً وهو حزين وجعلوه بمنزلة المرض لأنه داء، وقالوا: الحزن كما قالوا: السقم»<sup>(23)</sup> و"فزع" في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: 87] على بناء فعل مكسور العين الماضي الذي أشعر بصحة وقوع المستقبل، قال الفيروزآبادي: «فزع بالكسر خاف... والإفزع: الإخافة والإغاثة»<sup>(24)</sup> وفي الكتاب تأتي: «للذعر والخوف على هذا المثال، لأنه داء قد وصل إلى فؤاده، كما وصل ما ذكرنا إلى بدنه، وذلك قولك: فَرِزْتُ فَرِزَةً وهو فَرِزٌ، وفَرِقٌ يَفْرِقُ فَرِقًا وهو فَرِيقٌ، ووجَل يوجَلُ وِجَلًا وهو وِجَلٌ»<sup>(25)</sup> وتأتي فزع لتصف مرحلة من مراحل البعث للخلائق في السماوات والأرض جميعاً.

ومن باب فعل يفعل: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: 21] والفعل حسب يأتي مكسور العين ومفتوحها على «فعل وفعل»<sup>(26)</sup> ويكون معناه: العد

(18) -الأفعال، سعيد بن محمد السرقسطي: 366/1

(19) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 222/5

(20) -الأفعال، أبو بكر بن القوطية: 136

(21) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 303/9

(22) -تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي: 4508/7

(23) -الكتاب، سيويه: 17/4

(24) -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: 191/4

(25) -الكتاب، سيويه: 18/4

(26) -الأفعال، أبو بكر بن القوطية: 41

من الحساب، والظن، وجاء الفعل حسب في سياق استفهام استنكاري؟ مشنعا على الذين يسوون بين الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فالذين يحسبون هذا الحسبان؛ يقضون بالباطل ولا يؤمنون بعدل الله! الذي جاءت الآية التالية تؤكدُهُ ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُحْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 22] وكل حساب لا يستند إلى ما أنزل الله، فهو ظنون وأوهام.

ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 22] حبط: على بناء فعل قال السرقسطي: «وحبط العمل حبطا وحبوطا: بطل»<sup>(27)</sup> ويتعلق حبوط العمل: بالإشراك بالله، وهنا حاكية عن بني إسرائيل ما فعلوه: الكفر بآيات الله، قتل الأنبياء، والذين يأمرون بالقسط من الناس، فحبطت أعمالهم لأجلها، والحبوط ذهاب العمل وزواله وعدم الاستفادة منه.

وعبر الفعل حبط عن بطلان العمل في الدنيا والآخرة، قال محمد العثيمين: «فأما في الآخرة فظاهر؛ لأنهم لن يستفيدوا من أعمالهم وإن كانت خيرا كالإحسان إلى الناس... وأما في الدنيا لم يستفيدوا منها، صاروا كأنهم لم يعملوها، فأعمالهم لم تنفعهم»<sup>(28)</sup> لأن قاعدتها الإيمان بالله، فإذا انتفت القاعدة ذهب العمل وإن كان خيرا.

ومن باب فعل بالكسر ورود الفعلين الجامدين: نعم وبئس لإنشاء المدح والذم وهما عند الكسائي والبصريين فعالان غير متصرفين، وهما عند الفراء اسمان<sup>(29)</sup> وكل له دليله فيما ذهب إليه «وأصلهما فعل، وقد يردان كذلك أو بسكون العين وفتح الفاء أو كسرهما أو كسرهما»<sup>(30)</sup> وفاعلهما يكون معرفا، ومن دلالة "نعم" تمدح المولى عز وجل في القرآن بتدخل قدرته إلى جانب عباده وقت الكربات، وفيه إشارة لأن يُفرد وحده بالدعاء.

ففي قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40] فعلى مذهب البصريين يقع النداء على مقدر؛ لأنه لا يقع على الأفعال، قال الزجاجي التقدير: «أحدهما أن يكون المعنى: يا لله نعم المولى أنت، يا لله نعم النصير أنت... والآخر أن يكون التقدير يا هؤلاء نعم المولى أنت، يا هؤلاء نعم النصير أنت»<sup>(31)</sup> والتوجيه في هذا أن يستيقنوا على وجه العلم: بأن يفردوا له الولاء، وأن يستمدوا منه وحده النصر، قال السمعي عن تكرار الصيغة "نعم": «المولى: القيم بالأمور، والنصير: الناصر»<sup>(32)</sup> والآية نزلت في غزوة بدر، والتوجيه العقدي هاهنا ليفردوا الولاء وليعلقوا أمر النصر بالله رب العالمين.

(27) -الأفعال، سعيد بن محمد السرقسطي: 407/1

(28) -تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 142/1

(29) -ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: 127/7

(30) -تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك (تح) كامل بركات، دار الكاتب العربي، (دط تا): 126

(31) -اشتقاق أسماء الله، الزجاجي: 41، 42

(32) -تفسير القرآن، أبو المظفر السمعي (تح) أبي تميم ياسر، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م: 265/2

والالتجاء إلى الله وحده؛ تمثل في نداء نوح عليه السلام، وكان المجيب نعم المجيب، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات:75] ومجيب "نعم" بمعنى: أجبناه أحسن الإجابة قال وهبة الزحيلي: «فو الله لنعم المجيبون نحن، فحذف ما حذف لقيام ما يدل عليه، ونوع الجواب: أنا أهلكناهم بالغرق»<sup>(33)</sup> يعني جميعا.

وقد مدح الله عز وجل عباده المصطفين بالفعل "نعم" جاء في حق سليمان وأيوب عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:30 و44] فهذا المدح بـ "نعم" ينبئ عن اختياره لرسله عليهم السلام على علم، سبحانه عز وجل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:124] وهو أعلم بمن اصطفى لرسالاته.

ومن عجائب خلقه؛ التقدير في كل شيء! من الذرة إلى الجرة؛ مما نعلمه ولا نعلمه، قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات:23] وعلى التقدير تأسس المدح قال عبد الكريم الخطيب: «وهو ثناء من الله سبحانه على ذاته الكريمة، التي لا يحسن الثناء عليها، ولا يوفيهما حقها إلا هو سبحانه وتعالى»<sup>(34)</sup> وأعظم الثناء قوله: صلى الله عليه وسلم «وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(35)</sup> أي لا أطيعه ولا أبلغه.

وفي قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:206] المهاد: الفراش<sup>(36)</sup> وجاءت جهنم على البدل من الفراش وسميت «مهادا على معنى أنها قرار، والقرار كالوظء في الثبوت عليه»<sup>(37)</sup> وذكرت جهنم بأنها بئس المهاد في عدة آيات<sup>(38)</sup> حيث يغشاها المتكبرون عن اتباع الحق، كما قال تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:72] وجيء بفعل الذم على جهة الحقيقة يحمل التهكم من أنها أعدت لهم فراشا وقرارا!.

وفي مقابل ذلك جاء سياق المدح، في قوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:30] قال الطبري: «ولنعمة دار الذين خافوا الله في الدنيا، فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه، دار الآخرة»<sup>(39)</sup> ومدحت الدار ومدح المتقون بفضل من الله تعالى، وأثنى على أعمال داخلها في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر:74] حتى لكأنما استحقوها بأعمالهم وما هو إلا من رحمته عز وجل ومنه وكرمه.

والفعل وسع في آية الكرسي قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:255] كالفعل وطئ مضارعهما سقط منه الواو "يسع و يطأ" قال البطليوسي: «وأصل هذين الفعلين كسر العين، وإنما انفتحا من أجل حروف

(33) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ/2009م: 115/23

(34) -التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: 1399/5

(35) -سنن أبي داود، أبو داود سليمان: 158/2، رقم الحديث: 879

(36) -ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: 71/1

(37) -التفسير البسيط، الواحدي: 81/4

(38) -ينظر الآيات: [آل عمران:12 و197، الرعد:18، ص:56]

(39) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 210/14

الحلق، والدليل على أن الأصل في عينيهما الكسر، سقوط الواو منهما ولو كان مفتوحين في أصل وضعهما، لصحت الواو، لصحتها في وجل يوجل»<sup>(40)</sup> والكرسي أعظم مخلوق خلقه الله، شبه في الحديث كحلقة في فلاة.

**د-بناء فُعل:** وفعل يأتي لغير الفاعل ك "لَعِنَ" في قوله تعالى: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:64] وجاء لعن اليهود لاعتقادهم الفاسد في حق أفعال المولى عز شأنه، قال السمعاني: «مغلولة: أي ممسكة لا ينفق، كأنهم نسبوه إلى البخل»<sup>(41)</sup> وأصل اللعن الطرد والإبعاد، فيخرج من رحمته إلى العذاب، قال ابن القوطية: «لعنه الله لعناً: عذبه»<sup>(42)</sup> ومن تعذيبه في الدنيا إيتاهم مسخهم قرده وخنازير، وتسليط عدوهم عليهم، وتسليط المسلمين عليهم بضرب الجزية عليهم، كل ذلك جزء ما قالوا.

وهذا المعتقد الذي زلت فيه يهود؛ وجنت على نفسها براقش، هو من الوضوح عند المسلمين حيث عصمهم الرحمن من أن يسقطوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، ويده الأخرى الفيض، أو القبض يرفع ويخفض»<sup>(43)</sup> فالإيمان بأنه قائم بأمره على هذا الكون هو مما تدركه جميع المخلوقات، ومما فطرت عليه، وهو من كمال ربوبيته.

وجاءت فُعل بمعنى فَعَل، كما في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر:14] حيث قرئ كَفَرَ وَكُفِرَ<sup>(44)</sup> بالبناء للفاعل وغير الفاعل: «وكفر الشيء كفراً: ستره، وكفر الكافر نعمة الله ووحدانته كفراً: كذلك»<sup>(45)</sup> وحمل نوح في السفينة وسيرها بكلاءة من الله قال البيضاوي كان: «جزاءً لنوح؛ لأنه نعمة كفروها، فإن كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته»<sup>(46)</sup> وجزاء للذين كفروا بأنعمه ومنها الرسالات والرسول.

**2-بناء مزيد الثلاثي:** والزيادة ذات معنى في الأفعال كما هو في القرآن وليس مجيئها اعتباراً، قال ابن يعيش عن الأبنية الثلاثة، أفعل، وفَعَّل، وفاعَل: «الزيادة في كلِّ بناءٍ منها أفادت معنًى لم يكن قبلاً»<sup>(47)</sup> فكل حرف استزيد

(40) -الاعتضاب، البطلبوسى (تح) مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، دار الكتب القاهرة، (دط)1983م: 251/2

(41) -تفسير القرآن، ابن المظفر السمعاني: 50/2

(42) -الأفعال، أبو بكر بن القوطية: 248

(43) -صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل: 1414 رقم الحديث: 7419 صحيح مسلم: 1/444، رقم الحديث: 993

(44) -ينظر: معجم القراءات، عمر مختار وعبد العال مكرم: 34/7

(45) -الأفعال، سعيد بن محمد السرقسطي: 2/174

(46) -أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 3/336

(47) -شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش (تح) فخر الدين قباوه، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1393هـ 1973م: 68

عن فعله أريد به معنى مقصود، قال السيوطي: «والمزيد من الثلاثي الأصل: ملحق بالرباعي الأصل أو بمزيده، وغير ملحق»<sup>(48)</sup> ومعانيه كثيرة ومنها:

**أ-بناء أفعال:** اختص هذا البناء بالماضي، قال الرضى: «وأما أفعال الفعلية، فلم يجئ إلا ماضيا للإفعال من بعض الأفعال الثلاثية كأخرج، وأذهب»<sup>(49)</sup> ومن هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر:2] نزلت في بني النضير حينما أجلوا إلى الشام، وما ظن المسلمون أن يخرجوا، ولا كان يدور بخلداهم هم اليهود أن يخرجوا لأنهم كانوا أصحاب منعة وحلقة، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا والخروج البروز، قال الفيروزآبادي: «يقال: خرج إذا برز من مقره وحاله... والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان، ويقال: في التكوين الذي هو من فعل الله تعالى نحو: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه:53]»<sup>(50)</sup> وجاء أفعال مشيرا إلى قدرة الله في إخراجهم من حصونهم ومن حالهم التي عولوا عليها، إلى أماكن وحال أخرى.

ومن معاني أفعال التعدية بتصيير الفاعل مفعولا به نحو: قام زيد، أقام زيدا وتسمى الهمزة هنا في أفعال همزة التعدية، والتعدية معناها الجعل: بمعنى جعلته يفعل، قال سيوييه: «تقول دخل وخرج وجلس، فإذا أخبرته أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أخرجته وأدخله وأجلسه»<sup>(51)</sup> وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:34] أذهب على بناء أفعال ومفعوله الحزن، فجعلهم الله بإدخالهم الجنة يزول عنهم كل حزن، وفي مقابلهم أهل النار يقول الحق فيهم ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبْتُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف:20] فبعرضهم على النار أي إدخالهم فيها تزول كل لذة؛ لقد تم استيفائها والاستمتاع بها في الحياة الدنيا، فالفعل أذهب يصور انتهاء الطيبات التي هي مفعوله.

وقد يأتي أفعال بمعنى (فَعَلَ) أي: المزيد بمعنى المجرد، قوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:103] يلحدون ماضيه ألد على بناء أفعال ومصدره الإلحاد، قال ابن منظور: «وأصل الإلحاد الميل والعدول عن القصد»<sup>(52)</sup> وأتي أفعال هنا بمعنى لحد وهو ما دلت عليه المعاجم العربية «لحدت له، وألحدت له، ولحد إلى الشيء يلحد، والتحد مال، ولحد في الدين يلحد، وألحد مال، وعدل وقيل: لحد مال وجرار»<sup>(53)</sup> وتصور الصيغة لحدوهم في الدين وكذبهم بميلهم إلى العجمة وتركهم اللسان القح الصريح.

(48) -المزهر في علوم اللغة العربية، السيوطي: 40/2

(49) -شرح الرضى على الكافية، رضى الدين محمد الأسترآبادي: 163/1

(50) -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: 532/2

(51) -الكتاب، سيوييه: 55/4

(52) -لسان العرب، ابن منظور: 389/3

(53) -م، ن: 388/3

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ [يس:25] آمن، مزيد بالهمزة في أوله وأصله آمن على بناء أفعال، قال الفارسي: «ويجوز في آمن أن يكون المعنى: صار ذا آمن، مثل: أجرب، وأقطف، وأعاع، أي: صار ذا عاهة في ماله، فكذلك آمن صار ذا آمن في ماله ونفسه بإظهار الشهادتين»<sup>(54)</sup> فصار آمن بمعنى صدق على تقدير: (أنه آمن مُحِبِّره من أن يُكذبه... حصل له الأئمن من الشك واضطراب النفس، واطمأنَّ لذلك؛ لأن معنى الأئمن والاطمئنان متقارب)<sup>(55)</sup> والرجل الذي جاء من أقصى المدينة عبر عما يجده من إيمان، فأعلنه؛ فهو مصدق على طريق المرسلين، ثم زاد أن أكده بـ "فَاسْمِعُونِ" «أي: اسمعوا قولي وهذا إعلان منه رحمه الله بإيمانه مراغمة لقولهم، وإقامة الحجة عليهم، ولهذا لما أعلن هذا الإعلان قتلوه»<sup>(56)</sup> فجاء في الآية التالية أن قيل له بعد موته مباشرة: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس:26] لصريح إيمانه المخالط قلبه، فأفادت الصيغة الاعتقاد القلبي على اللسان.

**ب- بناء فَعَل:** ويأتي بناء فعل للمطاوعة، قال السعد: «التي تقتضي حصول الأثر عند تعلق الفعل المتعدي بمفعوله، فإنك إذا قلت: كسرتَه فالحاصل له التكرس»<sup>(57)</sup> وفي قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَحْرِجُ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مریم:90] يعرض الفعل " يَتَفَطَّرْنَ " بهاته الصيغة غضب هاته المخلوقات على عظمها من قالة الشرك الكاذبة، وفيه قراءتان، قراءة: «يَتَفَطَّرْنَ بالياء ونون ساكنة وكسر الطاء مخففة»<sup>(58)</sup> وهو مطاوع فطر، وقراءة الياء والتاء مشددا وهو مطاوع فَطَّرَ على بناء فَعَل كما هنا، قال السمين: «الانفطار من فَطَّرَه إذا شَقَّه، والتفَطَّرَ من فَطَّرَه إذا شَقَّقَه، وكَثَّرَ فيه الفعل، قال أبو البقاء: (وهو هنا أَشْبَهُ بالمعنى) أي التشديد»<sup>(59)</sup> والمطاوعة تقتضي اللزوم فإن كان متعديا لواحد انتفى مفعوله وإن كان متعديا لاثنين بقي متعديا لواحد.

وعلى ذات البناء الفعل ودَّع في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى:3] التوديع: الترك، وقراءة الجمهور بتشديد الدال تشير إلى المبالغة، قال أبوحيان: «لأن من ودَّعك مفارقا فقد بالغ في تركك»<sup>(60)</sup> وقد أفاد الفعل في سياق النفي التكرير بأن هذا التوديع لن يكون، قال أبو الفتح: «اعلم أنّ فَعَلَّتْ أكثر ما يكون لتكرير

(54) -الحجة للقراء السبعة، الفارسي:1/149

(55) -ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور:1/299

(56) -تفسير القرآن الكريم سورة يس، محمد العثيمين:91

(57) -شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، التفتازاني:38

(58) -إتحاف فضلاء البشر، أحمد محمد البنا (تح) محمد إسماعيل، عالم الكتب بيروت، ط1، 1407هـ/1987م:2/241

(59) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الحلبي:7/647

(60) -البحر المحيظ، أبو حيان:8/481

الفعل نحو قَطَعْتُ وكَسَّرْتُ. إنما تُخْبِرُ أَنَّ هذا فعل وقع منك شيئاً بعد شيء على تطاؤل الزَّمَانِ»<sup>(61)</sup> ويوحى هذا الفعل إلى محبة الله لرسوله، واصطفاءه لحمل وحيه.

ومما جاء بمعنى التكثير قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء:12] فصّل على بناء فَعَل للتكثير قال ابن عاشور: «والتفصيل: التوضيح والبيان، وهو مشتق من الفصل بمعنى التفريق بين الشيء وغيره بما يميزه، فصار كناية مشهورة عن البيان لما فيه من فصل المعاني»<sup>(62)</sup> فالكلمة يلازمها ما من شأنه الإيضاح والبيان، والصيغة أبرزت من علم الله الواسع في الآفاق والأنفس وفي كل شيء لا يمكن أن يبرزه لفظ آخر، وعبرت بدلالة التكثير الذي ليس له حصر، فهو عام، وما كان لبشر أن يدعي هذا التفصيل!! فدلّت الصيغة على الربوبية.

**ج-بناء فاعل:** ويكون بناء فاعل للمشاركة، قال ابن فارس: «من اثنين نحو ضارب، ويكون فاعل بمعنى فَعَل نحو: قاتلهم الله، وسافر، ويكون بمعنى فَعَل نحو: ضاعف وضعف»<sup>(63)</sup> وعلى فاعل جاءت صيغة دافع في قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:38] وفاعل يجيء لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظاً والاشتراك فيهما معنى، وفي هذا إشكال فالله ليس له مدافع.

قال الشنقيطي مرجحاً معناها المجرد: «جاوزت المكان بمعنى جزته، وعاقبت اللص، وسافرت، وعافاك الله، ونحو ذلك، فإن فاعل في جميع ذلك بمعنى المجرد، وعليه فقوله: يدافع بمعنى: يدفع»<sup>(64)</sup> قال ابن الجزري: «قرأ ابن كثير والبصريان يدفع بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف، وقرأ الباقر بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء»<sup>(65)</sup> والقراءة تسند فاعل بمعنى فعل، والقراءتان مفعولهما محذوف، قال أبوحيان: «فلم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون أفحّم، وأعظم، وأعم»<sup>(66)</sup> وإن قدر مفعولاً: يدفع عنهم كل سوء.

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران:133] نظيرها قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد:21] حيث أتى: سارعوا

<sup>(61)</sup> -المنصف شرح كتاب التصريف، ابن جني:91/1

<sup>(62)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور:315/11

<sup>(63)</sup> -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:222

<sup>(64)</sup> -أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي:760/5

<sup>(65)</sup> -النشر في القراءات العشر، محمد ابن الجزري:326/2

<sup>(66)</sup> -البحر المحيط، أبوحيان:346/6

وسابقوا بمعنى واحد، وكلاهما على بناء فاعل «فالمسابقة مفاعلة، إذ الناس كل واحد منهم ليصل قبل غيره فبينهم في ذلك مفاعلة»<sup>(67)</sup> والصيغة تبين ما يتنافس الناس فيه.

**د- بناء استفعال:** قال ابن يعيش: «والغالب على هذا البناء الطلب والإصابة، وما عدا ذينك فإنه يحفظ حفظاً ولا يقاس عليه»<sup>(68)</sup> وعلى دلالة الطلب جاء الفعل السداسي استغفر في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:3] قال الفيروزآبادي غفر بمعنى: «غَطَّى عليه وعفا عنه، واستغفره إياه طلب منه غفره، والغفور والغفار من صفات الله تعالى»<sup>(69)</sup> وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»<sup>(70)</sup> يتأول القرآن طالبا للمغفرة من المولى جل جلاله.

**3- بناء الرباعي المجرد:** وفي قوله جل جلاله: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:185] جاء زحرج: بناؤه رباعي مجرد وأصله من الزح وهو البعد، قال الثعلبي: «زحزحته فزحرج: أي بعدته فتباعداً، يكون متعدياً ولازماً»<sup>(71)</sup> وصيغ زحرج الفعل الماضي هنا لغير الفاعل، حاملاً الدفع ببطء، قال محمد العثيمين: «النار محفوفة بالشهوات والشهوات تميل إليها النفوس، فلا يكاد الإنسان ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة؛ لأنه يقبل عليها بقوة»<sup>(72)</sup> ومن زحرج فقد فاز بالجنة.

ومعلوم أن من يزحرج عن النار بمشقة وشدة يصير إلى الجنة، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحصل له هذه المفازة قائلاً: «من أحب أن يزحرج عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه»<sup>(73)</sup> وصيغة الزحزحة تعبر عن عسير الأمر إلا أن تتدخل رحمة الله.

ومثله زلزل فهو رباعي مجرد، قال ابن القطاع: «الزلزلة الاضطراب»<sup>(74)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:11] كما حدث في غزوة الأحزاب، ومثله بعثر الرباعي المجرد، في قوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الإنفطار:4] على دلالة البعث.

<sup>(67)</sup> -البحر المحيظ، أبوحيان:61/3

<sup>(68)</sup> -شرح المفصل، ابن يعيش:161/7

<sup>(69)</sup> -القاموس المحيظ، الفيروزآبادي:102،101/1

<sup>(70)</sup> -صحيح، البخاري:195 رقمه:794، صحيح، مسلم:222/1، رقمه:484

<sup>(71)</sup> -الكشف والبيان، الثعلبي (تح) ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م:238/1

<sup>(72)</sup> -تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين:812/2

<sup>(73)</sup> -صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج:894/2 رقمه:1844

<sup>(74)</sup> -الأفعال، علي بن جعفر بن القطاع، مطبعة المعارف العثمانية، ط1:1360هـ:108/2



**3-بناء مزيد الرباعي: يجيء على افعَلَّ أو افعالَّ:** أشار ابن جني أن بعض الصيغ تجيء «من الأصلين المتداخلين الثلاثي والرباعي قولهم: زرم وازرأم، وخضل واخضأَلَّ»<sup>(75)</sup> ومن المحدثين من أشار أيضا إلى مرجعية الرباعي قال تمام حسان: «الفعل الرباعي ذو مادة ثلاثية، إما أن يستعمل منها فعل ثلاثي له نفس معنى الفعل الرباعي، وإما أن تستعمل منها صيغ أخرى تدور حول نفس المعنى»<sup>(76)</sup> وفي الأصل أن صيغ الرباعي قليلة.

ففي قوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [الحج:11] اطمَأَنَّ: مزيد الرباعي، قال ابن القطاع: «اطمَأَنَّ الرجل، سكن، واطبَأَنَّ كذلك»<sup>(77)</sup> وجاءت بدون همز قال الأزهري من: «طامن ظهره: إذا حناه، بغير همز... وطمَأَنَّ بالهمز التي لزمت اطمَأَنَّ»<sup>(78)</sup> وبناء اطمَأَنَّ على افعالَّ أو افعَلَّ باعتبار أن الهمزة أقحمت وليست أصلية، وقال الأزهري: «الهمزة التي تزداد لثلا يجتمع ساكنان، نحو اطمَأَنَّ: واشمَأَنَّ، وأزبَأَنَّ، وما شاكلها»<sup>(79)</sup> والآية نزلت في من لم يستقر الإيمان في قلبه فهو مشتت الحال بين ما يصيبه من خير وشر.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ لِّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:23] اقشعر رباعي قَشَعْر، قال ابن القطاع معناه: «تغير الجلد من فرع... ومن الحرب تغير وكذلك النبات إذا لم يجد رياء، والسنة من المحل والأرض كذلك»<sup>(80)</sup> وهي تحدث للنفس، قال الميداني: «فتضطرب وترجف وتأخذها رعدة مقرونة بمشاعر الخوف في النفس»<sup>(81)</sup> عند سماع القرآن.

ومثله في البناء اشمَأَنَّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر:45] قال الأزهري معنى اشمَأَزَّتْ: «نفرت، وكان المشركون إذا قيل: لا إله إلا الله وحده، نفروا من هذا»<sup>(82)</sup> وأعرضوا ولم يسمعوا لداعي الإيمان، خوفا من أن يستحوذ على قلوبهم فينفرون ويفرون كالحمر المستنفرة.

وصيغ الأفعال في مجملها استعملها القرآن الكريم كما كان متعودا عليه فيما بين العرب في كلامها، فهم يدركون تمام الإدراك ما لحجاجة هاته الصيغة دون غيرها، ولماذا جيئت مزيدة بدل أن تكون مجردة؟ ولم عدت ولم تضعف؟ إلى غير ذلك من الحالات التي ترافق اللفظة في اختيارها هنا دون هناك عوضا عما يرادفها.

(75) -الخصائص، ابن جني: 50/2

(76) -مناهج البحث اللغوي، تمام حسان، مكتبة الأنجلو، مصر، (دط) 1990م: 185

(77) -م، ن: 314/2

(78) -تهذيب اللغة، الأزهري: 377/13

(79) -م، ن: 682/15

(80) -الأفعال، علي بن جعفر بن القطاع: 684/2

(81) -معارج التفكير ودقائق التدبر، حبنكة الميداني: 205/12

(82) -تهذيب اللغة، الأزهري: 306/11

• اسم الفاعل:

اسم الفاعل كلمة مشتقة، وذات حدث طارئ تدل على من تعلق به الفعل قال ابن مالك: «فهو الصفة الدالة على فاعل، جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي»<sup>(1)</sup> مفيدا التجدد والحدوث عند أكثرهم<sup>(2)</sup> والثبوت عند بعضهم، قال الجرجاني: «إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، فإذا قلت: "زيد منطلق" فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن يجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل، وعمرو قصير" فكما لا يقصد هاهنا أن تجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: "زيد منطلق" لأكثر من إثباته لزيد»<sup>(3)</sup> فالثبوت غالب على الطروء.

ويصاغ من الثلاثي على وزن فاعل مطلقا «ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وكسر ما قبل الآخر»<sup>(4)</sup> وهذان الوزنان هما الأصل وما سواهما صفة مشبهة، بل قد يكون اللفظ اسم فاعل والمعنى صفة مشبهة كما سيأتي، ويتراوح اسم الفاعل بين الإعمال والإهمال، فيعمل لدلالته على الحال أو الاستقبال شرط سبويه إذا: «جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منونا»<sup>(5)</sup> ولا يعمل إذا دل على زمن الماضي، فإذا جاء مضافاً بالإضافة لدالتها الزمنية محتملة، فيحتمل الحال والاستقبال والماضي، لذلك قال النحاس: «إن اسم الفاعل إذا كان بغير تنوين صلح أن يكون للماضي والمستقبل والحال، وإذا كان منونا لم يجوز أن يكون للماضي»<sup>(6)</sup> والإعمال قطعي في الدلالة على الاستقبال فقط.

ونُسب إلى الكسائي وهشام وابن مضاء: أن اسم الفاعل بدلالة الماضي يعمل واستدل الكسائي بأمر منها الآية الكريمة: ﴿وَكَلْبُهُمْ بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف:18] فأعمل: «باسط في "الذراعين" وهو ماض»<sup>(7)</sup> وقال مخالفوه إنها ليست على الحال وإنما على حكاية الحال، قال الجرجاني: «تتصور ذلك الزمان موجوداً وتتحيل أنه وقتك الذي أنت فيه أو أنك في ذلك الوقت، ومحال أن تتحيله حالاً ثم توقع عليه أمس الذي هو صريح الماضي لأنه هدم ما تبنيه»<sup>(8)</sup> والقول بالحكاية لا يمنع من العمل سواء قرب الزمن أو بعد.

(1) - شرح التسهيل، ابن مالك (تح) عبد الرحمن السيد وبدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط1، 1410هـ/1990م: 70/3

(2) - ينظر: الخصائص، ابن جني: 103/3 أوضح المسالك، ابن هشام: 216/3 التعريفات، الجرجاني ابن علي: 31

(3) - دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) محمود شاكر: 133، 134 البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: 41/1

(4) - معجم الأوزان الصرفية، إميل بديع يعقوب عالم الكتب، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م: 40

(5) - الكتاب، سبويه: 164/1

(6) - إعراب القرآن، النحاس: 1/ 211

(7) - شرح ابن يعيش: 77/6، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام: 398

(8) - المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني (تح) بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (دط تا): 1/ 514.

ويعمل اسم الفاعل إذا اعتمد على استفهام أو نفي أو مخبر عنه، أو صاحب حال، أو منعت ملفوظ، وقد لا يعتمد ويعمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [فاطر: 28] ويقدر له محذوف قال الألوسي: «أي ومنهم بعض مختلف ألوانه أو بعضهم مختلف ألوانه»<sup>(9)</sup> أو بمعنى: صنف مختلف، والأجود في اسم الفاعل كما قال الزجاج: «التنوين إذا كان لما يستقبل أو للحال، كما يجوز حذف التنوين استخفافاً»<sup>(10)</sup>. وترد أوزان اسم الفاعل في القرآن الكريم على قسمين، الأول: من الفعل الثلاثي المجرد على وزن فاعل والرابعي المجرد، والثاني: من مزيدهما وهي أوزان كثيرة:

**1- اسم الفاعل من الثلاثي المجرد:** يأتي اسم الفاعل من المتعدي من ثلاثة أضرب: «فعل يفعل، فعل يفعل وفعل يفعل»<sup>(11)</sup> والأصل أن تكون العين في المضارع حركاتها مختلفة ومخالفة للماضي، ومن اللازم غير المتعدي يجيء من: فعل، غير أن اسم الفاعل في الأمثلة السالفة «يجيء مجيئاً مستمراً، إلا في فعل وفعل؛ فإن باب فعل فعل كفرح، وباب فعل فعل كظريف»<sup>(12)</sup> والملاحظ أن بناءه يتداخل مع الصفة المشبهة به.

**أ- ما كان من فعل مفتوح العين ماضياً ومضارعاً:** قال ابن عقيل اسم الفاعل «مقيس في كل فعل كان على وزن فَعَلَ بفتح العين متعدياً أو لازماً»<sup>(13)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: 9] جَامِعُ النَّاسِ أفاد الاستقبال والثبوت رغم إضافته، قال أبوحيان: «فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال، ويدل على أنه مستقبل قراءة أبي حاتم (جامع الناس) بالتنوين ونصب الناس، وقيل معنى الجمع هنا أنه يجمعهم في القبور، وكان اللام تكون بمعنى: إلى للغاية، أي: جامعهم في القبور إلى يوم القيامة»<sup>(14)</sup> ونظير الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140] فقريئة الاستقبال المتمثلة في القدرة على الجمع وحده، هي من معاني الألوهية، تخرجه من الحدث الطارئ وترشحه ليكون صفة مشبهة دائمة الثبوت.

**ب- ما كان من مفتوح العين ماضياً ومضمومها مضارعاً:** قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ [الكافرون 4] لا يقصد به عبادة الماضي في "ما عبدتم" فإن ذلك لا يستقيم لأن: «عابداً اسم فاعل قد عمل في ما عبدتم فلا يفسر بالماضي إنما يفسر بالحال أو الاستقبال»<sup>(15)</sup> فلا يستقيم إيمان امرئ إلا بإخلاص العبادة لله وحده، والرسول الله صلى الله عليه وسلم أول: الموحدين العابدين، قال الواحدي: «لما كان قوله: (لَا أَعْبُدُ) محتملاً أن

<sup>(9)</sup> -روح المعاني، الألوسي: 190/22، شرح الكافية الشافية، ابن مالك: 460/1

<sup>(10)</sup> -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 126/1

<sup>(11)</sup> -المقتصد في شرح التكملة، الجرجاني (تح) إبراهيم الدويش، جامعة الإمام، ط1، 1428هـ/2007م: 1061/2

<sup>(12)</sup> -م، ن: 1071/2

<sup>(13)</sup> -شرح ابن عقيل على الألفية، ابن عقيل (تح): محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980م: 134/3

<sup>(14)</sup> -البحر المحيط، أبوحيان: 404/2، من بديع لغة التنزيل، إبراهيم السامرائي: 37

<sup>(15)</sup> -البحر المحيط، أبوحيان: 523/8

يراد به الآن ويبقى المستأنف منتظراً ما يكون فيه من عبادته جاء البيان بقوله (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) أي أبداً وما حييت»<sup>(16)</sup> فلزمته هذه الصفة، فاللفظ لفظ اسم الفاعل، والمعنى معنى الصفة المشبهة.

ومثله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص:71] قال الألوسي المراد: «أني خالق فيما سيأتي، وفي التعبير بما ذكر ما ليس في التعبير بصيغة المضارعة من الدلالة على أنه تعالى فاعلُ البتة من غير صارف»<sup>(17)</sup> فتحريد اسم الفاعل عن الإضافة ومجيئه منوناً، ترشح للاستقبال، ودل على حتمية حصول فعل الخلق من الله، واسم الفاعل "خالق" انصرف إلى الصفة المشبهة الفعلية، لأنه من أفعال الربوبية.

وعند قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:35] جاء اسم الفاعل هنا بالإضافة، وفي قراءة أخرى بالتنوين<sup>(18)</sup> قال الفراء: «لونون في ذائقة ونصبت الموت كان صواباً، وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإذا كان معناه ماضياً، لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة»<sup>(19)</sup> ومعناه ماضياً أنه في حكم الله تم، وأفاد الماضي والحال والاستقبال شيوع القرينة الحسية؛ فالموت يدرك كل مخلوق، وقد جاء التعبير القرآني في سياق نكرة أفادت العموم، وليس لاسم الفاعل من معنى إلا معنى الصفة المشبهة.

وأما عدول اسم الفاعل المضاف إلى الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام:95] فقد قال ابن المنير: «قياس الآية أن تكون الصفات باسم الفاعل وعدل إلى المضارع في "يُخْرِجُ" إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع، وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن في أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي»<sup>(20)</sup> والعدم أسبق من الحياة، فنبه إلى الإخراج المتجدد باستمرار، على أنه فعل من أفعال الربوبية لا يستطيعه غيره.

**ج- ما كان من: فعل يفعل مفتوح العين ماضياً ومكسورها مضارعاً:** كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:4] قال عباس حسن اسم الفاعل "مالك" في هذه الآية: «دل على اتصاف الله تعالى بهذا الوصف على وجه الدوام والاستمرار فهو وصف ثابت، لا عارض ولا محدد بزمن من الأزمنة»<sup>(21)</sup> إذ ملك الله سبحانه غير مقتصر على زمن دون آخر فوصفه «بالمالكية دون الملكية وأيضاً إضافة المالك إلى الملك تدل على أن المالك أبلغ

(16) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 701/8

(17) - روح المعاني، الألوسي: 224/23

(18) - ينظر: معجم القراءات، أحمد مختار وعبد العال مكرم: 92/2، 134/4

(19) - معاني القرآن، الفراء: 202/2

(20) - حاشية الكشاف، ابن المنير: 375/2

(21) - النحو الوافي، عباس حسن دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (دتا): 38/ 3

من الملك لأن الملك بالضم قد جعل تحت حيلة الملكية، فكأنه أحد مملوكاته»<sup>(22)</sup> ولكن لا خلاف على أن الوصفين صفتان لله في القرآن يقتضيان الثبوت والدوام.

ولالألوسي نكتة بديعة ههنا؛ فبعد أن بين أن لا ثمة للخلاف بين ما عليه الحرفين في "مالك وملك" قال «إلا أني أقرأ كالكسائي "مالك" لأحظى بزيادة عشر حسنات ولأنّ فيه إشارة واضحة إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة، والطمع بالملك من حيث أنه مالك، فوق الطمع بالملك من حيث أنه ملك، فأقصى ما يرجي من الملك أن ينحو الإنسان منه رأساً برأس، ومن المالك يرجي ما هو فوق ذلك، فالقراءة به أرفق بالمذنبين مثلي، وأنسب بما قبله وإضافته إلى يوم الدين بهذا المعنى ليكسر حرارته، فإن سماع يوم الدين يقلقل أفئدة السامعين»<sup>(23)</sup> وأكرم بهذا الشعور والإحساس وأنعم به وهو أهم خصائص المتعرض لكتاب الله بالتفسير.

قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: 3] تدل الصفتان (غافر، وقابل) على ثبوت الحدث واستمراره، فالله سبحانه لا تنقطع مغفرته فهو غفور رحيم، ولا ينقطع قبوله للتوبة فهو التواب الرحيم، ومن ثم فإن اسم الفاعلين هنا أريد بهما الصفة المشبهة للمولى عز وجل.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12] وضائق: اسم فاعل من ضاق معتل الوسط الذي انقلب إلى همزة، واسم الفاعل من ضائق المعطوف على تارك كلاهما خبر عن لعلك، وكلاهما على بناء فاعل وحدث طارئ، وإنما عدل من الصفة المشبهة "ضيق" إلى اسم الفاعل قال ابن عاشور: «ضائق لمراعاة النظير مع قوله "تارك" لأنّ ذلك أحسن فصاحة، ولأنّ "ضائق" لا دلالة فيه على تمكّن وصف الضيق من صدره بخلاف ضيق، إذ هو صفة مشبهة وهي دالة على تمكّن الوصف من الموصوف، إيماء إلى أنّ أقصى ما يتوهم توقعه في جانبه صلى الله عليه وسلم هو: ضيق قليل يعرض له»<sup>(24)</sup> لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرًا، والضيق الذي كان يعتريه مستعمل في الأسف لعدم إيمان قومه.

**د- ما كان اسم الفاعل من فعل يفعل مكسور العين وفتحها مضارعاً:** منه قوله تعالى في صفة النار: ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً \* تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: 4، 5] والإيمان بالنار وعذابها، جزء من الإيمان باليوم الآخر، لا يتم الإيمان إلاّ بها وبما وصفت، ودلالة "حامية وآنية" هنا كلاهما وصف للنار وللعين جاء على بناء فاعل لفظاً وثبوتاً معنئياً، واستمرار هذا العذاب لا يفتر كما جاء، وهو هو نفسه قرينة الدوام والثبوت.

**ه- ما كان من فعل يفعل مضموم العين ماضياً ومضارعاً:** كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] ونظيره قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

(22) - روح المعاني، للألوسي: 83/1

(23) - م، ن: 83/1-84

(24) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 17، 16/12، الكشاف، الزمخشري: 92/2، الكليات، أبو البقاء الكفوي: 232

[الشعراء:3] فاسم الفاعل "باخع" من باخع نفسه «يخضعها بخعاً وبخوعاً، أي: قتلها غيظاً وغماً»<sup>(25)</sup> وفي قوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ، قال الفراء: «أي: مخرج نفسك قاتل نفسك»<sup>(26)</sup> وهذا الحزن من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأجل أنهم لم يقبلوا الحق الذي أتى به، فوجهه الله ترك هذا الحزن، وأعلمه أن عليه البلاغ.

**2- اسم الفاعل من مزيد الثلاثي:** والزيادة عن الأصل لا تحيء اعتباراً وإنما لغرض مقصود في الثلاثي و الرباعي المجردين، قال ابن يعيش مبينا معناها بأنها: «إلحاق الكلمة ما ليس منها، إما لإفادة معنى، وإما لضرب من التوسع في اللغة»<sup>(27)</sup> والعدول عن صيغة إلى صيغة أخرى فيها زيادة؛ يقوم على أسرار الاختيار، قال ابن الأثير: «فلا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها وفتش عن دفتئها، ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً»<sup>(28)</sup> فكيف بكلام الله عز وجل؟! حيث للحرف وللحركة وللصوت حساب وميزان.

**أ-إفادة معنى التعدية:** اسم الفاعل مُفْعِل: من أفعل يفعل، تأتي بعض صيغ اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بحرف في القرآن الكريم لإفادة التعدية؛ أي لجعل الفعل اللازم متعدياً لمفعول، والمتعدي إلى مفعولين، إذا كان حرف أوله همزة ويكون اسم الفاعل في «هذا الباب للتعدية في الغالب»<sup>(29)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47] من أوسع يوسع «ومعنى موسعون: قادرون من الوسع، وهو الطاقة، والموسع: القوي على الإنفاق»<sup>(30)</sup> وأوسع الرجل صار ذا سعة وغنى، ومن أسمائه سبحانه الواسع، قال المراغي: «وفي ذلك تعريض باليهود الذين قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع مستلقياً على عرشه»<sup>(31)</sup> فقاوسوا ما يعترتهم من نقص على العزيز القدير.

وفي آيات القدرة التي تأتي من معاني الربوبية في مقام الحجاج والإقناع كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة:72] فاسم الفاعل المنشئون من أفعل وصيغ في الاستفهام، والمراد به التقرير، فكما أنشأ الشجر ينشئ الحياة بعد الموت قال القرطبي المنشئون: «المخترعون الخالقون، أي: فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني، ولا تنكروا قدرتي على البعث»<sup>(32)</sup> فاسم الفاعل صفة لازمة للخالق على وجه الثبوت.

(25) - مختار الصحاح، أبوبكر الرازي، (تح) مصطفى ديب البغا دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990م:36

(26) - معاني القرآن، الفراء:2/134

(27) - شرح المفصل، ابن يعيش:7/154

(28) - المثل السائر، ابن الأثير:2/12

(29) - الممتع في التصريف، المازني، ابن عصفور (تح) فخر الدين قباوة، مكتبة ناشرون بيروت، ط1، 1996م:1/186

(30) - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش:27/299

(31) - تفسير المراغي، مصطفى المراغي:27/9

(32) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:20/215



ومن علم الله الشامل الخفي والجلي؛ إخراج المكتوم من الصدور كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72] مُخْرِجٌ من أفعال ومصدره الإخراج، قال الفيروزآبادي: «والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان، ويقال في التكوين الذي هو من فعل الله»<sup>(33)</sup> والإخراج من أفعاله سبحانه «للأشياء من العدم إلى الوجود»<sup>(34)</sup> قال أبو حيان: «أتى باسم الفاعل لأنه يدل على الثبوت، ولم يأت بالفعل الذي هو دال على التجدد والتكرار، إذ لا تجدد فيه؛ لأنها قصة واحدة معروفة»<sup>(35)</sup> ومعناه في القصة ماضي، وعمل على حكاية الحال.

وعند قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18] اسم الفاعل: "مُؤْمِنًا" وصيغ من الفعل الرباعي (أمن- يؤمن) وجاء معتمدا على الاستفهام وعلى الفعل الناسخ (كان) واتصف بدلالة الثبوت، وأصل الإيمان التصديق والثقة، فالمؤمن صادق وثابت في إيمانه، ومن أسمائه جل ثناؤه: المؤمن، قال الزجاج: «ويقال: إنما سمي الله نفسه مؤمنا لأنه شهد بوحدهائه: فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18] كما شهدنا نحن»<sup>(36)</sup> ولا بد أن تكون في الإنسان صفة الإيمان ثابتة ليتحدد بها مؤمناً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ﴾ [إبراهيم: 48] مخلف: اسم فاعل من أحلف الرباعي، وزنه مفعل بضم الميم وكسر العين، قال ابن عطية: «لا تحسب يا محمد أنت ومن اعتبر بالأمر من أمتك وغيرهم أن الله لا يُنجز وعده في نصر رسله وإظهارهم، ومعاقبة من كفر بهم في الدنيا والآخرة، فإن الله عزيز لا يمتنع منه شيء، ذو انتقام من الكفرة، ولا سبيل إلى عفوهم»<sup>(37)</sup> وجاء تركيب اسم الفاعل مضافاً قال سيبويه: «واعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين والنون ولا يتغير من المعنى شيء»<sup>(38)</sup> والله عز وجل لا يخلف وعده وهو صفة على وجه الثبوت، وقد خرج بها اسم الفاعل من صيغته إلى صيغة الصفة المشبهة.

**ب- إفادة معنى التكثير:** ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 16] خرج اسم الفاعل إلى النسبة وإلى التكثير "فعال" قال أبو حيان: «أتى بصيغة المبالغة لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة، والمعنى أن كل ما تعلق به إرادته فعله لا معترض عليه»<sup>(39)</sup> فالمشيئة الربانية غير محددة ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَةٌ حَمَّالَةٌ حَاطَبٍ﴾ [المسد: 4] عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل للمبالغة وحملها الحطب في جهنم وإلقائه على زوجها.

<sup>(33)</sup> - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: 531/2

<sup>(34)</sup> - الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي (تح) حسن جبل، دار الصحابة، للتراث طنطا ط1، 1995م: 348/1

<sup>(35)</sup> - البحر المحيط، أبو حيان: 424/1

<sup>(36)</sup> - تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج: 31

<sup>(37)</sup> - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 264/5

<sup>(38)</sup> - الكتاب، سيبويه: 164/1

<sup>(39)</sup> - البحر المحيط، أبو حيان: 445/8

وورد اسم الفاعل بصيغة المبالغة كثير في القرآن، منه قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:16] جاء القهار في خمسة مواضع غير هذه<sup>(40)</sup> وفي جميعها مقرونة باسمه تعالى الواحد «والقهار صيغة مبالغة، وصيغة نسبة؛ أي: إنه ذو القهر الدائم المتكرر، فكم من ذي جبروت قهره الله عز وجل، ما أكثر الرجال والأمم ذوات الجبروت التي قهرها الله عز وجل»<sup>(41)</sup> ومن أعظم دلائل قهره كما قال الزجاج: «قهر المعاندين بما أقام من الآيات، والدلالات على وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت»<sup>(42)</sup> وهي أعظم الدلالات المحسوسة والمشهودة، أفادها اسم الفاعل بصيغة المبالغة.

ويأتي التكثير من اسم الفاعل مُفْعَلٍ: من فَعَلَ يَفْعَلُ حيث تأتي بعض الصيغ الصرفية من غير الثلاثي للدلالة على التكثير، من اللازم والمتعدي، منها صيغة مُفْعَلٍ التي تجيء «لتكثير العمل»<sup>(43)</sup> وتأتي للدلالة على التعدية أيضاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران:137] فاسم الفاعل المكذبين صيغ من كَذَّبَ المضاعف على بناء مَفْعَلٍ، وجاء على ثبوت صفة التكذيب لهم حتى إهلاكهم.

ومن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:27] اسما الفاعل: محلقين ومقصرين من مزيد الثلاثي المضاعف حلق وقصر هو وصف للحال الدالة على الفتح واستعمال كل منهما «مجرداً عن الإضافة ومحيطه منوناً في هذه الآية وعد بالنصر والظهور وفي هذا التعبير من الدلالة ما لا يحمله الفعل لو استعمل»<sup>(44)</sup> وكان الفتح التام في الثامنة للهجرة، وقبل الفتح بنهاية العام السابع كانت عمرة القضاء<sup>(45)</sup> حيث أقام المسلمون بمكة ثلاثة أيام؛ وهو فتح، لقد جاء اسم الفاعل مؤكداً ثبوت الدخول وثبوت النصر، وثبوت القيام بشعائر العمرة يحدوهم الأمان، وصدق الله العظيم.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:1] المزمل والمدثر وردا بصيغة اسم فاعل: مفعّل وأصل المزمل: «المتزمل أدغمت التاء في الزاي، وكذلك المدثر أدغمت التاء في الثاء»<sup>(46)</sup> وهما وصفان للرسول صلى الله عليه وسلم انتقلا إلى العلمية، قال الفراء: «اجتمع القراء على تشديد المزمل والمدثر، والمزمل: الذي تزمل بثيابه، وتهياً للصلاة، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(47)</sup> وانتقال الوصف إلى العلمية زيادة في الثبوت.

(40) - ينظر: [يوسف:39، الرعد:16، إبراهيم:48، ص:65، الزمر:4]

(41) - تفسير القرآن الكريم سورة الزمر، محمد العثيمين:42

(42) - تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج:38

(43) - المقتصد في شرح التكملة، الجرجاني:2/1075

(44) - الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1431هـ/2010م:179

(45) - ينظر: الروض الأنف، السهيلي (تح) عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، ط1، 1387هـ/1967م:7/7

(46) - بحر العلوم، السمرقندي (تح) علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م:3/415

(47) - معاني القرآن، الفراء:3/196



**ج-إفادة معنى المشاركة يكون من بناء مُفَاعِلٍ:** من فَاعِلٍ يُفَاعِلُ، قال الجرجاني مفاعل: «دالا على أنه كان مني إلى صاحبي مثل الذي كان منه إلي... وقد يجيء فاعلت لا يراد به فعل من اثنين، وذلك نحو: سافرت وعافاه الله وطارقت النعل»<sup>(48)</sup> ومما جاء بمعنى المشاركة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج:51] مُعَاجِزِينَ اسم فاعل على بناء مفاعل بزيادة حرف قال ابن عطية: «مغالبين، كأنهم طلبوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي تعجيزهم، فصارت مفاعلة، وعبرَ بعض الناس في تفسير ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بظائرين أنهم يغلبون الله تعالى... وقرأت فرقة: [مُعَجِّزِينَ] بغير ألف وبشد الجيم، ومعناه: معجِّزين الناس عن الإيمان، أي جاعلوهم بالتشبيط عجزة عن الإيمان، وقال أبو علي: مُعَجِّزِينَ معناه: ناسبين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى العجز، كما تقول: فَسَقْتُ فلاناً وَزَيَّنْتُهُ، أي نسبته إلى ذلك»<sup>(49)</sup> وأثبت التاريخ والسيرة النبوية تكالب الأعداء واجتماعهم، كما عبر بصيغة اسم الفاعل مشتركين في الكيد لهذا الدين والتشهير بأتباعه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:140] المنافقون من نافق ينافق على بناء مفاعل لإفادة المشاركة «والنفاق بالكسر هو فعل المنافق»<sup>(50)</sup> ومن أفعالهم التي ذكرها ابن القيم وكيدهم للإسلام أنهم «يخرجون عداوته في كل قلب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد، فله كم من معقل من الإسلام قد هدموه!! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه!! وكم من علم له قد طمسوه!! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه!! وكم ضربوا بمعاول الشُّبه في أصول غراسه ليقلعوها!! وكم عموا عيون موارد بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها!!»<sup>(51)</sup> وهو وصف ثابت لا يزول إلا تصحيح الاعتقاد.

ويكون أيضا من بناء مُتَفَاعِلٍ، فيجيء من المزيد بحرف: تَفَاعَلٌ يَتَفَاعَلُ، ويأتي من الصحيح والمعتل، وهذه الصيغة تجيء للدلالة على أمرين، الأول: تدل على المطاوعة والثاني: تدل على المشاركة بين اثنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9] الْمُتَعَالِ اسم فاعل، من يتعالى معتل الآخر الناقص، فينتطبق عليه ما ينطبق على الاسم المنقوص؛ تحذف ياؤه الأخيرة في حالتي الرفع والجر، وتثبت في حالة النصب، وجاء في قراءة أخرى بالياء<sup>(52)</sup> والعلو من صفات الله وأسمائه الحسنى، قال الزجاج: «المتعال هو المتفاعل من العلو، والله تعالى عال ومتعال وعلي»<sup>(53)</sup> فهو وصف أريد به العلمية والثبات في حق الله تعالى.

(48) -المقتصد في شرح التكملة، الجرجاني:2/1076

(49) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية:6/261

(50) -الصحيح تاج اللغة (نفق) الجوهري (تح) عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م:4/1560

(51) -الضوء المنير على التفسير، علي الحمد مؤسسة النور بالتعاون مع دار السلام، (دط تا):1/154

(52) -معجم القراءات، أحمد مختار:3/211

(53) -تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج:61

ومثله قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ [الزمر: 29] وأوحى اسم الفاعل مُتَشَاكِسُونَ معنى التشارك، قال الشوكاني: «التشاكس التخالف... ورجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق، وهذا مثل من أشرك بالله وعبد آلهة كثيرة»<sup>(54)</sup> فإن الآلهة تتوزعه، وتشارك فيه، وهذه الصفة تلازمه وتثبت له ما دام مشركاً، فاسم الفاعل هنا يحمل دلالة الثبوت.

ومن شأن اليوم الآخر قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصفات: 44] متقابلين اسم فاعل على بناء متفاعل، ومعناه: «لا ينظر بعضهم في قفا بعض»<sup>(55)</sup> مع كثرة عددهم، وهو وصف ثابت لأهل الجنة مشتركين فيه في قعدتهم على الأسرة وفي النعيم الذي ينعمون به، أوحى به اسم الفاعل على وجه الثبوت.

**د- اسم الفاعل مُفْتَعِلٍ: من افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ:** كما في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُنْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55] واسم الفاعل المقتدر جاء مرتين في سورة القمر وقبل هذه الآية: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُنْتَدِرٍ﴾ [القمر: 42] من بناء افْتَعَلَ، وهو اسم من أسماء عز وجل، قال الزجاج: «والمقتدر مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية: أن زيادة اللفظ، زيادة المعنى، فلما قلت اقتدر أفاد زيادة اللفظ زيادة المعنى»<sup>(56)</sup> واقتداره وصف ثابت لازم له.

ومن هذا البناء قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] المتقين: اسم فاعل مفردة المتقى وفعله اتقى الحماسي وجاء ميزانه هنا على (مفتعين، وفي (المتقين) إبدال كما في فعله فالفعل "اتقى" الذي مجردة "وقى" قلبت فيه فاء الكلمة -وهي الواو- إلى فاء لحيئها قبل تاء الافتعال، وهذا مطرد في كل من الواو والياء إذا جاءت قبل تاء الافتعال، حيث تقلبان تاء في الأفعال ومشتقاتها، وما جرى من إبدال في الفعل جرى في اسم الفاعل المتقين)<sup>(57)</sup> وأفاد اسم الفاعل الثبوت لتمسكهم بالكتاب.

**ه- إفادة معنى المطاوعة: اسم الفاعل مُنْفَعِلٍ:** من انْفَعَلَ يَنْفَعِلُ جاء منه قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: 18] منْفَطِر: اسم فاعل من الحماسي انفطر، وزنه منْفَعِلُ بضم الميم وكسر العين، وهو وصف ليوم القيامة بالشدّة، قال الزجاج: «وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ "منْفَطِرٌ ومنْفَطِرٌ"، والمعنى ذات انفطار»<sup>(58)</sup> وجاء اللفظ مذكراً، ولم يأت "منْفَطِرَةٌ" مؤنثاً «لأن

<sup>(54)</sup> -فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية، الشوكاني (تح) عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، (دط تا): 606/4

<sup>(55)</sup> -إعراب القرآن للنحاس: 420/3، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 229/16

<sup>(56)</sup> -تفسير أسماء الله الحسنى: الزجاج: 59

<sup>(57)</sup> -ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي مؤسسة الإيمان، ط3، 1416هـ/1995م: 34/1

<sup>(58)</sup> -الكشاف، الزجاج: 247/6

الصيغة هي صيغة نسب أي ذات انفطار مثل امرأة مرضع، وقد تكون الصيغة مما يستوي معها المذكر والمؤنث، أو لأنّ السماء اسم جنس<sup>(59)</sup> وهو وصف يلازم السماء على وجه الثبوت في ذلك اليوم الموعود.

**و-إفادة العيوب والألوان:** ويأتي اسم الفاعل مُفعلّ: من افعلّ يفعلّ، مفعّل للدلالة على العيوب والألوان غالباً، وفي القرآن الكريم جاءت دلالة هذه الصيغ على الألوان فقط، وذكرت في ثلاثة مواضع من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:60] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج:63] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزمر:21] وهو مما نعهده على وجه اللزوم والثبوت من سنن الله التي لا تبدل.

**ز-إفادة معنى الطلب والسؤال:** ويأتي اسم الفاعل مُستفعل: من استفعل يستفعل للدلالة على الطلب والسؤال كاسم الفاعل: المستغفرين، في قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:17] والمستغفرون: «هم السائلون لمغفرة الله، والمغفرة: هي ستر الذنب والتجاوز عنه»<sup>(60)</sup> فجاءت صيغة اسم الفاعل مبرزة طلبهم وقت الأسحار، بأن يغفر الله تعالى لهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَّرُ إِلَّا نُنظَّرُ وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾ [الجاثية:32] جاء اسم الفاعل مُستَقِينَ في سياق النفي تأكيداً للظن؛ وهو القرار الذي خرجوا به في أمر الساعة قال البيضاوي: «قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آباءهم وما تليت عليهم من الآيات في أمر الساعة»<sup>(61)</sup> فهم طلبوا الساعة وسألوا عنها، وآثروا التقليد والإنكار والاختفاء وراء عدم الإيقان.

**ح-إفادة معنى التكلف:** اسم الفاعل متفعل: من تفعل يتفعل، قال الشوكاني: «تأتي صيغة متفعل لاسم الفاعل للدلالة على معنى التكلف في الغالب»<sup>(62)</sup> من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر:27] واسم الفاعل المتكبر من تكبر ومعناه: التجبر<sup>(63)</sup> والمتكبر من أسمائه جل وعلا، قال الرازي: «واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم، لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حق الخلق، لأنه ليس له كبر ولا علو، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذباً، فكان ذلك مذموماً في حقه، أما سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء»<sup>(64)</sup> فالمتكبر مظهر التكلف، وأحب فرعون التعالي في أخذ مبادئ العقيدة على يد موسى عليه السلام، وآثر الضلال على الحق فطغى.

(59) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 141/29

(60) -تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 115/1

(61) -أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي (تح) سالم مكرم، المكتبة الأزهرية، مصر، ط8، 1417هـ/1997م: 3/272

(62) -فتح القدير، الشوكاني: 458/4

(63) -ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 123/2

(64) -مفاتيح الغيب، الرازي: 295/29

**2-الرباعي المجرد:** وهو ما كان على وزن "فعلل" ويكون اسم الفاعل منه "مفعّل" كقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [البقرة:96] وهو من الرباعي، قال السرقسطي سعيد: «زحزح: وزحزحته عن الشيء: أبعده منه، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:185] أي بوعده منها»<sup>(65)</sup> فتلزمه الصفة لمن يزحزح عن النار وهو الفائز.

ومثله ما ورد في صفات المنافقين قوله تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ﴾ [النساء:143] وأصل الذبذبة: «ذبذب الشيء ذبذبة: إذا اضطرب وتردد في الهواء معلقا»<sup>(66)</sup> فلزمته الصفة لتكررها.

**أ-مزيد الرباعي:** من مزيد الرباعي: اسم الفاعل مفعّل: وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:27] من افعللّ يفعللّ مزيد الرباعي للدلالة على إفادة معنى المبالغة، قال محمد العثيمين: «وكل مشتق بمعنى اسم الفاعل إذا عدل به عنه، فهو يدل على أحد أمرين إما المبالغة وإما الصفة المشبهة»<sup>(67)</sup>.

وخلاصة القول: أن أمور العقيدة التي وصفت باسم الفاعل لا يجب حملها دائما على التجدد والحدوث كما هو الظاهر من تعريفات النحويين!! وإنما اسم الفاعل في القرآن الكريم جاء للدلالة على الثبوت أكثر من كونه طارئا، فإن التعريفات شيء وتطبيقاتها شيء آخر، خصوصا إذا تعلق الأمر بالاستعمال القرآني لها في العقيدة.

<sup>(65)</sup> -الأفعال، سعيد السرقسطي (تح) محمد شرف، مهدي علام، المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1980م:3/486

<sup>(66)</sup> -م، ن:3/609

<sup>(67)</sup> -تفسير القرآن الكريم سورة النور، محمد العثيمين:242

• **المفعول المطلق:**

يتميز المفعول المطلق بميزات لا توجد في غيره من المفاعيل منها: أنه مطلق من المقيدات التي خص بها كل مفعول كالظرفية للمفعول فيه، والمصاحبة للمفعول معه، وتقييد المفعول به بالباء، والمفعول له الذي لأجله فعل الفعل، أمّا هو: «سمي مفعولاً على الإطلاق»<sup>(1)</sup> لصدق المفعول عليه غير مقيد بحق، لأن صيغة الفعل تدل عليه وتؤكد، سواء كان الفعل متعدياً أو لازماً، وينعت بالمفعول المبهم، قال الجرجاني: «لأنه يفيد الشيعاء ولا تريد نوعاً دون نوع»<sup>(2)</sup> فهو بخلاف المصادر التي تحدد أزمنة أو تخصص أحداثاً، قال إميل يعقوب: «هو يساوي معنى فعله من غير زيادة ولا نقصان، وإنما يذكر لمجرد التأكيد نحو "وقفت وقوفاً" أو بدلاً من التلغظ بفعله، نحو: "سمعا وطاعة" أي: أسمع وأطيع... لأن المؤكد بمنزلة تكرير الفعل، والبدل من فعله بمنزلة الفعل نفسه»<sup>(3)</sup>.

والنحويون أجمعوا على أن المصدر إنما يكون معنى، ويقابل الذات، قال ابن مالك: «هو الحدث الجاري على الفعل»<sup>(4)</sup> لكن المفعول المطلق يأتي أيضاً اسم مصدر وهو «ما ساوى المصدر في الدلالة على الحدث، ولم يساوه في اشتماله على جميع أحرف فعله، بل حلت هيئته من بعض أحرف فعله لفظاً وتقديراً من غير عوض، نحو توضعاً وضوءاً وتكلم كلاماً فالوضوء مصدر وضوء لا توضعاً، ومصدر تكلم هو التكلم، أو التكليم لا الكلام»<sup>(5)</sup> لأنها لا تطابق حروف فعلها، فقد نقص من الوضوء والكلام: تاء التفعّل وأحد حرفي التضعيف، مما يغير في الدلالة.

**1- المفعول المطلق المصدر المطابق للفظ فعله:** وهو المصدر اللفظي الموافق لعامله في اللفظ، والذي يساوي معنى فعله وحروفه، والغرض منه التأكيد «لأن المؤكد بمنزلة تكرير الفعل، والبدل من فعله بمنزلة الفعل نفسه»<sup>(6)</sup> وقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ [الواقعة: 55] شُرْبَ مفعول مطلق، وجاء عن «الخليل وسيبويه أن شرباً بفتح الشين مصدر، وشرباً بضمها اسم للمصدر يستعمل ههنا أكثر»<sup>(7)</sup> قال الفراء الهيم: «الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء، واحدها: هيم، والأنثى: هيماء، ومن العرب من يقول: هائم، والأنثى هائمة، ثم يجمعونه على هيم»<sup>(8)</sup> وهذا مثل لما يجده الكافر من حر النار، فلا يُشفي غليله الماء الذي يشربه، وأي ماء!! وفي قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15] فحيء لهم بالمثل مما تعاهدونه في بيئتهم.

(1) -المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني: 580/1

(2) -م، ن: 582/1

(3) -موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب: 488/8

(4) -أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري: 2078/2

(5) -م، س: 34/9

(6) -م، ن: 488/8

(7) -إعراب القرآن، النحاس: 338/4

(8) -معاني القرآن، الفراء: 128/3

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مریم:75] مدًا: مفعول مطلق جاء مصدرا مطابقا لفعله، وجاءت الآية بأسلوب الأمر الذي يؤكد معنى الخبر، قال الزجاج: «وتأويله أن الله عز وجل جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها ويمده فيها»<sup>(9)</sup> ومعنى مدًا أي: «فليمهله الله إمهالا»<sup>(10)</sup> إلى أمد مقدر له.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:36] قال الطبري الضلال المبين: «الجهالة الجهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقا، ولا يبطلون باطلا»<sup>(11)</sup> وأصل الضلال عن الشيء: «الذهاب عنه والحيد، ثم يستعمل في الشيء الهالك والشيء الذي لا يؤبه له»<sup>(12)</sup> وهو عدول عن المنهج "الطريق المستقيم" عمدا أو سهوا قليلا أو كثيرا ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء لما كان منهم سهوا أو كانوا بعيدين عن الأمر فهداهم الله إلى الطريق المستقيم منه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى:7].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ [مریم:83] قال الزمخشري: «الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها: التهيج وشدة الإزعاج»<sup>(13)</sup> والأز في الأصل: «الحركة مع صوت متصل؛ من أزيز القدر: غليانها»<sup>(14)</sup> قال ابن القيم المعنى: «تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا كلما فتروا أو ونؤا أزعجتهم الشياطين، وأزتهم وأثارتهم، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب»<sup>(15)</sup> وأزا مفعول مطلق مصدر من فعله.

ومن أهوال يوم القيامة، قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] قال المراغي: «أي: إذا اضطربت الأرض وتحركت حركة شديدة»<sup>(16)</sup> إيماء إلى شدة الحال يومئذ «وزلزلها منصوب على المصدر وهو مكسور الأول ولو فتح لكان اسما وقيل هو بالفتح أيضا مصدر»<sup>(17)</sup> فالزلال بالكسر كالوسواس مصدر، وبالفتح اسم كالوسواس الذي هو الشيطان، وهو من إضافة المصدر إلى صاحبه.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيَالًا﴾ [المزمل:16] أخذًا: «مصدر سماعي لفعل أخذ الثلاثي... وثمة مصدر سماعي آخر هو تأخاذ وزنه تفعال بفتح التاء»<sup>(18)</sup> والأخذ دائما يصحب الذنب، ويكون محققا فلا إفلات.

(9) - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 343/3

(10) - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، صالح بمحت دار الفكر، عمان، (دط تا): 59/7

(11) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاکر: 369/7

(12) - دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، عبد الرحمن عميرة: 418/1

(13) - الكشف، الزمخشري: 54/4

(14) - فتح الرحمن في تفسير القرآن، المقدسي (تح) نور الدين طالب، دار النوادر، لبنان، ط2، 1432هـ/2011م: 273/2

(15) - بدائع الفوائد، ابن القيم: 796/3

(16) - تفسير المراغي، المراغي: 218/30، تفسير القرآن، السمعي: 267/6

(17) - البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري: 527/2

(18) - الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 351/12

**2- المفعول المطلق المصدر وليس مطابقاً للفظ الفعل:** فلا يجيء اسم المصدر مطابقاً لحروف فعله، وإنما تقع زيادة حروف في مناه والزيادة في المبنى زيادة في المعنى مما يعني إخراج المصادر على غير ألفاظ الأفعال التي تقدمتها، وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164] فأكد الكلام بالمصدر تكليماً، وهو مصدر مؤكد للفعل السابق، قال النحاس وغيره: «وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً... لما قال: تكليماً وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل»<sup>(19)</sup> وقال ابن الجوزي: «تأكيد كالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة»<sup>(20)</sup> وكلما جاء المصدر تأكيداً لمعناه كان حقيقة، خلافاً للفرق التي خرجت بالمعنى الحقيقي عن الأسلوب العربي الصحيح، وعن القاعدة النحوية.

قال عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (213-276هـ) مؤكداً أن: «أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار، فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة، وقالت الشجرة فمالت، ولا تقول: قالت الشجرة فمالت قولاً شديداً، والله تعالى يقول: ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164] فوكد بالمصدر معنى الكلام ونفى عنه المجاز، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:40] فوكد القول بالتكرار، ووكد المعنى بإنما»<sup>(21)</sup> فيجاء بالمصدر دلالة على الحقيقة.

قال ابن القيم: «رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه لكليمه بالمصدر المؤكد، الذي لا يشك عربي القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة، كما تقول العرب: مات موتاً، ونزل نزولاً. ونظيره التأكيد بالنفس والعين، وكل، وأجمع، والتأكيد بقوله: حقاً ونظائره»<sup>(22)</sup> فخرج بالتأكيد بالمصدر جميع ما توهمه أصحاب المجازات المختلفة «والمصدر دال على الحدث وفاعله، فإذا قلت: تكليم وتسلم وتعليم، ونحو ذلك دل على الحدث ومن قام به فيدل التسليم على السلام والمسلم... بمنزلة تكرار الفعل، فكأنك قلت سلم سلم، وتكلم تكلم، والفعل لا يخلو من فاعله أبداً»<sup>(23)</sup> وكل هذه القواعد العربية لتأكيد قضايا عقيدية قفزت عليها الفرق.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:32] ترتيباً: تأكيد الفعل بمصدره، قال الكفوي: «وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، وفائدته دفع توهم المجاز»<sup>(24)</sup> ومعنى رتلناه: «قرأناه عليك بلسان جبريل عليه

(19) - إعراب القرآن، النحاس: 507/1، معالم التنزيل، البغوي: 500/1 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 225/7

(20) - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ط3، 1404هـ/1984م: 256/2

(21) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 82

(22) - الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة، ابن القيم: 389/1

(23) - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 607/2

(24) - الكليات، أبو البقاء الكفوي: 270

السلام شيئاً فشيئاً في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل وهو مأخوذ من قولهم: ثغر مرتل أي مفلج الأسنان غير متلاصقها»<sup>(25)</sup> وفيه تأكيد للقراءة بالتنزيل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:17] نبات: على بناء فَعَالٍ، مفعول مطلق نائب عن المصدر القياسي إنبات، فهو اسم مصدر من نبت، قال الزمخشري: «استعير الإنبات للإنشاء... والمعنى أنبتكم فنبتم نباتاً، أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتتم»<sup>(26)</sup> وقد وقف ابن المنير أمام هذا التنوع بين المصدر واسم المصدر، ميزا الدلالات العميقة، فقال: «هذه من بديع القرآن، لا ترى العدول من لفظ إلى آخر إلا للمعنى، والنحوي يقول: أُجْرِي المصدر على غير فعله، وصاحب المعاني يقول: له فائدة في التحقيق وراء هذا، وهو التنبيه على تحتم القدرة وسرعة نفاذ حكمها، حتى كان إنبات الله تعالى نفس النبات، فقرن أحدهما بالآخر»<sup>(27)</sup>.

ومثله قوله تعالى: ﴿بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56] تَسْلِيمًا مفعول مطلق وجاء مصدراً، قال محمد العثيمين: «أنك تسأل الله سبحانه وتعالى أن يسلمه من الآفات؛ الآفات الحسية والمعنوية، فالسلامة الحسية سلامة البدن والعرض والمال، والسلامة المعنوية سلامة الدين من الآفات»<sup>(28)</sup> وجاء التأكيد على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، في حيز الإخبار عن الله والملائكة بصيغة الجمع المضاف إليه، وهو مشعر بالعموم والاستغراق، قال ابن القيم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم: «حَسَنٌ تَأْكِيدُهُ بِالْمَصْدَرِ، لِيَدُلَّ عَلَى تَحْقِيقِ الْمَعْنَى وَتَثْبِيثِهِ، وَيَقُومُ تَأْكِيدُ الْفِعْلِ مَقَامَ تَكَرُّرِهِ، كَمَا حَصَلَ التَّكَرُّرُ فِي الصَّلَاةِ خَيْرًا وَطَلِبًا، فَكَذَلِكَ حَصَلَ التَّكَرُّرُ فِي السَّلَامِ فِعْلًا وَمَصْدَرًا»<sup>(29)</sup> وإن وقع في حيز الأمر المجرد دون الخبر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ [يونس:11] جاء استعجالهم على غير قياس الفعل المذكور، وهو منصوب بوقوع الفعل عليه، ويجسن دخول الكاف عليه؛ لأنه واقع موقع التشبيه، فبناء استعجال على إفعال يحمل السرعة في الإجابة، وأصل مصدره أن يجيء على بناء التفعيل الذي يحمل التؤدة، قال الزمخشري والمعنى: «وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ»: تعجيله لهم الخير، فوضع "اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ" موضع تعجيله لهم الخير؛ إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم... يعني: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه "لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ": لأميتوا وأهلكوا»<sup>(30)</sup> وهو من رحمة الله.

(25) -روح المعاني، الألوسي:15/19

(26) -الكشاف، الزمخشري:217/6

(27) -نقلا عن فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي:37/16 قال محققه: لم اهتد إليه. وفي الانتصاف لا يوجد.

(28) -تفسير القرآن الكريم سورة الأحزاب، محمد العثيمين:466

(29) -بدائع الفوائد، ابن القيم:684/2

(30) -الكشاف، الزمخشري:118/3



ومنها قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقُبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: 37] قبول مجرور لفظا منصوب محلا مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه يلتقي معه في الاشتقاق، قال الكرمانى: «الباء زائدة وقيل للسبب ووضع قبول موضع يقبل، ومن المصادر التي جاءت على فعول القبول والولوع والظهور والوضوء حكاها سيويه»<sup>(31)</sup> وجاء بلفظ «اسم المصدر، ويصح فتح القاف وضمها أو هو مصدر قبل الثلاثي وزنه فعول بفتح الفاء»<sup>(32)</sup> والمعنى: رضيها، قال الواحدى: «سلك بها طريق السعداء»<sup>(33)</sup> وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وصيغة "تفعيل" في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: 23] تحمل معنى التباطؤ والتأني وعدم الإسراع في الأمر، والقرآن استغرق إنزاله ثلاثة وعشرون عاما، فأوتي بالمصدر لتأكيد أن القرآن نزل منجما، قال ابن عاشور معنى الآية: «ما أنزله منجما إلا أنا واقتضت حكمتي أن أنزله عليك منجما»<sup>(34)</sup> وفيه تعريض بالمشركين الذين رأوا في تنزله مفرقا شبهة في أنه ليس من عند الله، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: 32] فجيء بالمفعول المطلق المصدر من غير فعله تأكيدا وتشبيها.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8] التبتيل مصدر، قال ابن يعيش: «بتل فعل مثل كسر ومصدره الجاري عليه التكسير وتبتل تفعل مثل تكسر وتجرع ومصدره إنما هو التبتل مثل التجرع فجرى التبتيل على تبتل وليس له في الحقيقة؛ لأن معناهما يؤول إلى شيء واحد»<sup>(35)</sup> قال السعدي التبتل: «الانقطاع إلى الله والإجابة إليه وهو الانفصال بالقلب عن الخلاق والاتصاف بمحبة الله وما يقرب إليه ويدنى من رضاه»<sup>(36)</sup>.

**3- المفعول المطلق؛ المصدر المعنوي:** ويقال له المصدر المعنوي لموافقة عامله في المعنى دون اللفظ، ومثله قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: 95] انتصبت درجة على المصدر كمفعول مطلق، قال محي الدين الدرويش: «لأنها آلة التفضيل ورفع المرتبة، فهو كقولك ضربته سوطا، وأعربه بعضهم ظرفا وليس ببعيد، وأعربه الآخرون حالا، وهو يحتاج عندئذ إلى تقدير مضاف، أي: ذوي درجة، وقال بعضهم: هو تمييز، ولا بأس بهذا القول»<sup>(37)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنَّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله»<sup>(38)</sup> عامله فضل لأنّه من معناه.

(31) - غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى: 252/1

(32) - الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، 167/3

(33) - التفسير البسيط، الواحدى: 200/5

(34) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 403/29

(35) - شرح المفصل، ابن يعيش: 112/1

(36) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ناصر السعدي: 1898/7

(37) - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش: 92/5

(38) - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل: 691 رقمه: 2790

ومثله قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61] تحية: مصدر قياسي لفعل حيًّا الرباعي وأتى هنا مفعول مطلق، قال ابن هشام: «عامله سلموا لأنه من معناه... ومن قدر في قعدت جلوسا عاملا محذوفا من لفظ المصدر ومعناه هو سيبويه، قدر هنا مثله»<sup>(39)</sup> فضمن معنى حيوا، قال عبد الكريم الخطيب: «فحيوا أنفسكم تحية من عند الله مباركة، هي تحية الإسلام، أي: السلام عليكم ففي هذه التحية البركة، والطيب، لما تشيع في النفوس من أمان وسلام، ومودة وإحاء... هذا ويجوز أن يكون تحية من عند الله منصوب بفعل محذوف، تقديره: فسلموا على أنفسكم، وتقبلوا تحية من عند الله مباركة طيبة»<sup>(40)</sup>.

وجاءت آية التحية في موضع آخر بمطابقة المصدر لفعله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 76] والفعل حيوا «فيه إعلال بالحذف أصله حييوا، استثقلت الضمة على الياء فنقلت حركتها إلى ما قبلها، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، سكون الياء وسكون واو الجماعة، فأصبح حيوا وزنه فعوا بفتح الفاء»<sup>(41)</sup> وجاءت آية التحية وسط آيات القتال، تلميحا إلى إفشاء السلام الذي ينشره الإسلام لتوثيق العلاقات في المجتمع، وجاءت العناية برد التحية لأن قاعدة الإسلام الأساسية: السلام؛ فالإسلام دين السلام.

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58] قولا منصوب على المصدر وفعله ما تضمنه سلام من القول لأن السلام قول يؤكد قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: 44] والتحية هنا مضافة إلى المفعول فهي التحية التي يحيون بها من الرب الرحيم عند اللقاء، وهي غير تحية الملائكة قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: 23، 24]

قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] قال الزجاج: زلفى: «مفعول مطلق منصوب على المصدر بفعل مضمر تقديره: يقربونا تقربا، أي: مصوب على معنى المصدر لأن زلفى بمعنى قرينة أو تقربا، أي: تقربا للتوسل إلى الله سبحانه»<sup>(42)</sup> وتحول السياق من الحكاية إلى الإخبار كأنه جاء ردا على سؤال «أي: يقولون لمن يقول لهم لم عبدتموهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، أي: قربي»<sup>(43)</sup> وهو شرك الإلهية.

**4- المفعول المطلق الوصف المضاف للمصدر:** ويجيء المصدر مصحوبا بنعته قال زكريا الأنصاري: «إذا قدم وصف المصدر، وأضيف إلى المصدر، انتصب نصب المصدر»<sup>(44)</sup> فأعطي حكمه، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

(39) - أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن ابن هشام (تح) محمد نغش المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي ط1، 1983م: 14

(40) - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي، القاهرة، (دط تا): 1333/3

(41) - الجدول في إعراب القرآن وصفه وبيانه، محمود الصافي: 119/5

(42) - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، محمود صافي: 143/10

(43) - معاني القرآن، الزجاج: 344

(44) - إعراب القرآن، زكريا الأنصاري: 42

يَتَلَوْنَهُ حَقًّا تَلَاوَتَهُ ﴿البقرة: 121﴾ حق تلاوته نعت لمصدر محذوف "تلاوة" دل عليه هذا الظاهر والمعنى: يتلونه تلاوةً حقاً تلاوته، قال المنتجب الهمداني: «وإن شئت نصبت على المصدر؛ لأنه نعت التلاوة في الأصل، إذ التقدير: تلاوة حقاً، ونعت المصدر إذا قدم وأضيف إليه انتصب انتصاب المصادر، نحو ضربته أشد الضرب، وصمت أحسن الصيام، فانصب أشد وأحسن على المصدر لما ذكرت، فاعرفه فإنه أصل يعتمد عليه»<sup>(45)</sup> ومعنى التلاوة كما جاء عن العبادلة الثالث، ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، ومجاهد رضي الله عنهم «يتبعونه حق اتباعه»<sup>(46)</sup> فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويقرأونه كما أنزل، ولا يتأولون على الله بغير علم.

ومثله قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ﴾ [الحج: 74] قدره: مصدر سماعي لفعل قدر يقدر باب نصر وباب ضرب، وزنه فعل بفتح الفاء، وثمة مصدر آخر للفعل هو قدر بفتحين، وهنا جاء منصوباً على المصدر أو صفة لمصدر محذوف؛ والأصل: تقديراً حق قدره، قال سيد قطب: «ما قدروا الله حق قدره وهم يشركون به تلك الآلهة الكليمة العاجزة التي لا تخلق ذباباً ولو تجمعت له بل لا تستنقذ ما يسلبها الذباب إياه! ما قدروا الله حق قدره وهم يرون آثار قدرته، و بدائع مخلوقاته، ثم يشركون به من لا يستطيعون خلق الذباب الحقيق»<sup>(47)</sup> والصيغة تؤكد هذا النوع من الإشراك.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 91] انتصب حق وهو وصف على المصدر لأنه أضيف إلى مصدر، ومثله حق جهاده في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: 78] والتقدير: جهادا حق جهاده، والآية الثانية رد وتوبيخ لليهود؛ الذين جحدوا رسله ورسالاته، كما كانت الآية السابقة رداً على المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: 19] مُمَزَّق: مصدر ميمي للرباعي مَزَقَ وزنه مَفْعَل، قال حبنكة الميداني: «ولفظ "كل" نائب عن مفعول مطلق والمعنى: ومزقناهم تمزيقاً كل تمزيق»<sup>(48)</sup> فانصب كل وأضيف إلى المصدر، ومثله تعجب المشركين واستغرابهم من قضية البعث، والتندر بالرسول صلى الله عليه وسلم، في السورة ذاتها؛ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْفِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: 7] قال ابن منظور التمزيق: «التخريق والتقطيع وأراد بتمزيقهم تفرقهم وزوال ملكهم وقطع دابرتهم»<sup>(49)</sup> وأبان المصدر فعل الله سبحانه بالقرى التي لم تشكر، فجعلهم أحاديث ومزقهم كل التمزيق.

(45) - الفريد في اعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني: 372/1

(46) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: 577-576/1

(47) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 2444/5

(48) - معارج التفكير ودقائق التدبر، حبنكة الميداني: 66/12

(49) - لسان العرب، ابن منظور: 4194/46

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:3] قال ابن الأنباري أحسن: «منصوب نصب المصدر لأنه مضاف إلى المصدر، وأفعل إنما يضاف إلى ما هو بعض له، فيتنزل منزلة المصدر فصار بمنزلة قولهم سرت أشد السير وصمت أحسن الصيام»<sup>(50)</sup> من إضافة الصفة للموصوف.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:102] حَقَّ تُقَاتِهِ: انتصب على المصدر وأضيف لمصدره التقاة، ووزن تقاة المصدر، قال الواحدي: «فُعَلَةٌ، مثل: نُحْمَةٌ، وتَوَدَّةٌ، وتُكَاةٌ، وتُهُمَةٌ، والتاء في كل هذا مبدلة من الواو، ويقال: تقيته تُقَاةً، وتقيٌّ، وتقيةٌ، وتقوى، وإذا قلت اتقيت، كان مصدره الاتقاء»<sup>(51)</sup> وإنما قال: اتقوا من الاتقاء، ثم قال حق تقاته، ولم يقل: حق اتقاه، لأن العرب قد تذكر المصدر من غير لفظ الفعل وقد جاء قبلها كذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران:28] قال القاسمي وغيره: «امتثال أمر الله على نحو ما أمر... وكل من امتثل أمر الله تعالى فقد اتقاه حق تقاته»<sup>(52)</sup> فجاء المصدر لتأكيد الوجه اللائق.

**5- المفعول المطلق المصدر لفعل مقدر:** ورأي سيبويه: أن المصادر لا تعمل فيها الأفعال إلا إذا كانت من جنسها قال ابن يعيش: «لأن مذهبه أنه إذا جاء المصدر منصوبا بعد فعل ليس من حروفه كان انتصابه بإضمار فعل من ذلك المصدر»<sup>(53)</sup> من ذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب:38] سُنَّةَ اللَّهِ: مصدر، قال زكريا الأنصاري: «وهو مصدر لما قبله؛ لأن ما قبله من قوله: "فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ" يدل على أنه سن ذلك له سنة»<sup>(54)</sup> وتكررت "سنة" في [الأحزاب:62] من نفس السورة بالنصب على المصدر أي: سن الله سنة.

وجاءت كلمة حقا مؤكدة لعقيدة البعث وقضية الرجوع إلى الله، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ [يونس:4] ووردت كلمة حقا تأكيدا لوعده الله بإدخال المؤمنين الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:122] وبإدخال الكافرين النار قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء:151] وبتأكيد قول الفريقين من مؤمنين وكافرين لبعضهم البعض، لحقيقة ما وجدوه من نعيم ومن عذاب في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف:44] كما تأتي "حقا" في سياقات نصره المؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:47]

(50) -البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري:32/2

(51) -التفسير البسيط، الواحدي:170/5

(52) -أحكام القرآن، الكياهراسي:298/1، ومحاسن التأويل، القاسمي:912/4

(53) -شرح المفصل، ابن يعيش:112/1

(54) -إعراب القرآن العظيم، زكريا الأنصاري:348

وكلمة حقا مشتقة، قال ابن القوطية: «حق الشيء حقًا: وجب... وأحق قال حقًا أو ادعاه»<sup>(55)</sup> والحق: «نقيض الباطل، تقول: حق الشيء يحق حقا، معناه: وجب يجب وجوبًا»<sup>(56)</sup> وكلمتا حقا والحق مصدران لفعل مقدر دل عليه المعنى، قال ابن يعيش: «أحق: وما جرى مجراه، وذلك أنك إذا قلت هذا عبد الله جاز أن يكون إخبارك عن يقين منك وتحقيق وجاز أن يكون على شك فأكدته بقولك حقًا كأنك قلت أحق ذلك حقًا، وهذه المصادر يجوز أن تكون نكرة نحو: حقًا ويجوز أن تكون معرفة نحو: الحق لا الباطل»<sup>(57)</sup>.

وكلمة سبحان في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: 180] قال الفيروزآبادي معناها: «أبرئ الله من السوء براءةً، أو معناه السرعة إليه والخفة في طاعته»<sup>(58)</sup> اختلف فيه بين المصدر واسم المصدر، وجاءت على المفعولية المطلقة لفعل محذوف تقديره «أسبح سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده، ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله؛ أي: تنزيها لله»<sup>(59)</sup> والفعل المقدر من معناه وليس من لفظه، مثل قعد القرفصاء، واشتمل الصماء على مذهب سيبويه، وقال أبو عبيد: «انتصب على النداء كأنه قال: يا سبحان الله، يا سبحان الذي أسرى»<sup>(60)</sup> بياء محذوفة وهو مصدر لا ينصرف.

وأشار قوله: سُبْحَانَ إِلَى التنزيه عما لا يليق به، قال مكي: «يكذبون، والتقدير: عما يصفون من الكذب»<sup>(61)</sup> وهو قولهم: أن الله له صاحبة أو ولد أو شريك، و"رَبِّ الْعِزَّةِ" جاءت على البدل من ربك، ويحتمل وجهين «أحدهما: مالك العزة، والثاني: رب كل شيء متعزز من مالك أو متحير»<sup>(62)</sup> وعرض اسم المصدر المعاني المتعلقة بالله من تنزيهه سبحانه، بإرشاد من رسله عليهم السلام وهو غاية الأدب، واعترافا بربوبيته التي هي كمال الاستغناء عن الغير، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] معنى سُبْحَانَهُ: (أنزهه تنزيها عما يقولون أو يصفون من اتخاذ الملائكة ولدا)<sup>(63)</sup> مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبح وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

(55) - الأفعال، أبو بكر بن القوطية: 39

(56) - تهذيب اللغة، الأزهري؛ باب الحاء والقاف: 241/3

(57) - شرح المفصل، ابن يعيش: 116/1

(58) - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: 173/3

(59) - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، محمود صافي: 237/6

(60) - مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب: 426/1

(61) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 120/8

(62) - النكت والعيون، الماوردي: 74/5

(63) - ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، محمود صافي: 204/7

ومثله قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:138] الصبغة: انتصب على المصدر وهي فعلة من صبغ، كالجلسة من جلس وهي: «دين الله، وانتصابه بفعل محذوف؛ أي: اتبعوا دين الله» (64) قال العكبري: «هو إغراء، أي: عليكم دين الله. وقيل: هو بدل من ملة إبراهيم» (65) وصبغة الله: فطرت الله في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30] قال أبو عبيدة: «ألزموا؛ على الإغراء وقيل على المصدر؛ أي: فطركم فطرة» (66).

ومعنى أسلوب الإغراء أنه يريد أن يلفتك إلى سبب انتصاب المصدر على النصب، قال الشعراوي: «فكأنه قال: فأقم وجهك للدين حنيفاً وألزم فطرة الله التي فطر الناس عليها... وهو أن أغريك بأمر محبوب وأحثك على فعله، كذلك الحق سبحانه يغري رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقيم وجهه نحو الدين الخالص، وأن يلزم فطرت الله، وألا يلتفت إلى هؤلاء المفسدين، أو المعوقين له» (67) الذين يتبعون الشيطان، ويغيرون فطرة خلقه.

وأضاف الفطرة إليه إضافة مدح كدين الله وبيته وناقته «والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة: أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة مهيأة لأن يميّز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه جل وعلا، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكأنه تعالى قال: أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض» (68) وإليها أرشد النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه» (69) فالفطرة هي الإسلام.

قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:11] القياس في سحقاً: سحق سحقاً لكنه انتصب على اسم المصدر، قال المنتجب الهمداني «ويجوز أن يكون مفعولاً به على: فألزمهم الله سحقاً، وأن يكون مصدرًا مؤكداً لفعله وفعله محذوف، أي فأسحقهم سحقاً، على حذف الزيادة، أي: سحقاً... والسحق: البعد، والإسحاق: الإبعاد، وقد جَوَزَ رفعه بالابتداء، والوجه النصب» (70) والسحق: البعيد كما في [الحج:31] وقرأ الكسائي: «فَسُحْقًا: بإسكان الحاء وضمها، وقرأ الباقون بإسكان الحاء» (71) وهما لغتان مخففة ومثقلة.

(64) -إعراب القرآن، الانصاري:44

(65) -التبيان في إعراب القرآن، العكبري:41/1

(66) -إعراب القرآن، الانصاري:338 مجاز القرآن، أبو عبيدة:122/2

(67) -تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي:11418/18

(68) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية:24/7

(69) -صحيح البخاري (الجنائز) محمد بن إسماعيل:264، رقمه:1359

(70) -الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني:184/6

(71) -الحجة للقراء السبعة، الفارسي:307/6، التذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون:593/2

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:44] انتصابه على المصدر يقال: «بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر بعداً بعداً، إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك، فهو باعد، وهو على وجه الدعاء عليهم كما تقول: بعدا لفلان، وتبا له إذا دعوت عليه، واللام في اللقوم من صلة البعد»<sup>(72)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ [محمد:8] تعسا مفعول مطلق لفعل محذوف من جنس المصدر، قال الكرمانى: «أي: تعسهم تعسا»<sup>(73)</sup> أو مفعولا به تقديره: قال لهم تعسا أو قضى الله تعسا لهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [ص:84] قرئ الحق الأول بالرفع: عند عاصم وحمزة وخلف، وقرأ الباقون بالنصب<sup>(74)</sup> وقوله تعالى: "فَالْحَقُّ" في نصبه وجهان، قال العكبري: «مفعول لفعل محذوف؛ أي فأحق الحق، أو فاذكر الحق، والثاني على تقدير حذف القسم؛ أي فبالحق لأملأن "وَالْحَقُّ أَقُولُ" معترض بينهما ... ويقرأ بالرفع؛ أي: فأنا الحقُّ أو فالحقُّ مني، وأما الحق الثاني فنصبه بأقول؛ ويقرأ بالرفع على تقدير تكرير المرفوع قبله، أو على إضمار مبتدأ؛ أي قولي الحق»<sup>(75)</sup>.

والفعل المضمر دلت عليه آيات أخر قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال:8] وقوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [يونس:82] قال الفارسي: «ويجوز أن ينصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب للحق ما ينصب القسم، من نحو قوله: الله لأفعلن، فيكون التقدير آحق لأملأن»<sup>(76)</sup> وقد جاءت الآية الموالية فيها لأملأن قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ بَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:85].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:165] الند هو المثل وهنا بمعنى الأصنام، والمشركون يقرون بالله ويتقربون إليه، ويدعون أنهم يحبونه، والحب مصدر حب السماعي على وزن فعل بضم فسكون، قال الزجاج: «فيه قولان أحدهما: يحبونهم كحب الذين آمنوا لله، هذا قول ابن عباس وعكرمة وأبي العالية وابن زيد ومقاتل والفراء، والثاني: يحبونهم كمحبتهم لله، أي: يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة، هذا اختيار الزجاج»<sup>(77)</sup> و"كحب الله" الكاف ومجروها: صفة للمصدر المحذوف وانتصبت نيابة عنه على أنها مفعول مطلق، والتقدير: يحبونهم حبا كحب الله.

<sup>(72)</sup> -الفريد في أعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني: 476/3

<sup>(73)</sup> -غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى: 1104/2

<sup>(74)</sup> -ينظر: المبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني (تح) حمزة حاكمي مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق (د ط تا): 382

<sup>(75)</sup> -التيبان في إعراب القرآن، العكبري: 1107/2

<sup>(76)</sup> -الحجة للقراء السبعة، الفارسي (تح) بشير حوجاتي وآخرون، دار المأمون للتراث دمشق ط1، 1404هـ 1984م: 87/6

<sup>(77)</sup> -زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: 170/1 معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 237/1

وأثارت هذه القضية، أمر توحيد المحبة وإفراده بها، وتخصت بالله وحده دون أي لبس أو شائبة بشريك، وجاء اللفظ بالمفعول المطلق من كل قيد مشيراً إلى الإخلاص في هذه العبادة، قال محمد العثيمين: «المحبة هي المحبة ولا يمكن أن تعرفها بأوضح من لفظها، وهكذا جميع الأشياء الانفعالية، لا يمكن أن تحدها بأكثر من لفظها، لو قلت: ما هو الغضب؟ الغضب هو الغضب، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الكتاب المنسوب إليه-وهو روضة المحبين- ذكر للمحبة تعريفات كثيرة، لكنه قال: كلها لا تصح كلها تفسير لها بلوازمها أو آثارها أو ما أشبه ذلك»<sup>(78)</sup>.

ومن لوازمها تعريف الاتباع في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»<sup>(79)</sup> فمحبه صلى الله عليه وسلم حقوقه على الأمة عظيمة، لأن الله به هدانا من الضلال إلى الإيمان، وفي اتباعه الرحمة والنور والفوز بالجنة.

ويبقى المفعول المطلق بصيغته المختلفة: ما بين المصدر، وما ناب عنه، واسم المصدر الذي لا يطابق فعله، والوصف المضاف للمصدر، ومن انتصب وضمن فعلاً، أو انتصب لفعل محذوف، ذا قيمة حجاجية كونه يؤكد قضايا عقدية على وجه الوقوع والحدوث، كما قد جاء في صفات الأفعال ومنها "تكليم الله موسى عليه السلام" الذي أنكرته بعض الفرق، فكان التأكيد بالمفعول المطلق في شأن هاته الصفات وما شابهها رداً على المتأولة وما استعملوه من مجاز، فأخرجها إلى حيز التأكيد من اللغة ذاتها.

<sup>(78)</sup> - تفسير القرآن الكريم سورة المائدة، محمد العثيمين: 30/2

<sup>(79)</sup> - صحيح البخاري، محمد إسماعيل: 26 رقمه 15، صحيح مسلم: 71 رقمه 45



• **أفعال التفضيل:**

الأصل في اسم التفضيل أن تستوفي شروطه، فيصاغ من الفعل الثلاثي التام غير الناقص، المثبت غي المنفي، المتصرف غي الجامد، المبني للمعلوم، القابل للتفاوت، قال عباس حسن: «هو اسم مشتق وزن على افعال، يدل في الأغلب على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه»<sup>(1)</sup> وقد شذت خير وشر، لأتھما لا فعل لھما، وجاء على غير القياس وزنا، فحففنا لكثرة الاستعمال، وحذفت همزھما، مثل خير في قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة:114] وشر: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ [يوسف:77] وأفعال التفضيل بحثھا سببويه مع فعلي التعجب لاشتراكهما في نفس بناء الصيغة<sup>(2)</sup> ولاشتراكهما في بعض الخصائص.

وقد يذكر المتفاضلان في الوصف وقد يخلو منه أحدهما، فيكون مسلوب التفضيل، وصيغة أفعال التفضيل دالة على الزيادة في كل شيء، وإلى ذلك ذهب فريق أن اسم التفضيل لا يخلو من الدلالة على المفاضلة مطلقاً، لا قياساً ولا سماعاً، وتأولوا ما استدل به الفريق الأول على تجرده عن دلالته، وأبطلوا حججهم، فقالوا في الله أكبر: "معناه: الله أكبر من كل شيء وليس الوصف منه على وزن أفعال، كما سيأتي لاحقاً.

**1- صيغة أفعال للمفاضلة:** تحيء للمفاضلة بين طرفين (أفعال التفضيل: هو وزن مصوغ من الفعل بشروط معينة للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما في الاتصاف بها على الآخر... والأصل في صيغة التفضيل أن تكون على وزن أفعال للمذكر، وفعل للمؤنث)<sup>(3)</sup> وهذا هو الأصل لدلالته على الزيادة.

**أ- المجرد من أل والإضافة:** والمجرد من أل والإضافة يلزم اقتارانه بمن لفظاً وتقديراً، كما يلزم فيه التذكير والإفراد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:17] حيث جاءت "خير" خيراً للمبتدأ الآخرة، وأبقى معطوف عليها، قال القرطبي: «خير: أفضل، وأبقى: أدام من الدنيا»<sup>(4)</sup> وقد حذف المفضل عليه في جميع المواضع التي جاء فيها أبقى، وهو مضمّر يعلم من السياق، قال خالد الأزهري: «وأكثر ما تحذف من مع المفضل: إذا كان أفعال خيراً في الحال أو في الأصل فيشمل خير المبتدأ، وخير كان، وإنّ، وثالث مفاعيل أعلم»<sup>(5)</sup> والمحذوف تقديره: الآخرة خير من الحياة الدنيا، وجاءت الخيرية والبقاء بالتفضيل لتفضيل الخلود على اللذائذ العاجلة.

وقوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الكهف:46] وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: هي الأعمال الصالحات من أقوال وأفعال؛ كالصيام والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذكر ومنه:

(1) - النحو الواقي، عباس حسن دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (دتا): 395/3

(2) - ينظر: أبنية الصرف في كتاب سبويه، خديجة الحديشي، مكتبة النهضة بغداد، ط1، 1385هـ/1965م: 284

(3) - ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي دار الفرقان، الأردن، ط1، 1405هـ/1985م: 174

(4) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 18/20

(5) - شرح التصريح على التوضيح، الأزهري (تح) عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م: 97/2

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ أي أن: «صاحبها ينتظر الثواب، وينبسط أمله فهو خير من حال ذي المال والبنين، دون عمل صالح»<sup>(6)</sup> وهي جماع الخير كله.

وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:74] جيء بأشد: (إشارة إلى أنها ليست كالحجارة في قسوتها وإنما هي أشد قسوة، وكان من الممكن أن يقول أو أقسى لأنه فعل يأتي منه التفضيل ولكن قصد إلى وصف القسوة بالشدّة فهي ليست أقسى من الحجارة وإنما هي أشد قسوة)<sup>(7)</sup> وأشد للمبالغة على الحقيقة.

وفي شأن قيام الساعة، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:77] جاء أقرب مجرداً من الإضافة والتعريف وجاءت من محذوفة، و مقدرة، قال الكرمانى المراد بلمح البصر أو أقرب منه: «السرعة والسهولة وضرب المثل به لأنه لم يعرف زمان أقل منه... وتحقيق قوله "أقرب" في أنّ لمح البصر وضع الجفن ورفع»<sup>(8)</sup> وهو إرجاع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفله، قال البيضاوي: «فيكون أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبدئ فيه»<sup>(9)</sup> وهو يسير عند الخالق عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ [النجم:52] أطفى من: «يطغى طغيا ويطغو طغيانا جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر... وكل مجاوز حده في العصيان طاغ»<sup>(10)</sup> قال ابن عباس وقتادة ومقاتل وغيرهم: «إنما وصف بأنهم كانوا أظلم وأطفى من غيرهم لطول دعوة نوح إياهم، وعتوهم على الله في المعصية والتكذيب، ولم يطل مقام أحد من الأنبياء في دعوة قومه كما طال مقامه»<sup>(11)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [الزخرف:8] أشد جاءت صفة لموصوف محذوف تقديره: قوما أشد، وبطشا تمييز، قال الشنقيطي: «فأهلكنا قوما أشد بطشا من كفار مكة الذين كذبوا نبينا، بسبب تكذيبهم رسلهم، فليحذر الكفار الذين كذبوك أن يهلكهم بسبب ذلك، كما أهلكنا الذين كانوا أشد منهم بطشا، أي أكثر منهم عددا وعُددا وجلدا، فعلى الأضعف الأقل أن يتعظ بإهلاك الأقوى والأكثر»<sup>(12)</sup>.

(6) -الجواهر الحسان، الثعالبي (تح) علي معوض، أبو سنة، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ/1997م:3/528

(7) -ينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1413هـ/1993م:28

(8) -غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى (تح) يونس العجلي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (دط تا):1/614

(9) -أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:2/273

(10) -لسان العرب، ابن منظور:30/2678

(11) -التفسير البسيط، الواحدى:21/78

(12) -أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي:7/222

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد:34] أشق اسم تفضيل «من شق الثلاثي، وزنه أفعال، وقد أدغمت عينه ولامه فهما حرف واحد»<sup>(13)</sup> قال الواحدي: «أي: أشد وأغلظ»<sup>(14)</sup> وقال السعدي: «من عذاب الدنيا؛ لشدته ودوامه»<sup>(15)</sup> وأثارت أشق ببنائها للتفضيل شدة العذاب الذي لا يُتصور.

وفي الكلام على الاحتضار، جاء قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:85] أقرب: خبر نحن، وهو اسم تفضيل ممنوع من الصرف، قال الألوسي القرب هو: «العلم، وهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب، فإن القرب أقوى سبب للاطلاع والعلم، وقال غير واحد المراد بالقرب: علما وقدرة أي: نحن أقرب إليه في كل ذلك منكم من حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها الحقيقية، ولا أن تقدرُوا على مباشرة دفعها»<sup>(16)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:45] منهم من رأى أنه للمفاضلة، قال محمد العثيمين: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ: من غيره من الطاعات»<sup>(17)</sup> ومنهم من رأى أنه لغير المفاضلة، قال ابن عاشور: «فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة مقصود به قوة الوصف كما في قولنا: الله أكبر، لا تريد أنه أكبر من كبير آخر»<sup>(18)</sup> والعرب تجعل «أفعل في موضع (فعليل) مبالغة»<sup>(19)</sup> كما في الأذان: الله أكبر بمعنى: كبير.

وعند قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ﴾ [الملك:22] أهدي تفضيل من الهدى وهو الرشاد، قال الفيروزآبادي أي: «أرشدته، فاهتدى وتهدى، وهداه الله الطريق وللطريق، وإلى الطريق، ورجل هَدُوٌّ كعدو: هادٍ، وهو لا يهdy الطريق ولا يهتدى، ولا يَهْدَى ولا يَهْدِي... والهداية والهدى في موضوع اللغة واحد، لكن قد خص الله لفظ الهدى بما تولاه وأعطاه»<sup>(20)</sup> والمكب لا يكون أهدي، قال ابن قتيبة: «لا يبصر يمينا، ولا شمالا، ولا ما بين يديه، يقال: أكب فلان على وجهه بالألف، وكبه لوجهه، وأراد: الأعمى»<sup>(21)</sup> والمراد به المعنى.

والله سبحانه هو الهادي، وهو الأعلم بعباده وبدرجات الاهتداء والإضلال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:84] فالأهدى يأت بمستواه العام في مقابل الأضل،

(13) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصابي:13/138

(14) -التفسير البسيط، الواحدي:12/364

(15) -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن ناصر السعدي (دط تا):4/834

(16) -روح المعاني، الألوسي:27/158

(17) -تفسير القرآن الكريم العنكبوت، محمد العثيمين:241

(18) -التحرير والتنوير، ابن عاشور:20/260

(19) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية:8/637

(20) -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي:5/312 و317

(21) -تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة (تح) أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت، (دط)1398، 1978م:475

ويأتي في مستويات أخرى في مقابل المهتمدي والمههدي، فالأهدى هو الذي بلغ الدرجات العلى من الإيمان، قال الكفوي: «الهدى اسم يقع على الإيمان والشرائع كلها إذ الاهتداء إنما يقع بها كلها»<sup>(22)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:59] قال الفراء يعني: «أعبادة الله خير من عبادة الأصنام»<sup>(23)</sup> فذهب بالتفضيل للعبادة.

**ب- دلالة التفضيل النكرة المضافة إلى نكرة:** وفي هذه الحالة يمتنع اقتران اسم التفضيل بمن، ويلزم المضاف إلى النكرة فيه التذكير والإفراد كالمجرد، وقد أتى في قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة:41] أول بمعنى أفعال وأصله أول بهمزتين «ثم قلبت إحدى همزتين واوا، ثم أدغمت في الهمزة الأخرى... وهو من آل يؤول إذا نجا وسبق، ومثله وأل يثل بمعناه، فمعنى الأول: السابق الذي هو الابتداء»<sup>(24)</sup> ومنهم من يقول أنّ تأسيس بنائه من «واواين بعدهما لام»<sup>(25)</sup> فأدغم إحدى الواوين في الأخرى وشدد، والهمزة فيه ألف أفعال، قال الفراء «فوجد الكافر وقبله جمع، وذلك من كلام العرب فصيح جيد في الاسم إذا كان مشتقا من فعل مثل الفاعل والمفعول؛ يراد به ولا تكونوا أول من يكفر فتحذف من ويقوم الفعل مقامها، فيؤدي الفعل عن مثل ما أدت من عنه من التأنيث والجمع وهو في لفظ توحيد»<sup>(26)</sup> والنكرة المضاف إليها اسم التفضيل هذا حالها؛ إذ الأصل فيها الإفراد لأنها تتميز له.

والخطاب موجه إلى اليهود بالمدينة ومعنى أول كافر به وقد كفر مشركو العرب قبلهم! قيل: «في وقت هذا الخطاب، ويقال: إن أحبار اليهود كان لهم أتباع، فلو أسلموا أسلم أتباعهم، ولو كفروا كفر أتباعهم كلهم»<sup>(27)</sup> والضمير في قوله تعالى "أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ" يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم، أو القرآن.

**ج- دلالة التفضيل المضافة إلى معرفة:** ففي قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصفات 125:] في الآية يوجد مفضل ومفضل عليه فالله هو المفضل وما سواه مفضل عليه والله الخالق الحقيقي له خلق إيجاد، وغيره له خلق تحويل وتغيير، ولهذا جاء في المصورين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يقال لهم أحيوا ما خلقتهم»<sup>(28)</sup> فاعتبر ما صنعوه خلقا، فشنع عليهم عبادتهم البعل؛ أي: الصنم الذي اتخذوه إلهًا.

(22) -الكليات، أبو البقاء الكفوي:954

(23) -معاني القرآن، الفراء:2/297

(24) -التفسير البسيط، الواحدي:2/434، مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب:1/91

(25) -تهذيب اللغة، الأزهري (تح) عبد السلام هارون وعلي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط تا):15/456

(26) -معاني القرآن للفراء:1/32-33

(27) -تفسير بحر العلوم، السمرقندي:1/114

(28) -صحيح البخاري كتاب اللباس، محمد بن اسماعيل:1155، رقمه:5957

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:54] قال محمد العثيمين: «هذه صفة كمال، ولهذا لم يقل: أمكر الماكرين بل قال: (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)؛ فلا يكون مكره إلا خيراً، ولهذا يصح أن نصفه بذلك؛ فنقول: هو خير الماكرين، أو نصفه بصفة المكر في سبيل المقابلة؛ أي: مقابلة من يمكر به، فنقول: إن الله تعالى ماكر بالماكرين، لقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال:30]»<sup>(29)</sup> وهي صفة ثابتة مطلقة «يعني لا تحتاج إلى قيد؛ لأنها وصفت بكمال، ما هو الكمال؟ خير، فالله خير الماكرين، يعني ما من أحد يمكر إلا ومكر الله فوقه وخير منه»<sup>(30)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:6] وكلمة شر اسم تفضيل قال ابن الأنباري: «أصلها أشر على وزن أفعل إلا أنه حذف الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال، وأدغمت إحدى الرائيين في الأخرى لاجتماع متحركين من جنس واحد»<sup>(31)</sup> وشر البرية هم الذين عرفوا الحق وتركوه، فحسروا الدارين.

ومثله كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:22] والذين هم عند الله شر من جميع الدواب، هم الذين لم تفد فيهم الآيات والنذر، فعطلوا سمعهم عن استماع الحق قال السعدي: «والسمع الذين نفاه الله عنهم سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما سمع الحجّة؛ فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته»<sup>(32)</sup> واختاروا لأنفسهم أن يكونوا شر البرية.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارَ جُحْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام:123] والأكابر جمع أكبر وهم العظماء في كل قرية قال ابن الجوزي: «وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسمعة»<sup>(33)</sup> والإضافة هنا من إضافة الموصوف إلى الصفة، ومال الواحدي إلى رأي البصريين في عدم إضافة النعت إلى المنعوت، قال الواحدي: «الآية على التقديم والتأخير، تقديره: جعلنا مجرميها أكابر، ولا يجوز أن يكون الأكابر مضافة؛ لأنه لا يتم المعنى»<sup>(34)</sup> وزد عليه بأن المجرمين: أكابر وأصاغر، قال الكرمانى: «هذا زائف، والوجه ما سبق»<sup>(35)</sup> وأضيف أفعل إلى معرفة فامتنع وصله بمن الجارة، ومطابقتة لما قبله أو عدمه.

وقد اختص أفعل بتحديد هوية المجرمين في كل زمان ومكان، وإفرادهم بتزعم الإجرام كما كان أكابر مجرمي مكة من المشركين وإخوانهم من اليهود في المدينة يبيتون للدعوة، ويصدون عن الحق، ومن قبلهم كما في قصص الأنبياء

(29) - شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين (تح) فواز الصميل، دار ابن الجوزي، السعودية ط6، 1421هـ: 332/1

(30) - تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 321/1

(31) - البيان في غريب إعراب القرآن، الأنباري (تح) عبد الحميد طه، مطابع الهيئة المصرية، (دط تا): 298/1

(32) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن ناصر السعدي: 612/3

(33) - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ: 1984م: 117/3

(34) - التفسير البسيط، الواحدي: 411/8

(35) - غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى: 374/1

مع أقوامهم: الملاء من كل قوم المترفون، فذكر القرآن أنهم كانوا في صدارة المعركة ضد الأنبياء، وثبت في علم الله أنهم مفسدون في كل قرية، ومكرهم وبال عليهم وهم لا يشعرون.

**ه- اسم التفضيل المعروف بـ "أل":** إن دلالة التفضيل في المقترن بـ "أل" أعم وأعظم، فالأفضلية مطلقة للمفضل، وأن يكون التطابق في الأفراد والثنية والجمع، وفي التذكير والتأنيث، ولا يلزم اقترانه بمن، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: 15] الأشقى اسم تفضيل من الشقاء وزنه أفعال «وفيه إعلال بالقلب أصله الأشقى تحركت الياء وانفتح ما قبلها ألفاً»<sup>(36)</sup> وهو الذي كذب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فترتب على تكذيبه أنه هو «الذي لم تكتب له السعادة»<sup>(37)</sup> الأبدية لا في هذه ولا في الأخرى.

والأشقى بهذه الدرجة العليا من الشقاوة، هو الأخرى بأن يصلى جهنم، أي صلي خلود «ومن هنا ضلت المرجئة، لأنها أخذت نفي الصلي مطلقاً في قليله وكثيره»<sup>(38)</sup> فانحرف فكرهم عن المعنى المراد، وعبر بأفعال عن العناد والإصرار ليناسب الصلي.

وفي مقابله في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: 17] اسم تفضيل من الاتقاء وأصله قال المنتجب الهمداني «الحجُرُ بين الشيئين، يقال: اتقاه بالثرس، أي جعله حاجزاً بينه وبينه، ومنه الوقاية، والعبد إذا اتقى الله بامتنال أوامره واجتناب معاصيه، كان ذلك حاجزاً بينه وبين عذاب الله [اللهم اجعلنا من المتقين]»<sup>(39)</sup> آمين.

والإشارة بالأتقى وليس بالمتقي، لأن الأتقى «الذي بلغ كمال التقوى، بفعل كل ما أوجب الله، وترك كل ما حرم الله... فالذي له معاص نقص بها عن كمال مرتبة التقوى»<sup>(40)</sup> والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، قال السيوطي: «أعتق سبعة كلهم يعذب في الله: بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها، وزينرة، وأم عبيس وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة»<sup>(41)</sup> فالواصف عز وجل فأنعم به وصفا وموصوفا.

والأعلى: في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 68] قال ابن الأثير: «لم يقل إنك أنت أعلى، أو عال؛ لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره، وكان صالحاً لكل واحد من جنسه، كقولك "رجل" فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال، وإذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف، وجعلته علماً فيهم، وكذلك قوله: إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى، أي: أنت الأعلى دون غيرك... بإثبات الغلبة له من العلو، لأن الغرض من قوله الأعلى، أي: الأغلب، إلا أن في الأعلى زيادة وهي الغلبة من عال»<sup>(42)</sup> وهذا من دلالة التفضيل بـ "أل".

<sup>(36)</sup> -الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 308/29

<sup>(37)</sup> -تفسير جزء عم، محمد العثيمين: 231

<sup>(38)</sup> -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 636/8

<sup>(39)</sup> -الفريد في إعراب القرآن المجيد، الهمداني (تح) نظام الدين الفتيح، دار الزمان، السعودية، ط1، 2006م: 106/6

<sup>(40)</sup> -معارج التفكير ودقائق التدبير، حبنكة الميداني دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ/2000م: 5/1

<sup>(41)</sup> -الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: 477/15

<sup>(42)</sup> -الجامع الكبير ابن الأثير الجزري: 153

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46] قوله أحسن، قال محمد العثيمين: «اسم تفضيل مطلق ليعم الجنس في سياق الأدلة، ويعم الحسن في كيفية المجادلة، فلا بد من حسن الطريق، بمعنى أن تأتي بأقرب الطرق لإقناع الخصم، ولا بد أيضاً من كيفية عرض هذه الطريقة»<sup>(43)</sup> واسم التفضيل على بابه.

قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر:35] اسم التفضيل هنا على بابه، «وأن الله تعالى بشرهم بأنه يكفر الأسوأ، ومن كفر الأسوأ كفر ما دونه، وبشرهم بأنه يجزيهم أحسن ما كانوا يعملون، لا أنه يجزيهم الحسنة بمثلها، بل أحسن، وهذا فرق عظيم بين الحسن والأحسن والسيء والأسوأ»<sup>(44)</sup> وهذا من رحمة الله بعباده، ومن كرمه ومنه.

**2-صيغة أفعال مجردة من التفاضل:** لا يكون فيها تفاضل لانعدام المقارنة في أحد طرفيها فهي مسلوقة التفاضل.

**أ- دلالة التفضيل على الوصف:** ففي قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1] الأعلى من العلو على وزن «اسم التفضيل ولم يقصد به التفضيل بل الوصف، وزنه أفعال، ولام الكلمة منقلبة عن ياء-هي رابعة-أصلها واو من العلو، تحركت الياء بعد فتح قلبت ألفاً»<sup>(45)</sup> وهي معرفة بـ"أل" كما سبق.

قال عبد الرحمن الميداني: «للثناء على الله بأنه هو الأعلى من كل ذي عُلوٍّ في الوجود، ولإبعاد توهم شمول كلمة "رَبِّ" لما تطلق عليه في اللسان العربي هذه الكلمة: "كالمملك والأمير والسيد المطاع. ونحوها" فالرب الأعلى هو الله وحده لا شريك له»<sup>(46)</sup> وأطلق كوصف للرب عز وجل.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى:8] اليسرى بناؤه: فعلى وهو مؤنث الأيسر أفعال، واليسرى «جاءت في الآية وصفاً لموصوف محذوف، معلوم من سياق الكلام وسياقه، وتقديره: الملة اليسرى، أو الشريعة اليسرى»<sup>(47)</sup> أي: نوفقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمْنَاهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:26] قال الفراء كلمة التقوى هي: «لا إله إلا الله»<sup>(48)</sup> التي نالوا أحقيتها، وأحق خبر كان ممنوع من الصرف لأنه أفعال تفضيل قال أبوحيان: «والمفضل عليه محذوف، أي: أحق بما من كفار مكة؛ لأن الله اختارهم لدينه، وصحبه نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل من اليهود

<sup>(43)</sup> - تفسير القرآن الكريم سورة العنكبوت، محمد العثيمين: 246

<sup>(44)</sup> - تفسير القرآن الكريم سورة الزمر، محمد العثيمين: 250

<sup>(45)</sup> - الجدول في إعراب القرآن وصفه وبيانه، محمود صافي: 233/29

<sup>(46)</sup> - معارج التفكير ودقائق التدبر، حبنكة الميداني: 445/1

<sup>(47)</sup> - م، ن: 456/1

<sup>(48)</sup> - معاني القرآن، الفراء: 68/3

والنصارى، وهذه الأحقية في الدنيا، وقيل: أحق بها في علم الله تعالى، وقيل: وأهلها في الآخرة بالشواب»<sup>(49)</sup> ومثلها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة:62] جاءت خبر لمبتدأ، والمقصود: الله ورسوله أحق بالإرضاء من غيره، وجيء باسم التفضيل أحق حتى لا يؤتى بمفضل أعظم منه.

وفي الأسماء التي لا يشتق منها التفضيل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء:84] البأس مصدر «بؤس يبؤس باب كرم، ويستعمل اسما جامدا بمعنى الحرب، وكل أمر شديد، وزنه فعل بفتح فسكون»<sup>(50)</sup> وتنكيلا من نكل الثلاثي المضعف، فلا يشتق منه التفضيل مباشرة وإنما يضاف له "أشد من" والمصدران بأسا وتنكيلا تمييزان، وأفعال التفضيل على بابها، وقيل هو من «باب العسل أحلى من الخل، لأن بأسهم بالنسبة إلى بأسه تعالى ليس بشيء»<sup>(51)</sup> ومادام أن الخل ليس فيه حلاوة فهو مسلوب التفضيل.

قال القرطبي معترضاً: «والكوفيون يجيزون العسل أحلى من الخل، وهذا قول مردود؛ لأن معنى فلان خير من فلان، أنه أكثر خيراً منه ولا حلاوة في الخل، ولا يجوز أن يقال: النصراني خير من اليهودي؛ لأنه لا خير فيهما فيكون أحدهما أزيد في الخير، لكن يقال: اليهودي شر من النصراني، فعلى هذا كلام العرب»<sup>(52)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القدر:46] أدهى من الدهي والدهي، قال الأزهري: «هما لغتان في الدهاء، ويقال: دهوته ودهيته فهو مدهو، ومدهي... ورجل داهية، أي منكر بصير بالأمر، وتدهى الرجل: فعل فِعْلُ الدهاة والمصدر الدهاء، وكذلك كل ما أصابك من منكر من وجه المأمّن، تقول: دهيت، وكذلك إذا ختلت عن أمر»<sup>(53)</sup> وأدهى ثلاثي دهى وزنه أفعال «أصله أدهي، تحركت الياء بعد فتح قلبت ألفاً، وأمر: اسم تفضيل من الثلاثي مر وزنه أفعال جاءت عينه ولا منه من حرف واحد»<sup>(54)</sup> والتفضيل لا يتصور.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:122] الصدق: ضد الكذب «صدقت: في الوعد والوعيد أنفذتهما»<sup>(55)</sup> وجاءت في صورة إنكار، لأن يكون أحد أصدق منه سبحانه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:87].

وقوله تعالى: ﴿لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت:16] هذا القول في حق عاد قوم هود عليه السلام، وهو يفيد الإطلاق، وجملة وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى: مستأنفة ومؤكدة باللام أفعال التفضيل، قال أبو موسى: «فالتوكيد تأكيد للأخزى، وكأن وقوع العذاب في الآخرة أمر مقرر لا يحتاج

(49) -البحر المحيط، أبو حيان:99/8

(50) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي:2/355

(51) -م، ن:3/221

(52) -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:13/17

(53) -تهديب اللغة، الأزهري:6/385، لسان العرب، ابن منظور:16/1448، الأفعال، سعيد السرقسطي:3/311

(54) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي:27/83

(55) -الأفعال، سعيد بن محمد السرقسطي:3/390



إلى بيان، وإنما المحتاج إلى بيان هو الأخرى... ونلاحظ عناية الآية بلفظ الخزي والأخرى؛ لأن هذا هو المراد إبرازه لقدع تلك الأنوف المستكبرة والمتغترسة، وكان يمكن أن تقول الآية ولعذاب الآخرة أشد، وقد جاء ذلك كثيرا في الكتاب ولكل كلمة مقام»<sup>(56)</sup> واستدعت الآية ذكر عاد، وإذقتهم عذاب الدنيا، وتوعدهم عذاب الآخرة، وإبراز أنواعه، للتعريض بالمستكبرين الجدد الذين يعرضون عن الإسلام ويحاربونه.

ويأتي مسلوب المفاضلة كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أِبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:30] قال ابن عاشور: «واسم التفضيل بقوله "أزكى" مسلوب المفاضلة، والمراد تقوية تلك التركيبة لأن ذلك جنة من ارتكاب ذنوب عظيمة»<sup>(57)</sup>.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16] قال الشعراوي: «أقرب: كناية عن قرب الحق سبحانه من عبده، وكأنه يقول له: أنا قريب منك وأعرف تفاصيلك، وأعرف وسوسة نفسك»<sup>(58)</sup> وليس مع الحق سبحانه مقارنة في القرب من خلقه بعلمه، فانسلب التفاضل.

والتفاضل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادًا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:15] معلوم بداهة وفطرة، وجيء به على سبيل الاحتجاج لا على سبيل التفاضل الحقيقي، قال أبو موسى: «تجد هذا الاحتجاج الملزم في هذه الجملة مؤسسا على منطق لا يردده عقل صريح ولا صحيح منطق، لأن كل ذي عقل يعلم علم اليقين أن خالق الأشد أشد من الأشد ولا يحتاج إدراك هذا إلى تنطس ولا إلى حذلقة»<sup>(59)</sup> وهذا من كذبهم على أنفسهم.

**ب- صيغة أفعال التفضيل بمعنى اسم الفاعل:** في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الإسراء:54] حيث جاءت صيغة أفعال لغير التفضيل، أريد بها اسم الفاعل، بمعنى «ربكم عالم بكم»<sup>(60)</sup> ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ [الممتحنة:1] قال الألوسي: «أعلم أفعال تفضيل، والمفضل عليه محذوف أي: منكم وأجاز ابن عطية كونه مضارعا»<sup>(61)</sup> وفاعله لفظ الجلالة وليس أفعال تفضيل.

ويجيء أفعال والمراد به فاعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:27] (أهون بمعنى هين) قاله أبو عبيدة، وتابعه المبرد والزجاج «بجازه: وذلك هيئ عليه؛ لأن أفعال يوضع في موضع

<sup>(56)</sup> - آل حم غافر - فصلت دراسة في أسرار البيان، محمد أبو موسى مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م:372

<sup>(57)</sup> - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 204/18

<sup>(58)</sup> - تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي أخبار اليوم، (دط تا): 14521/23

<sup>(59)</sup> - آل حم غافر - فصلت دراسة في أسرار البيان، محمد أبو موسى: 366

<sup>(60)</sup> - شرح ابن عقيل، ابن عقيل: 182/3

<sup>(61)</sup> - روح المعاني، الألوسي: 68/28

الفاعل»<sup>(62)</sup> مثل الله أكبر أي: الكبير، وأوحد الناس أي: أحدهم، فكل هين بمعنى: أيسر عليه الإنشاء والإعادة، تعالى ربنا وتقدس ما شيء عليه بعزیز، أما إعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه.

وآخرون رأوا أن التفضيل باق على حاله، ولكن في صورة محاجة للمشركين؛ لأنهم كانوا مقرين بأنه سبحانه بدأ الخلق، وكانوا بالمعاد يجحدون، فجيء التفضيل لإدحاض معتقدتهم، فيقول لهم: «البعث أيسر عليه عندكم يا معشر الكفار»<sup>(63)</sup> من الإنشاء، فكيف تقرون بالأصعب ولا تقرون بالأسهل في نظركم؟.

وجاء في حاشية الصبان ما نصه: «أما ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فلا مانع من جعله للتفضيل باعتبار بعض الوجوه، أي: أعلم بكم من غيره، العالم ببعض أحوالكم، فالمشاركة في مطلق علم، وأما ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فيجعل التفضيل فيه باعتبار الاعتقاد الحاصل لكثير من قياس الغائب على الشاهد، أو باعتبار عادة الحوادث لا الأمر نفسه، وأما أعز وأطول فالمراد بالبيت بيت المجد والشرف وقوله: أعز وأطول من دعائم كل بيت وعلى هذا هما للتفضيل»<sup>(64)</sup> ويقصد الآيتين الكريمتين، وبيت الفرزدق المستشهد به في انقطاع التفضيل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33] وأحسن اسم تفضيل على بناء أفعال الذي مؤنثه فعلى، وجاءت أحسن متعلقة بالقرآن في عدة آيات منها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:18] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:55] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [الزمر:23] قال محمد العثيمين: «الحسن يتضمن حسن الأسلوب، وحسن الموضوع، ويشملهما قوله تعالى: "أَحْسَنَ" يعني: أحسن في أسلوبه وأحسن في موضوعه»<sup>(65)</sup> فأحسن هنا على باهما، «يعني أنهم يأتون بكلام حسن جدا وبيّن وواضح، ولكننا نأتيك بما هو أحسن وأبين وأوضح، وفي هذا من مدافعة الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم ما فيه»<sup>(66)</sup> وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ من البيان لسحرا»<sup>(67)</sup> والذين عايشوا بداية الإسلام أصحاب بيان ساحر، وفصاحة عالية.

ومنهم من رآه مسلوب المفاضلة، قال الألوسي: «أي جئناك بأحسن تفسير أي بما هو أحسن أو على محل (بالحق) أي استحضرننا لك وأنزلنا عليك الحق وأحسن تفسيراً، أي: كشفنا وبيانا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته، لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة، وهذا أحسن منه، وهذا نظير قولهم: الله تعالى

<sup>(62)</sup> - مجاز القرآن، أبو عبيدة: 121/2، المقتضب، المبرد: 245/3، معاني القرآن، الزجاج: 183/4

<sup>(63)</sup> - تفسير مقاتل بن سليمان: 412/3، البسيط، الواحدي: 44/18

<sup>(64)</sup> - حاشية شرح الأشموني على ألفية بن مالك، محمد بن علي الصبان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (دط) 1947م: 51/3

<sup>(65)</sup> - تفسير القرآن الكريم سورة الزمر، محمد العثيمين: 188

<sup>(66)</sup> - تفسير القرآن الكريم سورة الفرقان، محمد العثيمين: 126

<sup>(67)</sup> - صحيح البخاري كتاب الطب، محمد بن إسماعيل: 1129 رقمه: 5767

أكبر أي له غاية الكبرياء في حد ذاته... أو هو تحكم، وتعقب الأول بأنه يفوت عليه معنى التسلية؛ لأن المراد لا يهلك ما اقترحوه من قولهم "لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً" (68) فهو مسلوب المفاضلة.

**ج-صيغة أفعال التفضيل بمعنى الصفة المشبهة:** وجاء أفعال بمعنى: فعل، في قوله تعالى: ﴿تَحْتُ نَقْصُ عَيْتِكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:3] أحسن «ليس أفعال تفضيل بل هو بمعنى: حسن كأنه قيل: حسن القصص من باب إضافة الصفة إلى الموصوف» (69) قاله الألوسي، فانصب لإضافته إلى المصدر، فتنزل منزلته فصار مفعولا مطلقا.

**ه-صيغة أفعال التفضيل بمعنى الاسم العلم:** وتجيء أسماً وصفة قال سيبويه: «فالاسم نحو: أفكل، أيدع، وأجدل، والصفة نحو: أبيض، وأسود، وأحمر» (70) وفي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ [يونس:26] الحسنى: فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «الحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله» (71) وهي مؤنث الحسن، قال محمد العثيمين: «اسم تفضيل يعني: لا غاية في الحسن فيما سواها، بل كل ما يوجد من الحسن فهو دونها، لأن الحسنى اسم تفضيل، أي: أعلى ما يكون الحسن» (72) وهي الجنة.

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:6] أحمد: علم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المذكور في الإنجيل والقرآن، قال الألوسي: «هو منقول من المضارع للمتكلم، أو من أفعال التفضيل من الحامدية، وجوز أن يكون من المحمودية، بناء على أنه قد سمع أحمد اسم تفضيل منه، نحو: العود أحمد، وإلا فأفعل من المبني للمفعول ليس بقياسي» (73) واستحق العلمية أيضا لاشتهاره.

وبهذه الآلية يتم فهم عدة قضايا عقدية كانت تلتبس على المتلقي بين المفاضلة وتجردها منها، وبين تداخل دلالات مختلفة على التفضيل خرجت إلى: اسم الفاعل، والصفة المشبهة، والعلم.

(68) -روح المعاني، الألوسي: 16/19

(69) -م، ن: 507/12.

(70) -الكتاب، سيبويه: 245/4، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: 10/2

(71) -صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: 97/1 رقمه: 181

(72) -تفسير القرآن الكريم سورة النساء، محمد العثيمين: 102/2

(73) -روح المعاني، الألوسي: 86/28

• الأبنية المجاورة:

التجاور هو: التقارب بين الألفاظ أو الأصوات أو الحركات التي هي أبعاض الحروف، وفي النحو عللوا به خلاف الظاهر، قال سيبويه: «وقد حملهم قرب الجوار على أن جرّوا: هذا جحر ضبّ وجرّ ونحوه، فكيف ما يصحّ معناه»<sup>(1)</sup> فأجروه على الموضوع لا على الاسم الذي قبله، ففي هذا المثل أُعطي التابع إعرابا مغايرا لمتبوعه حملا على الجوار، وخرّب حقها الرفع نعتا لجحر، ولكنها جُرت مجاورة الجور: ضب.

ومن التجاور، التجاور في العطف كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: 6] قال الداني: «قرأ نافع وابن عامر، والكسائي وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض»<sup>(2)</sup> فقرأه النصب فيها عطف على الغسل، وقرأه الخفض في إعرابها وجهان، قال العكبري: «معطوفة على الرؤوس في الإعراب، والحكم مختلف، فالرؤوس ممسوحة والأرجل مغسولة؛ وهو الإعراب الذي يقال هو على الجوار... والوجه الثاني أن يكون جرّ الأرجل بمحذوف، تقديره: وافعلوا بأرجلكم غسلا»<sup>(3)</sup> وحكم الأرجل مغسولة في قراءتي النصب والجر، ومال العكبري إلى عدم المسح في إعراب الجوار بالخفض.

ومن المجاورة ما في الأفعال الشرطية أن عامل الجزم الأداة، لكن اختلفوا في جزم جواب الشرط، وحثتهم إذا تقدم جواب الشرط، أو اقترن بالفاء لم يجزم، بل تمتد الظاهرة إلى ما في الصفة المشبهة من قولهم: هذا رجل كريم أبوه، ومررت برجل كريم أبوه، ورأيت رجلا كريما أبوه (وهي حركات جاءت اتباعا لحركة ما قبلها للمجاورة في النعت السببي على توهم أنه نعت لرجل مجاورته إياه وهو في حقيقته صفة لما بعده، ولكنه جاوره فتبعه في إعرابه)<sup>(4)</sup> فهي حركات مجاورة لا حركات إعراب أصلية.

ومما يلاحظ وهو معلوم أنّ الشيء الذي يصعب حصره وهذا طبيعي في كتاب الله عز وجل: أن الصيغة الصرفية زيادة على أنه لا يغني عنها غيرها، فإن الدلالات التي تشعها والآثار التي تتركها تختلف حسب سياقاتها فيصعب ضبطها والإحاطة بها، وليس تجاور صيغتين يجعلهما متحدتان إعرابا وحكما، ومن دقائق الاستعمال القرآني وأسراره أن القرآن يستعمل الألفاظ تبعا للمعنى المراد وآية ذلك أن تجد آية ترد في موضعين أو ثلاث مواضع لا تختلف إلا في شيء طفيف من زيادة حرف أو نقصانه إلا أنّها تفيض بالدلالات الكثيرة والمختلفة.

والأبنية المجاورة التي نتطرق لها بالبحث ما تعلق منها بالألوهية والربوبية، خاصة ما تذيّل على الآيات من صفات وأسماء الله الحسنى، والتي تكثرت في فاصلة القرآن، وكذلك الأبنية التي تجاورت وجاءت في حق الرسل الكرام؛

(1) -الكتاب، سيبويه: 67/1

(2) -النشر في القراءات العشر، الداني: 254/2، البحر المحيط، أبو حيان: 437/3

(3) -التيبان في إعراب القرآن، العكبري: 123/1

(4) -ينظر: المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1406هـ 1986م: 188

ملائكة أو بشرًا، من أوصاف نُعتوا بها من قبل المولى عز وجل، وأوصاف الصحابة رضوان الله عليهم، وأوصاف الشيطان... وغير ذلك من القضايا العقدية.

**1-صيغة فعيل:** يصاغ فعيل من اللازم والمتعدي على بناء فعل وهو من أبنية الصفة المشبهة الدالة على الثبوت قال فاضل السامرائي فعل: «يدل على الطباع وعلى التحول في الصفات»<sup>(5)</sup> والصفة لشدة المبالغة كأنه جبيل عليها، قال ابن القيم عن فعيل: «يأتي بمعنى الفاعل، كقدير وسميع وعليم، والثاني: يأتي بمعنى مفعول، كقتيل وجرح»<sup>(6)</sup> وفعيل مثل "فعل" يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ فلا تلحقه تاء التأنيث إن صحبه الموصوف.

وترد صيغة فعيل تعقيباً في فواصل الآيات التي تتحدث عن الألوهية والربوبية وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل:9] وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية:37] وفي الحديث عن علم الله الشامل في الآفاق والأنفس كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:6] وفي السياقات التي تتحدث عن النصر كقوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:10] وفي المواضع التي تتعلق بالقرآن وتنزله مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:62] وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية:2] وفي مقام التنزيه والتسبيح إلى غير ذلك.

وتأتي صيغة فعيل متكررة متجاورة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَبَّأَيُّ الْعَالِمِ الْخَيْرِ﴾ [التحریم:3] قال محمد العثيمين: «الْخَيْرُ: العليم ببواطن الأمور، فيكون هذا وصفاً أخص بعد وصفٍ أعم؛ فتقول: العليم بظواهر الأمور، والخبير ببواطن الأمور، فيكون العلم بالبواطن مذكوراً مرتين: مرة بطريق العموم، ومرة بطريق الخصوص؛ لئلا يظن أن علمه مختص بالظواهر»<sup>(7)</sup> وهما من أسماء الله الحسنى.

وتجاور وصفي "العليم الخبير" وإيثارهما دون الاسم العلم "الله" وجميعهما على بناء فعيل الذي يفيد الثبوت، قال ابن عاشور هو: «من التذكير بما يجب أن يعلمه الناس من إحاطة الله تعالى علماً وخبراً بكل شيء، والعليم القوي العلم وهو في أسمائه تعالى دال على أكمل العلم، أي العلم المحيط بكل معلوم، والخبير أخص من العليم لأنه مشتق من خبر الشيء إذا أحاط بمعانيه ودخائله ولذلك يقال خبرته، أي بلوته وتطلعت ببواطن أمره»<sup>(8)</sup>. ومن تجاور بنائي فعيل جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:118] الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، قال عبد الرحمن الميداني معناهما: «القوي الغالب الذي لا يغلب، ولا تكافئ قوته

(5) -معاني الأبنية، السامرائي، دار عمار، عمان، ط2، 1428هـ/2007م:83

(6) -بدائع الفوائد، ابن القيم:3/863

(7) -شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين:1/190

(8) -التحرير والتنوير، ابن عاشور:28/354

قوة ما، ولا قدرته قدرة ما، في أي شيء...الحكيم: أي ذو الحكمة الجليلة في كل اختياراته، فهو يضع الأشياء في مواضعها الملائمة لها تماماً، ويختار أفضل الأشياء وأتقنها وأحسنها في الأمور المختلفة لما يعطي أحسن النتائج»<sup>(9)</sup> وقال ابن جرير «الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل»<sup>(10)</sup> يعني حاطه من كل نقص يعتره.

وأصل مادة الحُكِيم من حكم قال ابن عاشور: «للمنع من الفساد والخلل ومنه حكمة الدابة "بالتحريك" للحديدة التي توضع في فم الفرس لتمنعه من اختلال السير وأحكم فلان فلانا منعه...والحكمة بكسر الحاء ضبط العلم وكماله، فالحكيم إما بمعنى المتقن للأمر كلها أو بمعنى ذي الحكمة، وأياً ما كان فقد جرى بوزن فاعيل على غير فعل ثلاثي وذلك مسموع»<sup>(11)</sup> وتجاورهما بتقدم العليم على الحكيم ملاحظ في آيات أخرى.

قال ابن القيم عن المسيح عليه السلام: «عدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكامل القدرة وكامل العلم»<sup>(12)</sup> لأن الأساس هو التوحيد ونبد الشرك، وعليه مدار الحساب ولأجله نصبت الموازين «فكان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما نزه عنه منصب المسيح عليه السلام، لا سيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل الله ولداً، أو اتخذ إلهاً من دونه، فذكر العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة»<sup>(13)</sup> والجمع بين الصفتين، قمة الأدب مع الله من عبده عيسى عليه السلام في تفويض الفصل في شؤون العباد إلى مولاهم سبحانه.

وهو الأدب نفسه من الملائكة مثبتين هاتين الصفتين له عز شأنه: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:32] فجاء تجاورهما بتقدم العليم على الحكيم في أسلوب من المؤكدات، قال ابن عاشور في اتباع الحكيم العليم: «اتباع الوصف بأخص منه فإن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم لأن الحكمة كمال في العلم فهو كقولهم خطيب مصقع وشاعر مفلق»<sup>(14)</sup> والصفتان من أسمائه سبحانه.

وفي قول الله سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:49] جاء فاعيل في أسلوب المقلوب فليس المراد منه الوصف بالعزة والكرم؛ وإنما أتى بأسلوب التقرير والتوبيخ على الحكاية، والمراد به أنت الذليل المهان؛ الذي

<sup>(9)</sup> - معارج التفكير ودقائق التدبير، حبكة الميداني: 84/13

<sup>(10)</sup> - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (تح) شاكر: 88/3

<sup>(11)</sup> - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 415/1

<sup>(12)</sup> - بدائع التفسير، ابن القيم: 337/1، مدارج السالكين، ابن القيم: 379، 378/2

<sup>(13)</sup> - التفسير القيم للإمام ابن القيم، محمد أويس الندوي، (تح) حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا): 36

<sup>(14)</sup> - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 416/1

كنت تظن أنك عزيزا كريما؛ لأن "أبا جهل" قال: (أبوعدني محمد؟! والله لأنا أعز من مشى بين جبليها)<sup>(15)</sup> و"فعليل" ملازما له على الثبوت كما توعدده الحق تبارك وتعالى بأسلوب المتهكم به.

وكذلك قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:87] جاء "فعليل" متجاوزا، حيث صدر منهم على وجه الاستهزاء بأسلوب المقلوب، قال ابن قتيبة: «أن يوصف الشيء بضد صفته... كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستخفه: يا حليم»<sup>(16)</sup> وربما يكون على حقيقته وليس من الأسلوب المقلوب، بحيث لما عاب عليهم آهتهم التي كانوا يعبدون، ومسهم في مصالحهم المادية، أرادوا تكبيره بما عهدوه منه من صفات حسنة ملاصقة له، وكان عليه السلام حليما رشيدا.

قوله تعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:54] جاءت فعليل على الكثرة، قال أبو حيان: «وهما صفتا مبالغة، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل "يُجْبُهُمْ وَيُجْبُونَهُ" لأن الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صفة مبالغة، وكانت لا تتجدد، بل هي كالغريزة جاء الوصف بالاسم، ولما كانت قبل تتجدد لأنها عبارة عن أفعال الطاعة والثواب المترتب عليها، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد، ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن أوكد، ولموصوفه الذي قدم على الوصف المتعلق بالكافر، ولشرف المؤمن أيضاً، ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وره أشرف من الوصف الذي بين المؤمن»<sup>(17)</sup> فذهب بهما إلى الثبوت.

**2-صيغة فعليل ومفتعل:** في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:55] وفي أخرى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:42] وفي ملك لغات أربع منها: «ملك وملك ومليك ومالك»<sup>(18)</sup> ومليك على بناء فعليل، قال البقاعي: «أي ملك تام الملك مقتدر أي شامل القدرة بالغها إلى حد لا يمكن إدراكه»<sup>(19)</sup> و"مُقتدِر" جاءت منفردة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:45] والمقتدر من أسماء عز وجل أتى باسم الفاعل قال الخطابي: «وهو التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة، ووزنه مفتعل من القدرة إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم؛ لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمنين بالمقدور عليه»<sup>(20)</sup> وذكر المتقين بالعندية مع ملكهم المقتدر تشريفا لهم وتكريما، ونكر الوصفان "مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ" للتعظيم، وجاء على فعليل التي للمبالغة، للدلالة على الملكية اللامتناهية، وعلى مفتعل، للدلالة على كمال القدرة.

(15) - ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (تح) تركي: 61/21، تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 186

(16) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 185

(17) - البحر المحيط، ابوحيان: 524/3

(18) - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه: 22 و24، أحكام القرآن، القرطبي: 121/1

(19) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 137/19

(20) - شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي (تح) أحمد الدقاق، دار الثقافة العربية القاهرة، ط3، 1412 هـ 1992 م: 86

**3-صيغة فعيل وفعال:** في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَّحْمَةً رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص:9] العزيز على فعيل قال السعدي: «معناه: القاهر لكل شيء الذي لا يمتنع على قوته شيء»<sup>(21)</sup> والوهاب على فعال ومعناه: «هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة، ومعنى الهبة التمليك بغير عوض يأخذه الواهب من الموهوب له...ولا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت»<sup>(22)</sup> والله العزيز الوهاب وسع الخلق جوده وعطاياه بلا حد ولا عدد، ولا شاب شيء تكدير من منه سبحانه عز وجل.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:37] حيث بني التواب على فعال للمبالغة، قال الخطابي: "التواب" «هو الذي يتوب على عبده، ويقبل توبته، كلما تكررت التوبة تكرر القبول»<sup>(23)</sup> وقال أبو حيان: «والتواب من أسمائه تعالى، وهو الكثير القبول لتوبة العبد، أو الكثير الإعانة عليها»<sup>(24)</sup> وجمع بين الوصفين التواب والرحيم، قال الألوسي: «إشارة إلا أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب - كما زعمت المعتزلة - بل على سبيل الترحم والتفضل، وأنه الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعده سبب قربه، فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن الرحيم ما أعظمه»<sup>(25)</sup>.

وتنفرد فعال كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:116] بصيغة الكثرة عارضة علم الله الواسع لكل غيب، قال ابن القيم: «هم عبادك، وأنت أعلم بسرهم وعلايتهم؛ فإذا عذبتهم؛ عذبتهم على علم منك بما تعذبهم عليه، فهم عبادك وأنت أعلم بما جنوه واكتسبوه»<sup>(26)</sup> وهنا ما كان من أمرهم وقت غيابه عنهم.

**4-صيغة فعول:** في بناء فعول قولان قال ابن قتيبة: «يقال هو فعول بمعنى مفعول كما يقال رجل هيوب؛ أي مهيب يراد به مودود ويقال: هو فعول بمعنى فاعل كقولك غفور، بمعنى غافر أي يود عباده الصالحين»<sup>(27)</sup> وتتجاوز صيغتا فعول هنا ويراد منها الثبات خصوصاً إذا تعلق الأمر بصفات الله كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الْوُدُودُ﴾ [البروج:14] قال السجستاني الغفور من: «غفرت الشيء إذا غطيته، كما يقال كفرته إذا غطيته، ويقال

(21) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن ناصر السعدي: 93/1

(22) - م، س: 53

(23) - م، ن: 20

(24) - البحر المحيط، أبو حيان: 167/1

(25) - روح المعاني، الألوسي: 238/1

(26) - بدائع التفسير، ابن القيم: 337/1، مدارج السالكين: 379، 378/2

(27) - تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة: 9



كذا أغفر من كذا، أي: أستر... فكأنه الغفور الساتر لعبده برحمته أو الساتر لذنوبه»<sup>(28)</sup> والودود بني على فعول: «أي: محب لأوليائه»<sup>(29)</sup> وفي تجاورهما والجمع بينهما رحمة بعباده.

**5-صيغة فعول وفعل:** ويتجاور فعيل وفعول لأنهما متشابهان فهما: من أبنية المبالغة، ويصاغان من اللازم والمتعدي، ويجاء بهما للدلالة على من كثر منه الفعل ودام له، ويستوي فيه المذكر والمؤنث نحو: رجل صبور، وامرأة صبور وأصل فعول منقول: «من أسماء الذوات، لأنه يكون على (فعول) غالباً كالوضوء، والوقود، والسحور، والبخور»<sup>(30)</sup> من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] غَفُورٌ رَحِيمٌ ببناء "فعول وفعل" بمعنى اسم الفاعل غافر وراحم، حيث جاء التعقيب في دعاء الخليل عليه السلام بالمغفرة والرحمة، قال ابن القيم: «لأن المقام مقام استعطاف وتعريض بالدعاء، أي إن تغفر له وترحمه، بأن توفقه للرجوع من الشرك إلى التوحيد، ومن المعصية إلى الطاعة كما في الحديث "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(31)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90] ولكن بتقديم فعيل على فعول.

ومن تجاورهما جاء في وصف جبريل عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19] وأجمعوا على أن القول هو القرآن، وإن الرسول هو جبريل قال الشنقيطي: «الرسول لا يأتي بقول من عنده، وإنما القول الذي جاء به هو ما أرسل به من غيره، إلى ما أرسل إليه به»<sup>(32)</sup> والصاحب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسب القول إلى جبريل «لكونه نطق به وبلغه من غير مشاركة الشيطان ولا غيره»<sup>(33)</sup> وإنما هو سفير محض.

وفي القرآن ترجمة وافية ووصف لكل من الرسولين جبريل ومحمد عليهما السلام، وأوتي لجبريل عليه السلام ههنا وصف دقيق على بناء فعول وفعل المتشابهين في الدلالة على الثبوت، وهو وصف: «وصف يقتضي نفي المذام كلها، وإثبات صفات المدح اللاتمة به»<sup>(34)</sup> وفي الآية سند ومصدر القرآن، فليس بقول شيطان رحيم، فهو من محمد صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة جل جلاله.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143] ورؤوفٌ: على بناء فعول من فَعَّلَ وجاءت عليه صفات أخرى مثل شكور وغفور وودود، قال محمد العثيمين هي: «مفعول من الرأفة، وهي أشد الرحمة، وأرق

<sup>(28)</sup> م-، ن: 14، 15

<sup>(29)</sup> -غرب القرآن، محمد بن عزيز السجستاني، مطبعة علي الصبيح وأولاده، (دط) 1383هـ/1963م: 209

<sup>(30)</sup> -شرح الرضى على الكافية، رضى الدين محمد الأستراباذي: 1/162

<sup>(31)</sup> -التفسير القيم للإمام ابن القيم، محمد أويس الندوي: 36

<sup>(32)</sup> -أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي: 9/85

<sup>(33)</sup> -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 21/288

<sup>(34)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 8/425، الجواهر الحسان، الثعالبي: 5/558

الرحمة؛ لأن الرأفة فيها شيء من الرقة واللين أكثر مما في الرحمة»<sup>(35)</sup> والصفتان وصف بهما أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:28].

**6- فَعُولٌ وَفَعِيلٌ وَمَفْعِلٌ:** تجاورت هذه الأوصاف الثلاثة "الرَّسُولَ، النَّبِيَّ، الْأُمِّيَّ" في آيتين متتاليتين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ \* فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [الأعراف:157،158] والنبيء في القرآن جاء بهمز وبدونه، فالنبيء بالهمزة مشتق من النبأ فهو «فَعِيلٌ»: بمعنى فاعل وبمعنى مفعول، بمعنى فاعل لأنه منبئ مخبر، وبمعنى مفعول لأنه مخبر ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في وصف الرسول وهو الصادق المصدوق... وفعيل بمعنى مفعول»<sup>(36)</sup> والنبيء منبئ على مفعول وصرف إلى فعيل، كسماع ومبصر الذين يُصرفان إلى سميع وبصير.

وأما مجيء النبي في القرآن بغير الهمزة إما أنها مسهلة من الهمزة مثل أئمة: أئمة، أو أنها أصلية من نبا ينبوا ارتفع وهو الشيء الناتئ، قال ابن منظور: «أخذ من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه أشرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز وقال: الزجاج: القراءة المجمع عليها، في النبيين والأنبياء، طرح الهمز»<sup>(37)</sup> والنبيون أرفع قدرا ومرتبة عند الله ولذلك بدأ الله بهم في من أنعم الله عليهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [النساء:69] ورجح محمد العثيمين أنه يحتمل المعنيين كليهما: الرفع والنبأ لعدم التعارض بينهما<sup>(38)</sup> اعتبارا على أنه من المشترك اللفظي.

والأُمِّيُّ على وزن فُعَلِيٍّ بضم الفاء وسكون العين، نسبة إلى أم القرى مكة، قال أبو حيان: «نسب إلى المصدر من أم ومعناه: المقصود، أي: لأن هذا النبي مقصد للناس وموضع أم»<sup>(39)</sup> ومنه الفعل تأمم: اتخذ الشيء أمًا ومقصدا، قال الأزهري: «وليس يخرج من شيء من هذا الباب عن معنى "أمتت" أي: قصدت»<sup>(40)</sup> وقيل الأُمِّيُّ نسبة إلى وصف العرب، كان أكثرهم لا يقرأ ولا يكتب: «وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه صلى الله عليه وسلم تلا عليهم كتاب الله منظوماً مع أميته بآيات مفصلات، وقصص مؤتلفات، ومواعظ حكيما، تارة بعد أخرى، بالتَّظْمِ الذي أنزل عليه، فلم يغيِّره ولم يبدل ألفاظه»<sup>(41)</sup> وفي بعثه أميا إعجاز.

(35) -تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، محمد العثيمين:1/185

(36) -م، ن: 391

(37) -لسان العرب، ابن منظور:48/4316

(38) -ينظر: تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 391

(39) -البحر المحيط، أبو حيان:4/402

(40) -تهذيب اللغة، الأزهري:15/636

(41) -م، ن: 15/637

وفحوى الآيتين موجه لمن أدرك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني إسرائيل ولم يتبعه، فأبان لهم حقيقة الرسول الذي يجب أن يتبع بدلالة تاريخية لا تدع مجالاً للشك، بالرسول النبي الأمي المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، قال البقاعي عن هذه البناءات الملازمة للثبوت: «انطبق الوصف على الموصوف مع التنويه بجلالة الأوصاف والتشويق إلى الموصوف، ولم يعطف لثلاث يوهم تعداد الموصوف؛ والمعنى أني لا أغفر لأحد من بني إسرائيل ولا من غيرهم إلا إن اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم»<sup>(42)</sup> والإسلام لا يكون إلا في اتباعه.

**7-صيغة فعلان وفعل:** تتجاوز الصيغتان في القرآن الكريم وخصوصاً إذا تعلق الأمر بصفات الله عز وجل، وتكرر في مئة وأربعة عشر موضعاً على رأس كل سورة من البسملة فضلاً عن آي القرآن، ولا شك أن أصلهما يصدر عن فعل يفعل بكسر عينه، لكنهما يختلفان مبنى ودلالة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163] الرحمن: «الرحمن ذو الرحمة الواسعة؛ لأن فعلاً في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء، كما يقال: رجل غضبان: إذا امتلأ غضباً»<sup>(43)</sup> قال الحملاوي تدل: «على أمور تحصل وتزول، لكنها بطيئة الزوال»<sup>(44)</sup> بخلاف أن يكون في حق الله جل شأنه، والتحول والتغير لخلق.

يقول أبو البقاء الكفوي: «دلالة مبالغة "فعالن" لكثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام كغضبان، وفعل للدوام الوصف كظريف فكأنه قال: الكثير الرحمة الدائمها»<sup>(45)</sup> ويقول ابن القيم: «وإنما دخل معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون كالتثنية، فإن التثنية في الحقيقة تضعيف وكذلك هذه الصفة فكأن غضباناً وسكراناً كامل لضعفين من الغضب والسكر فكان اللفظ مضارعاً للفظ التثنية لأن التثنية ضعفتان في الحقيقة»<sup>(46)</sup> واقتربت في التنزيل بالاستواء «على العرش بهذا الاسم كثيراً، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] و﴿تَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان:59] فاستوى على عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات»<sup>(47)</sup> فاسم الرحمن وصف خاص له عز وجل.

والرحيم من رحم الثلاثي مكسور العين، قال محمد العثيمين: «هو اسم يدل على الفعل؛ لأنه فعل بمعنى فاعل، فهو دال على الفعل»<sup>(48)</sup> والمعنى بين البنائين متداخل لاشتراكهما في الرحمة، والتغاير بينهما بصوت مد طويل هو الألف مكان صوت طويل هو الياء، والتفريق بين الأبنية يتم في الغالب بواسطة المصوتات الطويلة والقصيرة، قال

(42) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 105/8

(43) - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين: 38/1

(44) - شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي (تح) حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م: 48

(45) - الكليات، أبو البقاء الكفوي (تح) عدنان ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1432هـ/1993م: 468

(46) - بدائع الفوائد، ابن القيم: 23/1

(47) - التفسير القيم للإمام ابن القيم، محمد أويس الندوي: 33

(48) - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين: 38/1

ابن القيم: «الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43] و﴿إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117] ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا نكاد تجدها في كتاب»<sup>(49)</sup> ولا يضاف إلى غيره خلافا للرحيم، واختص الرحمن به سبحانه على وجه العلمية أكثر من النعت.

وتجاور البنائين الرحمن والرحيم يشير إلى: «أن رحمة الله واسعة، وأنها واصله إلى الخلق، وهذا هو ما أوماً إليه بعضهم بقوله: الرحمن رحمة عامة، والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين»<sup>(50)</sup> ومعنى رحمة عامة أنها تدرك الخلائق جميعهم كافرهم ومسلمهم في الدنيا، وهذا من مقتضى الربوبية، وأما في الآخرة فهي رحمة خاصة بالمؤمنين، قال السهيلي: «وفائدة الجمع بين الصفتين أعني الرحمن الرحيم، وإن كانتا جميعاً من الرحمة: الإنباء عن رحمة عاجلة ورحمة آجلة، أو رحمة خاصة وأخرى عامة، حاصلتين لقارئ القرآن والله أعلم»<sup>(51)</sup> ولعله أراد أن هذا له على وجه الخصوص فقط، وإلا فإن رحمته أوسع، قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

وفي إفادة فعلان الحدوث والتجدد، وفعيل الثبوت، يقول فاضل السامرائي: «لو اقتصر على رحمن لظن ظان أن هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريان، ولو اقتصر على رحيم لظن أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها... فجمع بينها حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هي الرحمة وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع حتى لا يستبد به الوهم بأن رحمته تعرض ثم تنقطع أو يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه»<sup>(52)</sup> ورحمهم وأمرهم أن يتراحموا فيما بينهم بها.

**8-صيغة فعّال وفعال:** في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4] الوسواس محتمل للمصدرية والوصفية، وهو من الرباعي فعّل والوصف منه مفعّل كمدحرج، قال ابن القيم: «الوسواس: فعّال، من وسوس، وأصل الوسوسة: الحركة، أو الصّوت الخفي الذي لا يحس فيُحْتَرزُ منه، فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد»<sup>(53)</sup> والخناس: من خنس واختنس إذا اختفى وتوارى ورجع: «وجيء من هذا الفعل بوزن: فعّال الذي للمبالغة دون الخانس

(49) - بدائع التفسير، ابن القيم: 26/1

(50) - م، ن: 38/1

(51) - نتائج الفكر، السهيلي، عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م: 43

(52) - معاني الأبنية العربية، السامرائي: 81

(53) - بدائع الفوائد، ابن القيم: 783/3

والمُنْحَسِرُ إيدانًا بشدة هروبه ورجوعه وعِظَم نفوره عند ذكر الله، وأن ذلك دأبُهُ وَدَيْدَنُهُ... وذكر الله هو مُقَمَّعَتُهُ التي يجمع بها، كما يجمع المفسدُ والشِّريرُ بالمقامع التي تردعه»<sup>(54)</sup> فهما إلى الوصف أقرب لتجاورهما.

والوسواس والخنّاس «وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان، وحسّن حذف الموصوف ههنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه، والموصوفُ إنما يُقْبَحُ حذفه إذا كان الوصف مشتركاً فيقع اللبس... فأما إذا غلب الوصف واختصّ ولم يعرض فيه اشتراك، فإنه يجري مجرى الاسم، ويحسُن حذف الموصوف»<sup>(55)</sup>.

**9-صيغة فعل وفعل:** تجاورت الصيغتان في قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر:23] ومثل هذا التجاور في سورة [الجمعة:1] قال الزجاجي الملك: «تأويله ذو الملك... فوصف نفسه جل وعز بأنه الملك يوم لا ملك سواه، ولا يدعي الملك معه أحد كما يدعي ذلك في الدنيا، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:16]»<sup>(56)</sup> وقال ابن قتيبة القدوس: «مبني على (فُعول)؛ من (الْقُدُس) وهو: الطهارة... وتُقَدِّسُك وتُقَدِّسُ لك وتُسَبِّحُ لك وتُسَبِّحُك بمعنى واحد»<sup>(57)</sup> والقُدوس بفتح القاف «هو لغة في القُدوس حكاها صاحب الكتاب رحمه الله، وفُعول في الصفات قليل، وأكثر ما يأتي في الأسماء، نحو: تنور وسمور وهبود لجبل باليمامة»<sup>(58)</sup> ولم يصطحب اسم القدوس صفة أخرى من صفاته عز وجل أو اسماً غير الملك؛ لأنه ملك متفرد طاهر؛ منزّه عن العيوب، وفيهما إشارة إلى أفعال الربوبية العظيمة، وتعريض بالمثالب والنقص الموجود في ملوك الأرض.

**10-صيغة فعل وفيعل:** تجاور هذان البناءان الاسم والصفة؛ الحي القيوم، فالحي: «في وزنه قولان: أحدهما: أنه فعل، والثاني: أنه فيعمل فحَقِيف، كما قالوا ميّت، وهين، والأصل: هين وميّت، قال السدّيُّ المراد بـ "الحي" الباقي»<sup>(59)</sup> وقال الخطابي: «هو الذي لم يزل موجوداً وبالحيّة موصوفاً لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة»<sup>(60)</sup> أمّا القيوم على بناء فيعول، قال الطبري: «أصله القيوم غير أن الواو الأولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهي متحركة قلبت ياء فجعلت هي والياء التي قبلها ياء مشددة، لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياء ساكنة»<sup>(61)</sup>.

(54) -م، ن: 792/3

(55) -م، ن: 790/3

(56) - اشتقاق أسماء الله، الزجاجي (تح) عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م: 43، 44.

(57) - تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة: 9

(58) - الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الحمداني: 6/130

(59) - اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي (تح) علي معوض وآخرون دار الكتب العلمية بيروت، ط1،

1998م: 4/314

(60) - شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي: 80

(61) - دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، عبد الرحمن عميرة عالم الكتب، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م: 2/507

وفي قراءة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وابن مسعود "القيام"، أصل القيام «القيوم وهو الفيعل من قام يقوم سبقت الواو المتحركة من قيوم ياء ساكنة، فجعلنا جميع ياء مشددة»<sup>(62)</sup> وفي إثبات هذين الاسمين وتجاورها ما يوحى إلى أن: «في الحي كمال الصفات، وفي القيوم كمال الأفعال، وفيهما جميعاً كمال الذات، فهو كامل الصفات والأفعال والذات»<sup>(63)</sup> سبحانه عز وجل الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

**11-فعل وفعل:** قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: 115] عدلا: مصدر سماعي عدل يعدل باب ضرب، وزنه فعل بفتح فسكون «والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئا منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقا»<sup>(64)</sup> وصدقا: «مصدر سماعي لفعل صدق يصدق باب نصر، وزنه فعل بكسر الفاء، وثمة مصادر أخرى هي صدق بفتح الفاء ومصدوقة وتصداق بفتح التاء»<sup>(65)</sup> قال الكرمانى: «المصدران وقعا حالين، أي: صادقة وعادلة»<sup>(66)</sup> ومن أصدق من الله سبحانه وأعدل.

وبالجمله فإن قضايا الصرف هي معيار ألفاظ اللغة العربية، إذ ترجع جميعها إلى صيغ تتحدد بها المعاني وتتحدد فتظهر من خلالها: الدلالات الوظيفية وعلاقات المبنى بالمعنى، من ذلك دلالات بعض البناءات التي تعبر عن اجتماعها وتجاورها هنا في هذا الموطن دون غيره، ومواقعها أسمار الله الحسنى، وفواصل الآيات بعامة.

(62) -م، ن: 507/2

(63) - تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 7/1

(64) - بدائع التفسير، ابن القيم: 223/1

(65) - الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصائى: 75/7

(66) - غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى: 381/1

\* الفصل الثالث:

-التركيب اللغوية وتأثيراتها الإقناعية:

- أسلوب الاستفهام
- أسلوب التقديم والتأخير
- الحذف والتقدير
- أسلوب القسم
- أسلوب الإلتفات
- التحول في الأفعال

• توطئة:

الدراسة الدلالية تعتمد على التراكيب، ولذا لم يكن غريبا أن يعقد الشاطبي (ت790هـ) فصلا في الموافقات عنوانه «أن تكون العناية بالمعاني التركيبية لا الإفرادية»<sup>(1)</sup> ومعنى العناية بالتراكيب أن تدرس الألفاظ مركبة وألا تدرس المفردات لذاتها، لأن معناها المعجمي قليل حيث تبدو معانيه كامنة وكثيرة فلا تفهم بم عزل عن التراكيب. وكلمة التركيب ظهرت بمصطلح "الكلم" والكلمة مفرد له وهو اسم ذات كما في الكتاب عند سيبويه<sup>(2)</sup> ثم ظهر باسم "الجملة" كما في معاني الفراء، وبعده المبرد في المقتضب، ثم ظهر التركيب بمعنى ضم أو إسناد كلمتين والمراد به الكلام: «المركب من كلمتين فأكثر»<sup>(3)</sup> ومداره معرفة العلاقات الموجودة بين بناء المكونة له. ووصف ابن القيم التراكيب القرآنية قائلا: «وأما تركيبه فجاء على أصح وجوه التركيب، وأبعدها من اللبس، وأشدّها مطابقة للمعنى، فمفرداته نصوص أو كالنصوص في مسماها، وتراكيبه صريحة في المعنى الذي قصد بها، والمخاطبون بتلك اللغة سحيتهم وطبيعتهم غير متكلفة لهم، فهم يعلمون بالاضطرار مراده منها»<sup>(4)</sup> وجاءت التراكيب بمهارة الصفات من السهولة والتيسير حتى تكون حجة على الخلق في العلم والعمل. ولا بد كما قال السكاكي: «أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى»<sup>(5)</sup> لأن الجاهل بأصل البناء لا يعرف ما يترتب عليه البناء، قال الجرجاني: «لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم»<sup>(6)</sup> فكيف الوصول إلى معاني النحو ما لم يعرف وظائف مفردات تركيبه وحسن مواقعها. والتراكيب الشائعة عند العرب جاء القرآن الكريم موافقا لها، وتعلقت بها موضوعات العقيدة: كالיום الآخر، وكالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، في موضوعات الألوهية وخصوصا ما يتعلق بالأسماء والصفات، والذين أرادوا تبيان ما أشكل فهمه في آيات من القرآن كأبي عبيدة وابن قتيبة وغيرهم، كان همهم تصويب الفهوم في المتفق والمختلف من التراكيب، ودرء الاختلاف الظاهر.

لذلك فإنّ أوجه التراكيب القرآنية لا تعرف ما لم تكن على سمت ونهج العرب، قال الطبري: «فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلمها ملائما، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضّل بها سائر الكلام والبيان... ففي كلام العرب الإيجاز والاختصار، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار،

(1) -الموافقات، الشاطبي (تح): عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، (دط تا): 87/2

(2) - ينظر: الكتاب، سيبويه: 12/1

(3) - شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، خالد بن عبد الله الأزهرى: 19/1.

(4) -الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم: 671/2

(5) -مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، (تح) نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م: 75

(6) -دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) شاكر: 370



## الفصل الثالث: التراكيب اللغوية وتأثيراتها الإقناعية ■■■■■ مبحث: أسلوب الاستفهام

والترداد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصريح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر، وتأخير ما هو في المعنى مقدم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عما يحذف، وإظهار ما حظه الحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزل عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك، في كل ذلك له نظيرا، وله مثلا وشبيها»<sup>(7)</sup> وغيرها من التراكيب.

أما اللفظة داخل التركيب فهي تبع للمعنى، وإلا لكان الكلام لغوا، قال الجرجاني: «الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتعرض للشين»<sup>(8)</sup> والبحث في مواقعها إعجاز من صنوف الإعجاز البياني، قال الجرجاني أيضا: «وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جارئاتها، وفضل مؤانستها لأحوالها»<sup>(9)</sup> وبمعرفتها يتضح المعنى في البنى المتشابهة والمتغايرة، وطبيعة الترابط بينها وبين غيرها.

فالأسلوب هو وجه التركيب ومسحته التي لا تفارقه، والتصرف في التراكيب هو تلوين في الأسلوب، قال الزمخشري: «وذلك على عادة افتنائهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعته بفوائد»<sup>(10)</sup> فمعرفة التركيب هو معرفة أنواع العلاقات التي تجثم على صدره.

### • أسلوب الاستفهام:

يعتبر أسلوب الاستفهام في القرآن أداة توصيل فعالة في نقل الحقائق والأغراض، فهو بنية حجاجية تقوم على طرح القضية، ثم تقديم ما يشرحها ويعللها ولو ضمينا، فيشارك في عملية الإقناع وتبسيط الحجة إلى درجة الإفحام والإبهار المصحوب أحيانا بالسكوت، أرأيت إلى السؤال الذي ألقاه إبراهيم عليه السلام على الملك كم كان داما: قال تعالى ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة: 258] فأخرجه وأخرجه من قصره إلى الكون الفسيح، وفضحه في الملا من جنده وفي زينته، بسؤال بسيط، وما ذاك إلا أن الاستفهام هو لسان الحجاج الذي لا يستغنى عنه في الإقناع ودحض الشبهات.

(7) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) محمود شاكر: 12/1

(8) - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (تح) محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1412هـ: 8

(9) - دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) محمود شاكر: 104

(10) - الكشاف، الزمخشري: 120/1

ولما كان في علم الله سبحانه تفاوت في خلقه؛ منهم المعاندون ومنهم المحرمون ومنهم المسلمون ومنهم... فبأسلوب الاستفهام من يقفه على الإقرار، ومن يوبخه ويقرعه! ومن يستدرجه إلى التعجيب من أمره أو أمر إلهته! وهناك من يعرض نفسه على وعيد القرآن وتهديده المستفهم، فيجد مالا قبل له به، ومنهم من يعرفه بمنشئه ومعاده فيؤوب إلى رشده، كل ذلك لا يتم إلا به في إزالة طبائع وتقاليد وإقناع قلوب، في صورة محاجة.

وصورة الاستفهام تكون بالسؤال، قال ابن منظور الاستفهام: «سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيمًا»<sup>(11)</sup> فهو لأجل معرفة واستعلام ما في ضمير المخاطب، وقال علي الجرجاني: «طلب حصول الشيء في الذهن»<sup>(12)</sup> قسم منه حقيقي قال عنه المبرد: «ورد الاستفهام على أصل معناه؛ وهو طلب الفهم، ومعرفة المحمول»<sup>(13)</sup> وقال التهانوي: «شاك يصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام»<sup>(14)</sup> وغير حقيقي خرج إلى أغراض أخرى، وهو الغالب في القرآن، وهو أكثر ما يستهدفه هذا البحث بإذن الله.

والأسلوب القرآني يتنوع بتنوع الحاجة، قال المودودي: «فمرة يأتي بأسلوب الخطاب المجلجل الرنان المتأجج بنار المشاعر، ومرة يأتي بأسلوب الأوامر والمراسيم الملكية، ومرة بأسلوب دروس المعلم، وأخرى بأسلوب تذكير المصلح الناصح»<sup>(15)</sup> والاستفهام فيه له الصدارة<sup>(16)</sup> لحجاجيته، وفاعليته الجدلية في الإقناع، وهو باعتبار الدلالات التي يخرج إليها أعظم من أن يحصر، قال صاحب البرهان: «ومن "الاستفهام" ما يكون سؤالاً عما لا تعلمه، فيخص باسم "الاستفهام" ومنه ما يكون سؤالاً عما تعلمه ليقرّر لك به، فيسمى "تقريراً"، ومنه ما يكون ظاهره الاستفهام ومعناه "التوبيخ" كقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: 130]»<sup>(17)</sup> ولكن يتحدد معناه حسب السياق الذي يؤدي فيه.

**1- الاستفهام الإنكاري:** قال صاحب الأضواء: «استفهام الإنكار يكون مضمناً معنى النفي»<sup>(18)</sup> وقال أحمد ابن تيمية: «إن أكثر استفهامات القرآن أو كثيراً منها إنما هي استفهام إنكار معناه: الذم والنهي إن كان إنكاراً

(11) - لسان العرب، ابن منظور: 3481/39، مختار الصحاح، الرازي: 327

(12) - التعريفات، علي الجرجاني: 18، الكليات، أبو البقاء الكفوي: 97

(13) - المقتضب، المبرد (تح) عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط3، 1415هـ/1994م: 292/3

(14) - كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي (تح) علي دحروج، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1996م: 476، 477

(15) - المبادئ الأساسية لفهم القرآن، المودودي أبو الأعلى، الدار السعودية، ط1، 1407هـ/1987م: 28

(16) - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 180/1

(17) - م، ن: 189/2

(18) - أضواء البيان، الشنقيطي: 306/3

شرعياً، أو معناه: النهي والسلب إن كان إنكار وجود ووقوع»<sup>(19)</sup> وكثيراً ما يكون مصحوباً بـ "إلا" كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35] وينقسم إلى قسمين:

**أ- إنكار إبطالي:** وضابطه أن ما بعد أداة الاستفهام: «غير واقع، ولا يمكن أن يحصل، ومدعيه كاذب»<sup>(20)</sup> مثل له بقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:28] قال ابن القيم: «التسوية تدل على أن هذا قبيح في نفسه، منكر تنكره العقول والفطر، أفتظنون أن ذلك يليق بنا أو يحسن منا فعله؟ فأنكره سبحانه إنكار منبه للعقل والفطرة على قبحه»<sup>(21)</sup> فلا يليق نسبه لله.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:106] قال ابن عاشور حرف "ألا": «مركبا من حرفين همزة استفهام دخلت على "لا" النافية، فهو استفهام عن انتفاء تقواهم مستعمل في الإنكار وهو يقتضي امتناعه من الامتثال لدعوته، ويجوز أن يكون "ألا" حرفاً واحداً هو حرف التحضيض مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة:13] وهو يقتضي تباطؤهم عن تصديقه»<sup>(22)</sup> وتباطؤهم اقتضى الاستنكار.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود:13] الاستفهام إنكاري و"أم" منقطعة بمعنى "بل" فتقدر بعدها همزة والإضراب للانتقال من غرض إلى آخر «والتقدير: بل أيقولون افتراه، والإضراب الانتقالي في قوة الاستئناف الابتدائي، فللجملة حكم الاستئناف، والمناسبة ظاهرة، لأن الكلام في إبطال مزاعم المشركين، فإنهم قالوا: هذا كلام مفترى، وقرعهم بالحجة»<sup>(23)</sup> للإتيان ولو بمفتريات.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت:19] قال ابن عاشور: «الهمزة للاستفهام الاستنكاري عن عدم الرؤية نُزلوا منزلة من لم ير فأنكر عليهم»<sup>(24)</sup> لتعطيل حواسهم.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:10] الاستفهام إنكاري قال ابن عاشور: «وقوع الشك في وجود الله، فقدم متعلق الشك للاهتمام به، ولو قال: أشك في الله، لم يكن له هذا الوقع... والمراد: إنكار وقوع الشك في أهم الصفات الإلهية وهي صفة التفرد بالإلهية، أي صفة الوجدانية، وأتبع اسم الجلالة بالوصف الدال على وجوده وهو وجود السماوات والأرض»<sup>(25)</sup> وانفراده بالخلق يقتضي استحقاقه

(19) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 63/14

(20) - النحو الوافي، عباس حسن: 601/3

(21) - مدارج السالكين، ابن القيم: 262/1

(22) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 158/19

(23) - م، ن: 19/12

(24) - م، ن: 228/20

(25) - م، ن: 199، 198/13

الإلهية، ولذا قال الرسل عليهم السلام: «أَبَى اللَّهُ شَيْئًا» فهو أعرف من كل معروف، وأبىء من كل دليل، فالأشياء عرفت به في الحقيقة، وإن كان عُرفَ بها في النظر والاستدلال بأفعاله وأحكامه عليه»<sup>(26)</sup> وهو أمر مركوز في الفطرة، ومعلوم حسًا لكل ذي بال.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:88] الاستفهام للإنكار قال السمين: «أبوجد منكم أحد هذين الشيئين: أعني الإخراج من القرية والعود في الملة، على كل حال حتى في حال كراهيتنا لذلك؟ وقال الزمخشري: "الهمزة للاستفهام، والواو واو الحال تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا»<sup>(27)</sup> وفعل قومه سنة المجرمين مع جميع الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:22] الهمزة محذوفة، قال النحاس: «فحمل على معنى الإنكار: أتلك نعمة تمنها علي وهي تعبيدك بني إسرائيل؟»<sup>(28)</sup> وقال الأخفش: «يقال هذا استفهام، كأنه قال: أوتلك نعمة تمنها؟ ثم فسر، فقال: وجعله بدلا من النعمة»<sup>(29)</sup> فالاستفهام مقدر.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام:14] جاء الاستفهام بـ"الهمزة" لصوتها الجمهوري مناسبا لحسم قضية الشرك في اتخاذ الولي مع الله عز وجل، قال أبو السعود: «سلطت الهمزة على المفعول الأول لا على الفعل إيذانا بأن المنكر هو اتخاذ غير الله وليا، لا اتخاذ الولي مطلقا»<sup>(30)</sup> لأنه شرك.

**ب- إنكار توبيخي أو التقريع:** وهو قسيم الإنكار الإبطلاي، ويجيء التوبيخ والذي يعبر عنه بالتقريع بمعنى واحد قال السيوطي: «ما بعده واقع جدير بأن ينفي، فالنفي هنا قصدي والإثبات قصدي... وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت وبخ على فعله»<sup>(31)</sup> مثل له بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:95] ضابطه أن ما بعد أداة الاستفهام واقع على التقبيح اقتضى أن ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ﴾ [الأنعام:22] فالأمر واقع في الإنكار التوبيخي بحيث: «ويقتضي أن المخاطب فعل فعلا يستلزم توبيخه عليه وتقريعه»<sup>(32)</sup> وهو اتخاذ الشركاء والأنداد مع الله، بتعظيمهم تعظيما يساوى الحق تبارك وتعالى .

(26) - الفوائد، ابن القيم:29

(27) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي:380/5

(28) - إعراب القرآن، النحاس:176/3، الحجة، أبو علي الفارسي:447/4

(29) - معاني القرآن، الأخفش الأوسط: 426/2

(30) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود:180/2

(31) - معترك الأقران، السيوطي:1/329

(32) - معاني النحو، السامرائي فاضل دار الفكر، عمان، ط1، 1420هـ/2000م:4/608

واسم الاستفهام "مَنْ" في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:52] مبتدأ أريد به الحقيقة وهو قول الكفار، وكان الجواب على الحقيقة، من الملائكة أو المؤمنين، قال الثعالبي: «وقالت فرقة: هي من قول الله تعالى على جهة التوبيخ»<sup>(33)</sup> والمرقد مصدر ميمي يجوز «أن يكون من رقادنا، ويجوز أن يكون اسم مكان وقد أقيم المفرد مقام الجمع»<sup>(34)</sup> وهذا: للوقف أو الاستئناف بها.

والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:15] خرج الاستفهام للتوبيخ والتفريع؛ لأنهم كانوا يسمون القرآن الذي حذرهم جهنم: سحرا، قال الطبري: «فيقال لهم أفسحروا أيها القوم هذا الذي وردتموه الآن، أم أنتم لا تعانونه ولا تبصرونه؟ وقيل هذا لهم توبيخاً لا استفهاماً»<sup>(35)</sup> وقدم الخبر على المبتدأ لأنه «محط الإنكار ومدار التوبيخ»<sup>(36)</sup> فهو لا يستفهم وإنما على جهة التوبيخ، وهم مُقَرَّبُونَ لعلمهم السابق به.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:60] والاستفهام في جملة "أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ" المكررة للإنكار، قال السمرقندي: «أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ يعينه على صنعه، اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإنكار والزجر»<sup>(37)</sup> سبحانه لا إله إلا الله (وكذا يقال في المواقع الأربعة الآتية، ثم أضرب عن توبيخهم وتفريعهم بما تقدم)<sup>(38)</sup> فإذا ثبت أنه لا يقدر على ذلك إلا الله فهل إله في الوجود يخلق كخلقه فكيف تشركون به.

**2- استفهام النفي:** «خلاف الإثبات ويسمى كذلك الجحد، وهو من الحالات التي تلحق المعاني المتكاملة المفهومة من الجمل التامة والتعبيرات الكاملة وكل معنى يلحقه النفي يسمى منفيًا»<sup>(39)</sup> ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:255] النفي واقع على "مَنْ" قال السمين: «وإن كان لفظها استفهاماً فمعناه النفي، ولذلك دخلت "إِلَّا" في قوله "إِلَّا بِإِذْنِهِ»<sup>(40)</sup> والشفاعة لا تكون بإذنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:87] من اسم استفهام بمعنى النفي، قال محمد العثيمين: «وإتيان النفي بصيغة الاستفهام أبلغ من إتيان النفي مجرداً؛ لأنه يكون بالاستفهام مشرباً معنى التحدي؛ كأنه يقول: لا أحد أصدق من الله حديثاً، وإذا كنت تزعم خلاف ذلك؛ فمن أصدق من الله؟»<sup>(41)</sup> ومن دلالات

(33) - الجواهر الحسان، الثعالبي: 17/5

(34) - إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويش: 338/22

(35) - جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري: 577/21

(36) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 209/5

(37) - تفسير بحر العلوم، السمرقندي: 502/2

(38) - ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن القنوجي: 59/10

(39) - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، سمير نجيب اللبدي: 228

(40) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 542/2

(41) - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين: 418/1

الآية: إثبات كلام الله تعالى الذي يؤخذ من "حديثاً" يعني كلاماً، ومن الصدق، الذي هو صفة للكلام، ومثله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122] يؤخذ كلام الله: من الصدق ومن القيل بمعنى القول، وفي الآيتين تكذيب لمن زعم غير ذلك.

ومثله في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: 65] الاستفهام للنفي، قال محمد العثيمين: «وإذا كان الاستفهام بمعنى النفي؛ كان مشرباً معنى التحدي؛ يعني: إن كنت صادقاً فأخبرنا؟ و(السمي): الشبيه والنظير يعني: هل تعلم له مسامياً أو نظيراً يستحق مثل اسمه؟ والجواب: لا. فإذا كان كذلك فالواجب أن تعبده وحده»<sup>(42)</sup> لأنه المستحق للعبادة لعدم وجود النظير.

وفي قوله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] استفهام معناه النفي، قال ابن عباس: «هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة»<sup>(43)</sup> قال الزجاج أي: «ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة»<sup>(44)</sup> فالذين لا يحسنون، لا يُحسن إليهم.

**3- الاستفهام التقريري:** التقرير في اللغة: «مصدر قرّر، وقرر الأمر: ثبته... وهو إعلام المخاطب بما يعلم ثبوته، وهذا المعنى تفيدته همزة الاستفهام»<sup>(45)</sup> قال السيوطي: «حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده... وحقيقة استفهام التقرير أنّه إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات»<sup>(46)</sup>.

والاستفهام من الله عز وجل يجيء للتقرير لشيء مركوز في الفطرة، قال الزركشي: «فإن الرب تعالى لا يستفهم عن خلقه شيء، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء؛ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف»<sup>(47)</sup> فيأتي الاستفهام للتذكير بما نسوه، وهو مقرر في النفوس.

ويكثر في القرآن الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته، قال الشنقيطي: «ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بما على أنه هو المستحق لأنه يعبد وحده»<sup>(48)</sup> الاعتراف بالرب يلزمهم بأنه المستحق للعبادة وهو توحيد الإلهية الذي كانوا ينكرونه.

من ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] قال أبو السعود الاستفهام هنا: «تقرير وتقريب فإن هل بمعنى قد، والأصل: أهل أتى»<sup>(49)</sup> فأريد بالسائل أنه عالم.

(42) - ن، م: 352/1

(43) - الدر المنثور، السيوطي: 714/7، معالم التنزيل، البغوي: 455/7

(44) - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 103/5

(45) - موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب: 639/4

(46) - معترك الأقران، السيوطي: 329-330/1

(47) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 327/2

(48) - أضواء البيان، الشنقيطي: 411/3

ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:172] الاستفهام تقريرى، قال ابن عاشور: «ومثله يقال في تقرير من يُظن به الإنكار أو يُنزل منزلة ذلك فلذلك يقرر على النفي استدراجاً له حتى إذا كان عاقداً قلبه على النفي ظن أن المقرر يطلبه منه فأقدم على الجواب بالنفي»<sup>(50)</sup> والآية في إشهاد الذرية قبل الخلق، كما في السنة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:60] الاستفهام للتقرير، قال أبو السعود: «لأن السامع يسأل عن سبب اسوداد الوجوه فيجاب بأن في جهنم مثواهم، يعني لأن السواد يناسب ما سيلفح وجوههم من مس النار، فأجيب بطريقة الاستفهام التقريرى بتنزيل السائل المقدر منزلة من يعلم أن مثواهم جهنم، فلا يليق به أن يغفل عن مناسبة سواد وجوههم، لمصيرهم إلى النار، فإن للدخائل عناوينها»<sup>(51)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُذُهُمْ أَرْسَالَهُمْ﴾ [مریم:83] الهمزة للاستفهام التقريرى لا محل له من الإعراب، وتجيء مصحوبة بفعل الرؤية، قال محمود الصائى: «فتذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم... وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهرت في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب بأنه شبه حال من "لم ير" الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه، والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازاً عن النظر، أو بمعنى الإدراك القلبي متضمناً معنى الوصول والانتهاء»<sup>(52)</sup> والاستفهام تقريرى مراداً به الإخبار عن فعل الشياطين في الكافرين وهو حق.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء:62] الاستفهام تقريرى قائم على الاسم بعد الهمزة، وإرادتهم أن «يقر بأنه منه كان»<sup>(53)</sup> قال أبو السعود: «إسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه، ولا تجهيلهم في سؤا لهم لابتناؤه على احتمال صدوره عن الغير عنده، بل إنما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم»<sup>(54)</sup> كما يبين السياق بعد ذلك.

**4- بين النفي والتقرير:** ويجيء النفي والتقرير معاً، لأن حقيقة التقرير إنكار والإنكار نفي، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:59] الاستفهام للتقرير وهو

(49) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 434/5

(50) - التحرير والتنوير، ابن عاشور 168/9

(51) - م، س: 51/24

(52) - الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصائى: 516/1

(53) - دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) شاكر: 113

(54) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 713/3



بمعنى النفي، قال السمرقندي: «يعني الله تعالى أفضل أم الآلهة التي تعبدونها، اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير، يعني الله تعالى خير لهم مما يشركون»<sup>(55)</sup> وهم مقرون أن الآلهة التي يعبدون لا تسعفهم بشيء.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس:34] قال الطبري: «قل يا محمد: "هل من شركائكم" يعني من الآلهة والأوثان من يبدأ الخلق ثم يعيده، يقول: من ينشئ خلق شيء من غير أصل فيحدث خلقه ابتداءً، ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه، فإنهم لا يقدرين على دعوى ذلك لها، وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم كاذبون مفترون»<sup>(56)</sup> والاستفهام للاستدلال على الإلهية، قال السعدي: «هذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز»<sup>(57)</sup> وفيه حمل المخاطب على الاعتراف بالألوهية.

**5- استفهام التعجب:** وإيراد الاستفهام مفيداً للتعجب قال عنه أبوحيان: «لتعظيم أمر في قلوب السامعين، ولا يكون إلا في شيء خارج عن نظرائه وأشكاله»<sup>(58)</sup> كقوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:5] قال الشوكاني: «صيرها إلهاً واحداً وقصرها على الله سبحانه»<sup>(59)</sup> ودخول الهمزة على الفعل "جعل" أفادت الإنكار والتعجب، ودل الأسلوب على تعجبهم من دعوته إلى توحيد الإلهية.

ففي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:185] الاستفهام في الآية: أفاد التعجب من حالهم، قال ابن عاشور: «ثم فرع على التهديد والوعيد توبيخهم والإنكار عليهم بطريقة الاستفهام التعجبي المفيد للاستبعاد بقوله: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ) فهو تعجب مشوب باستبعاد للإيمان... والاستفهام هنا مستعمل في الإنكار، أي لا يؤمنون بشيء من الحديث بعد هذا الحديث»<sup>(60)</sup> لأنهم يرفضون أن يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿أُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:191] الاستفهام للتعجب والإنكار «وصيغة المضارع في يشركون دالة على تجدد هذا الإشراك منهم، ونفي المضارع في قوله ما لا يخلق للدلالة على تجدد نفي الخالقية عنهم»<sup>(61)</sup> فالآلهة لا تخلق ثم يسوون بينها وبين الله، ومن هنا جاء العجب.

(55) - تفسير بحر العلوم، السمرقندي: 501/2

(56) - تفسير الطبري، 85/15

(57) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: 710/3

(58) - البحر المحيط، أبو حيان: 258/8

(59) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني: 554/4

(60) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 198/9

(61) - م، ن: 215/9



قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فُقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: 18، 20] كرر التقدير ثلاث مرات قال البقاعي: «وكان التفكير ينبغي أن يهديه إلى الصواب فقاده إلى الغنى، عجب منه فقال منكراً عليه معبراً بأداة الاستفهام إشارة إلى أنه مما يتعجب منه ويسأل عنه ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: على أي كيفية أوقع تقديره هذا»<sup>(62)</sup>.

قال ابن فارس عن الاستفهام المصدراً بـ "كيف" يراد به: «معنى التعجب، وعلى هذين الوجهين يفسر قوله تعالى: ﴿فُقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: 19] قالوا معناها: على أي حال قدر، وتعجب أيضاً، ومن التعجب قوله جل ثناؤه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28]»<sup>(63)</sup> وقال الراغب في مفرداته: «إذا أخبر الله تعالى عن نفسه بلفظ "كيف" فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ»<sup>(64)</sup>.

**6- الاستفهام للتنبيه:** قال علي الجرجاني: «التنبيه بالاستفهام للدلالة على ما غفل عنه المخاطب»<sup>(65)</sup> كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26] وقال بدوي طبانة: «ليس الاستفهام عن مذهبهم، بل التنبيه على ضلالهم، وأنهم لا مذهب لهم ينحون به»<sup>(66)</sup> يوم القيامة، ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: 40] قال أبو السعود: «الاستفهام تنبيه على كيفية الجزاء»<sup>(67)</sup> لعاقبة كل فريق.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: 44] في تحقيق الهمزة وتسهيلها قراءات، لكن تؤول إلى الاستفهام أو تركه، والمعنى: «أى يكون هذا الرسول عربياً والكتاب أعجمي؟ وقرأ الحسن بغير استفهام: أعجمي وعربي، كأنه جعله من قيلهم»<sup>(68)</sup> وهذا من تخبطهم في الضلال.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ [المطففين: 19] عليون: كتاب من أطاع الله «في السماء السابعة، ولتعظيم أمر هذا الكتاب استفهام عن موضع كتابهم على طريقة القرآن في الاستفهام، فقال: وما أعلمك ما عَلِيُّونَ؟، ثم بين أن كتابهم قد فرغ منه، فلا يزداد فيه ولا ينقص منه»<sup>(69)</sup> قال ابن عاشور: «وما أدراك: مركب من ما الاستفهامية، وفعل الدراية المقترن بجمزة التعدية، أي ما يجعلك دارياً، أي: عالماً، ومثله "وَمَا أَدْرَاكَ" كقوله "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ" والاستفهام في هذه التراكيب مراد منه التنبيه على مغفول عنه... والمعنى أي شيء يجعلك دارياً،

(62) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 53/21

(63) -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 130

(64) -المفردات الراغب (مادة: كيف): 730، الإقناع في علوم القرآن، للسيوطي: 2/2234، 2243

(65) -التعريفات، علي الجرجاني: 93

(66) -معجم طبانة: 656

(67) -إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 48/5

(68) -معاني القرآن، الفراء: 19/3

(69) -تفسير جزء عم، الطيار تفسير جزء عم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط8، 1430هـ: 90

وإنما يستعمل مثله لقصد الإجمال ثم التفصيل»<sup>(70)</sup> قال الراغب: «كل موضع ذكر في القرآن ﴿مَا أَدْرَاكَ﴾ فقد عُقِبَ ببيانه»<sup>(71)</sup> وبيان الآية هنا بعده ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: 20]

**7- الاستفهام للتعظيم:** قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1، 2] على بناء اسم الفاعل، قال الشنقيطي الحاقة: «يحق فيها وعد الله بالبعث والجزاء، وسميت بالقارعة، لأنها تفرق القلوب بجهولها»<sup>(72)</sup> قال الزمخشري المعنى: «أي شيء أعلمك ما الحاقة؟ يعني أنك لا علم لك بكنهها، ومدى عظمتها، على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه، أي فما قدرت فهي أعظم من ذلك»<sup>(73)</sup> قال المنتجب الهمداني الاستفهام: «على جهة التفخيم لشأنها، والتعظيم لهولها، كما تقول: زيد ما زيد؟ أي: ما هو؟ على التعظيم لشأنه، والتفخيم لأمره، فوضع الظاهر موضع المضمرة في كلام القوم نظمهم ونثرهم لهذا السبب»<sup>(74)</sup> ومثلها كثير.

ومنها الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 3] و يتضمن معنى الآية نفي علم المخاطب بما هو مسؤول عنه، أي: «أنت لا تدري مهما انطلق بك الخيال مدى هول القارعة، إلا إذا أعلمناك بذلك، وفي هذه دلالة كافية على أنها ذات أحداث مهولة جسام»<sup>(75)</sup> فلا استفهام للتحويل والتفخيم.

وفي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: 16] أفاد الاستفهام التعظيم والتعجب أي: «كانا على كيفية هائلة، لا يحيط بها الوصف، والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى للمكذابين»<sup>(76)</sup> قال الألوسي النذر: «جمع نذير بمعنى الإنذار، وجعله بعضهم بمعنى المنذر منه»<sup>(77)</sup> أي الذي أنذرتكم منه وحذرتكم.

**8- استفهام التهديد:** كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 16] "الأولين" قوم نوح وعاد وثمود من المكذبين المهلكين، والتهديد لنظرائهم السالكين مسلكهم في التكذيب، قال أبو السعود: «هو وعيد لكفار مكة»<sup>(78)</sup> فهو تعريض بهم وتفسره الآية التي بعدها ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: 18].

**9- الاستفهام في الشرط وهو للجزاء:** قال ابن فارس: «ومن دقيق باب الاستفهام أن يوضع في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء، وذلك كقول القائل: إن أكرمتك تكرمني؟ والمعنى: أتكرمني إن أكرمتك؟»<sup>(79)</sup> من ذلك قوله

(70) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 106-105/30

(71) -مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: 313

(72) -أضواء البيان، الشنقيطي: 438/8

(73) -الكشاف، الزمخشري: 164/6

(74) -الفريد في اعراب القرآن المجيد، الهمداني: 204/6

(75) -معارج التفكير ودقائق التدبير، حبكة الميداني: 446/2

(76) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 72/27

(77) -روح المعاني، الألوسي: 83/27

(78) -إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 444/5

تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:34] تأويل الكلام: أفهم الخالدون إن متت؟ ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:144] تأويله: أفتنقلبون على أعقابكم إن مات.

**10- الاستفهام وهو توكيد:** قال الزركشي: «والقصد منه الحمل على ما لم يقع ليصير واقعا»<sup>(80)</sup> كما في قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء:41] قال ابن فارس: «فهو توكيد لما تقدم من خبر، وتحقيق لما بعده، على تأويل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة في الدنيا فكيف في الآخرة»<sup>(81)</sup> سبحانه عز وجل.

**11- استفهام الأمر:** ذكره الفراء بهذا الاسم<sup>(82)</sup> وكذلك السيوطي، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [آل عمران:20] فهو استفهام بدخول الهمزة على الفعل أسلم، ومعناه الأمر، أي أسلموا، وأورد الطبري معناه على جهة التفسير «هل أفردتم التوحيد أو أخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين، دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم وإقراركم بربوبيتهم، وأنتم تعلمون لا رب غيره ولا إله إلا سواه فإن أسلموا يقول: فإن انقادوا للوحدانية لله وإخلاص العبادة والألوهة له فقد اهتدوا يعني: فقد أصابوا سبيل الحق، وسلخوا محجة الرشد»<sup>(83)</sup> إذا إتمروا وأجابوا داعي الإيمان.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة:112] فإن الحواريين مؤمنون اصطفاهم الله لنبيه عيسى عليه السلام، قال السعدي سؤالهم أردوا به: «علم المعاينة والمشاهدة والاطمئنان، بعد توافر الاعتقاد والعلم بقدرة الله تعالى... لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة المحسوس لا يدخله شيء من ذلك»<sup>(84)</sup> ولذلك قال الحواريون ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة:113] كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة:260] ونحن أولى بالشك منه.

فالسؤال جار على عادات العرب، قال الطبري: «كما يقول الرجل: هل أنت كاف عنا؟ بمعنى: أكف عنا، وكما يقول الرجل للرجل: أين، أين؟ بمعنى: أقم فلا تبرح ولذلك جوزي في الاستفهام كما جوزي في الأمر»<sup>(85)</sup>

(79) - معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة: 513

(80) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 384/2

(81) - الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 131

(82) - ينظر: معاني القرآن، الفراء: 202/1

(83) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 281/6

(84) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان السعدي: 214/1

(85) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 282/6

والاستفهام: «هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟... وليس ذلك من مسألة الآية في شيء، بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له»<sup>(86)</sup> فالاستفهام أمر على وجه الطلب.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] كيف فهم تحريم الخمر؟ من هذا الأسلوب، قال الكفوي: «والاستفهام عقيب ذكر المعايير أبلغ من الأمر بتركها»<sup>(87)</sup> لأن قبله ذكرت مضار الخمر ومفاسدها، وما يجنيه منها الشيطان، فأتى الأمر في صورة الاستفهام أفضل منه مباشرة، فاللفظ لفظ الاستفهام والمعنى معنى الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 32] الاستفهام للحث والأمر، قال الألوسي: «تكررت كجملة قسمة وردت في آخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى: (ولقد جاءهم) وتنبهوا على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الإذكار كافية في الازدجار، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار، أي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرنا فيه من الوعيد والوعد»<sup>(88)</sup> لأجل المسارعة إلى الإيمان، خوفاً أن يحل بهم مثل ما حل بمن سبقهم كما في السورة.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: 10، 11] الاستفهام بحرفه "هل" فُسر بقراءة عبد الله ابن مسعود في استئناف الآية التي بعدها "آمنوا"<sup>(89)</sup> قال محمود الصافي: «كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلماً إلا سلكه: فهل فهمتها؟ على منهاج قوله تعالى "فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" إثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه استقصارهم وتغييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة»<sup>(90)</sup> فالمراد به الأمر.

**12- الاستفهام وهو خبر:** قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] هنا وقوع الكلام موقع "أي" التي تحولها إلى الإخبار، قال الطبري: «فأنت مخبر لا مستفهم، لوقوع ذلك موقع أي، وذلك أن معناه إذا قلت ذلك: ما نبالي أي هذين كان منك، فكذلك ذلك في قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: 6] لما كان معنى الكلام: سواء عليهم أي هذين كان منك إليهم-حسن في موضعه مع سواء: أفعلت أم لم تفعل»<sup>(91)</sup> وخص بها اليهود جحدوا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكنتموها الناس.

**13- الاستفهام للاستبعاد:** وهو استبعاد حصول شيء بعدما حصل على جهة من اليقين، وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هُنَّ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: 12] الاستفهام مصدر: بـ "ألي" «استفهام على

<sup>(86)</sup> -م، ن: 220/11

<sup>(87)</sup> -الكليات، الكفوي: 99

<sup>(88)</sup> -روح المعاني، الألوسي: 84/27

<sup>(89)</sup> -ينظر: معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار وعبد العال مكرم: 140/7

<sup>(90)</sup> -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: 136/2-137

<sup>(91)</sup> -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 257/1

جهة الاستبعاد»<sup>(92)</sup> للدلالة على استبعاد حصول ما دخلت عليه أداة الاستفهام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كيف يتعظون، والمعنى أن الله أبعد عنهم الاتعاظ والتذكير، بعد توليهم عن محمد وتكذيبهم إياه»<sup>(93)</sup> وقد جاءهم الرسول صَلَّى الله عليه وسلم، وهم يعلمون صدقه، فأبو.

قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [فصلت:9] قال أبو السعود الاستفهام: «إنكار وتشنيع لكفرهم، وإن واللام: إما لتأكيد الإنكار، وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة، لا لإنكار التأكيد، وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد»<sup>(94)</sup> وورد الاستفهام للاستبعاد، كونه لإيمانهم بأنه رب الأرض التي خلقها كما تقرر عندهم ثم هم يجعلون له الأنداد، وكان ألا يقع.

والأهم في هذا أن أساليب الاستفهام في القرآن أشد الأساليب إقناعاً كونها تركز على المقارنة التي يبيدها المتلقي ذاته، فكأنها تجعل المتلقي حكماً على نفسه مما تخول له المصدقية فتجعله يدلل على مسائل الاعتقاد والتشريع لديه، وينفي ما يعرض له من شبهات.

(92) -الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي: 463/1

(93) -التفسير البسيط، الواحدي: 100/20

(94) -إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 34/5

• **أسلوب التقديم والتأخير:**

أسلوب التقديم والتأخير: ظاهرة أسلوبية ألفها الذوق العربي سليقة وفطرة، قال السيوطي: «من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم»<sup>(1)</sup> وقال ابن النقيب: «استعملوه دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم للكلام وتلعبهم به، وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفي معانيه؛ ثقة بصفاء أذهانهم. وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله في النفوس حسن موقع وعذوبة مذاق»<sup>(2)</sup> فهو وسيلة تعبيرية في معرفة الإعجاز البياني، فضلاً عن كونها من أكبر أمات المباحث في علمي المعاني والتحو.

ويقوم على خرق التركيب بالعدول عن الأصل، ولهذا يتأثر المتلقي بالتحول والتغيير المفاجئ أكثر من الأصل الذي يجعله أقرب من الإلف، قال صاحب الكتاب (ت180هـ) وهو يتكلم عن تقديم المفعول به: «كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهتمانهم ويعيناهم»<sup>(3)</sup> فسره الفني الاهتمام وإزاحة الرتبة والتعود.

واستفاد الجرجاني (ت471هـ) ممن سبقه بشأن التقديم والتأخير وتبّه إلى قضية هامة من أنه يُبادر إلى ظنون الناس «أنه يكفي أن يقال: إنّه قدم للعناية ولأنّ ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم»<sup>(4)</sup> فليس غاية ما يراد من التقديم والتأخير أن تخالف عناصر تركيبه ترتيبها الأصلي وحسب، وإنما أن «يخضع للمعنى وللهدف الذي يسعى إليه المتكلم، ولم يكن عبثاً أن يعنى العرب في كلامهم بذلك وأن يرصده البلاغيون والنقاد»<sup>(5)</sup> قال محمد العثيمين: «ليس شيء منها في نفسه أولى بالتقديم من الآخر؛ لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار، فلا بد لتقديم هذا على ذلك من داع يوجبه»<sup>(6)</sup> فصدارة الكلام بحسب الفائدة.

والأساليب العربية عموماً تهيء على سجيته مبتدئة تارة بالمسند إليه، وأخرى بالمسند<sup>(7)</sup> والجرجاني ذهب إلى هذا: «لم يكن المبتدأ مبتدأ لأنه منطوق به أولاً، ولا كان الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ؛ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبراً لأنه مسند ومثبت به المعنى»<sup>(8)</sup> فالتقديم والتأخير كلاهما يكون لدواعٍ توجه هذه الدواعي يحكمها القصد والموقف.

(1) -المزهر، السيوطي: 338/1

(2) -مقدمة تفسير ابن النقيب، جمال الدين ابن النقيب (تح) سميدي علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط تا): 166

(3) -الكتاب، سيبويه : 34/1

(4) -دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) فايز الداية : 145

(5) -بحوث بلاغية، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، (دط) 1417هـ 1996م: 93

(6) -شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، محمد العثيمين: 159

(7) -ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: 42، من أسرار اللغة، أنيس منصور: 306

(8) -دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) محمود شاكر : 187

وفي أسلوب التقديم والتأخير تُنشأ تغييرات كثيرة داخل التركيب تتخذ أشكال العدول عن الأصل، وتتواشج قرائن شتى بعضها ببعض كقرينتي الرتبة والإسناد القائميتين بين ركني الجملة؛ واللتين بفضلهما يتحول الكلام إلى معنى مفيد، وبدونهما ما كان تقديم أو تأخير، وعليهما تقوم قرينة الإعراب، التي هي أهم قرينة دالة عليه ومبينة له في السياق ومحدّدة موضعه، وبفعل تلك القرائن وغيرها يُخرّج ما قدم وما أحرّ إلى أغراض شتى.

وأبرز خصيصة في التقديم والتأخير: التفرد بالاختيار الدقيق للألفاظ عن علم، وأحقيتها بذا المكان دون ذلك، قال أحمد بدوي: «وأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفّت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً»<sup>(9)</sup> وهذا الاختيار ضرب من الإعجاز كان محط أنظار الأوّل.

ولتعلق التقديم بالنظم نجد خطره يمس أموراً عقيدية ربما أدت إلى الإضرار بالله، ففي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258] بادر إبراهيم عليه السلام بحجته دلالتها عجز الناس، فلا يستطيعها مخلوق، فصرف الإحياء والإماتة إلى الرب عز وجل مع الابتداء بذكره أولاً، ثم تأكيد ذلك بالجملة الاسمية، إذ هي أوكد في الثبوت، ولم يبدأ قوله بالجملة الفعلية، قال فضل عباس: «فأفاد أنّه لا محيي ولا مميت إلا الله، ولو قيل: يحيي ويميت ربي، لكان المعنى: إن الله قادر على الإحياء والإماتة، ولا مانع أن يقدر عليهما غيره، ولهذا قال ذلكم الجادل ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي: أنا لا غيري، لأن النزاع ليس على قدرة الله على الإحياء والإماتة، بل في تفرد الله تبارك وتعالى بهما»<sup>(10)</sup> فلما كابر أردفه بحجة الإتيان بالشمس التي لم ينفع معها المغالطة والعناد.

**1- تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي:** يجيء متقدماً لتشويق المخاطب، ومعرفة المسند، وإفادة التخصيص، والزخشيري وغيره «يعطون الحكم للفعل وما في معناه كاسم الفاعل واسم المفعول، فإذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي، وكان الخبر فعلاً أو ما في معناه أفاد التخصيص»<sup>(11)</sup> خلافاً للجرجاني الذي أوقف الخبر على الفعل. والأصل في المبتدأ التقديم على الخبر، قال ابن عقيل: «وذلك لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ، فاستحق التأخير كالوصف»<sup>(12)</sup> ومجيئ المسند إليه مقدماً على الخبر الفعلي يشي بتقوية الحكم قال أبو موسى: «يكون في المقامات التي تدعو إلى التوكيد والتقرير مثل مواجهة الشك في نفس المخاطب والرغبة في إقناعه، ومثل ردّ الدعوى التي يدعيها المخاطب»<sup>(13)</sup> فيجيء التقديم مفيداً الغرض الذي سيق له الكلام لمعنى يراد تشبيته في النفس.

<sup>(9)</sup> - من بلاغة القرآن، أحمد بدوي نخصة مصر للطباعة، القاهرة، (دط)، 2005م: 51

<sup>(10)</sup> - البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان ط4، 1417هـ 1997م: 208

<sup>(11)</sup> - م، ن: 214

<sup>(12)</sup> - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تح) محيي الدين عبد الحميد: 1/213، معاني القرآن، الأخفش الأوسط: 9

<sup>(13)</sup> - خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ 1996م: 220

ففي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: 37] ما: تحتل معنى ليس أولاً عمل لها، هم: ضمير منفصل اسم ما أو مبتدأ، فقدم المسند للاختصاص لأنه جاء بعد نفي، قال فضل عباس: «ليس الغرض منه نفي خروجهم فحسب، بل إثبات قضية أخرى، وهي أن غيرهم يخرجون من النار»<sup>(14)</sup> كالذين يخرجون بالشفاعة، وجاء الخبر اسم فاعل، ومثله في النفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5] المسند إليه اسم إنّ والنفي جاء بعده أفاد تقوي الحكم والاختصاص معاً، وحيء بـ "شيء" للعموم، فلا يخفى عنه شيء، وغيره يخفى عليه كل شيء.

وجاء تقدّم المسند إليه لفظ الجلالة في الإثبات، كما في آيات النحل<sup>(15)</sup> التي أولها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ [النحل: 65] قال ابن عاشور: «لإفادة تقوي الحكم لا محالة ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه»<sup>(16)</sup> مما يؤكد أنّ هاته الصفات قصرت على الباري عزّ وجلّ ولا ينازعه فيها أحد.

وإنزال الماء من السماء وما ينشأ عنه، وقضية الخلق وما يترتب عليها، وقضية الرزق، وأمر النشأة والحياة الزوجية، والطيبات والسمع والأبصار، كلها معاني الربوبية لا تجهله الفطر والعقول، ولم يدع المشركون لأهتهم هذه المزية يوماً ما، وإنما أدركوا من لسانهم هذه صفات العزيز العليم، وسجل القرآن عليهم هذا الاعتقاد وألزمهم الحجة به، قال إبراهيم أنيس: «فليس بغريب إذن أن يكون تقدّم المسند إليه في تلك الجمل التي وردت في سورة النحل، كافياً وحده للتعبير عن القصر والحصر دون حاجة لأداة أخرى ولا يقلّ مثل هذا القصر في قوّته عن القصر بطريق آخر من تلك الطرق التي يتحدث عنها البلاغيون»<sup>(17)</sup> فحجّهم بالربوبية التي يؤمنون بها.

ومثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15] بتقدّم المسند إليه في الجملة المثبتة والمستأنفة بلفظ الجلالة على المسند "يستهزئ" الخبر الفعلي، قال ابن عاشور: «فلم يقل يستهزئ الله بهم، لأنّ مما يجول في خاطر السائل أن يقول: من الذي يتولّى مقابلة سوء صنيعهم؟ فأعلم أنّ الذي يتولى ذلك هو رب العزة تعالى... فتقدّم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوي الحكم لا محالة، ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه»<sup>(18)</sup> قال أبو حيان الجملة الاسمية: «آكد في الإخبار عن هؤلاء بالإيقان، لأن قولك: زيد فعل، آكد من: فعل زيد، لتكرار الاسم في الكلام بكونه مضمراً»<sup>(19)</sup> ومثل هذا كثير.

(14) - البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، حسن عباس: 216

(15) - ينظر: [التحل: 65، 70، 71، 72، 78، 80، 81]

(16) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 293/1

(17) - أسرار اللغة، إبراهيم أنيس مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م: 311

(18) - م، س: 293/1

(19) - البحر المحیط، أبو حيان: 168/1



والملاحظ في المنهج الذي يتخذه القرآن الكريم في العملية الإقناعية أنه يتخذ من قضايا الربوبية دلائل على التفرد بالألوهية؛ وتلك التي كان ينكرها المشركون بمختلف طوائفهم "عرب ويهود ونصارى" مما أعطى القرآن كامل العناية بالتعريف بالألوهية الحقّة، فجعل هذه الأدوات اللسانية من مثل تقديم المسند إليه مصروفة للاختصاص به عزّ وجل ومقوية للحكم «ومعنى الاختصاص والتقوية، لا يتعارضان، فما يفيد الاختصاص، يفيد التقوية؛ لأن الاختصاص كما قالوا: تأكيد على تأكيد»<sup>(20)</sup> فهو متضمن القصر باللزوم.

فالقرآن جعل من صلب المنهج العناية باللفظة، فهو يتكلم عن معاني الربوبية وهي مبدوءة بـ"الله" وليس بـ"الرب" أو "الإله" ووجه الدلالة فيه أن: «الإله من أسماء الأجناس: يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بالحق، وأما الله فمختص بالمعبود بالحق، لم يطلق على غيره»<sup>(21)</sup> فالرب هو الإله الحق.

**2- تقديم المسند الاسمي الخبر:** فالخبر وإن كان ملازماً للمبتدأ لا يجري عليه ما يجري على النعت مثلاً في عدم تقدّمه على منعوته لأنّه بمثابة الجزء من الاسم المنعوت كما هو عند البصرة، قال السهيلي: «الخبر ليس من تمام المبتدأ، ولكنّه من تمام الكلام الذي فيه المبتدأ»<sup>(22)</sup> فخرج لدلالات ومعان غير التي لو بقي على رتبته.

ومن تقديم الخبر قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 5] قال البقاعي: «ولما ذكر سبحانه هذه الفضائل كانت النتيجة بالسلام فقدّم "سَلَامٌ" على المبتدأ المؤخر لأهميته»<sup>(23)</sup> والخبر "السَلَام"؛ هو المقصد من ليلة الصائمين والقائمين، وهو امتنان الرب سبحانه في عطاياه، وفي تأخير المبتدأ الضمير وجهان قال السمين: «أحدهما: أنّ "هي" ضمير الملائكة و"سلام" بمعنى التسليم، أي: الملائكة ذات تسليم على المؤمنين... والثاني: أنّها ضمير ليلة القدر، وسلام بمعنى سلامة، أي: ليلة القدر سلامة من شيء مخوف»<sup>(24)</sup>.

ومن تقديم المسند "الخبر" قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم»<sup>(25)</sup> كلمتان: خبر، خفيفتان وما بعدها صفة، والمبتدأ سبحانه الله، ونكتة تقديم الخبر تشويق السامع للمبتدأ.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38] تقدم المسند إليه للاهتمام، وهو تولى الله سبحانه المدافعة عن المؤمنين، وحكى فضل عباس عن مجيء المسند مضارعاً: «ليفيد التّجدّد كلّما أصاب المؤمنين ضائقة

(20) - خصائص التراكيب، محمد أبو موسى : 221

(21) - بصائر ذوي التمييز، مجد الدين الفيروزآبادي: 17

(22) - نتائج الفكر، السهيلي: 313

(23) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 181/22، مساعد النظر، البقاعي: 681/3

(24) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي : 64/11

(25) - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: 1241 رقمه: 2694

وكرب، وفي هذا تسلية وثبات للمؤمنين؛ ليشبتوا على إيمانهم، وليكونوا الشمعة المضئية في الظلمة الحالكة»<sup>(26)</sup> وهي من نعم الله على المؤمنين، وشرف لهم، فالله مولى المؤمنين والكافرين لا مولى لهم.

**3-تقديم المسند "الفعلي":** الجملة المشتملة على فعل ماض ولا تشتمل على نفي، تخضع في نظامها إلى ترتيب معين، قال إبراهيم أنيس: «تلتزمه كل اللغات السامية»<sup>(27)</sup> ويكثر هذا الأسلوب "تقدم المسند الفعلي وتأخر المسند إليه" في القرآن الكريم وهو الغالب، من مثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14] وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة:21] فالأفعال المسندة في حق الألوهية كل إسنادها حقيقي فالفعالان "تبارك" و"كتب" أسندا إلى فاعلهما الحقيقي الله وهذا الإسناد سمي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له في الحقيقة<sup>(28)</sup> قال الخطيب القزويني: «إطلاق الكلام أن يكون محمولا على الحقيقة، ولا يعدل إلى المجاز إلا لدلالة، فإلجاز خلاف الأصل»<sup>(29)</sup> فمن صرفه للمجاز قفز على الإسناد الحقيقي.

**4-تقديم متعلقات الفعل:** الأقدمون من «علماء البلاغة ومنهم الزمخشري يرون أن تقدم متعلقات الفعل عليه، إنما هو للاختصاص، بينما يرى ابن الأثير أن التقدم يفيد غرضين: الاختصاص، ومراعاة نظم الكلام»<sup>(30)</sup> فرعاية الفاصلة تبع للمعنى: «فمع تقديرنا لجمال الإيقاع، وحلاوة الجرس، لكنه في كتاب الله تعالى لن يستقل بتقدم أو تأخير أو حذف أو ذكر، وإنما -إن كان ذلك- فلا بد أن يكون تابعاً لمعنى أرادته القرآن الكريم...أحدرك ثانية من عدّ رعاية الفاصلة من المقتضيات البلاغية التي يكون من أجلها التقديم والتأخير وغيرها»<sup>(31)</sup>.

**أ-تقديم المفعول به على الفاعل:** في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:124] تقدم المفعول "إبراهيم" على فاعله "ربه" الموجب تقدم لفظة "ربه" يومئ تقدمه إلى عظم الامتحان الذي ابتلي به إبراهيم عليه السلام وفوزه بإمامة الناس، والإضافة في "ربه" للتكريم والتشريف الذي حظي به . وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال:50] تقدم المفعول "الذين كفروا" على الفاعل "الملائكة" سيق هنا لما يحدث للمفعول به أثناء الموت وبعده على الحقيقة، والآية عامة في جميع الكفار<sup>(32)</sup> ومنهم من خصصها بيوم "بدر" الذي شارك فيه الملائكة بالقتال<sup>(33)</sup> ونحن لا

(26) -علم المعاني، فضل عباس:254

(27) -أسرار اللغة، إبراهيم أنيس:310

(28) -ينظر: م، ن:311.

(29) -الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (تح) خفاجي، المكتبة الأزهرية، مصر، ط3، 1413هـ/1993م:97/1

(30) -م، ن:155،156

(31) -م، ن:236

(32) -ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري(تح) شاكر:229/11

(33) -ينظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق:283/2، في ظلال القرآن، سيد قطب:1534/3

نعرف كيف كان ضرب الملائكة، ونؤمن أنه حق، وإنما نرى بآلية التقديم والتأخير تناسقاً لفظياً ومعنوياً داخل الآية يجعل المنظر حاضراً ورهيباً، ويجعل فهم الآية ميسوراً، بخلاف لو قدّم الفاعل وأخر المفعول فيحصل توهم من أن جملة "يضربون" ستكون حالاً من "الذين كفروا" وهو بعيد.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28] التقديم هنا للتّعظيم قال الفلقشندي: «وربّ جاهل وقع في الكفر وهو لا يشعر! كالذي قرأ "برفع الأول ونصب الثاني، فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمّة وضمّة إلى فتحة فقيّل له: يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحداً»<sup>(34)</sup> وقال ابن أبي الحديد: «لو وقفنا على الفاعل والمفعول منها لم يحصل الالتباس، لعلمنا أن الله لا يخشى أحداً من العلماء ولا من غيرهم، فالآية تدل على نفسها لا بعلاقة لفظية على أنه تعالى مفعول، وأن العلماء فاعل»<sup>(35)</sup> فالسياق هو مُحدد معاني الكلام.

**ب- تقديم المفعول به على الفعل:** في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5] يجوز تقديم المفعول به الضمير على فعله للاختصاص، قال الزمخشري: «نخصّك بالعبادة، ونخصّك بطلب المعونة»<sup>(36)</sup> قال ابن القيم عن الاحتفاء بالعبادة والاستعانة: «هي سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب، انتهى إلى هاتين الكلمتين»<sup>(37)</sup> وإيّاك نعبد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله التي هي نفي "لا إله" وإثبات "إلا الله" «وقد أشار إلى النفي من لا إله إلا الله بتقديم المفعول الذي هو (إياك) وقد تقرر في الأصول في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة، وفي معاني مبحث القصر: أن تقديم المفعول من صيغ الحصر»<sup>(38)</sup> فأفاد القصر الاختصاص.

ويجاء تقدّم المفعول به من باب الاتساع، كقوله تعالى: ﴿أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران:83] حيث قدم المفعول على فعله، قال الزمخشري: «لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل»<sup>(39)</sup> وقال أبو حيان: «ولا تحقيق فيه، لأن الإنكار الذي هو معنى الهمزة لا يتوجه إلى الذوات، وإنما يتوجه إلى الأفعال التي تتعلق بالذوات، فالذي أنكر إنما هو الابتغاء الذي معلقه غير دين الله؛ وإنما جاء تقديم المفعول هنا من باب الاتساع، وشبهه "يَبْغُونَ" بالفاصلة بآخر الفعل»<sup>(40)</sup> ويراد به الاختصاص أيضاً.

(34) -صبح الأعشى، أحمد القلقشندي: 1/169

(35) -الفلک الدائر، ابن أبي الحديد، (تح) أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الراجعي، الرياض، ط2، 1404هـ 1984م: 38

(36) -الكشاف، الزمخشري: 1/118.

(37) -بدائع التفسير، ابن القيم: 1/43

(38) -أضواء البيان، الشنقيطي: 1/49، 50

(39) -الكشاف، الزمخشري: 1/380

(40) -البحر المحيظ، أبو حيان: 2/515، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عزيمة: 9/170، 171

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام:40] تقدم المفعول هنا بعد الهمزة، قال العكبري: «يدل على الإنكار عليهم دعاء الأصنام، إذ لا ينكر الدعاء، إنما ينكر أن الأصنام تدعى، كما تقول: أزيذا، تضرب لا تنكر الضرب، لكن تنكر أن يكون محله زيذا»<sup>(41)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام:84] كُلاًّ: مفعول به منصوب بـ (هَدَيْنَا)<sup>(42)</sup> قال البقاعي: «ولما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية قال مستأنفاً مقدماً للمفعول ليشمل الكلام إياهما (كُلاًّ) منهما ومن أبيهما للاختصاص»<sup>(43)</sup> ونوح أيضاً، ونحو تقديم المفعول به على الفعل، قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام:41]

ومثله قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ [الزمر:66] فيه تصريح بالاختصاص، قال ابن أبي الحديد «الاختصاص مفهوم من سياق الكلام، لا من تقدم المفعول، ولو قال في هذا السياق: بل اعبد الله لأفاد الاختصاص لا مخالفة، فلا تأثير هاهنا في الاختصاص المعلوم، لا لتقدم المفعول ولا لتأخيره»<sup>(44)</sup> فركز على السياق في التدليل.

**ج- تقديم أحد المفعولين على الآخر:** ومن تقدم أحد المفعولين على الآخر قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية:23] وأصل الكلام (هواه إلهه) لكنّه جيء بتقدم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: (علمت منطلقاً زيذا لفضل عنايتك بانطلاقه)<sup>(45)</sup> قال البقاعي: «ولو قدّم الهوى لكان المعنى أنّه حوّل وصفه إلى الألوهية فاضمحل الهوى، ولم يبق إلا ما ينسب إلى الإلهية... ومفعول (رأى) الثاني مقدر يدل عليه قول آخر الكلام "فمن يهديه" تقديره: أيمن أحدًا غير الله هدايته ما دام هواه موجوداً»<sup>(46)</sup> والتقدم هنا للعناية ليناسب الهدف من المعتقد القرآني وهو: من هو الإله المعبود؟ لأنّ في الأرض آلهة شتى.

ونفس التّقدم في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ [الفرقان:43] يبرز البقاعي فيه آلية التقديم والتأخير تعمل عكسا ويضرب مثلاً: «لو قلت: فلان اتّخذ عبده أباه لكان معناه أنه عظم العبد، ولو قيل: أنه اتّخذ أباه عبده، لكان معناه أنه أهان الأب، وسواء في ذلك إتيانك به هكذا على وزن ما في القرآن أو أنكرت أحدهما، فإنك لا تجد ذوقك فيه يختلف في أنه إذا قدّم الحقيق شرفه، وإذا قدّم الشريف حقّره، وكذا لو قلت: اتّخذ إسطنبوله مسجداً أو صديقه أباً أو عكست»<sup>(47)</sup> وفي الآية بيان أنه ركب هواه وعصى الله سبحانه.

(41) -البحر المحيط، أبو حيان:128/4، التبيان في إعراب القرآن، العكبري:135/1

(42) -ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري:140/1

(43) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي:170/7

(44) -الفلک الدائر على المثل السائر، ابن أبي الحديد:230

(45) -ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي:277/1، الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي:39/3

(46) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 94،95/18.

(47) -م، ن:394/13.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: 47] أي مخلف رسله وعده، قال الزمخشري: «هلا قيل مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 9] ثم قال (رسله) ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعد أحد، وليس من شأنه إخلاف المواعيد، فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته، وصفوته؟»<sup>(48)</sup> سبحانه عز وجل لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100] تشير الآية إلى الذين جعلوا الجن شركاء لله في عبادتهم، واعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، فاعتقدوا الإلهية فيمن ليست له، والإسلام يجعل الألوهية خالصة لله وحده، فأعرب الزمخشري وابن عطية<sup>(49)</sup> (الجن) مفعول أول و(الشركاء) مفعول ثانٍ، وقدّم المفعول الثاني في الآية على المفعول الأول، لنفي كلّ شريك يؤكده عموم النكرة لـ(شركاء) فإشراك الجنّ واحد من هذا التشريك المخرّق، وملحظ آخر في التقديم قاله ابن زمنين: «الشياطين هي التي دعتهم إلى عبادة الأوثان ولم تدعهم الأوثان إلى عبادتها»<sup>(50)</sup> وهو توجيه على المعنى.

قال الجرجاني التقديم يشير: «أنّه ما كان ينبغي أن يكون لله شريكاً لا من الجن و لا من غير الجن»<sup>(51)</sup> إلا أنّ ثمة كلمة: "وَخَلَقَهُمْ" المعترضة وظفها السياق القرآني قاصمة الظهر؟ أحالتهم إلى معتقدهم الصغير، وأقامت عليهم الحجة في أنفسهم «وهي لفظة واحدة ولكنها تكفي للسخرية من هذا التصور، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقهم فكيف يكونون شركاء له في الألوهية والربوبية؟»<sup>(52)</sup>.

**د-تقديم الجار والمجرور على المسند إليه:** وشبه الجملة من الجار والمجرور والظرف قال ابن هشام عن ذكر حكمهما في التعلق أنه: «لابدّ من تعلقهما بالفعل، أو ما يشبهه، أو ما أول بما يشبهه، أو ما يشير إلى معناه، فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجوداً قدر»<sup>(53)</sup> من ذلك في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: 1] قدم الجار والمجرور قبل الملك والحمد، قال الزمخشري: «ليدل بتقديهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل؛ لأن الملك على الحقيقة له، لأنه مبتدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه؛ وكذلك الحمد؛ لأن أصول النعم وفروعها منه»<sup>(54)</sup> ففيه قصر عليه لا يشاركه سواه.

(48) \_الكشاف، الزمخشري: 384/2

(49) \_البحر المحيط، أبو حيّان: 196/4

(50) \_تفسير القرآن، ابن زمنين (تح) بن عكاشة، مصطفى الكنز، مطبعة الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ/2002م: 89/2

(51) \_دلائل الإعجاز، الجرجاني (تح) محمود شاكر: 286

(52) \_في ظلال القرآن، سيد قطب: 1162/2

(53) \_مغني اللبيب، ابن هشام (تح) عبد اللطيف محمد الخطيب، مطابع السياسة الكويت، ط1، 1421هـ/2000م: 271/5

(54) \_الكشاف، الزمخشري: 130/5.

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:44] قدم الجار والمجرور على الصفة دلالة لإبراز الحشر بأنه سهل هين، قال الزمخشري: «خرج على الاختصاص، يعني لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر، الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن»<sup>(55)</sup> ورأي أبي حيان الفصل بين الموصوف والصفة بالجار والمجرور "علينا" لأنه «حسن ذلك كون الصفة فاصلة»<sup>(56)</sup> لأن فاصلة السورة كلها: مدّ بالياء والواو قبل الحرف الأخير.

وعند قوله وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22-23] قال ابن الأثير: «أي تنظر إلى ربّها دون غيره، فتقدم الظرف هنا ليس للاختصاص... وإنما قدّم من أجل نظم الكلام، لأنّ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أحسن من أنّ لو قيل: وجوه يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربّها والفرق بين النظمين ظاهر»<sup>(57)</sup> فذكر الاختصاص والنظم، بينما العلوي قال: «إنّما قدّم ليس من جهة الاختصاص، وإنما كان من أجل ما ذكرناه من المطابقة اللفظية في تناسب الآي وتشاكلها»<sup>(58)</sup> فقصره على الفواصل.

ورؤية الله عز وجل في الدنيا ممنوعة، قال محمد العثيمين: «في الآخرة فممكنة؛ لأن الناس في ذلك اليوم يكونون في عالم آخر تختلف فيهم أحوالهم عن حالهم في الدنيا»<sup>(59)</sup> فيكمل الله قوى الآدميين حتى يطبقوا رؤيته، ودخول "إلى" مع النظر، قال عنها مكّي: «على أنه نظر العين وليس من الانتظار ولو كان من الانتظار لم تدخل معه "إلى»<sup>(60)</sup> قال الألوسي معنى ناظرة إلى ربّها يوم القيامة: «تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله، بحيث تغفل عمّا سواه، وتشاهده تعالى على ما يليق بذاته سبحانه»<sup>(61)</sup> وهو رد على من صرف ناظرة إلى الانتظار، أو كالزمخشري<sup>(62)</sup> الذي صرفها إلى التوقع والرجاء، فمنع رؤية الله عز وجل في الآخرة دون دليل.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180] تقدم المجرور المسند على المسند إليه، قال ابن عاشور: «لمجرد الاهتمام المفيد تأكيد استحقاقه إياها، المستفاد من اللام، والمعنى أن اتسامه بها أمر ثابت، و ذلك تمهيد لقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وقد التزم مثل هذا التقديم في جميع الآي التي في هذا الغرض مثل قوله: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:110] وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه:8 الحشر:24] وكل ذلك تأكيد للرد على المشركين أن

<sup>(55)</sup> -م، ن: 607/5

<sup>(56)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 129/8

<sup>(57)</sup> -المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير مطبعة نخضة مصر، ط1، 1380هـ/1960م: 18/2

<sup>(58)</sup> -الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي مطبعة المقتطف، (دط) 1332هـ/1914م: 71/2

<sup>(59)</sup> -شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد العثيمين: 456/1

<sup>(60)</sup> -مشكل إعراب القرآن: مكّي بن أبي طالب: 778/2

<sup>(61)</sup> -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: 144/29

<sup>(62)</sup> -ينظر: الكشاف، الزمخشري: 43/6، 270/6

يكون بعض الأسماء الواردة في القرآن أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم أسماء لله تعالى بتخييلهم أن تعدد الاسم تعدد للمسمى تمويها على الدهماء»<sup>(63)</sup> فقصر بالتقديم الأسماء الحسنى على الله وحده.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25-26] إلينا وعلينا: من تقدم المسند على المسند إليه، قال أبو موسى: «لإفادة الاختصاص، مثل: له العتي، وله الشكر، وعنده الحاجة، فيصلح ذلك كله للاختصاص وللمجرد الاهتمام... أي: أن إياهم لا يكون إلا لله وأن حسابهم لا يكون إلا عليه»<sup>(64)</sup> وفيه قصر له وحده.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4] في توسط خبر كان بينها وبين اسمها جاء الجار والجارور لأهميته لأن الحديث يدور عن عدم وجود النظير<sup>(65)</sup> وقال الزمخشري: «فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه، فما له مقدما في أفصح الكلام وأعره؟ قلت هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه، وأحقه بالتقديم وأحراه»<sup>(66)</sup> قال الرضى عن مجيئه هكذا: «لأنه معقد الفائدة، إذ ليس الغرض نفي الكفاء بل نفي الكفاء له تعالى، فقدم اهتماماً بما هو المقصود معنى، ورعاية للفواصل لفظاً»<sup>(67)</sup> ولا ضير في تعدد الدلالات كما لا يخفى.

قال محمد أبو موسى وهو يتحدث عن الفوائد التي تُجنى من آلية التقديم والتأخير داخل الآية القرآنية: «والذي نراه أنه لا تزاحم في النكات والأسرار وأنّ التقديم في الآية القرآنية الكريمة يفيد الفائدتين: فائدة معنوية وهي الاختصاص وفائدة لفظية في تقديرنا جزء من التعبير كالمعنى تماما؛ وهي الحفاظ على التنغيم الآخذ والتوازن الصوتي الذي يشارك مشاركة فعالة في تحريك القلوب وبعث خوافي الإحساس والشعور، ويدرك هذه الحقيقة من ذاق حلاوة الترتيل وجمال التنغيم في هذا القول الحكيم»<sup>(68)</sup> فاجتمع هذا وهذا في التركيب.

وترجع أسرار التقديم والتأخير في وجهها الحجاجي المنصب على معقد الفائدة من هاته الآلية التي تجيء للاهتمام والاختصاص، ولرعاية الفاصلة أيضا، فالأسلوب أسلوب إقناعي حجاجي بالدرجة الأولى، يبرز فيما يبرز دواعي التقديم والتأخير ودلالاته المختلفة، التي تدور ما بين المسند والمسند إليه ومتعلقاته.

(63) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 186/9

(64) -دلالات التركيب، محمد أبو موسى : 172

(67) -ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 381/22، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 631/2

(66) -الكشاف، الزمخشري: 818، 819/2

(67) -شرح الرضى على الكافية، رضى الدين محمد الأستراباذي: 280/2

(68) -خصائص التركيب، محمد أبو موسى: 250

• **أسلوب الحذف والتقدير:**

معنى الحذف في اللغة قريب منه في الاصطلاح، قال الزركشي: «حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه... والحذف: ما حذف من شيء فطرح»<sup>(1)</sup> ومنه الأخذ «حذفتُ الشَّعْرَ؛ إذا أخذتُ منه»<sup>(2)</sup> وجاء بمعنى: القطع، والطرح، والإسقاط «كإسقاط جزء الكلام أو كَلِّهَ للدليل»<sup>(3)</sup> فكلاهما يعني وجود نقصان، كما يطلق عليه مصطلح الإضمار والاختصار، قال أحمد ابن فارس «ومن سن العرب الحذف والاختصار؛ يقولون: والله أفعل ذاك؛ تريد لا أفعل»<sup>(4)</sup> فيكون الحذف نوعاً من الإيجاز لا يخل بالمعنى مع الاقتصاد في اللفظ.

وللتقّة بعلم المخاطب، يؤتى به دلالة على المعنى، قال ابن يعيش: «فإذا حصل المعنى بقريضة حال أو لفظ آخر استغنى عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصاراً»<sup>(5)</sup> وقال العزّ بن عبد السلام «والعرب لا تحذف ما لا دلالة عليه، ولا صلة إليه، لأن حذف ما دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام، وفائدة الحذف تقليل الكلام، وتقريب معانيه إلى الأفهام»<sup>(6)</sup> ووصفه عبد القاهر بأنه: «بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهة بالسحر، فإنك ترى به تركّ الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن»<sup>(7)</sup> فيحتاج إلى خبير للوقوف على أسرار الحذف.

وإن كان الحذف آلية لفهم المعنى يساعد على معرفة الاختلاف، وتوجيه القراءات وما أشكل فهمه من الآيات، فإن المتأخرين حاكموا به بعضاً من نصوص الأحكام القرآنية، واستعملوه سلاحاً في يد مأولة آيات الصفات، والصواب عدم الحذف والتقليل منه، فالحذف وإن هو عنصر هام لفنيته في البنية السطحية، إلا أنه يعتبر طارئاً على الكلام، قال الزركشي: «هو خلاف الأصل، وعليه يبني فرعان أحدهما: إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى، لأن الأصل عدم التغيير، والثاني: إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى»<sup>(8)</sup> فالإكتفاء بترك التركيب على حاله، دون إملاءات خارجية أسلم للنص ومعناه، لذا كان التردد في تطبيق الأسلوب على القرآن الكريم تنزيهاً لكلام الله عزّ وجلّ وإن جاز في العربية.

(1) -لسان العرب، ابن منظور: 38/9

(2) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم 102/3

(3) -م، ن: 173/3

(4) -الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس: 175 المزهرة، السيوطي: 331/1

(5) -شرح المفصل، ابن يعيش: 23/3

(6) -الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الجاز، العزّ بن عبد السلام: 11

(7) -دلائل الإعجاز، الجرجاني: 146

(8) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 104 /3



قال الجواربي: «كثيراً ما يجري التعبيرُ القرآني على صورٍ من الإيجازِ والاكتفاء لا تُحيطُ بها قواعدُ النحو»<sup>(9)</sup> فيجاءُ بألية الحذف تسهيلاً للفهم، لأن النص أعظم وأضخم، قال الزرقاني: «لكل شيءٍ في القرآن سرٌّ عجيبٌ لا يعلمه إلا الله تعالى، ففي رسم الألف في (مائة) وعدمها في (فئة) سرٌّ، وفي زيادة الياء في (بأييد) و(بأييكم) سرٌّ، وفي (سموات) و(سموت) سرٌّ... وإنما خَفِيَّتْ على الناس لأتھا أسرارٌ باطنيةٌ لا تُدرَكُ إلا بالفتح الرباني»<sup>(10)</sup> والتقدير لما فيه التخييل يعتبر مثلبة أمام النص، حيث يُتَّهَب أن يثبت شيء ليس منه.

وإنما توقّفوا فيه إلا من السّماع، وحدّوده بالمقيّدات، لعلمهم أنّه مدخل إلى التّحريف يدّعيه من أراد الطّعن على القرآن، فهو باب لا ضابط له، قال ابن القيم: «ولربّما ادّعى مُلحد الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] أي: وكلم ملك الله موسى، ويدّعى في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] إضمار ملك الرحمن، كما ادّعى بعضهم الإضمار في قوله: ينزل ربنا: أي ملك ربنا، وفي قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22] أي: ملك ربك ولو علم هذا القائل أنّه قد نهج الطريق، وفتح الباب لكل ملحد على وجه الأرض وزنديق، وصاحب بدعة يدّعى فيما يحتاج به لمذهبه عليه إضمار كلمة أو كلمتين نظير ما ادّعاه، لاختار أن يخرج لسانه، ولا يفتح هذا الباب على نصوص الوحي»<sup>(11)</sup> فهو تقدير بغير علم.

ومن المعلوم أن الأسلوب عربي صرف مستعمل، قال الزركشي: «وإنما يحسن الحذف إذا كان فيه زيادة مبالغة، والمخدوفات في القرآن على هذا النمط»<sup>(12)</sup> وهناك قاعدة لغوية عامة، قال عباس حسن: «الحذف جائز في كل ما يدل الدليل عليه، بشرط ألا يتأثر المعنى أو الصياغة بحذفه تأثراً يؤدي إلى عيب، وفساد لفظي، أو معنوي، ويريدون بالدليل: القرينة الحسية "ومنها اللفظية" أو: العقلية "المعنوية" التي ترشد إلى لفظ المخدوف ومعناه، وإلى مكانه في جملته ويريدون بعدم تأثر المعنى بقاءه على حالة قبل الحذف، فلا ينقص، ولا يصيبه لبس، أو خفاء أو تغيير»<sup>(13)</sup> فيبقى المعنى مشاراً إليه من أجزاء الكلام كلها دون إسقاط له بحجة توجيهه.

وإذا كان أسلوب الحذف من الانتشار والسّعة في العربيّة، فليس كذلك في القرآن من إطلاقه، قال ابن القيم: «الكلام مستغن بنفسه، غير محتاج إلى التقدير فإن الذي يدعى تقديره قد دل اللفظ عليه باللزوم، فكأنه مذكور؛ لأن اللفظ يدل بلازمه كما يدل بحروفه، ولا يقال لما دل عليه دلالة الالتزام إنه مخدوف»<sup>(14)</sup> وطبيعة الرّسالة وما

<sup>(9)</sup> - نحو القرآن، الجواربي: 48.

<sup>(10)</sup> - مناهل العرفان في علوم القرآن 376/1 وينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 276 - 277.

<sup>(11)</sup> - مختصر الصواعق المرسلّة ابن القيم، محمد بن الموصلي: 711/2.

<sup>(12)</sup> - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 274/2.

<sup>(13)</sup> - النحو الوافي، عباس حسن: 507/1.

<sup>(14)</sup> - مختصر الصواعق المرسلّة ابن القيم، محمد بن الموصلي: 847/3.

تقتضيه من التبليغ الذي يدور على البيان والوضوح هو أعظم ما جيئت له، حيث يأبى التلغيز بالمحذوفات في البلاغ، والتشفير واللبس في الأساليب، فالإكتفاء بظاهر النص أسلم في إظهار المعنى المراد من مصطلح الحذف.

وقد درج اللغويون والنحويون والمفسرون في الوقوف على النصوص القرآنية وتبيان ما فيها من حذف بدليل، قال: ابن جني «قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»<sup>(15)</sup> وعده من «باب شجاعة العربية»<sup>(16)</sup> لكن الحذر، فالمواطن التي فيها الحذف قد تنقلب إيهاماً على المخاطب، فيجني عليه عدم تيقظه لما حُذف من الكلام.

وفي الكتاب نجده يذكر الحذف ليس على الإطلاق كما يُفهم عند ابن جني (392هـ) وشيخه أبي علي الفارسي (377هـ) وإنما يقيد بما تعارفت عليه العرب في أساليبها من طرقها في الخطاب، «تقول: إذا نظرت في الكتاب هذا عمرو وإيما المعنى هذا اسم عمرو، وهذا ذكر عمرو ونحو هذا، إلا أنّ هذا يجوز على سعة الكلام كما تقول: جاءت القرية»<sup>(17)</sup> وذلك للاعتماد على بديهية السامع لعلمه بذلك.

فما كل ما جاز في العربية يجوز في القرآن، وخصوصاً مدار العقائد والأحكام؛ والتي هي مدار العمل، وقنطرة النجاة يوم القيامة، وإن كان ولا بد؟ فكما قال الجرجاني: «رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد»<sup>(18)</sup> قال ابن القيم مبيناً: «طريقة القرآن، بل وكل كلام فصيح أن يذكر الشيء في موضع ثم يحذف في موضع آخر للدلالة المذكور على المحذوف، وأكثر ما تجده مذكوراً، وحذفه قليل، وأما أن يحذف حذفاً مطرداً ولم يذكره في موضع واحد ولا في اللفظ ما يدل عليه، فهذا لا يقع في القرآن»<sup>(19)</sup> وفي القرآن وجوه ونظائر منه.

**أولاً: حذف الحرف:** يحذف الحرف إذا قويت الدلالة عليه، قال ابن جني: «ليس بقياس لأنّ الحروف إيما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به، إلا أنه إذا صح التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه»<sup>(20)</sup> وبخاصة أن الحروف يقع فيها الحذف في مواضع كثيرة ينذر أن يحصى، منها ما يخضع للقياس ومنها لغير قياس.

يقول سيويوه عن طريقة العرب في حذفها الحروف: «أن الشيء إذا كثر في كلامهم، كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله، ألا ترى أنّك تقول: لم أك ولا تقول لم أق، إذا أردت أقل وتقول: لا أدر كما تقول: هذا قاض، وتقول

(15) - الخصائص، ابن جني: 320/2

(16) - الخصائص: 360/2

(17) - الكتاب، سيويوه: 296/3

(18) - دلائل الإعجاز، الجرجاني: 151

(19) - بدائع التفسير، ابن القيم: 12/4

(20) - المحتسب، ابن جني: 51/1 والإتقان السيوطي: 1630/5

لم أبل ولا تقول: لم أرم تريد لم أرام، فالعرب مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره»<sup>(21)</sup> فالحذف موقوف على معاني الحروف فيما دخلت عليه، قال أبو موسى: «ليس في القرآن حرف يخلو من معنى، لأن خلو الحرف من المعنى عبث لا يقع في كلام أهل الطبع، فكيف بكلام الله»<sup>(22)</sup> فلا بد من دليل للحذف.

**أ- حذف لا:** فعند قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176] في "أن تَضَلُّوا" ثلاثة أقوال: حيث رأى الكوفيون ومنهم الفراء والكسائي أن: "لا" «مضمرة ههنا، على تقدير: لئلا تضلوا، أو ألا تضلوا. قالوا: ومثل هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: 41] أي لئلا تزولا، ومثله: ﴿كَجَهْرٍ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الحجرات: 2]»<sup>(23)</sup>.

بينما رأى البصرة لو كانت هنا "لا" فلا تحذف، قال النحاس: «التقدير كراهة أن تضلوا ثم حذف وهو مفعول من أجله، والقول الثالث أن المعنى: يبين الله لكم الضلالة أي فإذا بين لكم الضلالة اجتنبتموها»<sup>(24)</sup> وتقديرات البصريين في "كراهة أن تضلوا" والكوفيين في "لئلا تضلوا" لا تضر بالمعنى: قال ابن القيم: «هي نزاع في وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى، مع اتفاقهم على أن المعنى واحد، وهذا اللفظ لا يخرج اللفظ عن إفادته السامع اليقين بمسامه»<sup>(25)</sup> وقد يكون الهدف من حذفها الاختصار وقد تتسع لأكثر من هدف.

**ب- حذف الباء:** تحذف "الباء" مطرداً مع (أن) و(أن) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9] والتقدير: بأن لهم أجراً كبيراً، وطريقة القرآن إذا كان الحذف في مكان نجده مذكوراً في مكان آخر، منه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47] وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 138].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25] ومما أورده النحاس في إعراب "أن" أنها: «في موضع نصب والمعنى بأن لهم، قال الكسائي وجماعة من البصريين: "أن" في موضع خفض بإضمار الباء»<sup>(26)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: 175] أوجبوا تقدير حرف الخفض "الباء" أي: يُخَوِّفُكُمْ بِهِم، قال ابن الشجري: «يُخَوِّفُكُمْ بأوليائه، فلذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾»<sup>(27)</sup> من الآية نفسها.

(21) -الكتاب، سيبويه: 196/2

(22) -آل حم الشورى -الزخرف -الدخان دراسة في أسرار البيان، أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2010م: 24

(23) -البيسط الواحدي: 214/7

(24) -إعراب القرآن، النحاس: 511/1

(25) -مختصر الصواعق المرسله ابن القيم، محمد بن الموصلبي: 230/1

(26) -إعراب القرآن، النحاس: 201/1

(27) -الأمالي الشجرية، هبة الله ابن الشجري (تح) محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ 1992م: 287/1.

**ج- حذف التاء:** ومنه حذف تاء "استطاع" على غير قياس، كما جاء في قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82] بعد أن قال له قبل هذا ﴿سَأْتِيَنَّكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78] قال عبد الرحمن الميداني: «ولعله أشار أخيراً بفعل (تسطع) إلى طبيعة موسى عليه السلام التي تقل فيها استطاعة الصبر، فناسبها تقليل حروف الكلمة»<sup>(28)</sup>.

**د- حذف حرف النداء يا:** وكثر حذف حرف النداء (يا) في القرآن مع الرب<sup>(29)</sup> قال السيوطي: «تنزيها وتعظيما لأن في النداء طرفا من الأمر»<sup>(30)</sup> كما ذكرت بعض الآيات غير محذوفة حرف النداء، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30] وحذف الحرف وخاصة مع الربوبية بين فيما يبين الالتجاء والتوجه الذي فطر عليه البشر جميعا بلا استثناء ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: 172] هذا الإشهاد هو الذي نجده في هذا الالتجاء السريع مع قضايا الربوبية يصوره الحذف سواء في حذف حرف النداء أو المضاف إليه.

أما إذا كان الدعاء من الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مریم: 4] فإننا نحس فيه حرارة الدعاء وصدق الكلمة كما نحس من خلاله صدق الإجابة، قال سيد قطب: «"رب" بلا واسطة حتى ولا حرف النداء، وإن ربه ليسمع ويرى من غير دعاء ولا نداء ولكن المكروب يستريح إلى البث، ويحتاج للشكوى، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطر البشر، فيستحب لهم أن يدعوه وأن يثوه ما تضيق به صدورهم»<sup>(31)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: 101].

**ثانياً: حذف الكلمة:** وإنما تحذف الكلمة لدليل عليها في السياق.

**أ- حذف المبتدأ:** هناك مواقع ذوقية وبلاغية يحذف المبتدأ لدليل فيها أن يكون خبره نائبا عن فعله، أن يكون الخبر مخصوصاً لنعم أو بئس، وفي جواب الاستفهام، وبعد فاء الجواب، وبعد الخبر صفة له في المعنى، فقد يحذف لوجود قرينة حالية تدل عليه وتعني عن ذكره، قال ابن جني: «هل لك في كذا (وكذا)، أي هل لك فيه حاجة أو أرب، وكذلك قوله عز وجل: ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] أي ذلك، أو هذا بلاغ وهو كثير»<sup>(32)</sup> وبلاغ على أنه خبر للمبتدأ المحذوف.

(28) - البلاغة العربية، حبنكة الميداني: 47/2

(29) - انظر: الآيات: البقرة: 286، المؤمنون: 93-98، الممتحنة: 5، البقرة: 126، آل عمران: 35، 38، 41، الأعراف: 151

(30) - الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: 82/2.

(31) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 2301/4

(32) - الخصائص، ابن جني: 362/2

ويحذف بعد القول اعتماداً على السياق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ [النساء: 171] قال الفراء: «ولا تقولوا الآلهة ثلاثة»<sup>(33)</sup> والكلام موجه إلى مشركي النصارى القائلين بألوهية المسيح عليه السلام، قال عبد الكريم الخطيب: «هو تخطئة لهذه الكلمة الخاطئة التي يقولها من يرى الله ثلاثة آلهة: الآب، والابن، وروح القدس... أو هو الأب، والابن، والأم»<sup>(34)</sup> فأضمر المبتدأ وأظهر الخبر لشناعة المعتقد الكاذب على الله بغير الحق.

قال ابن الأنباري: «إذا جاء بعد القول حرف مفرد يجوز أن يكون نعتاً للقول نصبت، كقولك: قلت حقاً، لأنه يحسن أن يقال: قلت قولاً حقاً، وكذلك: قلت صواباً وقلت خطأ، وإذا جاء حرف مفرد لا يجوز أن يكون نعتاً للقول، رفعت كقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً﴾ [الكهف: 22] معناه: سيقولون هم ثلاثة، ولا وجه للنصب»<sup>(35)</sup> وقد يرتفع ما بعد القول للمبتدأ المحذوف لارتكازه على سبق ذكره، وهي طريقة الحذف في القرآن.

**ب- حذف الخبر:** يحذف الخبر إذا دل عليه دليل: «جوازاً أو وجوباً»<sup>(36)</sup> ومما حُمل على تقدير حذف الخبر قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35] فُدِرَ للمبتدأ خبر قال البغوي: «(ظِلُّهَا) خبره محذوف هو "دائم"»<sup>(37)</sup> أي: وظلّها دائم، حملاً على الجملة المعطوف عليها أكلها دائم، وفيه إشارة لمن يتوهم نفاذ "أكل الجنة"، قال الطبري: «دائم لأهلها، لا ينقطع عنهم ولا يزول، ولا يبديد، ولكنه ثابت على غير نهاية، "وظلّها" يقول: وظلّها أيضاً دائم؛ لأنها لا شمس فيها»<sup>(38)</sup> فهو نعيم دائم أبدي.

فدوام الظل معروف من دلالة اللزوم، تؤيده آثار وآيات أخر بأنه دائم، قال القنوجي: «لا يتقلص ولا ينسخه الشمس لأنه ليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول، وفي الآية رد على جهم وأصحابه فإنهم يقولون إن نعيم الجنة يفنى وينقطع، وفيها دليل على أن حركات أهل الجنة لا تنتهي إلى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل، واستدل عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على أن الجنة لم تخلق بعد، ويردّه قوله تعالى: "أعدت للمتقين" إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الصحيحة»<sup>(39)</sup> وأحوال الآخرة فوق ما يتصور ويخطر.

ومما يحذف فيه الخبر ويقدر في الإخبار بشبه الجملة المعلق بفعل أو اسم محذوف لكائن أو مستقر، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ\*فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: 88، 89] قال الباقلائي تقديره: «فله روح: روح

(33) -معاني القرآن، الفراء: 39/1

(34) -التفسير القرآني للقرآن، الخطيب: 1018/1

(35) -معاني القرآن، الفراء: 38/1، جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 301/1

(36) -شرح الكافية، ابن الحاجب: 241/4.

(37) -معالم التنزيل، البغوي: 322/1، شرح قطر الندى وبل الصدى، محمد محيي الدين عبد الحميد: 125

(38) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 555/13

(39) -فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن القنوجي: 65/7

مبتدأ وله خبره»<sup>(40)</sup> وقد تعلق الجار بكائن كما هي صنعة النحاة، والهدف العام من ذكر الشيء أو حذفه، أن: «الحذف أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب»<sup>(41)</sup> وهذا جار وكثير.

وحذف خبر إن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: 41] قال سيد قطب عن دلالة حذفه: «لا يذكر ماذا هم وماذا سيقع لهم، فلا يذكر الخبر... كأنما ليقال: إن فعلتهم لا يوجد وصف ينطبق عليها ويكافئها لشدة بشاعتها»<sup>(42)</sup> لعدم إجابتهم داعي الإيمان وقد عرفوا صدقه. ومن حذف الخبر اعتماداً على القرائن العقلية واللفظية قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: 33] وتقدير الخبر: كمن ليس كذلك، وبالإضافة إلى دلالة القرائن السابقة، قد جاء في مواضع مذكوراً مثله نحو: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [محمد: 14].

**ج- حذف الفعل:** من حذف الفعل إيقاعه على شيئين وهو لأحدهما كما في قوله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: 71] فالعطف في "أَمْرُكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ" ليس عطفاً إذا قدر فلا بد من إضمار فعل وهو أحد أوجه الإعراب «والتقدير فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم وقيل التقدير: ادعوا شركاءكم»<sup>(43)</sup> تؤيده قراءة ما في مصحف أبي «ادعوا شركاءكم»<sup>(44)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: 9] قال عباس حسن: «التبوء: أعدوها للسكنى، وهذا مناسب للدَّار، لكنه غير مناسب للإيمان، إذ لا يقال على سبيل الحقيقة: هيئوا الإيمان للسكنى، ومن ثم أعربت كلمة الإيمان مفعول لفعل محذوف تقديره: ألقوا وهذه الجملة الفعلية المحذوفة معطوفة بالواو على الجملة الفعلية التي قبلها»<sup>(45)</sup> وقال السمين: «أضمر فعل بمعنى: اعتقدوا»<sup>(46)</sup> وأصحاب الدار والإيمان هم الأنصار.

**د- حذف المفعول به:** حذف المفعول به في التنزيل كثير، قال الرضى: «الشيء إذا كثرت وقوعه في موضع جاز حذفه تخفيفاً وصار كأنه منطوق به»<sup>(47)</sup> فاستغنى عن ذكره للعلم به، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25] حذف المفعول به "الناس" وفائدته يدعو جميع العباد سبحانه إلى دار السلام، فاكتفى الفعل بفاعله للاهتمام برحمة الله الشاملة، فعمم واختصر، أما في الهداية فقد قال: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

(40) - البيان في غريب القرآن، ابن الأنباري: 419/2

(41) - إعجاز القرآن، الباقلائي، (تح) أحمد صقر، دار المعارف، مصر (دط تا): 262

(42) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 3126/5

(43) - البيان في غريب إعراب القرآن: 417/1، معاني القرآن، الفراء: 473/1، الحجة في القراءات السبع، الفارسي: 203/3

(44) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 241/6

(45) - النحو الوافي، عباس حسن: 637/3

(46) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 241/6

(47) - شرح الرضا على الكافية، الرضي الأستريادي (تح) يوسف عمر: 524/1

﴿مُسْتَقِيم﴾ [يونس:25] فذكر المفعول به، فالدعوة عامة، والهداية خاصة بالدعوة عامة؛ لحذف المفعول، والهداية خاصة؛ مردها إلى الله وليس لأحد فيها نصيب ولو كان من المقربين.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصفوات:79،78] قال الألوسي المراد: «أبقيناه له دعاء النَّاسِ وتسليمهم عليه أمة بعد أمة، وقيل: هذا سلام منه عز وجل لا من الآخرين، ومفعول (تركنا) محذوف أي تركنا عليه الثناء الحسن وأبقيناه له فيمن بعده إلى آخر الدهر»<sup>(48)</sup> وحذف المفعول لينصرف الذهن إلى التفتيش عن هذا المتروك، قال ابن قتيبة: «أي: أبقينا له ذكراً حسناً في الآخرين كأنه قال: تركنا عليه ثناء حسناً، فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد»<sup>(49)</sup> ونحن بعد أحقاب نصلي على نوح ونسلم تسليمًا.

ومن اكتفاء الفعل بفاعله والحذف المفعول قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى:3] حذف الكاف الذي هو مفعول به، واكتفى الفعل بفاعله، قال الرازي: «أنه ما قلاك ولا قلى أحداً من أصحابك ولا أحداً ممن أحببك إلى يوم القيامة»<sup>(50)</sup> والتوديع يكون بين المتحابين فأظهر حرف الخطاب فيه تكرماً له، والقلى يكون بين المتباغضين، أضمر الكاف فيه تنزيهاً له، واكتفى الفعل بفاعله في القلى للاعتناء وهو واضح.

**هـ- حذف مفعول المشيئة:** مفعول المشيئة في القرآن كثير، ويحذف في الغالب لأجل البيان بعد الإبهام ويجيء دائماً مع "لو" التي قال عنها سيوييه «لو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره»<sup>(51)</sup> وحذفه يجعلنا نعلم أنه معلوم بداهة، وأن إيقاع فعل المشيئة موكول إلى الله، فيحذف المفعول ويحصر الاهتمام بالفاعل ليصح المعتقد، وقد ذكرت المفاعيل كما في شأن العباد كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام:80]<sup>(52)</sup> ويذكر مفعول المشيئة ولا يضمر، قال ابن الأثير: «إذا كان مما يستعظم ويستغرب»<sup>(53)</sup> وقال الزمخشري: «لقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد (يعني حذف مفعوليهما) قال: لا يكادون يبرزون هذا المفعول إلا في الشيء المستغرب نحو قوله<sup>(54)</sup> فلو شئت أن أبكي دما لبكيت»<sup>(55)</sup> وكذلك يؤتى للاستعظام.

وقال العكبري: «متى كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً كان الأحسن أن يذكر نحو: لو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته؛ وسر ذكره أن السامع منكر لذلك أو كالمنكر، فأنت تقصد إلى إثباته عنده فإن لم يكن منكراً

(48) -روح المعاني، الألوسي: 99/23

(49) -مشكل القرآن، ابن قتيبة 178

(50) -الرازي مفاتيح الغيب: 210/31

(51) -الكتاب، سيوييه: 307/2، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 182/1

(52) -انظر الآيات: الفرقان: 57 المدثر: 37 التكوير: 28

(53) -ابن الأثير، المثل السائر: 290/2

(54) -البيت لإسحاق بن حسان الخديمي، وعجزه: عليه ولكن ساحة الصبر أوسع، نقلاً عن: الدر المصون: 183/1

(55) -الكشاف، الزمخشري: 208/1، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عزيمة: 180/9



فالحذف، نحو: لو شئت قمت، وفي التنزيل: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: 31]»<sup>(56)</sup> وقال أبو حيان: «حسن ذكره في الآية والبيت من حيث عود الضمير، إذ لم يذكر لم يكن للضمير ما يعود عليه، فهما تركيبان فصيحان، وإن كان أحدهما أكثر»<sup>(57)</sup> ليس مرده الاستعظام والاستغراب.

ومنه في قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] حذف مفعول المشيئة "هدايتكم" قال ابن عاشور تقديره: «أي لو شاء هدايتهم بأكثر من إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يغيّر عقولهم فتأتي على خلاف ما هُيئت له لكان قد فعل ذلك... ولكن حكمته قضت ألا يعدل عن سنته في الهداية بوضع العقول وتنبئها إلى الحق بإرسال الرسل ونصب الأدلة والدعاء»<sup>(58)</sup> ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 9] قال أبو حيان مفعول: «شَاءَ محذوف، أي هدايتكم»<sup>(59)</sup> والهداية متعلقة به سبحانه.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: 24] فيها مفعول المشيئة محذوف، «وشأنه أن يقدر مأخوذاً من جواب لو»<sup>(60)</sup> وتقديره "لو شاء الله إنزال ملائكةٍ لأنزل ملائكةً" والإيمان بالملائكة من أركان الإيمان ولكن ليست من طبيعتهم أن يبعثوا في صورة بشر إلى البشر، فهذا من التلبيس الذي لا تقتضيه الرسالة، فالله أعلم بالرسالة والرسول ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124].

**و- حذف المضاف وتقديره:** ذكر ابن جني أن «في القرآن ما يزيد على ألف موضع كلها على حذف المضاف»<sup>(61)</sup> وأن ما جاء «في القرآن، والشعر وفصيح الكلام في عدد الرَّمَلِ سَعَةً»<sup>(62)</sup> وقال أبو علي الفارسي: «وفشو هذا في اللغة وكثرته واشتهاره فيها أظهر وأوضح من أن يخفى على المبتدئين بالنظر في اللغة، فضلاً عن المتوسّطين ومن جاوزهم، وفي التنزيل من هذا ما لا يكاد يضبط كثرة»<sup>(63)</sup> وهو أمر مبالغ فيه.

واشترط المبرد (210-285هـ) لحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه قرينة، وإذا عدم الدليل امتنع الحذف «ولا يجوز على هذا أن نقول: جاء زيد، وأنت تريد غلام زيد، لأن الجيء يكون له، ولا دليل في مثل هذا على

<sup>(56)</sup> -دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة دار الحديث، القاهرة، (دط)1972م: 180/9

<sup>(57)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 89/1، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة: 180/9

<sup>(58)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 152/8

<sup>(59)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 477/5، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة: 189/9

<sup>(60)</sup> -دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة: 192/9

<sup>(61)</sup> -الخصائص، ابن جني: 192\1

<sup>(62)</sup> -المختسب، ابن جني: 188\1، أمالي ابن الشجري، هبة الله محمد ابن حمزة: 78/1

<sup>(63)</sup> -الإغفال، الفارسي أبو علي: 277، 276/2



المحذوف»<sup>(64)</sup> وقال الزمخشري في «الكشاف القديم: لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع، ولا يقدم عليه إلا بدليل واضح وفي غير مُلبس»<sup>(65)</sup> وإلا التيسر الأمر.

والغريب أن هذا التوسع في حذف المضاف كان توسعا كبيرا، بحيث عمّمه على التنزيل، ولم يراعوا خصوصية أسلوب القرآن الكريم، قال السيوطي: (وكان ابن جني وشيخه أبو علي الفارسي يجيزان القياس مطلقا)<sup>(66)</sup> حيث عمّمه على النص القرآني<sup>(67)</sup> وعطل ابن جني صفات فعلية لله عز وجل من حيث درى ولم يدر؟؛ وكانت آلية الحذف التي أشهرها على النص القرآني «دعوى مجردة مستندة إلى قاعدة من قواعد التعطيل وهي إنكار قواعد الرب وأنه لا يقوم به فعل البتة، بل هو فاعل بلا فعل»<sup>(68)</sup> فلا تجيزه اللغة ولا الأسلوب القرآني.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:93] والتقدير: وأشربوا في قلوبهم حبّ العجل قال ابن حجر: «لأن القلب يشرب الحبّ وغيره من أعمال القلب، لا العجل وغيره من الذوات»<sup>(69)</sup> وترك ذكر الحبّ اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام إذ هو معلوم، وعدّل الخطاب القرآني إلى هذا الأسلوب على طريقة التعبير بالتصوير في تجسيم الفعل المستقدر، حبّهم الشديد للعجل من دون الله، قال سيد قطب: «وإحضار صورة العجل يدخل في القلوب إدخالا... حتى لكأنهم شربوه إشرابا»<sup>(70)</sup> إبرازا لفضاعة جرم الإشراك في العبادة.

وأفاد حذف المضاف وإقام المضاف إليه مقامه انشغال المشركين بأمر الساعة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف:187] حيث حذف المضاف "الوقت" وأقيم الاسم الجرور "الساعة" مكانه، قال سيد قطب: «الساعة غيب من الغيب الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولكن المشركين يسألون الرسول عنها إما سؤال المختبر الممتحن! وإما سؤال المتعجب المستغرب! وإما سؤال المستهين المستهتر! ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي متى وعدّها الذي إليه تستقر وترسو؟!»<sup>(71)</sup> حيث غطّى هذا التلهف معرفة كنهها عن معرفة وقت رسوها، وهو بعض ما يشير إليه الحذف، وقد يكون الانشغال أيضا من المسلمين وخاصة حديثي الإسلام يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفة دينهم وما يجب عليهم فعله.

<sup>(64)</sup> - ما اتفق لفظه واختلف معناه، المبرد: 77، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 146/3

<sup>(65)</sup> - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 146/3

<sup>(66)</sup> - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي: 290/4

<sup>(67)</sup> - ينظر: مختصر الصواعق المرسلّة ابن القيم، محمد بن الموصلي: 843/3 وما بعدها

<sup>(68)</sup> - م، ن: 848/3

<sup>(69)</sup> - فتح الباري، العسقلاني: 496/6، جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 487/1

<sup>(70)</sup> - في ظلال القرآن، سيد قطب: 91/1

<sup>(71)</sup> - م، ن: 1408/3-1409

ومن المحذوفات التي قدروها فجاءت الصّواب: الأفعال المسندة إلى الله ك[المحيء والإتيان والنزول] حيث قدّر حذف مضافٍ عند قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة: 210] فأولوا: إلا أن يأتيهم أمر الله، وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: 22] أولوا المحيي: وجاء أمر ربك، ولم يسندوا "المحيء والإتيان" إلى الله عز وجل<sup>(72)</sup> وقال القرطبي: «والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال، ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوئ الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز»<sup>(73)</sup> وهو قول ليس له دليل.

وارتكازاً إلى حذف المضاف، ذهب التأويل بكل طائفة كلّ مذهب فقيل معنى المحيي «أي: زالت الشبه ذلك اليوم، وصارت المعارف ضرورية كما تنزل الشبه والشك عند مجيء الشيء الذي كان يُشكّ فيه»<sup>(74)</sup> وقال الجويني: (419-478هـ) «وليس المعنى بالمحيء الانتقال والنزول تعالى الله عن ذلك بل المعنى بقول " وجاء ربك " أي: جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل»<sup>(75)</sup> وقال الرازي: «أن الرب هو المرّي، ولعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مرّي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء فكان هو المراد من قوله: ﴿ وجاء ربك ﴾»<sup>(76)</sup> وكلها تقديرات وتحمينات ينقصها الدليل سببها حذف المضاف.

فكيف ساغ ذلك؟ وما الدليل هو التّقلي عليه؟! قال ابن تيمية: «فلا بد أن يكون مع الكلام قرينة تبين ذلك كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: 82] ولو قال قائل: رأيت زيدا، أو لقيته مطلقاً، وأراد بذلك لقاء أبيه أو غلامه، لم يجوز ذلك في لغة العرب بلا نزاع، ولقاء الله قد ذكر في كتاب الله وسنة رسوله في مواضع كثيرة مطلقاً، غير مقترن بما يدل على أنه أريد بلقاء الله لقاء بعض مخلوقاته من جزاء أو غيره»<sup>(77)</sup> وإذا اضطرب الكلام وضاع المعنى هدرا.

والطوائف الذين تنكبوا أسلوب العرب لما كانوا بصدد الأفعال الحادثة المسندة إلى الله ارتكبنوا إلى ما اعتقدوه، وارتكبنوا جريرتين: جمحوا بالأسلوب الصّحيح الصّريح عن طريقه، ودخلوا على النص القرآني بمقررات سابقة، قال الرازي: «الحركة على الله تعالى محال، لأن كل ما كان كذلك كان جسماً، والجسم يستحيل أن يكون أزلياً، فلا بدّ فيه من التأويل»<sup>(78)</sup> ومن ثم قدموا أدلة لم تستسغها العقول.

(72) - ينظر: المخرر الوجيز، ابن عطية: 613/8، مجاز القرآن، عز الدين: 9 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 281/22

(73) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 282/22

(74) - م، ن: 282/22

(75) - الإرشاد إلى قواطع الأدلة، الجويني، (تح) محمد يوسف وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي، مصر (دط) 1950م: 160

(76) - التفسير الكبير، الرازي: 175/31

(77) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 471/6

(78) - م، س: 174 /31

واحتج بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ [النحل: 33] من أنّ الإتيان مسند إلى الأمر " يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ " وأجيب عنه بأنه خاص بالعذاب في الدنيا، أي: «العذاب المستأصل أو القيامة»<sup>(79)</sup> وحملهم (يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ) على (يَأْتِيَ رَبُّكَ)<sup>(80)</sup> مفارقة عجيبة من حيث الإسناد، وهو ضعف في الاستدلال، بل الآية حجة داحضة في دلالة كل إسناد.

من هنا تم القفز على الأسلوب العربي المتعارف عليه، ففصلوا بين المسند والمسند إليه! والمعلوم أنّ الكلام هو «القول الدالّ على نسبة إسنادية مقصودة لذاتها»<sup>(81)</sup> فلو عمدنا إلى تقدير مضاف لكل جملة فعلية لاهترت حياتنا اللغوية كلها، وحذف المضاف عند هذا الاتجاه يدحضه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: 158] وقد جاء الإتيان مفصلاً بالمعطوفات، فاستبان: إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات الرب عز وجل.

وكذلك حديث النزول: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري أستغفر له؟»<sup>(82)</sup> وفي لفظ: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك: أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفري فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»<sup>(83)</sup>.

وإسناد النزول إلى الله جاء له بتبرير من باب حذف المضاف وإسناد الفعل إلى الأمر به، كما يقال: نادى الأمير في البلد، إذا نادى أتباعه بأمره «والخلف يقولون المراد: وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد: ينزل ملك ربنا فيقول عن الله»<sup>(84)</sup> وهذا غير مستساغ في لسان العرب أن يكون المسند موضع احتمال. وهناك من دخل إلى تأويل المجيء في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: 22] من باب آخر أورده الزركشي بصيغة التمرّيض: «قيل استعار الواو موضع الباء لمناسبة بينهما في معنى الجمع إذا الباء موضوعة للإلصاق وهو جمع، والواو موضوعة للجمع، والحروف ينوب بعضها عن بعض وتقول معرفا: جاء الأمير بالجيش، إذا كان مجيئهم مضافا إليه بتسليطه أو بأمره»<sup>(85)</sup> وهو استعمال النحو لتطويع النصوص حسب ما اعتقد.

(79) -الكشاف، الزمخشري: 434/3، مفاتيح الغيب، الزاوي: 26/20

(80) -ينظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار (تح) عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة (دط تا): 121/1

(81) -البحر المحيط، أبو حيان: 435/1.

(82) -فتح الباري كتاب التوحيد، العسقلاني: 464/13

(83) -صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: 342/1، ورقمه: 758

(84) -تحفة المريد على جوهرة التوحيد، البيجوري (تح) محمد الشافعي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2002م: 158

(85) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 83 /2

قال الطبري في شأن الآية «يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صفا»<sup>(86)</sup> فأثبت المجيئ لله الواحد القهار كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، قال ابن تيمية: «إن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفا صفا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء»<sup>(87)</sup> وكما ثبت في السنة.

**ز- حذف المضاف إليه وتقديره:** وردت آيات النداء محذوفة المضاف إليه، سواء كان النداء من الرسل أو من العباد أو جاء بصيغة التعليم، وكلها أتت محذوفة الضمير مع الربوبية، ويعني أنه رب العالمين، وأنه في شأن العبادة والنداء مع عباده قريب بعلمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:186] كما يشي بأن أمر الدعاء وأمر العبادة مرتبط بالرب مباشرة لا يحتاج إلى وسائط.

فهذا الحذف للمضاف إليه يعبر عن أسرار العبودية في إخلاص التوجه لرب العالمين، منه كما في شأن الرسل: قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة:260] وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:143] وقوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:30].

وكما في شأن العباد قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ [طه:125] وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون:99] أو كما جاء على وجه التربية والتعليم والتوجيه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:118] وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114] وغير ذلك، فإذا أضيف إليها حذف حرف النداء وهو ملازم للربوبية في أولها ظهرت كلاءة الرب لعباده والاستجابة لهم.

ومثل هذا الحذف ورد مشتهرا في الحديث: فمما كان من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إسلام عمه أبي طالب قوله: «يا عمّ قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»<sup>(88)</sup> وبرواية «أي عم»<sup>(89)</sup> وسواء أكان النداء بالياء أم بـ أي، فإن المنادى أضيف إلى ياء محذوفة، والأصل فيها: عمي.

**ح- حذف المضاف إليه مع قبل وبعد:** والغايات التي انقطعت عن الإضافة وبنيت على الضم في القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم:4] والأمر له وحده ولا يملك الخلق منه شيئاً، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مریم:9] حيث يريد أنه كان عدماً فأوجده، فأضحى شيئاً، أفاده انقطاع الغاية عن الإضافة، قال الزجاج: «أي فخلق الولد لك كخلقك»<sup>(90)</sup> فالعدم غير الإيجاد.

والآية تفند تسميتهم المعدوم شيئاً، قال الشنقيطي: «دليل على أن المعدوم ليس بشيء... خلافا للمعتزلة القائلين: إن المعدوم الممكن وجوده شيء، مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

<sup>(86)</sup> - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) تركي: 384/22

<sup>(87)</sup> - فتاوى ابن تيمية، أحمد ابن تيمية: 578، 577/5

<sup>(88)</sup> - فتح الباري، العسقلاني، فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: 233/7 ورقمه 3884

<sup>(89)</sup> - م ن، كتاب الجنائز: 263/3 ورقمه 1325

<sup>(90)</sup> - معاني القرآن، الزجاج: 217/3

فَيَكُونُ ﴿يس: 82﴾ قالوا قد سماه الله قبل أن يقول له كن فيكون، وهو يدل على أنه شيء قبل وجوده»<sup>(91)</sup> فالتبس عليهم إرادة الشيء في علمه عز وجل مع وجوده في الواقع، فانخدش معتقدتهم في قدرة الخالق؟.

وإرادة الشيء بالماضي تعينت للمستقبل لتعلقها بالربوبية، فهي في حكم الوقوع المحقق، قال الشنقيطي: «الأفعال الماضية الدالة على الوقوع بالفعل فيما مضى: أطلقت مراداً بها المستقبل، لأن تحقق وقوع ما ذكر صيره كالواقع بالفعل، وكذلك تسميته شيئاً قبل وجوده لتحقيق وجوده بإرادة الله تعالى»<sup>(92)</sup> وبينت الغاية منة الله على زكريا وابنه الحصور عليهما السلام بإخراجهما من العدم؛ بل هي نعمة على جنس الإنسان كله ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَمَلَأْنَا شَيْئًا﴾ [مریم: 67] أن أخرجنا الله من العدم إلى الشيئية، قال ابن أبي العز: «وأهل السنة عندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وهذا الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، وأن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب، لا في الخارج»<sup>(93)</sup> وهذا معلوم كما تقرر.

ومنها قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: 25] قال النحاس وغيره: «رزقنا من قبل: غاية مبني على الضم لأنه قد حذف منه، وهو ظرف يدخله النصب والخفض في حال سلامته فلما اعتل بالحذف أعطى حركة لم تكن تلحقه، وقيل: أعطى الضمة لأنها غاية الحركات»<sup>(94)</sup> والتقدير: من قبل الرزق ومثله ما جاء في خطبة أبي بكر رضي الله عنه، إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: «أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»<sup>(95)</sup> والتقدير: أما بعد الحمد والثناء، أو: أما بعد الحمد والتسليم، أو: أما بعد هذا الثناء وقد حذف للاختصار والإيجاز.

**ط- حذف المضاف إليه بعد تنوين العوض:** ومنها قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ [البقرة: 285] قال ابن الأنباري التقدير: «كلهم آمن بالله، فحذف المضاف إليه وهو في حكم المنطوق به»<sup>(96)</sup> أو تقديره: كل عبد آمن بالله.

(91) - أضواء البيان، الشنقيطي: 274/4

(92) - م، ن: 275/4

(93) - شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن أبي العز: 117/1

(94) - إعراب القرآن، النحاس: 201/1 معاني القرآن، الأخصف الأوسط: 10

(95) - فتح الباري، العسقلاني، كتاب الجنائز: 3/136 ورقمه 1241

(96) - البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري: 187/1

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: 110] التنوين في "أياً" من المضاف إليه المحذوف، والمقصود بما اسم الله أو اسم الرحمن عز وجل، والحذف للتعظيم والتفخيم، قال وهبة الزحيلي التقدير: «أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فكل أسمائه حسنى، فيها تعظيمه وتقديسه كما قال: ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الحشر: 24] فأى اسم تدعونه به فهو حسن»<sup>(97)</sup> وكل أسمائه غاية في الحسن.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا ﴾ [الإسراء: 55] التنوين في "بعض" من حذف المضاف إليه والتقدير: بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضِهِمْ (أي ولقد فضلنا بعض الأنبياء والرسل على بعض بالمزايا والكتب والخصائص... وفي الآية محاجة اليهود وإعلامهم أنه كما آتينا داوود الزبور فلا تنكروا أن يؤتى محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم)<sup>(98)</sup> وانتفاء التسوية بين الأنبياء في الفضيلة رغم استوائهم في تبليغ رسالات ربهم، منصوص بالقرآن.

**ي- صور أخرى من حذف المضاف إليه:** قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: 87] فحذف المضاف إليه، قال الشنقيطي التقدير: «سبع آيات» فيما آيات الفاتحة، أو "سبع سور" إن كانت السور الطوال، والراجح أنها الفاتحة<sup>(99)</sup> والمثاني: الفاتحة التي تثنى في الصلوات وهي القرآن العظيم يوضحها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»<sup>(100)</sup> وحذف المضاف إليه للتعظيم، كما أنها لها دلالة ملازمة هي القرآن العظيم.

**ك- حذف المعطوف عليه:** العطف الجمع بين مشتركين في صفات بأحد حروف العطف، وخاصية الاشتراك تتمثل في التلازم والجمع بين المعطوف والمعطوف عليه وقد يستغنى السياق عن أحد هذين الأمرين لنكتة بلاغية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 26] قَدَّرَ محذوفاً (بِيَدِكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ) والاعتقاد السليم بخلافه هذا التقدير؛ الذي يخلو من الأدب مع الله.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَكُفِّرًا ﴾ [الإسراء: 83] فقد نسب الله الإنعام إلى نفسه بصيغة التعظيم "نا" ونسب الشر إلى الشر نفسه، ومثله قول الجن: ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: 10] فقد نسبت الجنة إرادة الشر بصيغة المجهول، ونسبت إرادة الرشد إلى الله تعالى.

وقد رد ابن القيم هذا التقدير والحذف معاً لثلاثة أوجه: (أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف بل تُرك ذكره قصداً أو بياناً أنه ليس بمراد. الثاني: أن الذي بيد الله تعالى نوعان: فضل وعدل، كما في

<sup>(97)</sup> -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 208/8

<sup>(98)</sup> - ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 110-109/8، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: 178/3

<sup>(99)</sup> - أضواء البيان، الشنقيطي: 236/8

<sup>(100)</sup> - فتح الباري، العسقلاني: 6/8 رقمه: 4293

الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (بِمَنْ لَهِ اللهُ مَلَأِي لَا يَغِيظُهَا نَفَقَةُ سَخَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَسْطُ، يَخْفَضُ وَيَرْفَعُ).

فالفضل لإحدى اليدين، والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شرَّ فيه بوجه، الثالث: إنَّ قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) كالتفسير للآية. ففرَّق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الربِّ سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه، مع إثبات عموم خلقه لكلِّ شيءٍ<sup>(101)</sup> فإرادة الخير وحده، دون الشرِّ توافرت الأدلة النقلية والعلمية عليه.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصفوات:5] المحذوف المقدر: وربِّ المغرب، قال البقاعي: «قال: رب المشارق التي تجلى كل يوم وذكرها يدل قطعاً على المغرب لأنها تختلف بما وأعاد الصفة معها تنبيهاً على وضوح دلالتها بما فيها من السياق له من الاصطفاة الدال على حسن الائتلاف»<sup>(102)</sup>.

**ثالثاً حذف الجملة:** تحذف الجملة بدلالة السياق، يقول سيبويه: «ألا ترى أن الرجل يقول: من رأيت فتقول: زيداً على كلامه، فيصير هذا بمنزلة قولك: رأيت زيداً»<sup>(103)</sup> فالدلالة على وجود محذوف ظاهرة، قال العلوي: «وإلا فإنه يكون لغوا من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال»<sup>(104)</sup>.

**أ- حذف جملة القول:** منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:127] فحذفت جملة "ويقولان" التي لو ذكرت لكان الكلام على سبيل الحكاية، قال سيد قطب: «حذفها جعل المشهد الغائب الذاهب، حاضراً يسمع ويرى، ويتحرك ويشخص، وتفويض منه الحياة، إنها خصيصة" التصوير الفني" بمعناه الصادق، اللائق بالكتاب الخالد»<sup>(105)</sup> فأبرز الحذف هنا لفنيته.

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران:191] قال أبو عبيدة: «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه، فكأنه في تمام القول: ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا»<sup>(106)</sup> وحذف الجملة الفعلية هو حذف لفظ القول وقائله، وهو كثير في القرآن الكريم.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:93] معناه: «يقولون أخرجوا أنفسكم»<sup>(107)</sup> قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد:23-24] فانحذف جملة القول وهو "يقولون أو قائلين" وترك أداء التحية من الملائكة الكرام على أصحاب الدار في مشهد ترحيبي مؤثر

(101) - ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، دار التراث، القاهرة، (دط تا): 271

(102) - نظم الدرر، البقاعي: 193/16.

(103) - الكتاب، سيبويه: 93/1

(104) - الطراز، يحيى بن حمزة العلوي: 92/2

(105) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 114/1

(106) - مجاز القرآن، أبو عبيدة (تح) فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط تا): 111/1

(107) - أحكام القرآن، الكياهراسي: 19/1

بالإضافة إلى دلالة هاته التحية التي تلقيها الملائكة على أصحاب الجنة والتي «تدل على أنّ السلام الذي هو تحية الإسلام كان تحية الملائكة»<sup>(108)</sup> وحذف لفظ القول وقائله في القرآن كثير.

**ب- حذف جملة جواب الشرط:** والحذف يجوز لعلم المخاطب به، قال الزركشي: «لقصده المبالغة، لأنّ السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب؛ ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق»<sup>(109)</sup> فيكون أبلغ من ذكره.

وإذا كان الحديث عن موضوعات اليوم الآخر: كالبرزخ، وعذاب الجحيم، ونعيم الجنة، والحشر والحساب، فالجمل الشرطية ترد مسهبة، قال عبد الرحمن الميداني: «فائدتها التفخيم والتعظيم، أو التهويل ونحو ذلك، بسبب ما يحدثه الحذف في نفس المتلقي من الإبهام الذي قد يجعل نفسه تقدر ما شاءت دون حدود، ويحسن مثل هذا الحذف في المواضع التي يراد بها التعجيب والتهويل وأن تذهب النفس في تقدير المحذوف كل مذهب»<sup>(110)</sup>.

ومن أمثلة حذف جواب الجملة الشرطية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ [الأنعام: 35] الجواب: فافعل على الإضمار، والعرب تفعله، قال، الفراء: «كل موضع يعرف فيه معنى الجواب؛ ألا ترى أنك تقول للرجل: إن استطعت أن تصدق، إن رأيت أن تقوم معنا، يُترك الجواب؛ لمعرفتك بمعرفته به فإذا جاء ما لا يعرف جوابه إلا بظهوره أظهرته؛ كقولك للرجل: إن تقم تصب خيراً، لا بد في هذا من جواب؛ لأن معناه لا يعرف إذا طرح»<sup>(111)</sup> فالحذف أبلغ من الذكر هنا، ولو ذكر الجواب لوقف الذهن عنده، فحذف ليذهب كل مذهب .

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: 10] وجواب الشرط المحذوف، قال الزجاج: «أتؤمنون»<sup>(112)</sup> أوتي به للتوبيخ والتفريع، وكانت أفحم حجة في إسلام عبد الله بن سلام وإعراض قومه من اليهود عن الدخول في الإسلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73] وتقدير الجواب حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، قال عبد الرحمن الميداني: «لرأوا شيئاً عظيماً جداً تعجز عباراتهم عن وصفه»<sup>(113)</sup> والجنة فيها ما لا يخطر على قلب بشر.

(108) -م، ن: 226/3

(109) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 183/3

(110) -البلاغة العربية، حبنكة الميداني: 41/2

(111) -معاني القرآن، الفراء: 1/133، 332

(112) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 4/440

(113) -البلاغة العربية، حبنكة الميداني: 41/2



وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31] الجواب محذوف، قال ابن قتيبة تقديره: «لكان هذا القرآن»<sup>(114)</sup> حُذِفَ إيجازًا لما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه، وقيل: «لكان هذا القرآن، وقيل لكفروا بالرحمن أي لو فعل بهم هذا، وقيل لما آمنوا»<sup>(115)</sup>.

فالآية الكريمة تردّ على المشركين الذين كانوا يصرون على الخوارق المادية وتشير في الوقت نفسه إلى أنّ القرآن هو معجزة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تبين طلاقة المشيئة الربانية في أنّ الله هو الذي يختار «نوع المعجزة التي ينزلها على رسوله، إن كانت حسية أو معنوية وليس للبشر جميعا بما فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقترح على الله صورة معينة للمعجزة والله سبحانه أعلم بما يريد، قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: 101]»<sup>(116)</sup> والقرآن لم يجبههم رحمة بهم، كما أن وظيفته معلومة وهي إنذار الأحياء.

فالحذف المقدر في الآية، كأنه قال: لو أنّ قرآنا يمكن أن تُسَيَّرَ به الجبال أو تُقَطَّعَ به الأرض أو يُكَلِّمَ به الموتى لكان هذا القرآن، ولكنّ القرآن الكريم ضرب صفحا عن هذا الجواب المباشر وعدل به إلى الحذف الذي جعل الأداء القرآني يفيض بالإعجاز، وأدرك الكفار وقتها أنّ هذا القرآن العجيب ليس من شأنه تحريك الحسيات وإنزال الخوارق حسب ما يشتهون، بل جاء لخطاب المكلفين الأحياء.

ووقف سيد قطب عند دلالة اكتفاء النصّ بـ(لو) وشرطها فقط، دونما ذكر جوابٍ لـ(لو) قائلا: «بأنّ الذين تلقوا القرآن الكريم أوّل مرّة سيّروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم والأجيال، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أحمَد من الموتى، وهو الشّعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام، والتحوّل الذي تمّ في نفوس العرب وحياتهم فنقلهم تلك التقلّة الضخمة، دون أسباب ظاهرة إلا فعل هذا الكتاب ومنهجه في النفوس والحياة، أضخم بكثير من تحوّل الجبال عن رسوخها، وتحوّل الأرض عن جمودها، وتحوّل الموتى عن الموات!!»<sup>(117)</sup> فلولا الحذف ما بانَت هذه الدلالات.

**ج- حذف الجملة الواقعة بعد إذا:** تلزم "إذا" الإضافة إلى جملة اسمية أو فعلية: وتحذف وتعوض بتنوين الذال: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: 57] فالتنوين في يومئذٍ «ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بـ"ينفع" والتنوين عوض عن جملة محذوفة، أي: يوم إذ قامت الساعة، وحلف المشركين كاذبين»<sup>(118)</sup> والآية سيقن للترهيب.

(114) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 214

(115) - إعجاز القرآن، الباقلاني: 262، فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان القنوجي: 58/7

(116) - دراسات قرآنية، محمّد قطب: 180

(117) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 2061/4

(118) - إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: 71/6

**د-حذف الجملة الواقعة بعد بل وبلى:** تحذف الجملة الواقعة بعد بل وبلى<sup>(119)</sup> ويضرب عن جمل سابقة، وما ذاك إلا أن الحذف هو «جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح»<sup>(120)</sup> ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260] فلاستفهام التقريري جوابه الجملة المحذوفة، تقديرها: "بلى أومن"، قال ابن عاشور: «أبراهيم عليه السلام لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس»<sup>(121)</sup> ونحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام.

ويبقى الحذف آلية حجاجية بحيث أنه يفترض شريكاً، لذلك تستنطق بها النصوص، وتدار بها الحوارات لعلم السامع بالكلام، كما درج عليه العرب من كلامهم فيما أورده صاحب الكتاب، وكما وافقته النصوص القرآنية، ولكن ليس على إطلاقه كما تُوهم عند بعضهم، بل له مقيدات تستفاد من السياق.

<sup>(119)</sup> - ينظر الآيات: البقرة: 135، آل عمران: 76، الأنعام: 30، الزخرف: 80

<sup>(120)</sup> - جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا، (د ط تا): 148

<sup>(121)</sup> - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 38/3

• **أسلوب القسم:**

القسم: يمين يقسم بها الحالف، قال ابن سيده «ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد»<sup>(1)</sup> ويكون بأحد حروف القسم، قال الواحدي تجاء: «لتوكيد الخبر الذي يخبر به الإنسان إما مثبتاً لشيء أو نافياً، ولما كان الخبر يدخله الصدق والكذب لم يأمن المخبر بالشيء عن نفسه أن يرد خبره ولا يُقبل، فأكد خبره باليمين»<sup>(2)</sup>. واستعمل العرب أسلوب القسم بقوة والغرض من ذلك أن يستيقن المخاطب مما يسمعه، وجاء في القرآن على أن الأسلوب كان مستعملاً، من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النحل: 38 فاطر: 42] فاستعمل القرآن الأسلوب ذاته لتأكيد الخبر لأن جاهلية ما قبل الإسلام تقوم على الإنكار وعدم الاعتراف بالله، والقرآن باعتباره خطاب عالمي قار، فهو موجه للشاك والمنكر، وللخصم والمعاند، وللمصدق وقليل الإيمان، فلكل أسلوبه، وأسلوب القسم جامع لتوكيد ما يلقي، ونفي للأعذار.

وأتى القسم مُفتتحاً به في خمس عشرة سورة<sup>(3)</sup> كما أتى مع "لا" للرد على منكري البعث قال الفراء وغيره: «جاء الإقسام بالرد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه، وغير المبتدأ، كقولك في الكلام: لا والله لا أفعل ذلك، جعلوا (لا) وإن رأيتها مبتدأه ردّاً لكلام قد كان مضى... ألا ترى أنك تقول مبتدئاً: والله إن الرسول لحق، فإذا قلت: لا والله إن الرسول لحق، فكأنك أكذبت قوماً أنكروه، فهذه جهة (لا) مع الإقسام، وجميع الأيمان في كل موضع ترى فيه (لا) مبتدأ بها»<sup>(4)</sup> قال المراغي: «لا ليست مزيدة والكلام على ظاهره المتبادر منه؛ والمعنى: لا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم ما، فضلاً عن هذا القسم العظيم»<sup>(5)</sup>.

ويجيء القسم مصحوباً بـ "كلا"<sup>(6)</sup> التي: «للزجر والردع غالباً، بمعنى انته ما أنت فيه»<sup>(7)</sup> كما يأتي مع اللام المنبئة عنه والمؤكدّة، قال الرضي: «ومذهب الكوفيين أنّ اللام في مثل لزيد قائم، جواب القسم أيضاً، والقسم قبله مقدر، فعلى هذا ليس عندهم لام الابتداء»<sup>(8)</sup> وسماها الطبري: بلام اليمين<sup>(9)</sup> لأنها توطئ للقسم.

(1) -المخصص، ابن سيده: 110/13

(2) -التفسير البسيط، الواحدي: 349/8

(3) -نظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 179/1 والسور هي: الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، الفجر الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات العصر.

(4) -معاني القرآن، الفراء: 207/3، الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 137

(5) -تفسير المراغي، مصطفى المراغي: 150/27

(6) -ينظر الآيات: المدثر: 32، العلق: 15، التكاثر: 3 و4، الهزلة: 4

(7) -المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، توفيق الحمد ويوسف الزعبي، دار الأمل، الأردن، ط2، 1414هـ/1993م: 251

(8) -شرح الرضي على الكافية، الأستريادي: 374/2

(9) -ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 235/3

كما ورد أسلوب القسم في القرآن مقترنا بـ(إذا) كقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:1] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ\* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:18،17] وجعل السيوطي: «الوجه التاسع والعشرون من وجوه إعجازه، إقسامه في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها»<sup>(10)</sup> لأن القسم من باب التوكيد، قال سيبويه: «اعلم أنّ القسم توكيد لكلامك»<sup>(11)</sup> والتوكيد يكون في الإنشاء «فالقسم جملة إنشائية يؤكد بها جملة أخرى»<sup>(12)</sup>.

قال ابن الأنباري: «وإنما حذف فعل القسم لكثرة الاستعمال»<sup>(13)</sup> ولتداوله صار يحذف منه الفعل ويكتفى بالباء والواو أو التاء، قال ابن مالك في التسهيل: «ويضمّر الفعل في الطلب كثيرا، استغناء، بالمقسم به مجرورا بالباء، ويختص الطلب بها»<sup>(14)</sup> فإذا جاء بلفظ الخبر لا يكون قسما إلا إذا تضمن معنى الإنشاء.

وفي القرآن أقسام محذوفة الفعل، قال السيوطي عنها: «لا تكون إلا بالواو "فإذا ذكرت الباء" أتى بالفعل، كقول الحق سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام:109] وقوله سبحانه: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ [التوبة:62] ولا تجد الباء مع حذف الفعل»<sup>(15)</sup> وقد يحذف «نحو بالله لأقومن أي: أحلف»<sup>(16)</sup> ويجاء بالواو لأنها فرع الباء وبدل منها لأنها: «تشابها مخرجا ومعنى، لأهما من الشفتين، والباء للإصاق والواو للجمع، واستدلوا على ذلك بأن المضمر لا تدخل عليه الواو، لأن الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها»<sup>(17)</sup> لذلك يختلفان على القسم.

والقسم في قوله تعالى: ﴿وَمَثَّ كَلِمَةٌ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:119] معناه قال ابن عطية: (نفذ قضاؤه وحق أمره، واللام في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ قسم إذ الكلمة تتضمن القسم)<sup>(18)</sup> قال الفراء: «صار قوله عز وجل: ﴿وَمَثَّ كَلِمَةٌ رَبِّكَ﴾ يمينا كما تقول: خلفي لأضربنك، وبدا لي لأضربنك»<sup>(19)</sup>.

قال صاحب الظلال: «الإسلام جاء لتصحيح تصورات البشر وأوهامهم عن ذات الله سبحانه وصفاته، لتستقي مباشرة من تعريف الله لعباده بذاته وصفاته، وخصائصه وأفعاله، وكيفيات أفعاله، وهي تتلقي من هذا المصدر

(10) - معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: 341/1

(11) - الكتاب، سيبويه: 104/3

(12) - خزنة الأدب، البغدادي (تح): عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م: 48/10.

(13) - أسرار العربية، ابن الأنباري، (تح) بيجت البيطار مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (دط تا): 275

(14) - شرح التسهيل، ابن مالك جمال الدين: 195/3

(15) - معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: 343/1

(16) - الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي: 268/1

(17) - الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: 154

(18) - ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 35/5

(19) - معاني القرآن، الفراء: 31/2

وحده، ولا تلتقي من مصدر آخر غيره»<sup>(20)</sup> فيؤتى بالقسم لتوكيد الخبر وليستيقن المتلقي منه، فتنهاوى أمامه عادات وقيم وتصورات ألفها المجتمع الجاهلي.

وقال ابن القيم: «يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها: تارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان»<sup>(21)</sup> فالله رب المخلوقات يقسم بما شاء، وهو يعلم جليلها من حقيرها، قال ابن تيمية: «إقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته»<sup>(22)</sup> أما نحن فحينما أن نحلف بشيء غير الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(23)</sup>.

وأيضاً في السنة، فإن قسم الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي دائماً مصدراً باسم الله أو اسم الرب، أو "والذي نفسي بيده" كقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض: «والذي نفس محمد بيده لا نيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها»<sup>(24)</sup> وقوله: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة خير منه»<sup>(25)</sup> أو قوله: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قلنا من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(26)</sup> وهذا النوع كثير.

**1- القسم على التوحيد:** قال علي الجرجاني: «التوحيد هو الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد... وهو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان»<sup>(27)</sup> وهو لا يتحقق: (إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحّد وإثباته له... وهو أفراد الله سبحانه بما يختص به)<sup>(28)</sup> وأنواع التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

يدور أمر الإسلام كله من عهد أبينا آدم عليه السلام مروراً بالموكب الكريم من الرسل إلى خاتمهم عليهم السلام على إخلاص كلمة التوحيد وتربية البشر عليها، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 32] فحشد الإسلام لها جميع الوسائل للتعريف بها وتقديمها نقية من الشرك للناس

(20) - مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب: 197

(21) - التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (د ط تا): 8

(22) - مجموع الفتاوى، أحمد ابن تيمية: 314/13

(23) - صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور، محمد بن إسماعيل: 627 رقم: 6271

(24) - صحيح مسلم كتاب الفضائل، مسلم بن الحجاج: 1089 رقمه 2300

(25) - صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور، محمد بن إسماعيل: 1646 ورقمه 7740

(26) - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: 41 رقمه: 46

(27) - التعريفات، علي بن محمد الجرجاني: 120

(28) - ينظر: معجم ألفاظ العقيدة، عبد الله فالخ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1417هـ 1997م: 103

كافة، ومنها استعماله القسم في عرضه للعقيدة، فيقسم سبحانه بذاته أو بمخلوقاته، على التوحيد، وعلى البعث والنشور، وعلى أن الرسول والقرآن والساعة حق، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والأمة أن يكون قسمهم بالله وحده، وإقسام الله بذاته ليس هينا، وإقسامه بمخلوقاته لا شك عظيم المنزلة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا\* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا\* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا\* إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصفات: 1 حتى 4] يقسم الله بالصفات سواء كانت الملائكة أو الطير، لأجل توحيد الربوبية والإلهية ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصفات: 5] قال ابن القيم: «قاعدة القرآن يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبودا وحده بكونه خالقا رازقا وحده»<sup>(29)</sup> قال النسفي: «جواب الصفات: إن إلهكم لواحد»<sup>(30)</sup> وهم كانوا يدركون أن الله رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق.

والتدليل على الإلهية بأفعال الربوبية هو ما ارتكز عليه القرآن في إفحام الجحدة المنكرين، لأن المشركين كان اعتقادهم بشأن الربوبية صحيحا، قال ابن تيمية: «وتوحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء ورثه»<sup>(31)</sup> وقد أثبتها القرآن قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: 25]. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 72] وإعراب الجملة: «اللام: جواب قسم محذوف، وقد: حرف تحقيق، وجملة القسم مستأنفة، وكفر الذين: فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف»<sup>(32)</sup> فأقسم الله على أنهم كفروا.

**2- القسم على القرآن حق:** قال عبد العظيم الزرقاني: «القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة... ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله»<sup>(33)</sup> وقيل أنه جاء مرتجل موضوع من أول الأمر علما عليه، وهو «اللفظ المنزل من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس... بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته»<sup>(34)</sup> وقال البخاري مستشهدا بحديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»<sup>(35)</sup> قال البخاري: «فبين النبي أنّ الإبلاغ منه،

(29) - التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية: 286

(30) - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (تح) بديوي، دار الكلم الطيب بيروت، ط1، 1419 هـ 1998 م: 116/3

(31) - منهاج السنّة، ابن تيمية: 289/3، وبدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 133/4

(32) - إعراب القرآن وبيانه، الدرويش: 273/7

(33) - مناهل العرفان، الزرقاني (تح) أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415 هـ 1995 م: 21/1

(34) - م، ن: 21/1

(35) - الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي: 135، الاعتقاد، البيهقي: 250 رقمه 100

وأن كلام الله من ربه»<sup>(36)</sup> فهو كلام الله منه بدأ وإليه يعود.

قال تعالى: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 1، 2، 3] أتى الإقسام بالقرآن الحكيم على أنه قسم وجاء جواب القسم تأكيداً لوظيفة الرسول: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، قال النسفي: «وهو رد على الكفار حين قالوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: 43]»<sup>(37)</sup> والكفار كان هذا ديدنهم في التكذيب.

قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75، 76، 77] القسم تقديره: فأقسم ولا: مزيدة مؤكدة: «ومواقع النجوم مساقطها... وقيل إن مواقع النجوم يعني به نجوم القرآن، لأنه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوماً شيئاً بعد شيء»<sup>(38)</sup> ودليله الآيتين اللتين بعد القسم، وجواب القسم ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ جاء بعد الجملة المعترضة؛ التي جاءت للتعظيم.

وقد يكون القسم ولا يكون جوابه ظاهراً، قال عز وجل: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1] المقسم به القرآن في فواتح عدة سور، قال العكبري: «قول كثير من المفسرين، متقدميهم ومتأخريهم: إنَّ الجواب محذوف، تقديره: إنَّ القرآن لحق، وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك»<sup>(39)</sup> و "بأن" ههنا بمنزلة إنَّ يؤكد ما بعده، كما تقول: والله إنَّ زيداً لَقائم، قال الزجاجي: «قال النحويون: إنَّ "بأن" تقع في جواب القسم، كما تقع "إنَّ" لأن المراد بها تأكيد الخبر»<sup>(40)</sup> ومثله القسم في قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1] قال العكبري: «جوابه محذوف تقديره: لتبعثن، أو لترجعن، على ما دل عليه سياق الآيات»<sup>(41)</sup> وقيل جوابه "قد علمنا" وحذفت اللام لطول الكلام فجاء الجواب للقسم في الآية الرابعة.

وقد يأتي القسم ويتراخى جوابه بعد عدة آيات مثل ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَالطُّورِ \* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: 1، 2] وكتاب معطوف على القسم بالطور الذي كلم الله عنده موسى عليه السلام، والمراد بالكتاب هنا: «القرآن، وقيل اللوح المحفوظ، ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب ومسطور أي مكتوب»<sup>(42)</sup> حيث جاء الجواب في الآية السابعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: 7]<sup>(43)</sup>.

(36) -خلق أفعال العباد، البخاري، (تح) سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، السعودية، ط1، 1425هـ/2005م: 113/2

(37) -مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: 95/3

(38) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 115/5

(39) -التيبان في أيمان القرآن، ابن القيم: 15، التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 326/3

(40) -التيبان في أيمان القرآن، ابن القيم، (تح) سالم البطاطي، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ: 18

(41) -التيبان في إعراب القرآن، العكبري: 354/3

(42) -الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح: 245/11

(43) -م، س: 357/3

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج:1] القسم جوابه: «مخذوف أي لتبعثن ونحوه، وقيل جوابه: قتل، أي: لقد قتل، وقيل جوابه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12]»<sup>(44)</sup> فجاء بعد مقطع كامل من السورة.

**3- القسم على الرسول حق:** الرسول هو: «المبعوث لإبلاغ شيء، وفي الشرع من أوحى الله إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه»<sup>(45)</sup> ويتضمن الإيمان تصديقهم، والعمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، ومن كذب واحداً منهم كذب جميعهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:105] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنهم قوم نوح يوم ذاك، قال الفيروزآبادي: «والرسول يقال للواحد والجمع... لأن فعولا وفعيلا يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدو وصديق»<sup>(46)</sup> وقد يراد بالرسول الرسالة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:65] قرن القسم بالفاء والنفي، وتكرر حرف النفي مرتين، والنفي الأول "فلا"، قال الطبري معناه: «ليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد، واستأنف القسم جل ذكره فقال: وربك»<sup>(47)</sup> القسم إلهي أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تشريفا له، وجواب جملة: لَا يُؤْمِنُونَ.

وقدم "لا" على القسم بالنفي ثم كررها، قال أبوحيان: «توكيدا للاهتمام بالنفي، وكان يصح إسقاط "لا" الثانية، ويبقى أكثر الاهتمام بتقدم الأولى، وكان يصح إسقاط الأولى، ويبقى معنى النفي، ويذهب معنى الاهتمام، وقيل: الثانية زائدة، والقسم معترض بين حرف النفي والمنفي»<sup>(48)</sup> والإيمان هو «رأس مال الصالحين من عباد الله؛ حتى تحصل لهم غاية من أشرف الغايات، وهي: اللجوء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(49)</sup> ليحكم بينهم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:72] قال الأخفش: «وعيشك إنما يريد به العُمر، والعمر والعُمر: لغتان»<sup>(50)</sup> يقول ابن القيم: «أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يعرف عن السلف فيه نازعا، أن هذا قسم من الله بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته، وهذه مزية لا تعرف لغيره»<sup>(51)</sup> من الرسل عليهم السلام في القرآن.

(44) -م، ن: 388/3

(45) -معجم ألفاظ العقيدة، عبد الله فالخ: 103

(46) -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: 70/3

(47) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 518/8

(48) -البحر المحيط، أبو حيان: 296/3

(49) -إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويش: 52/2

(50) -معاني القرآن، الأخفش الأوسط: 413/2، وأحكام القرآن: 105/3

(51) -التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم: 269



وأقسم الله بالنجم مقيدا بالهوي في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:1] قال أبو السعود: «إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم، وبهويه غروبه وقيل طلوعه... وأما النجوم من نجوم القرآن فهو به نزوله»<sup>(52)</sup> والجواب المؤكد للقسم هو: قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ\* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ\* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:2،3،4] والقضية الأساسية هي إثبات أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق ووحى، والقسم موجه للكافرين الطاعنين القائلين بأنه: شعر وسحر وكهانة وجنون، وليس بعيد أن يكون للقسم عدة أجوبة، أو تكون معطوفة على الجواب الأول، كما هنا في الآيات الثلاث، فكل واحد منها يصح جوابا مستقلا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ\* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ\* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:1،2،3] جاء الإقسام بوقتین الضحى والليل، وجواب القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قال السمرقندي: «أي ما تركك ربك يا محمد منذ أوحى إليك، وما أبغضك ربك»<sup>(53)</sup> منذ أحبك، وفي فتر الوحي دلالات عظيمة فقد كان ينقطع أو يتأخر عنه وهو أشد شوقا وطلبا إليه، قال صبحي الصالح: «الوحي ينزل على محمد حين يشاء رب محمد، ويفتر إذا شاء له رب محمد الانقطاع... ولا تقدم عواطف محمد ولا تؤخر في أمر السماء»<sup>(54)</sup> والوحي فتر كما في تحويل القبلة ودام ستة عشر شهرا، وفي حادث الإفك دام شهرا كاملا.

أقسم الله سبحانه في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:1] بالقلم وما يسطرون، وجاء المقسم عليه في شكل ثلاث صفات: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ\* وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ\* وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:2،3،4] جاء في الحديث «إن الله لما خلق القلم قال له اكتب قال رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو إلى يوم القيامة»<sup>(55)</sup> وجواب القسم: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي ما أنت بما أنعم الله عليك من العقل والفهم إذا كان أعقل أهل زمانه "بِمَجْنُونٍ" وهو المستور العقل<sup>(56)</sup> والعرب كانوا يعرف عقله وأخلاقه.

وفائدته الإحاطة بالحوادث علما وتقديرا، قال ابن تيمية: «الإقسام وقع بقلم التقدير ومسطوره... وذلك غاية المعرفة واستقرار العلم إذا صار مكتوبا، فليس كل معلوم مقولا، ولا كل مقول مكتوبا، وهذا يبين لك حكمة الإخبار عن القدر السابق بالكاتب دون الكلام فقط، أو دون العلم فقط»<sup>(57)</sup> وهو عند الله سبحانه هيّن.

(52) -إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود:217/5

(53) -تفسير بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي:486/3

(54) -مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح:38

(55) -سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني:373/7، رقمه:3136

(56) -إعراب القرآن، النحاس:5/5

(57) -دقائق التفسير، ابن تيمية:15،14/5

**4- القسم على الجزاء والوعد والوعيد:** يؤتى بمعنى الوعد مستعملاً: في الخير والشر، قال الفيروزآبادي: «ومما يتضمن الأمرين جميعاً قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 55] فهذا وعد بالقيامة وجزاء العباد إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ»<sup>(58)</sup> وكذلك يكون الموعد: «مصدر وعدته، ويكون للموعد وقتاً للعدة، والموعدة أيضاً: اسم للعدة، والميعاد لا يكون إلا وقتاً أو موضعاً، والوعد من التهدد»<sup>(59)</sup> من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَّةً﴾ [مريم: 68] في هذا القسم أمران التأكيد لخبير حشر الإنس مع الجن مع كلفيته، والثاني: «أن في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه، مضافاً إلى رسوله صلى الله عليه وسلم: تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: 23]»<sup>(60)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتِ وُقُرَّةً فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [نما] ثُوْعُدُونَ لَصَادِقٌ ﴿الذاريات: 1 حتى 5﴾ والذاريات مجرور على القسم والمعنى: «أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء، والجواب: "إنما ثُوْعُدُونَ لَصَادِقٌ"»<sup>(61)</sup> وما بعدها معطوفات، قال الفراء وغيره، عن قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: 8] «جواب للقسم، والقول المختلف: تكذيب بعضهم بالقرآن وبمحمد، وإيمان بعضهم»<sup>(62)</sup> وكذلك قاله الطبري: «إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن فمن مصدق به ومكذب»<sup>(63)</sup> ومثله القسم في ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عَزَافًا﴾ [المرسلات: 1] معناها: «الملائكة، يريد: أنها متتابعةٌ تلو بعضها بعضاً بما تُرْسَلُ به من أمور الله عز وجل»<sup>(64)</sup> وقيل «المرسلات في التنزيل الرياح، وقيل الخيل وقال ثعلب الملائكة»<sup>(65)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ [الصفوات: 72] القسم: «للاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين... والخطاب إما لسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم، أو لكل من يتأتى منه مشاهدة آثارهم»<sup>(66)</sup> وأكد الجملة باللام وقد والقسم، والرسول مبشر ومنذر، فاكتفى بالإنذار للتهديد، ولإقامة الحجة.

(58) - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي: 238/5

(59) - تهذيب اللغة، الأزهري: 134/3

(60) - الكشاف، الزمخشري: 41/4

(61) - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 53/5

(62) - معاني القرآن، الفراء 83/3، وإعراب القرآن، النحاس 236/4، التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم: 178

(63) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 118/26

(64) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 126

(65) - لسان العرب، ابن منظور: 1646/18

(66) - روح المعاني، الألوسي: 97/23

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: 23] فورب: مقسم به والسماء والأرض أضيفتا إليه تشريفاً، والجملة بعدها جواب القسم: «فأقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة، وأجل عظمة، المستفاد من ربوبية السماء أن للقسم عليه حق، فحصل تحقيق الوعد بالرزق من إخباره سبحانه بأن الرزق في السماء بعد تقديره عز وجل في القسم أنه رب السماء»<sup>(67)</sup> وقوله: إِنَّهُ لَحَقٌّ: «ما أتى به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، وإن قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22] حقٌّ، فالمعنى أن هذا الذي ذكرنا في أمر الآيات وَالرِّزْقِ وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق قوله: ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾»<sup>(68)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: 3] هذه الآية أحد المواضع التي أمر الله نبيه أن يقسم عليها، والموضعان الآخران، هما: قوله تعالى: ﴿رَزَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: 53] وجاء خبر الساعة في تركيب القسم: مؤكداً بـ "بلى" يؤتى بها لإبطال النفي، والقسم في: وربي واللام، والنون في جوابه، على أن الساعة آتية، ولأهمية الموضوع وشأنه أمر الله نبيه بـ "قل" لأن يقسم.

والقسم يجاء به حسب المقام والحال التي يكون عليها المخاطب، فهو مما تقتضيه البلاغة، قال محمد العثيمين: «فإن قلت: ما فائدة القسم أمام من ينكر، لأن من أنكرك بدون قسم أنكرك مع القسم؟ فالجواب من وجهين: الوجه الأول: أن هذا مقتضى اللسان العربي أن الأخبار تؤكد بأنواع المؤكدات، الوجه الثاني: أن التأكيد يدل على أن المتكلم جازم بهذا القسم عليه جزمه بما أقسم عليه؛ فكما أننا جازمون بالله بوجوده وكماله، فنحن جازمون بما أقسم عليه وهو: إتيان الساعة»<sup>(69)</sup> وكان العرب منكرين لأمر غيبية كالبعث فكان لا بد من القسم.

فالقسم أسلوب خطابي استعمله القرآن الكريم بكثرة، خاصة في أصول الإيمان، وأمر الله نبيه أن يقسم بذاته العلية، فاستعمله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمور الغيب والمشاهدة، وطلب من الناس أن لا يشركوا أحداً في اليمين مع الله، فهو أمر عقدي بيّن وأداة جدلية في الإقناع.

(67) - بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: 112/2

(68) - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 54/5

(69) - تفسير القرآن الكريم سورة سبأ، محمد العثيمين: 30

• **أسلوب الالتفات:**

أبرز ما يجده المتلقي في البنية الظاهرة للقرآن الكريم الالتفات في الأسلوب ما بين صيغ التكلم والخطاب والغيبة وهو أمر على خلاف الظاهر، كالتناقض في توجيه الخطاب، لكنه من أساليب العرب في الإقناع فيعتبر «أساساً صالحاً لتغيير بنية الكلام من سياق إلى آخر مع وضوح شكل هذا التغيير»<sup>(1)</sup> وهذه الشراكة في الخطاب بين المتكلم والمتلقي تجعل النص نصاً حجاجياً، وفائدته شد انتباه السامع للكلام، قال ابن الأثير (ت637هـ) «الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحدّ بحدّ ولا تضبط بضابط ولكن يُشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها»<sup>(2)</sup> فيجد المتلقي نفسه مستمعاً وشريكاً في الخطاب.

والالتفات مأخوذ من التفات الإنسان من يمينه إلى شماله والعكس، قال ابن أبي الإصبع: «أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن رادا رده عليه، أو سائلاً سأله عنه أو عن سببه، فيلتفت قبل فراغه من التعبير عنه، فإما أن يجلي شكّه، أو يؤكده ويقرره، أو يذكر سببه»<sup>(3)</sup>.

والمصطلح ظهر بمسميات منها: «الترك والتحويل»<sup>(4)</sup> كما هو عند أبو عبيدة (ت210هـ) وأدرجه ابن قتيبة (ت276هـ) تحت باب: «مخالفة ظاهر اللفظ معناه»<sup>(5)</sup> قال أبو حيان: «الانتقال: من فنون البلاغة وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب، والغيبة تارة تكون بالظاهر وتارة بالمضمّر، وشرطه: أن يكون المدلول واحداً»<sup>(6)</sup> فيكاد يُصرف الانتقال إلى التفاتات الضمائر.

والانتقال يكون في اللفظ وفي المعنى معاً مع ذكر سبب تحولاته، قال ابن الأثير: «كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها، وهذا القول هو عكاز العميان»<sup>(7)</sup> لعدم استنباط دلالة الانتقالات، في الأسلوب «وليس ينبغي أن يُقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة توسط أهل النظر أن

(1) - استقبال النص عند العرب: محمد المبارك المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م: 275.

(2) - المثل السائر، ابن الأثير: 169/2.

(3) - بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: 42.

(4) - مجاز القرآن، أبو عبيدة: 311/1.

(5) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 289.

(6) - البحر المحيط، أبو حيان: 141/1.

(7) - المثل السائر، ابن الأثير: 168/2.

يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ، هذا ينبغي أن يقال إذا عَرِيَ الموضوع من غرض معتمد، وسرّ على مثله تنعقد اليد»<sup>(8)</sup> فتحت كل التفاتة غرض مقصود.

وأظهر ما يكون الالتفات في اختلاف القراءات القرآنية «ولا فرق في ذلك بين القراءات المتواترة والشاذة، إذ نرى الكثير من القراءات قد وردت بصيغ الالتفات والعدول من صيغة إلى أخرى»<sup>(9)</sup> فنجد موضعين لأسلوب الالتفات في ما يظهر من النص القرآني، وفي القراءات المختلفة.

**1- الالتفات بين الغيبة والخطاب:** قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرَينَ بِهِمْ يَرْيحُ طَيِّبَةً﴾ [يونس: 22] فاستأنف الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، قال الزمخشري: «للمبالغة، كأنه يذكر غيرهم حالهم، ليعجبهم منها، ويستدعي منها الإنكار والتقبيح»<sup>(10)</sup> لأنهم آمنوا وقت الشدة، تفسره الآية التي بعدها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَجَاهُمْ إِذَا هُم يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: 23].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مریم: 88، 89] الضمير في "قالوا" يعود على الغائبين، مشركي العرب واليهود والنصارى ثم انتقل إلى الخطاب بـ(لقد جئتم) فانتقل من الحكاية إلى الإخبار «واستأنف الالتفات إلى خطابهم بأشد الإنكار، إيماء إلى تناهي الغضب فقال لقد أي وعزتي لقد "جئتم شيئاً إِدًّا" أي عظيماً ثقيلاً منكراً»<sup>(11)</sup> كأنه يخاطب قوما حاضرين إهانة لما افتروه.

والعدول إلى الخطاب بعد ما كان محكياً مما يجعل التغيير في السياق يناسب فضاة الجرم المرتكب في حق الألوهية، وهو أنّ قالة السوء المفتراة ثقيلة وعجيبة، قال سيد قطب: «يهتز لها كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر ويغضب الكون كله لبارئه، وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته وتجا في ما وفر في ضميره وما استقر في كيانه، وتحز القاعدة التي قام عليها وأطمأن إليها»<sup>(12)</sup> وغضب الكون من الافتراء تؤكد الآيات التي بعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُفَصِّحُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ

(8) -المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني: 145/1

(9) -علل الاختيار في تفسير البحر المحيط، دريد حسن احمد: 174

(10) -الكشاف، الزمخشري: 124/3

(11) -م، ن: 248/12

(12) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 2321/4

أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ\* ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رُؤْيَاكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿﴾ [الأنعام: 128 حتى 131] ففي هذه الآيات عدة التفاتات، قال عبد الفتاح الخالدي: «من الحكاية إلى الخطاب، ثم التفت من الخطاب إلى الحكاية ثم من الحكاية إلى الخطاب ثانية، ثم من الخطاب إلى الحكاية، ثم من الحكاية إلى التقرير، ثم من التقرير إلى الخطاب، ثم من الخطاب إلى الحكاية، ثم من الحكاية إلى التقرير»<sup>(13)</sup> وهي تكشف عن هول الموقف.

**2- الالتفات بين التكلم و الغياب:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19] وتصل الالتفاتات المتكررة بين الحضور والغياب والتي تساهم في استحضر المشاهد والتعبير المباشر قمة الإعجاز في الأداء، قال سيد قطب: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ " وإلى هنا أمر يتوجه ورسول يتلقى... ثم فجأة نجد الرسول يسأل القوم (أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى؟؟) وإذا به يعود للتلقي في شأن هذا الذي سأل عنه قومه وأجابوه! "لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإني بريء مما تشركون"»<sup>(14)</sup> وهو من أعجب الحديث.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ بَاهِجَةً مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلَاءٌ لَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [النمل: 60] وجاءت صور الاختصاص: في تحولات الأفعال، في نفي الإنبات عن غيره، وفي سقيها بالماء الواحد، ثم في توبيخهم بتذليل الآية بقوله: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلَاءٌ لَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ «أي بل قوم عادتهم العدول عن طريق الحق، والانحراف عن الاستقامة»<sup>(15)</sup> كل ذلك لا يختص به إلا هو سبحانه.

فالتحول من الحكاية، أو الغيبة إلى التكلم في قوله: "فأنبتنا" ثم إلى الخطاب في تنبتوا، قال الزمخشري: «لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته... ولا يقدر عليه إلا هو وحده، ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله: "ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" ومعنى الكينونة: الانبغاء، أراد أن تأتي ذلك محال من غيره»<sup>(16)</sup> فالآية كلها تشير إلى اختصاصه بالقدرة ولا أحد معه.

في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا يَافَوْهُمُ الْفَارِسِيُّ﴾ [النحل: 51] قال البقاعي: «ولما كان أسلوب الغيبة لا يعين الإله في المتكلم، التفت إلى أسلوب التكلم فقال: فَإِذَا يَافَوْهُمُ»<sup>(17)</sup> والأسلوب للمهابة والتعظيم.

(13) - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي صلاح، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1403هـ/1983م: 300

(14) - م، ن: 3/1787

(15) - المقتطف من عيون التفاسير، الحصن المنصوري (تح) علي الصابوني، دار القلم، دمشق، ط2، 1417هـ/1996م: 4/117

(16) - الكشاف، الزمخشري: 4/464

(17) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 11/177

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾ [الأعراف:158] قال ابن عاشور في قوله: «ورسوله النبي الأمي» التفتت من التكلم إلى الغيبة لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(18)</sup> وإجراء تلك الصفات عليه، وقد جردها أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الانعام:34] موضع الالتفات (لكلمات الله) بلفظ الغيبة في لفظ الجلالة، بعد أن كان بلفظ التكلم "نصرتنا"، قال الألوسي: «لا يغالبه سبحانه أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه جل شأنه خلف في قول من الأقوال، وظاهر الآية أن أحداً غيره تعالى لا يستطيع أن يبدل كلمات الله عز وجل بمعنى أن يفعل خلاف ما دلَّت عليه وبحول بين الله عز اسمه وبين تحقيق ذلك، وأمَّا أنه تعالى لا يبدل فلا تدل عليه الآية، والذي دلت عليه النصوص انه سبحانه ربما يبدل الوعيد ولا يبدل الوعد»<sup>(19)</sup> وفائدته بيان مقتضى الألوهية.

**3- الالتفات بين التكلم والخطاب:** قال تعالى: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:22] الالتفات في (تُرْجَعُونَ) بالخطاب بعد أن كان بالتكلم "أعبد، فطرني"، قال الزمخشري: « فأبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إحماض النصيح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله "وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي" مكان قوله: مالكم لا تعبدون الذي فطركم، ألا ترى إلى قوله "وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع»<sup>(20)</sup> فكأنه قال: أنا أعبد الذي فطرني، فلماذا أنتم لا تعبدون الذي فطركم وحده، وأنتم تشركون معه غيره؟ وإليه ترجعون وفي الكلام تعجب واستنكار.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر:1،2] الانصراف من التكلم إلى الخطاب قال الرازي: «فيه نوع عظمة ومهابة»<sup>(21)</sup> لله المنعم الجليل الذي أعطى هذا الخير الكثير الكوثر.

**5- الالتفات بوضع الظاهر موضع المضمرة:** قال تعالى: ﴿ وَكَوَلُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ [النساء:64] قال الزمخشري: «لم يقل: واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات؛

(18) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 141/9

(19) - روح المعاني، الألوسي: 1/7.

(20) - الكشاف، الزمخشري: 172/5، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: 10/4

(21) - مفاتيح الغيب، الرازي: 131/32

تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره»<sup>(22)</sup> فأظهر لفظ (الرسول) في موضع الإضمار لمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة:24] فبعد ما كان الحديث أنهم لا يجارون أسلوب القرآن ولو بمفتريات، اعترض بجملة "وَلَنْ تَفْعَلُوا" ملتفتا إليهم على وجه التأكيد الجازم من أنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله مطلقا، قال ابن أبي الإصبع: «فأراد الله أن يضمن آية التحدي ضربا آخر من الإعجاز، بإخباره عن وقوع ما لم يقع بعد من عجز من العرب عن معارضة سورة من القرآن؛ ليكون جريان هذا الخبر الصادق على لسان نبيه، حتى إذا وقع كان علما على صدقه... فقال: "وَلَنْ تَفْعَلُوا" قبل أن يتم الكلام الأول بقوله: "فَاتَّقُوا النَّارَ"»<sup>(23)</sup> قال الألوسي: «والاعتراض بين جزأي الشرط مقرر لمضمون مقدمها، ومؤكّد لإيجاب العمل بتاليها، وهذه معجزة باهرة، حيث أخبر بالغيب... ولو عارضوه بشيء يدانيه، لتناقضته الرواة، لتوفر الدواعي، وما أتى به مسيلمة لم يقصد به المعارضة، وإنما ادعاه وحيا»<sup>(24)</sup> وغيره ممن ادعى النبوة.

**6- الالتفات في القراءات:** قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:281] قرئت ثلاثة حروف "تُرْجَعُونَ وتُرْجَعُونَ ويُرْجَعُونَ" «قرأ الباقون ترجعون بضم التاء وفتح الجيم... وقرأ الحسن يرجعون مبنيًا للفاعل على معنى يرجع جميع الناس، وهو من باب الالتفات»<sup>(25)</sup> من الخطاب إلى الغيبة.

ودلالة القراءتين عند ابن جني: «فإذا قرئ تُرْجَعُونَ فيه إلى الله فقد خوطبوا بأمر عظيم يكاد يستهلك ذكره المطيعين العابدين، فكأنه "تعالى" انخرق عنهم بذكر الرجعة فقال: يرجعون فيه إلى الله. ومعلوم أن كل وارد هناك على أهول أمر وأشنع خطر، فقال: يرجعون فيه، فصار كأنه قال: يجازون أو يعاقبون أو يطالبون بجرائرهم فيه، فيصير محصوله من بعد، أي فاتقوا أنتم يا مطيعون يوما يعدب فيه العاصون، ومن قرأ بالتاء "تُرْجَعُونَ" فإنه فضلٌ تحذير للمؤمنين نظرا لهم واهتماما بما يعقب السلامة بجزئهم»<sup>(26)</sup> فالرجوع مدار التخويف.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران:36] وضعت" فيها ثلاث قراءات: قراءة جزم التاء وفتح العين في (وَضَعْتَ) كالمعتز، يكون الكلام من قول الله عز وجل، وهي قراءة

(22) -الكشاف، الرمخشري: 559/1.

(23) -بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: 44.

(24) -روح المعاني، الألوسي: 198/1.

(25) -معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب: 412/1.

(26) -المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، ابن جني: 145/1.



الجمهور، وفيها تعظيم وتفخيم لشأنها، وهي القراءة الأقوى، وقراءة: كسر التاء وجزم العين فهي على الخطاب، قال العكبري: «كأن قائلًا قال لها ذلك»<sup>(27)</sup> أو هو خطاب من الله عز وجل.

ومن قرأ كابن عامر من الغيبة إلى التكلم، قال ابن قتيبة: «بضم التاء فهو كلام متصل من قول أم مريم عليها السلام»<sup>(28)</sup> وفي تسليمة، قال أبو السعود: «على معنى لعلّ الله تعالى فيه سرا وحكمة، ولعلّ هذه الأنثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر»<sup>(29)</sup> وفي القراءات تعظيم لمريم وابنها عليهما السلام، قال ابن عاشور: «وفيها بأن من فوّض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره»<sup>(30)</sup> وفي "وضعت" فصل في الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ [آل عمران:9] اختلف فيه هل هو من التفات منهم، أم من تصديق الله لهم، قال الزركشي: «قيل إن الكلام تمّ عند قوله "لَا رَيْبَ فِيهِ"، وهذا الذي بعده من مقول الله تصديقا لهم، وقيل: بل هو من بقية كلامهم الأول على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة... إنما جاء الالتفات في صدر السورة، لأن المقام يقتضيه، فإن الإلهية تقتضي الخير والشر لتتصف المظلومين من الظالمين، فكان العدول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى»<sup>(31)</sup> فهناك فصل بين جزئي الكلام سواء بالالتفات، أو بتصديقه من الله، وعلى الرأيين هناك خوف من اليوم الذي لا يخلف.

ووصل الكلام في الدعاء، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ [آل عمران:194] لأن المقام مختلف فناسب أن يكون «مقام الطلب للعبد من ربه أن ينعم عليه بفضله، وأن يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن فيه ما يقتضي العدول عن الأصل المستمر»<sup>(32)</sup> لأنه مقام الطلب.

ومن الإشارة إلى الالتفاتات العجيبة ما أشير إليه في الحروف الفواتح في القرآن الكريم، قال ابن الأثير: «حروف غير مفهومة، مثل "طسم" و "المص" وغيرها، ليعارض المشركون فيها عند سماعها، يكون ذلك كالأستحجار لهم إلى سماع غيرها من الآيات المنزلة، فإنها إذا قرعت أسمعهم قرعها أمرٌ غريب تنزع النفس عند سماعه، وتتشوّق إلى

(27) - التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 77/1

(28) - تفسير غريب القرآن، مسلم ابن قتيبة: 104

(29) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود: 470/1

(30) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 233/3

(31) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 331/3

(32) - م، ن: 331/3

معرفته، فينبعث الداعي إلى سماع ما بعدها ليفسر ما به، كما يفسر بعض الكلام ببعض، فتحصل الفائدة من وقوفهم على فصاحة القرآن و سرِّ إعجازه»<sup>(33)</sup> وفيها أقوال كثيرة.

وبالجملة فإن هذا النوع أي: الالتفات كما قال ابن الأثير: «هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدندن، وإليها تستند البلاغة، وعنهما يعنعن... وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات»<sup>(34)</sup> لمسائله الدقيقة، ومدخله العويصة.

وقد ذكر ابن أبي الإصبع المصري أنه استبان له من دقيقه فتحا جديدا «وهو: أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتبين، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ\* وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكْ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: 6، 7] انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى، ثم قال منصرفا عن الإخبار عن الرب عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8] وهذا يحسن أن يسمى إلتفات الضمائر، والله أعلم»<sup>(35)</sup> ويبقى أسلوب الالتفات آلية حجاجية بما فيه من توجهات الخطاب المختلفة، تساعد في الإفهام والإقناع.

<sup>(33)</sup> - الفلك الدائر على المثل السائر، ابن أبي الحديد: 211

<sup>(34)</sup> - المثل السائر، ابن الأثير: 168/2

<sup>(35)</sup> - بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: 45

• **أسلوب التحول في الأفعال:**

من أساليب العرب في كلامها أنها تخبر عن المستقبل بصيغة الماضي وتخبر عن الماضي بصيغة المستقبل، قال أبو عبيدة: «فتضع فَعَلْنَا في موضع نَفْعُ»<sup>(1)</sup> وربما صاحب ذلك أدلة وقرائن تبين المعنى المراد، والتحويلات في صيغ الأفعال لها دلالات نحوية زمنية مركبة في السياق، تختلف عن زمنها الصرّفي، فيتحكم السياق في دلالة الفعل في التركيب فهو ضرب من الالتفات، قال الزمخشري: «فائدته الالتفات في الحديث و الخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الأذان للاستماع، ويستتهشّ الأنفس للقبول»<sup>(2)</sup> وهو جار في كلامهم وبه جاء القرآن الكريم.

**1-التعبير عن الماضي بصيغة المستقبل:** ويقصد به استحضار الصورة للحدث الماضي، قال الفراء: «وذلك جائز إذا أردت بـ"تفعلون": الماضي، ألا ترى أنك تتعّف الرجل بما سلف من فعله فتقول: ويحك لم تكذب! لم تبغض نفسك إلى الناس!»<sup>(3)</sup> قال ابن الأثير: «يبين هيئة الفعل واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد بعد»<sup>(4)</sup> فهو استحضار حكاية حال الماضي.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: 102] المضارع من اتبعوا بمعنى: تتبع، قال أبو عبيدة «أي: تتبع، وتتلو: تحكي وتكلم به، كما تقول: يتلو كتاب الله أي يقرؤه»<sup>(5)</sup> وكذلك "تتلو" قال أبو البقاء العكبري: «تتلو بمعنى: تلت»<sup>(6)</sup> فاللفظ الاستقبال والمراد به المضي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: 153] الآية نزلت بعد غزوة أحد، والحس: القتل، عبر بالمضارع تحسونهم عن الماضي حسستموهم، قال محمد العثيمين «على تقدير حكاية الحال؛ لأن القاعدة أن يعبر عن الماضي بصيغة الماضي؛ فيقال: قال زيد، لكنه عبر هنا على الماضي بصيغة الحاضر لحكاية الحال لتقريب تصور الماضي في الذهن؛ لأن الماضي قد انقضى فرمما يكون الإنسان ناسيا له، فإذا صيغ بصيغة المضارع صار الماضي كأنه حاضر، وهذا ما يعبر عنه النحويون بحكاية الحال، حكاية الحال الماضي كأنها الآن واقعة من أجل أن يكون ذلك أقرب لحضورها في الذهن»<sup>(7)</sup> ولتأكيد صدق الوعد بالنصر لهم، قبل عصيانهم.

(1) - مجاز القرآن، أبو عبيدة: 2/ 152

(2) - الكشاف، الزمخشري: 1/ 210

(3) - معاني القرآن، للفراء: 1/ 60، 61

(4) - المثل السائر، ابن الأثير: 2/ 185

(5) - مجاز القرآن، أبو عبيدة: 1/ 48

(6) - التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 1/ 35

(7) - تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران، محمد العثيمين: 2/ 305

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج:25] جوز أبو علي أن يكون المعنى: «إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، فلما كان المعطوف عليه ماضياً، دل على أن المراد بالمضارع أيضاً الماضي... ويجوز أن يكون المضارع على بابه كأنه: إن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدون»<sup>(8)</sup> ويدعم التوجيه الأول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:1].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:14] عدل عن عطف الماضي القريب إلى المضارع [لم تؤمنوا-لما يدخل] لأن الآية نزلت في حديثي إسلام لم يستقر الإيمان في قلوبهم، ولم يلتزموا به فجعلوا منه تفاخراً ومناً، فجئ بالحرف الجازم، قال سيبويه: «لم لنفي يفعل»<sup>(9)</sup> ولم وأفادتا مع فعليهما معنى الماضي، قال السيوطي: «إذ المعهود للحروف قلب المعاني لا قلب الألفاظ»<sup>(10)</sup> فناسبت الأدوات رغبة الإيمان الذي لم يدخل بعد.

وخطابهم يختلف عن خطاب المنافقين، فالتفتي في الآية: للإيمان المطلق، لا لمطلق الإيمان؛ قال ابن القيم: «الإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به، ومطلق الإيمان يطلق على الكامل والتاقص، ولهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق»<sup>(11)</sup> فأوتي بدلالة الماضي الملتبسة بلما المصحوبة بالتوقع، قال الزمخشري: «دلت على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد»<sup>(12)</sup> ولما لم تواطئ ألسنتهم قلوبهم، أكذبهم في دعوى الإيمان: "لم تؤمنوا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" بدل تكذيبهم مطلقاً وهو غاية الأدب.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28] وأصحاب القلوب المطمئنة «إذا ذكر الله بوحده انيته آمنوا به غير شاكين»<sup>(13)</sup> فالمضارع على الحقيقة، قال البقاعي: «هو مما لا يراد به حال ولا استقبال إنما يراد به الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الأزمنة»<sup>(14)</sup> فالإيمان يصحبه اليقين، والفعل تكرر ليفيد تجدد الإيمان لأنه يزيد بذكر الله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:31] عطف الفعالان تخطفه وتهوي وهما مضارعان على الماضي خَرَّ، والعدول من الماضي إلى المضارع

(8) -الإغفال، أبوعلي الفارسي، (تح) الحاج إبراهيم، المجمع الثقافي، السعودية، (دط تا):354/1

<sup>9</sup> - الكتاب، سيبويه:460/1

(10) -همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي:35/1

(11) -بدائع الفوائد، ابن القيم:132/4

(12) -الكشاف، الزمخشري:588/5

(13) -تفسير القرآن العزيز، ابن زنين:355/2

(14) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي:236/10

«لاستحضار خطف الطير إياه أو هوي الرياح له»<sup>(15)</sup> فاستحضرت الصّورة بدلالة الاستقبال على الماضي: لشاهد كاملة مرئيةً بحركتها السريعة والنعيفة، في ظهورها واختفاء منظرها، قال سيد قطب: «وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله، فيهوي من أفق الإيمان السّامق إلى حيث الفناء والانطواء، إذ يفقد القاعدة الثّابتة التي يطمئن إليها، قاعدة التّوحيد، ويفقد المستقرّ الآمن الذي يثوب إليه، فتتخطّفه الأهواء تحطّف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرّياح»<sup>(16)</sup> والسّماء بداية الخرور، لهو ممّا تهرّت له الأفتدة وترجف له الأوصال.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر:9] جاء "فُثِيرُ" وسَط أفعال ماضية، قال الزمخشري: «ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرّياح السّحاب، وتستحضر تلك الصّورة البديعة الدّالة على القدرة الربّانية»<sup>(17)</sup> قال ابن جني: «الحال لفظها أبدا بالمضارع، نحو قولك زيد يتحدّث ويقرأ، أي هو في حال تحدّث، وقرأه، وعلى نحو من حكاية الحال في نحو هذا قولك: كان زيد سيقوم أمس؛ أي كان متوقّعا منه القيام فيما مضى»<sup>(18)</sup> لاستحضار الصورة.

ويعرض القرآن قضية الإيمان بالأنبياء، وتكذيبهم وقتلهم من طرف أقوامهم، وهي من أحداث الماضي، يعرض الحاضر فإذا بنا نحن نشاهد الأنبياء يدعون قومهم إلى لا إله إلا الله ويصرون على الثبات في تبليغ رسالة ربهم، وإذا بالأقوام يستنكفون ويترصّون بهم، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 91] جاء تقتلون: بمعنى قتلتم، قال أبو علي: «فلم قتلتم، إلا أنه لما اتّصل بقوله: (من قبل) علم أن المراد بمثال المضارع الماضي»<sup>(19)</sup> فالتحول تسنده المقيدات من الغايات.

قال الطبري معناه: «فلم قتلتم أنبياء الله من قبل»<sup>(20)</sup> فنبههم القرآن إلى معتقدتهم الفاسد، وقال أبو حيان: «الإيمان بالتوراة واستحلال قتل الأنبياء لا يجتمعان، فقولكم إنكم آمنتم بالتوراة كذب وبهت، لا يؤمن بالقرآن من استحل محارمه»<sup>(21)</sup> فجاءت الآية بالاستفهام الإنكاري، وقد يكون المضارع على بابه، لأن القتل تواصل منهم، يؤيده أغلب الآيات التي فيها قتلهم الأنبياء: جاءت بصيغة المستقبل، منه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:70].

(15) -المثل السائر، ابن الأثير: 184/1

(16) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 2421/5

(17) -الكشاف، الزمخشري: 142/5.

(18) -الخصائص، ابن جني: 332/3

(19) -الإغفال، أبو علي الفارسي: 353/1

(20) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 257/2

(21) -البحر المحيط، أبو حيان: 475/1.

وفي إضافة الخطاب إلى الأبناء الذين لم يروا الأجداد ولم يشهدوهم، جاء بأسلوب مما تعرفه العرب «كما يقول القائل لآخر: فعلنا بكم كذا وكذا، وفعلنا بكم كذا، وقتلناكم وسبيناكم، والمخبر إما أن يكون يعني قومه وعشيرته بذلك، أو أهل بلده ووطنه، كان المقول له ذلك أدرك ما فعل بهم من ذلك أو لم يُدركه»<sup>(22)</sup>.

وفي السياق قرينتان إحداها تقييد للخطاب بلفظ (مِنْ قَبْلُ) وثانيهما إجراؤه مجرى الخبر عن المخاطبين به، مما يبرهن أنّ الأسلاف هم القتل لا الأحفاد، وربما أفادت الغاية (من قبل) أنّ قتل الأنبياء كان يتم في الزمن الماضي فقط، وأما خاتم الرّسل -عليهم السّلام- فلن يصلوا إليه، فقطع بهذه القرينة «أطماعهم وثبت بها قلب حبيبه، إذ كانت بمثابة وعده إيّاه بعصمته من النّاس»<sup>(23)</sup> وذلك لحكمة يعلمها الخبير سبحانه.

غير أنّ توجيه الخطاب إلى اليهود الذين أدركوا زمان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بدل توجيه الخطاب لأسلافهم القتلة بلفظ (فلم تقتلون) يحمل الكثير ممّا يعلمه الله، ولذلك قال ابن عطية: «وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي: الإعلام بأنّ الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد صلّى الله عليه وسلّم لما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء»<sup>(24)</sup> فرضاهم أشركهم في الإجماع بعد أحقاب .

وصدق الله العليم، فقد حفلت أحداث السيرة النبوية بصورٍ من الغدر ومحاولات من القتل نفّذها الأحفاد الذين حوطبوا بهذه الآية، واختزلتها هذه اللفظة (فلم تقتلون) الدالة على الاستمرار، فكان من أوائل القتل المرصودة للنبي صلى الله عليه وسلم، ما جاء بعدها إجماع بني النّضير عن المدينة المنورة<sup>(25)</sup> ومنها وضعهم السّم في اللحم في غزوة خيبر<sup>(26)</sup> حتّى قال صلّى الله عليه وسلّم: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان انقطاع أجهري»<sup>(27)</sup> وجاء في "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم يرى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم مات شهيداً<sup>(28)</sup> فدلالة الاستقبال في المضارع ما يهدي إلى أنّ عادتهم قتل الأنبياء.

ومما جاء من هذا الأسلوب ما جاء في حديث عبد الله بن عتيق حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه، قال: "فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أتى هو من البيت، فقلت: أبا رافع، فقال: من هذا؟

(22) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري(تح) شاكر: 643/1

(23) -النبا العظيم، عبد الله درّاز: 154

(24) -المحرر الوجيز، ابن عطية: 285/1

(25) -الروض الأنف، السهيلي عبد الرحمن: 209/6

(26) -فتح الباري في صحيح البخاري، العسقلاني: 209/10

(27) -م، ن: 99/8

(28) -زاد المعاد، ابن القيم (تح) شعيب وعبد القادر الأرنبوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1418هـ/1998م: 299/3

فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش<sup>(29)</sup> وكان حقّ الفعل ضرب أن يكون كبقية أفعال الحدث، لكنّه صرفه إلى المضارع من أجل استحضار الحدث كأننا نشاهد الواقعة.

**2- التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي:** ويقصد منه تحقّق الحدث ووقوعه، لأنّ «إيثار الماضي والعدول إليه يدل على مبالغة في الثابت والاستقرار»<sup>(30)</sup> هذا إذا كان الماضي منقطعاً، وإلاّ فالزمن النحوي التركيبي هو الذي يحدّد الدلالة الزمنية التي تتراوح بين الانقطاع والاتّصال والاستمرار.

فجاء بهذا الأسلوب في الذكر الحكيم منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [التّمل: 87] قال السمين: «فأخبرت الآية بالماضي فزاع دون فيفزع لتحقّقه»<sup>(31)</sup> وهي عطفٌ على المضارع (ينفخ) وذلك لتأكيد وقوع الفزع، والإشعار واقع دل عليه الفعل الماضي قد حدث.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 2] يحتمل الغاية للمتكاثر كما كانوا يتكاثرون بموتاهم، أو يحتمل كما قال محمد العثيمين زرتم: «متم، فالإنسان مجبول على التكاثر إلى أن يموت... ومعنى الآية الكريمة، أي: أنكم تلهوتم بالتكاثر عن الآخرة إلى أن متم»<sup>(32)</sup> والمتلقي يقرأ أنّ الزيارة للماضي ولما تقع بعد «فالتعبير بالفعل الماضي في "زرتم" لتنزيل المستقبل منزلة الماضي لأنه محقق وقوعه مثل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1]»<sup>(33)</sup>

ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 1] الفعل أتى يدل بصيغته الصرفية على المضي المطلق، قال الطبري: «أتى أمر الله فقرب منكم أيها الناس ودنا»<sup>(34)</sup> لكنه يبقى يحمل شيئاً من المضي، تعضده دلالة اللغة لمعناه، غير أن السياق هو الذي يرشحه على الاستقبال، فقرينة "فلا تستعجلوه" تبين ذلك الأمر، قال الرازي: «هو واجب الوقوع إذا كان بهذه الحالة والصفة، فإنّه يقال في الكلام المعتاد: أنّه قد أتى ووقع، إجراءً لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع، يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجرع»<sup>(35)</sup> فصلت القرائن في الاستقبال.

(29) -دلائل الإعجاز، الجرجاني: 206

(30) -الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي: 140/2

(31) -الدّر المصون، السمين الحلبي: 645/8

(32) -تفسير القرآن الكريم جزء عم، محمد العثيمين: 302

(33) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 520/30

(34) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 158/14

(35) -مفتاح الغيب، الرازي: 223/19

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نُعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 47] عطف الفعل الماضي حشرناهم على الفعلين (نسير، ترى) وهما مستقبلان ، بينما عبّر بالماضي (حشر) ليدلّ على أهمية الحشر ووقوعه، وليقطع الطريق على منكره.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ فَاقِلُونَ ﴾ [الأعراف: 4] قال الميداني: «الأمر بالإهلاك قضاءً محقق الوقوع في المستقبل، كان بقوة الأمر الذي وقع فعلاً ومضى، فناسب أن يعبر عن الإهلاك الذي سيتحقق حتماً بالفعل الماضي الذي يدل على أن الأمر قد وقع ومضى»<sup>(36)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: 110] في هذه الآية يخاطب الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ بصيغة الفعل الماضي الذي يدل على أن الأمر قد تحقق ومضى، مع أن واقع هذه الخيرية متواصل ومتجدد وأنه متحقق في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فجاء التعبير عما علم الله بأنه سيكون حتماً بعبارة الماضي الذي تحقق وقوعه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا \* وَمَعَائِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: 19، 18] نزلت الآيات صلح الحديبية لما منعهم المشركون من الاعتماد ولما كان هذا الفتح القريب والمعائم الكثيرة قضاء مبرماً في علم الله، وهو أمر سيقع لاحتمال جاء بصيغة الفعل الماضي للإعلام بأن تحققه أصبح مقطوعاً به ومنجزاً بأمر الله.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِيَّيْ عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: 30، 31] الأفعال [أتاني، جعلني، أوصاني] نطق بها عيسى عليه السلام وهو صبي معجزة، لكن ذلك كله كان أمراً محققاً فجيء بالتعبير عن هذه الحقائق بالأفعال الماضية المبتوت فيها، وينتظر تحققها في الواقع وفي الزمن المقدر لوقوعها.

**3- التعبير بصيغة الأمر عن الماضي:** ومن التحويلات في الأفعال، أنّ صيغة الأمر تحمل مضيّاً يدل على أن هذا الأمر هين عند الله وفي علم سبحانه، ففي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: 243] هم ماتوا وانقضى زمنهم، فصيغ بالأمر لطلاقة المشيئة ولحكاية حالهم «بأنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيتته، وتلك

(36) -قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، حنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ/2009م: 605، 606



ميتة خارجة عن العادة كأثمهم أمروا بشيء فامتثلوا امتثالاً من غير إباء ولا توقّف كقوله تعالى: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»<sup>(37)</sup> فانصرف الأمر بصيغة "موتوا" إلى الخبر أو الدعاء .

ومن هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:29] حيث حصل تصريف القول من الماضي (أمر) إلى الأمر (وأقيموا) ولم يأت الزمن على خطّ واحد قال ابن الأثير: «للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكّد فرائض الله على عباده، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية»<sup>(38)</sup> فعدل لعطف الأمر على الماضي، ومنهم من جعل فعل الأمر أقيموا ليس معطوفاً على (أمر) الماضي؛ وإنما هو معطوف على محذوف معلوم من السياق التقدير: «قل أمر ربي بالقسط فأقسطوا وأقيموا وجوهكم»<sup>(39)</sup> فانصرف الفعل أمر للمضي المطلق والمستمرّ ليشير إلى الربّ الكريم المتّصف بالقسط ولم يزل قائماً به سبحانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:125] قرأ المدنيان (نافع وابن عامر) بفتح الحاء ولا يجوز الابتداء به لأنه معطوف على الخبر في بداية الآية، وقرأ باقي العشرة بكسرها على أنه فعل أمر (اتَّخِذُوا)<sup>(40)</sup> من غير العطف، قال ابن غلبون: «فإنّ القارئ جاز له أن يبتدئ به لأنه استئناف أمر من الله بالاتّخاذ»<sup>(41)</sup> وكلا القراءتين: الأمر والإخبار تعرضان الأمر الرّبّاني باتّخاذ مقام إبراهيم مصلى وقد أصبح هذا النسك من معتقد المسلمين.

ومنه قوله جلّ ذكره: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:54] فأتى المضارع ابتداءً فقال: (أشهد الله) ثم تحول عنه إلى فعل الأمر عند مخاطبة قومه، فقال: واشهدوا والمتبادر وأشهدكم وليس كذلك فجيء بالخبر في حقّ الله ثابت وصحيح، وأما إشهاده المشركين قال الألوسي عنه: «المقصود منه الاستهانة والاستهزاء كما يقول الرّجل لخصمه إذا لم يبال به: أشهد على أيّ قائل لك كذا وكذا، وكأنّه غاير بين الشهادتين لذلك»<sup>(42)</sup>.

(37) -الكشاف، الزمخشري:470/1.

(38) -المثل السائر، ابن الأثير:180/1.

(39) -حدائق الرّوح والرّيحان، محمد الأمين الأرمي:277/9.

(40) -السبعة في القراءات، لابن مجاهد:169/2 والنشر في القراءات، ابن الجزري:222/1.

(41) -التذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون (تح) رشدي سويد، جماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة (دط تا):260/1.

(42) -روح المعاني، الألوسي:83/12.

قال ابن المنير وغيره: «إشهادهم لهم حقيقة، والغرض إقامة الحجة عليهم، وإنما تحول إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم، بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر»<sup>(43)</sup> وعرض الأسلوب العقيدة في قلوب الأنبياء كما هنا، لا فكرة تدور في الأذهان.

**4- التعبير بصيغة الأمر عن الدعاء :** ومن التحويلات في الأفعال، أنّ صيغة الأمر تحمل مضيأً ينصرف إلى الخبر أو إلى الدعاء، نقل الزركشي بقوله: «والأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر، لتضمنه اللزوم، نحو: إن زرتنا فلنكرمك، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم... تأكيد الخبر لأن الأمر للإيجاب يشبه الخبر في إيجابه»<sup>(44)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:91] موضع الالتفات يَغْفِرُ اللَّهُ بصيغة المضارع الدال على الدعاء، والأصل في الكلام: اللهم أغفر لهم، فقد ذهب غير واحد من المفسرين أنّ الكلام محمول على الدعاء لا غير<sup>(45)</sup> وقال الزمخشري: «دعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال: غفر الله لك ويغفر الله لك، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً، ومنه قول المشتمت: يهديكم الله ويصلح بالكم، واليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم»<sup>(46)</sup>.

ولفظ الدعاء ومجيئه على صورة الماضي الواقع، نحو أيدك الله، وحرسك الله وفقك الله ومنه دعاء الوداع زودك الله التقوى وردك إلينا سالماً، فكلها كما ترى أفعالاً ماضية أريد منها المستقبل «وإنما كان ذلك تحقيقاً له وتفاوتاً لا بوقوعه، وأنّ هذا ثابت بإذن الله وواقع غير ذي شك. وعلى ذلك يقول السامع للدعاء إذا كان مريداً لمعناه: وقع إن شاء الله ووجب ولا محالة أن يقع ويجب»<sup>(47)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مریم:75] وموضع الالتفات هو: فَلْيَمْدُدْ قَالَ الزجاج: «لفظ أمر في معنى الخبر وتأويله: إن الله عزّ وجلّ جعل جزاء ضلالة الضال أن يتركه فيها ويمده فيها، كما قال ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الاعراف:186]»<sup>(48)</sup> يعني الإمهال.

فمن كان في الضلالة مدّه الرحمن مدّاً في الإضلال، فهو أمر حاصل مقدر؛ يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء بعدله، وانصرف إلى الأمر بدل الخبر، قال الزمخشري: «إيداناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به

(43) - حاشية ابن المنير على الكشاف: 209/3، المثل السائر، ابن الأثير: 193/2

(44) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 290/2

(45) - ينظر: تفسير ابن كثير، عماد الدين ابن كثير: 490/2، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: 256/2

(46) - الكشاف، الزمخشري: 341/2

(47) - الخصائص، ابن جني: 332/3

(48) - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 343/3، معالم التنزيل، البغوي: 207/3

المتثل لتقطع معاذير الضال»<sup>(49)</sup> والمشيفة أضيفت إلى الرحمن وأجريت مجرى الأمر، بدل الإتيان بها على وجه الخبر؛ لأنّ التعبير عن الخبر بصيغة الأمر أبلغ من الخبر لتضمنه معنى اللزوم.

ومنهم من رأى أنّها صيغة أمر بمعنى الدعاء، تصرف فيها صيغة الأمر "فليمدد" إلى الدعاء، قال الطبري: «فليطوّل له الله في ضلّالته وليملّه فيها إملاء»<sup>(50)</sup> لأنّ المشركين يزعمون أنّهم على الهدى، وأنّهم ورثة إبراهيم عليه السلام، وكان اليهود يذكرون الفتنة، ويقاسموهم الرأى فيأخذ الأمر صورة المباهلة.

**5-التعبير عن الأمر بالخبر:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:155] الأمر: بشر، معطوفاً على المضارع المؤكّد "ولنبلونكم"، وهو من قبيل عطف المضمون على المضمون، قال الألوسي: «الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة، لكن لمن صبر منكم»<sup>(51)</sup> فالبشارة وهي الخبر المراد من الأمر جزاء صبرهم على ما ابتلوا به.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:28،27] والمطمئنة هي الآمنة يؤيدها قراءة أبي بن كعب «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْأَمَنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ»<sup>(52)</sup> ارجعي: أمر مراداً به الخبر؛ وهو رجوع مرضي عنه لما كانت عليه من الاطمئنان اتجاه ما أمر الله به ونهى عنه عز وجل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:3] قال الزجاج: «وكفى الله وكيلاً، دخلت الباء بمعنى الأمر، وإن كان لفظه لفظ الخبر، المعنى: اكتفِ بالله وكيلاً»<sup>(53)</sup> وسبق الخبر لفظاً، في الاكتفاء بالله وكيلاً، للعلم بأنّ هذه الصفة قائمة بذاته جلّ وعلا ومعلوم خبرها فطرةً ودينياً.

ومعلوم أنّ هذه التحولات في الأفعال مردّها إلى السياق ليتحكم فيها، لأنّها تخضع للتركيب فلا يفصل فيها بدالاتها الصرفية بعيدة عن سياقاتها التركيبية، فوجهها الإقناعي أن يقول السياق كلمته، لأنّه يؤخذ منه المعنى الإجمالي ويتحدد أيضاً المقصد السليم.

<sup>(49)</sup> -الكشاف، الزمخشري:48/4

<sup>(50)</sup> -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري(تح)شاعر:614/15

<sup>(51)</sup> -روح المعاني، الألوسي:23/2

<sup>(52)</sup> -الكشاف، الزمخشري:374/6

<sup>(53)</sup> -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:213 /4

## \* الفصل الرابع:

-دلالات الحروف مواقعها وتأثيراتها الإقناعية:

- حروف الجر
- حروف العطف
- حروف النصب

• **توطئة:**

الحرف ثالث ثلاثة في الكلم قال سيبويه: «جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»<sup>(1)</sup> عمله جر الأسماء، وتعدية الأفعال، ومعناه يفهم من السياق، قال الرضى: «فالحرف كلمة دلت على معنى ثابت في لفظ غيرها... والأكثر أن يكون معنى الحرف مضمون ذلك اللفظ، فيكون متضمنا للمعنى الذي أحدث فيه الحرف مع دلالة على معناه الأصلي»<sup>(2)</sup> فاستقل الفعل والاسم بمعناهما الإفرادى في حين اعتمد فهم معنى الحرف عليهما والسياق.

ويصطلح على الحرف بالأداة وهو مصطلح كوفي، قال عنه السيوطي (849-911هـ): «وأعنى بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف»<sup>(3)</sup> وظهر المصطلح عند الخليل: «و" من": من أدوات الكلام»<sup>(4)</sup> كما ظهر في الكتاب بقوله: «وللقسم والمقسم به: أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو ثم الباء»<sup>(5)</sup> وأشار إليه السيرافي (368هـ) في شرحه: «وبدأ سيبويه ففسّر ما كان على ثلاثة أحرف، من الحروف، وما لا يتمكن من الأسماء، وما يجري مجرى الأدوات»<sup>(6)</sup> فجعلوا الأداة تشمل الحرف وغيره.

قال الراجسي: «الحرف في القرآن معجز في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها، ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة؛ وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً»<sup>(7)</sup> وقال المرادي عن حروف المعاني خاصة «فهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيتها»<sup>(8)</sup> فلا تستبين معرفة الأحكام والعمل، واتضح القواعد إلاّ بها.

وتناوب الحروف مما شغل الأقدمين والمحدثين، والرأي الوسط ما قاله ابن جني وتابعه ابن تيمية وغيره: «ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا؛ لكننا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا»<sup>(9)</sup> ومن الأحوال الداعية والمسوغة للحرف: أن بعض الأفعال تقتضي أحرفاً معينة تناسبها كما في التعدية مثلاً، أو تضمين الفعل اللازم فعلاً متعدياً.

(1) -الكتاب، سيبويه: 12/1

(2) -شرح الرضى على الكافية، الرضى الأسترابادي: 36/1

(3) -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 1104/3

(4) -العين، الخليل: 375/8

(5) -الكتاب، سيبويه: 496/3

(6) -شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي: 192 /5

(7) -تاريخ آداب العرب، الراجسي: 221/2

(8) -الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: 19

(9) -الخصائص، ابن جني: 308/2

قال ابن القيم: «لا يقوم بعضها مقام بعض على أصح الطريقتين؛ وهي طريقة إمام أهل الصناعة والمحققين من أتباعه، ولو قدر قيام بعضها مقام بعض، فهو فيما تقارب معناهما كمعنى "على وفي" ومعنى "إلى ومع" ونظائر ذلك، وأما فيما لا جامع بينهما؛ فلا»<sup>(10)</sup> قال ابن عباس: «الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 5] ولم يقل: فِي صَلَاتِهِمْ»<sup>(11)</sup> فكانوا أدرك لحروفه خاصة.

وقال ابن تيمية «والعرب تضمن الفعل معنى الفعل، وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ﴾ [ص: 24] أي: مع نعاجه و قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52] أي: مع الله، ونحو ذلك، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمنين، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي﴾ [الإسراء: 73] ضمن معنى: يزيغونك ويصدونك، وكذلك قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا مِنْ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: 77] ضمن معنى: بَجِينَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ وكذلك قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6] ضمن: يروى بها، ونظائره كثيرة»<sup>(12)</sup>.

### • حرف الإلصاق:

عرف ابن السراج (316هـ) حروف الجر بأنها «تصل ما قبلها بما بعدها، فتوصل الاسم بالاسم والفعل بالاسم»<sup>(13)</sup> فتتعلق بما قبلها وإضافته لما بعدها لإنتاج المعنى، والتعلق مصطلح نحوي قديم، قال ابن هشام: «هو حكم من أحكام حروف الجر والظروف، وهو نوع من الارتباط المتمم للمعنى، ينعقد بين ما يشبه الجملة من ظرف وجر ومجرور، وما قبلهما من أفعال أو ما يشبهها»<sup>(14)</sup> قال عبد الكريم بكار: «يستفيد الجار والمجرور ومثله الظرف من المتعلق أنه يصبح ذا معنى مفهوم ومفيد ويستفيد المتعلق من الجار والمجرور التقييد والتوضيح»<sup>(15)</sup> واستثنوا من حروف الجر ستة أمور<sup>(16)</sup> لا متعلق لها وهي: الحرف الزائد، ولعل الجارة، ولولا الجارة في مثل: لولاي، ورب، والكاف، وحروف الاستثناء: خلا، عدا، حشا؛ الخافضات للمستثنى.

(10) - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 357/1

(11) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 177/4

(12) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 342/13

(13) - الأصول في النحو، ابن السراج (تح) الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1417هـ/1996م: 408/1

(14) - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 271/5

(15) - الصفوة من القواعد الإعرابية، عبد الكريم بكار، دار القلم، بيروت، (دط) 1408هـ: 54

(16) - ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين: 22/1، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 305/5

ويتحقق الجر بأحد خمسة: الحروف والإضافة والتبعية والمجاورة والتوهم أو العوض «وحروف الجر هي أبرز هذه العوامل وأظهرها، وهي الأصل في الجر»<sup>(17)</sup> وسميت بحروف الخفض والإضافة والصفات، قال ابن الأنباري: «متى كانت مختصة وجب أن تكون عاملة»<sup>(18)</sup> واختصاصها بالأسماء إلا "حتى" نجدتها قبل الاسم والفعل.

قال حسن عباس عن حروف الجر: «هي بمثابة قنطرة توصل المعنى من العامل إلى الاسم المحرور، أو بمثابة رابطة تربط بينهم؛ ولا يستطيع العامل أن يوصل أثره إلى ذلك الاسم إلا بمعونة حرف الجر الأصلي أو ما ألحق به؛ فهو وسيط، أو وسيلة للاتصال بينهما»<sup>(19)</sup> فتحمل إلى الأسماء المحرورة بها معاني الأفعال وشبهها.

**1- الباء بمعنى الإلصاق:** الإلصاق هو أصل معاني الباء عند النحاة، اقتصر عليه سيوبه في الكتاب حتى لا معنى آخر لها غيره قال: «وباء الجر هي للإلحاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت يزيد، ودخلت به، وضرته بالسوط: ألزقت ضريك إياه بالسوط، فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله»<sup>(20)</sup> قال السيوطي: «الباء للإلصاق حقيقة، ومعناه اختلاط الشيء بالشيء نحو "به داء" أي: ألصق به داء»<sup>(21)</sup>.

والإلصاق والإلحاق واحد «ألصق الشيء بالشيء: ألزقه به، وهذا المعنى من معاني حرف الجر: الباء، وفي، ومعناه أنّ محرور هذين الحرفين قد التصق حسياً أو معنوياً بما قبلهما»<sup>(22)</sup> وهو كما يعبر عنهما بالحقيقة: كأمسك بيد المريض أو بالمجاز كآمن بالله، وإذا كان الأصل فيها للإلصاق؛ فإنه لا يمنع أن تخرج إلى دلالات أخرى كما سيأتي لاحقاً، وليس من اعتبارها من الناحية الإعرابية أنها زائدة أن ليس لها معنى، قال أبو موسى: «لأنه ليس في القرآن حرف يخلو من معنى؛ لأن خلو الحرف من المعنى عبث لا يقع في كلام أهل الطبع، فكيف بكلام الله»<sup>(23)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: 86] قال ابن عاشور: «الباء للإلصاق، أو هي بمعنى "في" كشأئها إذا دخلت على أسماء المنازل، كقول امرئ القيس: بسقط اللوى»<sup>(24)</sup> فانصرف إلى الباء للصوصهم بكل سبيل، كاستعمالها في المنازل للصوصهم بها، وللصوص يعبر عن الصدّ الذي يمارسه الكفار وهي سنة المجرمين.

(17) - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي: 43

(18) - أسرار العربية، ابن الأنباري: 253

(19) - النحو الوافي، عباس حسن: 437/2

(20) - الكتاب، سيوبه: 217/4

(21) - الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي: 47/1، همع الهوامع، السيوطي: 156/4

(22) - موسوعة علوم اللغة العربية، إميل يعقوب بديع: 433/2

(23) - آل حم الشورى الزخرف الدخان دراسة في أسرار البيان، محمد أبو موسى: 24

(24) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 246/8

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْبُدْ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف:33] بِخَلْقِهِنَّ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: «الباء في موضعها وأن العرب تعرف ذلك وتفعله»<sup>(25)</sup> وتعرف أنه هو الخالق.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام:60] يتوفاكم: يعني منامكم، وقول العكبري: «بالليل» الباء هنا بمعنى: في، وجاء ذلك لأن الباء للإصاق، والملاصق للزمان والمكان حاصل فيهما»<sup>(26)</sup> فهي تحتمل المعنيين الإصاق وهو ملازم للمخلوقين، وبالليل كما هو معلوم عادة وفطرة.

وفي قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:151] الباء هنا على بابها قال الأزهري: «ودخلت الباء في "أشركوا بالله" لأن معنى أشرك بالله قرن بالله غيره وفيه إضمار، والباء للإصاق والقرآن»<sup>(27)</sup> والقرآن معناه الجمع، أي: جعل مع الله شريكاً.

**2- الباء بمعنى التعليل:** ويقال لها السببية قال السيوطي: «وهي التي تدخل على سبب الفعل»<sup>(28)</sup> فيكون ما بعد الباء سبباً لما قبله، «والتعليلية والسببية شيء واحد، قاله أبو حيان والسيوطي وغيرهما»<sup>(29)</sup> منها قوله تعالى: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَعُلْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64] تشير الآية للمعتقد الفاسد عند اليهود في وصفهم يد الله بعدم الإنفاق قاتلهم الله، والباء سببية، ومجروها "ما" إما أن تكون موصولة، أي: بالذي قالوه، أو مصدرية، أي بقولهم، ومن أجل قاتلهم الخبيثة طردوا من رحمة الله وأبعدوا!! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يد الله ملأى سحاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يمينه»<sup>(30)</sup> ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُفُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:43] يدها مبسوطتان، ينفق كيف يشاء.

ومن التعليل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ [البقرة:54] والمفعول الثاني لمصدر الفعل اتخذ هو: إلهاء، قال الطبري: «وسببه أن الفعل الذي فعلوه، فظلموا به أنفسهم، هو ما أخبر الله به عنهم من ارتدادهم باتخاذهم العجل ربا بعد فراق موسى إياهم»<sup>(31)</sup> ولأجله عوقبوا بقتل أنفسهم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:100] قال الراغب: «السلطان هو السلاطة: التمكن من القهر»<sup>(32)</sup> والشيطان سلطته على أتباعه قال الزجاجي: «تسلطه بالغواية

(25) -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:78

(26) -إملاء ما من به الرحمن، العكبري:245/1

(27) -تهذيب اللغة، الأزهري:613/15

(28) -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:1083/3

(29) -حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك:329/2

(30) -صحيح البخاري محمد ابن اسماعيل:1412 ورقمه:7411، صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج:444 ورقمه:993

(31) -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري:(تح) شاكر:72/2

(32) -مفردات ألفاظ القرآن، الراغب(تح) صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ:420



وإضلال على الذين أطاعوه واتخذوه وليا ناصر لهم من دون الله والذين أشركوه في عبادة الله»<sup>(33)</sup> فالباء سببية، قال ابن فارس: «باء السبب... أي من أجله»<sup>(34)</sup> صاروا بسبب طاعتهم له مشركين بالله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 88] قلوبنا غلف: استعيرت الكلمة من الذي لم يختن يعني على طبيعتها، أو هي جمع غلاف، قال السمين: «أن قلوبنا أوعية للعلم فهي غير محتاجة إلى علم آخر، والتغليف كالغشية في المعنى... والباء في بكفرهم للسبب، وهي متعلقة بلعنهم»<sup>(35)</sup> فانصب اللعن عليهم لقولهم قلوبنا غلف أي: غير محتاجة إلى العلم، فتكبروا عن الهدى.

كذلك قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: 37] الباء للسبب، قال الكرمانى: «زائدة وقيل للسبب ووضع قبول موضع يقبل ومن المصادر التي جاءت على فعول القبول والولوع والظهور والوضوء حكاها سيويه»<sup>(36)</sup> والمعنى: المنزلة والكلاءة من الله، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت: 40] قال الشوكاني: «أي: عاقبنا بكفره وتكذيبه»<sup>(37)</sup> فجعل الذنب سببا للعقوبة.

**3- الباء بمعنى من التبعية:** قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6] وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 28] قال ابن قتيبة عن معنى الباء في الآيتين: «تقول العرب: شربت بماء كذا وكذا، أي من ماء كذا... ويكون بمعنى: يشربها عباد الله ويشرب منها»<sup>(38)</sup> فأثبت مجيء الباء للتبعية، كما أثبتتها «الأصمعي والفارسي والقتي وابن مالك، واستدلوا بهذه الآية الكريمة، وبقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: 6] وعلى هذا بنى الشافعي مذهبه في أن الواجب في الوضوء مسح بعض الرأس»<sup>(39)</sup> فاستنبطوا الحكم بناء على دلالة الباء النحوية، ومنهم من ذهب بالباء إلى المعنى، قال الأزهرى: «لأن المعنى: يروى بها عباد الله»<sup>(40)</sup>.

**4- الباء بمعنى الظرفية:** وانصراف الباء إلى الظرفية أن يحسن في مكانها "في" مثل قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 18] تعلقت بالفعل يستغفرون، قال السمين: «بمعنى "في" وقدم متعلق الخبر على المبتدأ لجواز تقديم العامل»<sup>(41)</sup> وعدل عن الظرفية إلى اللصوق للصوص بالصفة بالمؤمنين إذا أسحروا استغفروا.

(33) - التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 554/14

(34) - الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 78

(35) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 501/1

(36) - غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى: 252/1

(37) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني: 267/4

(38) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 575

(39) - عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد: 37/3

(40) - تهذيب اللغة، الأزهرى: 614/15

(41) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 46/10

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123] وببدر أول لقاء بين المؤمنين والكفار، أعطى الله عز وجل النصر للمؤمنين براحة المعجزة فيه، «أي في بدر»<sup>(42)</sup> وعدل عن الظرفية المكانية إلى الباء كأنه ملابس لهم مشهود؛ لما فيه من معجزات وعز الإسلام وانتكس الباطل، وحدث الفرقان في التاريخ كله.

قوله تعالى: ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَتْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25] الآية تصف إحدى سوح القتال وهي غزوة الطائف حينما فر من فر، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر قليل صامدون معه في المرة الأولى، فضافت الأرض بما رحبت، قال الفراء: «فالباء هنا بمنزلة في، كما تقول ضاقت عليك الأرض في رحبها ويرحبها»<sup>(43)</sup> ورغم الكثرة التي أعجبوا بها، ورحابة الأرض انهزموا حتى نزل الله نصره.

**5-باء الملايسة:** ويقصد بالملايسة الحال التي يكونون عليها، منها قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17] بقدرها: بقدر مائها، قال ابن الأنباري(513-577هـ): «شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر، إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر، وشبه الأودية بالقلوب، إذ الأودية يستكن فيها الماء كما يستكن القرآن والإيمان في قلوب المؤمنين»<sup>(44)</sup> فهي للملايسة.

قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: 61] المفازة من الفوز والفلاح، وهي مصدر ميمي، قال ابن عاشور: «والباء الملايسة، أي: متلبسين بالفوز، أو الباء للفوز، أي: بسبب ما حصلوا عليه من الفوز»<sup>(45)</sup> والمفازة: الجنة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: 31].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾ [المائدة: 45] قال الشوكاني: الآية «توبيخ لليهود وتقريع؛ لكونهم يخالفون ما كتبه الله عليهم في التوراة كما حكاها هنا؛ ويفاضلون بين الأنفس»<sup>(46)</sup> ثم قال عن الباء في قوله «بالنفس» ونظائره الأربعة: باء العوض، ومدخولات الباء كلها أخبار "أن"، ومتعلق الجار والمجرور في كل منها محذوف، هو كون خاص يدل عليه سياق الكلام؛ فيقدر: أن النفس المقتولة تعوض بنفس القاتل والعين المتلفة تعوض بعين المتلف. أي بإتلافها وهكذا النفس متلفة بالنفس؛ والعين مفقوة بالعين؛ والأنف مجدوع بالأنف؛ والأذن مصلومة بالأذن»<sup>(47)</sup> فجاء بها للملايسة توبيخا وتقريعا.

(42) - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 132/2

(43) - معاني القرآن، الفراء: 430/1، جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاکر: 179/14

(44) - نقلا عن التفسير البسيط: الواحدي: 333/12

(45) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 52/24

(46) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: 66/2

(47) - م، س: 214/6

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْمَعْنَاكُمْ﴾ [البقرة:50] وفرقنا مثل فلقنا واحد، وهو الفصل والتمييز، وفي الباء عدة أوجه: منها أنه للحال من البحر أي فرقناه، قال العكبري: «بكم للملابسة كما في طارت به العنقاء، وعدا به الفرس، أي كان فرق البحر ملابسا لكم والمراد من الملابس أنه يفرق وهم يدخلونه فكان الفرق حاصلًا بجانبهم»<sup>(48)</sup> أي: فرقنا البحر وأنتم به، ومنها: «يجوز أن تكون المعدية، كقولك ذهب بزيد، فيكون التقدير أفرقناكم البحر، ويكون في المعنى كقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الأعراف:138]»<sup>(49)</sup> ومنها: يجوز أن تكون (الباء للسببية أي بسببكم)<sup>(50)</sup> يعني لأجلكم.

ومنها أنه فلق بني إسرائيل البحر، قال الزمخشري: «فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشئيين بما يوسط بينهما»<sup>(51)</sup> أي: أفرقنا بكم البحر باعتبارهم آلة فرق، وضعف ابن المنير هذا الوجه الذي ذكره الزمخشري وتابعه غيره قائلا: «من أن يكون تفريق البحر وقع ببني إسرائيل، والمنقول بل المنصوص عليه في الكتاب العزيز أن البحر انفرق بعصا موسى يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء:63] فآلة التفريق العصا، لا بنو إسرائيل»<sup>(52)</sup> والمتبادر أنه فرق البحر لهم باللام لكنه عدل إلى الباء حتى يشهدوا

وفي قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:79، 166، الفتح:28] قال أبو عبيدة والأخفش: «الباء زائدة للتوكيد يريدان أنها زائدة في الإثبات على وجه الدور... وتعديته بالباء هنا بلاغة ليفيد انتفاء عجزه عن صنعها وانتفاء عجزه في تدبير مقاديرها ومناسبتها، فكانت باء الملابس صالحة لتعليق الخلق بالعي بمعنييه»<sup>(53)</sup> وقال الرماني: «الباء دخلت للتوكيد»<sup>(54)</sup> وقال الأزهري: «للمبالغة في المدح والدلالة على قصد سبيله، كما قالوا: أظرف ببعده الله! وأنبل ببعده الرحمن! فأدخلوا "الباء" على صاحب الظرف والنبيل للمبالغة في المدح... ولو أسقطت "الباء" لقلت: "كفى الله شهيدا"»<sup>(55)</sup> وزيادتها لا تخلو من معناها.

(48) -التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 472/1

(49) -م، ن: 26/1

(50) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 349/1

(51) -الكشاف، الزمخشري: 268/1

(52) -حاشية الكشاف، الزمخشري: 268/1

(53) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 64/26

(54) -معاني الحروف، الرماني، (تح) إسماعيل شلي، دار الشروق، جدة، ط2، 1401هـ/1981م: 37

(55) -تهذيب اللغة، الأزهري: 615/15

قوله تعالى: ﴿يَكَاذُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور:43] يذهب البرق بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة، قال السمين: «الباء بمعنى من، تقديره: يذهب النور من الأبصار»<sup>(56)</sup> وفي الآية إشارة إلى كمال القدرة، ونفاذ المشيئة، بتوليد النار من البرد، وسعة علمه، وتنزهه عن الحاجة.

**6-الباء بمعنى عن (المجازة):** قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان:59] قال الأزهري في التهذيب: «سل عنه خبيراً يخبرك»<sup>(57)</sup> يحتمل تأويلين، قال البطلوسي: «أحدهما: أن يكون فاسأل عنه العلماء ذوى الخبر من خلقه، فيكون من هذا الباب، والثاني: أن يريد فاسأل بسؤالك إياه خبيراً، أي إذا سألته فقد سألت خبيراً عالماً، كما تقول: لقيت يزيد الأسد، أي لقيت الأسد بلقائي إياه، فالمسؤول في هذا الوجه: هو الله عز وجل، والباء على وجهها»<sup>(58)</sup> بمعنى عن للمجازة .

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان:25] قال وهبة الزحيلي: «الباء بمعنى عن" للحال والتقدير: يوم تشقق السماء، وعليها الغمام، كقولك: خرج زيد بسلاحه، أي وعليه سلاحه... والمعنى: أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها، أو عن الغمام»<sup>(59)</sup> ويقول القرطبي: «بالغمام أي عن الغمام، والباء وعن يتعاقبان كما تقول: رميت بالقوس وعن القوس»<sup>(60)</sup> والباء وعن وعلى يراد أنها جميعاً تأتي بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:6] قال الأزهري: «أي ما خدعك عن ربك والإيمان به»<sup>(61)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:1] قال ابن فارس: «الباء بمعنى عن»<sup>(62)</sup> أي: عن العذاب الواقع.

**7-الباء بمعنى على:** الباء تخلف على في الأسلوب العربي كثيراً، قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:75] قال الطبري: «والباء في قوله (بدينار) وعلى يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال مررت به ومررت عليه»<sup>(63)</sup> وهنا انصرفت للصوص الشح بصاحبه أو أريد بها عليه كالثياب.

(56) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 424/8

(57) - م، س: 615/15

(58) - الاقتضاب، البطلوسي: 272-271/2

(59) - التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 53/19

(60) - معاني القرآن، الفراء: 267/2، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 23/13

(61) - تهذيب اللغة، الأزهري: 615/15

(62) - الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 76

(63) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 317/3

**8- الباء بمعنى اللام:** قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: 39] بالحق بمعنى اللام: «يعني به السماوات والأرض أي: إلا لإقامة الحق»<sup>(64)</sup> وقال الفراء: معناها: «إلا للحق»<sup>(65)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [يونس: 90] قال أبو حيان: «وقيل: آمنت به، وآمنت له واحد»<sup>(66)</sup> والعدول عن اللام إلى الباء كثير في اللغة.

**9- الباء بمعنى المصاحبة:** قال الداني: «يحسن في موقعها "مع" وأن يغني عنها وعن مصحوبها الحال لصلاحيته لها ولذلك تسمى باء الحال»<sup>(67)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ [الفتح: 28] قال محمد العثيمين: «الهدى هو العلم النافع، ويحتمل أن تكون الباء للتعدية؛ أي: إن المرسل به هو الهدى ودين الحق»<sup>(68)</sup> أي: بسبب الهدى أو من أجله، أو معه الهدى.

قوله تعالى: ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 61] قال فضل عباس: «باءوا: رجعوا بغضب، فالباء إذن جاءت في مكانها، أن يرجعوا مصحوبين بغضب من الله، وعليه فالباء للمصاحبة»<sup>(69)</sup> بمعنى مع.

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: 48] ورد دخول الباء على الأعين في عدة سور منها: ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود: 37، المؤمنون: 27، القمر: 14] وهي في كلِّ للمصاحبة، قال محمد العثيمين: «إذا قلت: أنت بعيني؛ يعني: أن عيني تصحبك وتنظر إليك، لا تنفك عنك؛ فالمعنى: أن الله عز وجل يقول لنبيه: اصبر لحكم الله؛ فإنك محوط بعنايتنا وبرؤيتنا لك بالعين حتى لا ينالك أحد بسوء»<sup>(70)</sup> ولا تجيء الباء للظرفية إلا بقرينة.

وهنا والمفرد المضاف عام «فيشمل كل ما ثبت لله من عين، وحيث لا منافاة بين المفرد وبين الجمع أو التثنية... وإن كان أقل الجمع اثنين؛ فلا منافاة؛ لأننا نقول: هذا الجمع دال على اثنتين، فلا ينافيه، وإن كان أقل الجمع ثلاثة، فإنَّ هذا الجمع لا يُراد به الثلاثة، وإنما يراد به التعظيم والتناسب بين ضمير الجمع وبين المضاف إليه»<sup>(71)</sup> ولقد ثبت بما يكفي في الصحيحين أن الله عز وجل عينيّن.

(64) - معاني القرآن، الزجاج: 4/427

(65) - معاني القرآن، الفراء: 3/42

(66) - البحر المحيط، أبو حيان: 4/365

(67) - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: 1/40، المساعد على تسهيل الفوائد، أبو حيان: 2/262

(68) - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين: 1/40

(69) - لطائف المنان وروائع اليان في دعوى الزيادة في القرآن، فضل حسن عباس: 101

(70) - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين: 1/316

(71) - م، ن: 1/321

وعن دلالات هذه المرتبة "بَأَعْيُنِنَا" قال سيد قطب: «التعبير فريد كله، حتى بين التعبيرات المتشابهة، ولقد قيل لموسى عليه السلام: قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:13] وقيل له: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] وقيل له: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41] وكلها تعبيرات تدل على مقامات رفيعة، ولكنه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وهو تعبير فيه إعزاز خاص وأنس خاص، وهو يلقي ظلاً فريداً أرق وأشرف من كل ظل، ولا يملك التعبير البشري أن يترجم هذا التعبير الخاص، فحسبنا أن نشير إلى ظلاله، وأن نعيش في هذه الظلال»<sup>(72)</sup> فالأعين: للتعظيم والتكريم، وهو جمع مراداً به أثنان.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة:61] الباء للمصاحبة لما يحملونه في قلوبهم، قال ابن فارس: «لا يريد أنهم دخلوا يحملون شيئاً، وخرجوا يحملونه، وإنما يريد أنهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين»<sup>(73)</sup> ولما كانوا يبتغون الكفر عدل للباء للزوقهم بما يعتقدون.

قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل:18] منفطر دون تاء النسب، قال العكبري: «أي ذات انفطار... وقيل السماء تذكر وتؤنث»<sup>(74)</sup> وقيل المعنى: «على تأويل السماء بالسقف، والباء في "به" مثلها في قولك: فطرت العود بالقدم، فانفطر به فتكون على رأي الزمخشري للاستعانة، وقيل: سببية، وقال القرطبي إنها بمعنى في والجميع سواء»<sup>(75)</sup> قال الألوسي الباء: «للالآة، مثلها في قولك: فطرت العود بالقدم فانفطر به، يعني أن السماء على عظمها وأحكامها، تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله، كما ينفطر الشيء بما يُفطر، فما ظنك بغيرها من الخلاق»<sup>(76)</sup> وحيد صاحب عدة السالك أن تكون الباء للمصاحبة، وليست للآلة «تحاشيا من سوء الأدب مع الله جل جلاله أن يجعل آلة ولو مجازاً»<sup>(77)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفافات:84] الباء تفيد المصاحبة، قال ابن عاشور: «جاء ربه بسلامة قلب، وإنما ذكر القلب ابتداء ثم وصف بـ: "سليم" لما في ذكر القلب في إحضار حقيقة ذلك القلب النزيه، ولذلك أوتر تنكير "قلب" دون تعريف»<sup>(78)</sup> وقال الشوكاني: «معنى مجيئه إلى ربه يحتمل وجهين: أحدهما: عند دعائه إلى توحيده وطاعته، الثاني: عند إلقاءه في النار»<sup>(79)</sup> وإبراهيم عليه السلام هو القدوة في الدين.

(72) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 6/3402

(73) - معاني الحروف، الرماني: 39، الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 77

(74) - التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 2/381

(75) - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الزين الدرويش: 29/118

(76) - روح المعاني، الألوسي: 29/109

(77) - عدة السالك إلى تحقيق أوضاع المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد: 3/53

(78) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 23/137

(79) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني: 4/528

ومثل المصاحبة في قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ [هود:48] أي: مع سلام.

**10- باء المقابلة:** يقال لها باء العوض أو البديل «قال ابن مالك: هي الباء الداخلة على الأثمان والأعواض، نحو: اشترت الفرس بألف، وكافأت الإحسان بضعف...وزاد بعض المتأخرين في معاني الباء أنها تجيء للبدل والعوض، نحو: هذا بذاك، أي: هذا بدل من ذاك وعوض منه»<sup>(80)</sup> ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَنَنِيهِمْ جِنَّتَيْنِ﴾ [سبأ:16] وكذلك قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32] أي: «أدخلوا الجنة مقابل عملكم»<sup>(81)</sup> الباء للمقابلة.

**11-زيادة الباء:** يراد من زيادة الباء لكون الفعل يتعدى بنفسه، ومن جهة أخرى وجود آية أخرى لا توجد فيها هذه الزيادة فلذلك يدللون على زيادتها، لكن ها لا يمنع من أن تصاحبها دلالات أخرى كالتوكيد مثلاً، ففي قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ مِّمَّثِلًا﴾ [يونس:27] الباء في بمتلها زائدة، قال الزركشي: «خبر المبتدأ...قال أبو الحسن: الباء زائدة، بدليل قوله في موضع آخر: قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:40]»<sup>(82)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25] الإلحاد: أصله الميل عن الحق وهو ضربان، قال الراغب: «الإلحاد إلى الشرك بالإله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني: يوهن عراه ولا يبطله...والإلحاد في أسمائه على وجهين: أحدهما أن يوصف بما لا يصح وصفه، والثاني أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به»<sup>(83)</sup> وقال الشنقيطي: «وزيادة حرف الباء للتوكيد قبل مفعول الفعل المتعدي بنفسه كثيرة في القرآن»<sup>(84)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿وَهَزَبْنَا بِكُمُ الْيَمِينَ﴾ [مریم:25] وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195] وقوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ الْمَقْتُولُونَ﴾ [القلم:6].

يجيء الفعل كفى تارة بدون الباء، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:137] وقوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب:25] ويحمل معنى: أجزأ وأغنى أو وقاهم الأعداء أو شر القتال، ويصح الباء كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:45] فيضمن معنى الاكتفاء، على سبيل توجيه الخطاب إلينا، قال الزجاج(ت311هـ): «معنى الباء التوكيد، المعنى وكفى الله وليا، وكفى الله نصيرا، إلا أن الباء دخلت في اسم الفاعل لأن معنى الكلام الأمر، المعنى اكتفوا بالله»<sup>(85)</sup> ولعل القول بزيادة الباء: من وجودها ساقطة هناك ومثبتة هناك، وإنما دخلت الباء لتضمن كفى معنى: اكتف، الباء لتحسين اللفظ والمبالغة في الكفاية.

(80) -الجنى الداني، المرادي:41، الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:76

(81) -جامع الدروس، الغلابي، المكتبة العصرية، صيدا، ط:28، 1414هـ/1993م:170

(82) -الرهان في علوم القرآن، الزركشي:84/3

(83) -مفردات ألفاظ القرآن، الراغب:737

(84) -أضواء البيان، الشنقيطي:4/318، الرهان في علوم القرآن، الزركشي:3/83

(85) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:2/57

**12- الباء بمعنى التعديّة:** ذهب الزمخشري أن الباء في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: 193] للتعديّة: «وجعل الروح نازلاً به على قلبك، أي: حفظك وفهمك إياه، وأثبتته في قلبك إثبات ما لا ينسى»<sup>(86)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَئِمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة: 17] الباء يفاد منه: التعديّة، قال حسن عباس: «وتسمّى باء النقل، وهي المعاقبة للهمزة، وأن معناها ما بعد الباء كان فاعلاً، لكن بدخول الباء صار مفعولاً فهي تشبه الهمزة من هذه الناحية»<sup>(87)</sup> والأصل: ذهب نورهم: فاعل، فلما تعدّى صار مفعولاً به.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ [البقرة: 137] الباء للتعديّة «ولو جردنا هذه الآية من الباء، فقيل: "فإن آمنوا مثل ما آمنتم" لذهب رونق المعنى، لأن أصل الإيمان موجود عندهم، ولكن المراد هنا أن يؤمنوا بمثل ما آمن به المسلمون، فهذا فيه تهييج لهم من جهة، ليبحثوا عن الحق، وتبكيك من جهة أخرى»<sup>(88)</sup> قال الواحدي: «والمثل ها هنا الكتاب»<sup>(89)</sup> إما جنس الكتاب أو المقصود به القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: 153] الباء للتعديّة، قال الألوسي: «أي: فتفرقكم حسب تفرقها أيادي سبأ، فهو كما ترى أبلغ من: تفرقكم، كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذبه»<sup>(90)</sup> والسبيل هي آلة الإذهاب.

**13- الباء للاستعانة:** قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 42] الباء للتعديّة أو للاستعانة، وجاء النهي عن كل واحد من الفعلين «والمراد لا يمكن منكم لبس الحق على من سمعه، وكتمان الحق وإخفاؤه عن من لم يسمعه»<sup>(91)</sup> فاستعانوا بالباطل لأجل تشويه الحق، والتلبيس ديدن اليهود من قديم وصفة لا تفارقهم حينما خلطوا الحق بالمنزل بباطلهم، فاشتبه على الناس فضلوا وأضلوا.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ [الأعراف: 170] قال النحاس: «قول العرب: مسكت وأمسكته، وكذا القراءة: ﴿ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ ﴾ [المتحنة: 10]»<sup>(92)</sup> فالباء للاستعانة، يستعينون بما في الكتاب فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، قواصد الفوز توارك غيره.

(86) -الكشاف، الزمخشري: 4/414

(87) -لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، حسن عباس: 45

(88) -م، ن: 102

(89) -التفسير البسيط، الواحدي: 33/357

(90) -روح المعاني، الألوسي: 8/57

(91) -روح المعاني، الألوسي: 1/246، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود: 1/96

(92) -معاني القرآن، النحاس (تح) الصابوني، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1408هـ/1988م: 2/160، 161



• **حرف الاستعلاء:**

لـ "على" ثلاث صور في الكلام، قال ابن الأنباري: «اسما وفعلا وحرفا، فإذا كانت اسما دخل عليها حرف الجر، فكانت بمعنى فوق... وإذا كانت فعلا كانت مشتقة من مصدر، وتدل على زمان مخصوص، نحو: علا الجبل "يعلو علواً فهو عال" كقولك: "سلا يسلو سلواً فهو سال" وما أشبه ذلك، وإذا كانت حرفا كان ما بعدها مجرورا بها»<sup>(93)</sup> وقد تحذف كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16] حذفت على «أي لأفعدنّ لهم في الغي على صراطك... والتقدير على صراطك وفي صراطك وسمي الدين صراطاً لأنه الطريق إلى النجاة»<sup>(94)</sup> وهنا ويركز البحث على دلالاتها الحرفية.

**أ- دلالة الاستعلاء:** وقد بحث صاحب الكتاب معنى "على" بأنها: «استعلاء الشيء؛ تقول: هذا على ظهر الجبل، وهي على رأسه... كقولك: مر الماء عليه، وأمريت يدي عليه، وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل، وعلينا أمير كذلك، وعليه مال أيضاً؛ وهذا لأنه شيء اعتلاه، ويكون مررت عليه: أن يريد مروره على مكانه؛ ولكنه اتسع، وتقول: عليه مال؛ وهذا كالمثل كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت هذا عليه»<sup>(95)</sup> قال المرادي (745هـ): «ولم يثبت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى، وتأولوا ما أوهم خلافه»<sup>(96)</sup> تبعاً لرأي سيبويه، وقال ابن فارس مثله: «وهي وإن انشعبت راجعة إلى أصل واحد»<sup>(97)</sup> يقصد الاستعلاء.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفافات: 181] قال ابن القيم: «اسم السلام عليكم، والسلام هنا هو الله عز وجل، ومعنى الكلام: نزلت بركة اسمه عليكم، وحلت عليكم، ونحو هذا»<sup>(98)</sup> وسلمت عليه، لما قلت: السلام عليكم، أي: ألقيت عليه هذا اللفظ وأوقعته عليه إيدانا باشتمال معناه عليه، كاشتمال لباسه عليه، وكان حرف على أليق الحروف به»<sup>(99)</sup> دعاء للمسلم عليه وطلب أن يسلم، باعتبار أن الجملة طلبية. وفي قوله تعالى: ﴿لِتَكْبِرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185] عدي فعل التكبير، قال الزمخشري: «لكونه مضمناً معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم»<sup>(100)</sup> فهي على بماها.

<sup>(93)</sup> - أسرار العربية، ابن الأنباري: 256، 257.

<sup>(94)</sup> - إعراب القرآن، النحاس (تح) غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405هـ/1985م: 117/2.

<sup>(95)</sup> - الكتاب، سيبويه: 230/4، 231.

<sup>(96)</sup> - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: 476.

<sup>(97)</sup> - الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 156.

<sup>(98)</sup> - بدائع الفوائد، ابن القيم: 610/2.

<sup>(99)</sup> - م، ن: 619/2.

<sup>(100)</sup> - الكشاف، الزمخشري: 384/1.

وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5] قال ابن تيمية: «الاستعلاء جاء بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه»<sup>(101)</sup> وجاء الهدى نكرة لتعظيم ما هم عليه، وكثيرا ما يأتي التمکن مرادا به الاستعلاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ [النمل:18] قال السرقسطي سعيد: «الإتيان من أتى الشيء على الشيء: أهلكه وأذهبه، وأتيت على الشيء: مررت به، وأتيت القوم: انتسبت فيهم»<sup>(102)</sup> وجيء بحرف الاستعلاء وعدى الفعل أتوا به، قال أبو حيان: «إما لأن إتيانهم كان من فوق، وإما أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره، ومن قولهم أتى على الشيء إذ أتى على آخره وأنفذه»<sup>(103)</sup> وقد أبدع المتنبي (303-354هـ) «لما رمق هذه السماء العالية فقال: فليشد ما جاوزت قدرك صاعداً \*\*\* ولشد ما قربت عليك الأنجم

وقال: عليك، دون: إليك، لأن قرب الأنجم من جهة العلو»<sup>(104)</sup> معرضا بالممدوح وهاجيه، لا مادحه.

**ب- "على" بمعنى المصاحبة:** والمصاحبة أن يأتي حرف الاستعلاء بمعنى "مع" التي تلازم وتصاحب، من ذلك قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم:39] قال ابن عاشور: «وعلى في قوله "على الكبر" للاستعلاء المجازي بمعنى "مع" أي: وهب ذلك تعليا على الحالة التي شأنها ألا تسمح بذلك، ولذلك يفسرون "على" هذه بمعنى "مع" أي: مع الكبر الذي لا تحصل معه الولادة»<sup>(105)</sup> ومثله في غفران الذنوب سبحانه، جاء قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:6] قال ابن هشام: «أي مع ظلمهم»<sup>(106)</sup> وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [البقرة:177] أي مع حبه له.

**ج- "على" بمعنى الباء:** قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف:105] جاءت هنا على بمعنى الباء، ووافقت ذلك قراءة «أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، والأعمش حقيق بآلأ أقول وذلك بوضع الباء في موضع على»<sup>(107)</sup> قال الفراء: «العرب تجعل الباء في موضع على؛ رميت على القوس وبالقوس، وحثت على حال حسنة، وبحال حسنة»<sup>(108)</sup> ومن قرأ ولم يضيف فيه حجة معنى على بالباء.

(101) -التفسير الكبير، ابن تيمية(تح) عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا):2/33

(102) -الأفعال، السرقسطي سعيد بن محمد المعافري:80/1

(103) -البحر المحيط، أبو حيان:58/7

(104) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، الصائبي:155/17

(105) -التحريير والتنوير، ابن عاشور:243/13، معارج التفكير ودقائق التدبر، جنبكة الميداني:76/14

(106) -أوضح المسالك، ابن هشام:42

(107) -معجم القراءات، الخطيب:114/3

(108) -معاني القرآن للفراء:386/1

وحقيق: بمعنى جدير أن يقول الحق لا غيره، قال القنوجي: «وأغرق في وصف نفسه في ذلك المقام حين جعل نفسه حقيقة على قول الحق كأنه وجب على الحق أن يكون موسى هو قائله»<sup>(109)</sup> ويؤكد قراءة عليّ مشددة الياء في حرف نافع، قال البنا: «دخول حرف الجر على ياء المتكلم، فقلبت ألفها ياء وأدغمت فيها وفتحت... وقرأ الباقون بالألف لفظاً على أن على التي هي حرف جر دخلت على أن وتكون على بمعنى الباء، أي: حقيق بقول الحق ليس إلا، أو يضمن حقيق معنى حريص»<sup>(110)</sup> وتدعمه مؤكدات في النص تبين أحقيته بالحق منها: حرف التحقيق قد، والاستثناء المفرغ، ومنها البيئة التي يحملها عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: 27] قال الماوردي: «أي: هم فوقها على الصراط وهي تحتهم»<sup>(111)</sup> وقال القرطبي: «أي وقفوا بقربها وهم يعاينونه»<sup>(112)</sup> ومنهم من رآها جاءت للظرفية بمعنى في، أي: دخلوها، وكل هذه التوجيهات له ما يسنده من اللغة والسنة .

**د- "على" بمعنى المجاوزة:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5] قال القرطبي: «خبر عن علمه تعالى بالأشياء على التفصيل، ومثله في القرآن كثير، فهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون»<sup>(113)</sup> ومثل علينا في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: 40] قال البغوي: بمعنى: «يميلون عن الحق في أدلتنا»<sup>(114)</sup> وكذلك قوله: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ [التوبة: 15].

**هـ- بين "على" و "إلى":** والاستعلاء يتداخل مع حرف الغاية، ويأتي بمعناه، فيلبي: «للانتهاء مطلقاً، فتعمّ الزمان والمكان نحو: سرت إلى البصرة، وسرت إلى نصف الليل»<sup>(115)</sup> وهو مذهب سيبويه، ففي كثير من الآيات نجد المتعلق واحد، كما في الفعل نزل والجارّ مختلف، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174] في الآية الأولى: " أنزل على " وفي الآية الثانية: " أنزل إلى " قال الإسكافي: «أنّ على تتضمن معنى فوق وأن يكون الوحي جاءه من تلك الجهة، وأنّ إلى للنهاية، فلا تختص بجهة دون جهة، ولذلك كان أكثر المواضع التي ذكر فيها إنزال القرآن على النبيّ عدّي بـ "على"... وأكثر ما ذكر إنزاله على الناس جاء معدّي بـ "إلى"، ثم كل موضع قيل فيه: (أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) فقد كان

(109) -فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي: 423/4

(110) -إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد البنا: 55/2

(111) -النكت والعيون، الماوردي: 105/2

(112) -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 351/8

(113) -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 15/5

(114) -معالم التنزيل، البغوي: 175/7

(115) -ارتشاف الضرب، أبوحيان: 1473/4، الكتاب، سيبويه: 231/4

التكليف عليه ونزل منزلة أمته فيما يجب على عالمهم تبيينه لمتعلمهم»<sup>(116)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136] وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: 84].

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: 41] قال الحسن: «معناه صراط إلى مستقيم، وهذا يحتمل أمرين: أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة على مقام إلى والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى، وهو الأشبه بطريق السلف، أي: صراط موصل إليّ»<sup>(117)</sup> والسر اللطيف في العدول عن إلى والإتيان بعلى: «الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى، وهو حق... والله عز وجل هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى، فكان في أداة "على" هذا المعنى ما ليس في أداة "إلى»<sup>(118)</sup> فأفادت الوجوب من الله أن يهدي سالكه، وكلما كان المعنى مراداً منه العلو والثبات على الحق أوتي بالاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: 79].

والفعل دائماً على معناه ولكن الحروف هي التي تقيد معاني الأفعال أو تخصصها فتغير من معناها، قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ \* مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصفوات: 91، 92، 93] ومعنى الروغ هو «الميل على سبيل الاحتيال»<sup>(119)</sup> ومعناه: للأصنام، ال السخاوي: «ذهب إليها في خفية... فأقبل عليهم مستخفياً، أو فراغ عليهم، أو جعل "ضرباً" بمعنى ضاربا على الحال»<sup>(120)</sup> فجيء بروغ الغاية لأمر يريده الرائع منها، وبروغ الضارب للاستعلاء في قوة، والفعل على حاله باق.

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] "على" هنا على بابها مراداً بها العلو، بمعنى فوق، ومعنى استوى علا: قال أبو عبيدة: «يقال استويت فوق الدابة وعلى البعير وعلى الجبل وفوق البيت، أي علوت عليه وفوقه»<sup>(121)</sup> قال الشنقيطي: «للخالق جل وعلا استواء لائقاً بكماله وجلاله، وللمخلوق أيضاً استواء مناسب لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق»<sup>(122)</sup> ولذلك قد ضل من طلب معنى الكيفية «ومعرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره يحصي الثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه»<sup>(123)</sup> يقول ابن الأعرابي: «أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات

(116) -درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي(تح) مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط1، 1422هـ/2001م: 1106/3

(117) -مدارج السالكين، ابن القيم: 38/1

(118) -م، ن: 39/1

(119) -مفردات ألفاظ القرآن حرف الراء، الراغب: 373

(120) -تفسير القرآن الكريم، علم الدين السخاوي: 199/2

(121) -مجاز القرآن، أبو عبيدة: 16/2

(122) -أضواء البيان، الشنقيطي: 375/2

(123) -م، ن: 376/2

العرب ومعانيها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] استوى بمعنى استولى، فقلت والله ما يكون هذا ولا وجه له»<sup>(124)</sup> وتأويل استوى باستولى وراءه المعتزلة، وهو تعطيل لصفة فعلية، وكلمة استولى: هي تتطلب في اللسان خصمان تنازعا فغلب أحدهما على الآخر فتم له الاستيلاء.

وإذا تعلق حرفا الاستعلاء والغاية، بمتعلق واحد فالمعنى لكل واحد مختلف عن الآخر، ومع أن مادة الاستواء واحدة فمعنى فعل الله هنا غير الفعل السابق، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:29] قال الفراء: «الاستواء في كلام العرب على جهتين، إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، ويستوي من اعوجاج، وهذان وجهان، ووجه ثالث أن يقول: كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى عليّ وإليّ "يشاتمني" على معنى أقبل عليّ إليّ»<sup>(125)</sup> وبالمعنى الأخير اختار الحافظ ابن كثير (ت774هـ) معنى الاستواء هنا «أي قصد إلى السماء، والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بإليّ»<sup>(126)</sup> ففرق بين التعديتين، ولكل معناه.

**و- بين "على" و "في":** وحرفا الجر "في" و "على" يتداخل معنيهما، قال البطليوسي: «فلذلك يقع بعضهما موقع بعض، لأن معنى "على" الإشراف والارتفاع، ومعنى "في" الوعاء والاشتمال، وهي خاصة بالأمكنة، ومكان الشيء قد يكون عاليا مرتفعا، وقد يكون متسفلا منخفضا»<sup>(127)</sup> فمتعلقهما واحد، وتواردتهما مختلف المعنى.

وفي جانب ترسيخ أخلاقيات لا إله إلا الله يجيء هذا التوجيه بأن يكون المشي عليها لا فيها، قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:63] وعبادُ الرَّحْمَنِ: إضافة تشریف، قال الزركشي: «فلما وصف العباد بئین أنهم لم يوطنوا أنفسهم في الدنيا؛ وإنما هم عليها مستوقرون، ولما أرشده ونهاه عن فعل التبخر، قال: ولا تمش فيها مرحا، بل امش عليها هونا»<sup>(128)</sup> ويوحى الاستعلاء بأن الأرض ليس بدار قرار، فالمقام فيها بحسب الحاجة، فأوتي بالوعاء كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان:18، الإسراء:37] للأخلاقيات المنحرفة لإخلاق أصحابها إلى الأرض، حتى لكأنما أريد أنهم يأملون لن يرحلوا عنها!.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:24] قال الزركشي: «فاستعملت "على" في جانب الحق و "في" في جانب الباطل، لأن صاحب الحق كأنه مُسْتَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء، ظاهرة له الأشياء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام، ولا يدري أين توجه!»<sup>(129)</sup> فكل ناسب مجروره فحولف بينهما.

(124) -اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م: 266

(125) -معاني القرآن، الفراء: 25/1

(126) -تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 122/1، عمدة التفسير، أحمد شاكر: 99/1

(127) -الاقتضاب، البطليوسي: 282/2

(128) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 176/4

(129) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 175/4، المثل السائر، ابن الأثير: 232/2

والفعل يعدى بالظرفية في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اِحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود:40] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَعَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:11] ويعدى بالاستعلاء قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِاطِ وَدُسُرًا﴾ [القمر:13] قال حسن عباس: «لما كان الحديث عن الناس عُدي الحمل بـ "في"... ولما كان الحديث عن نوح عليه السلام عُدي الحمل بـ "على" لما في ذلك من التشريف له والتنويه بشأنه»<sup>(130)</sup> والحمل في الآيات مسند إلى الله عز وجل، ومن مجيئها للاستعلاء، قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:26] قال الزركشي: «ولم يقل قوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، لأن عند الفناء ليس هناك حال القرار والتمكين»<sup>(131)</sup>.

**ز- بين "على" و"الباء":** نلاحظ في الآيات التالية المجرور واحد، والجار مختلف بين على والباء في قوله تعالى: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:39] وفي قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:37] وفي قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14] قال السهيلي: «الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوماً، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سراً، فلما أراد الله أن يصنع موسى ويغذي ويربي على حال أمن وظهور أمر، لا تحت خوف واستسرار، دخلت "على" في اللفظ تنبيهاً على المعنى، لأنها تعطى معنى الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وابتداء، فكأنه يقول سبحانه: "ولتصنع على أمن لا تحت خوف" وذكر "العين" لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة، وأما قوله تعالى: "تجري بأعيننا" فإنه إنما يريد: برعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم، فلم يحتج في الكلام إلى معنى على بخلاف ما تقدم»<sup>(132)</sup>.

ومجيء الاستعلاء والإلصاق مع الفعل "مر" فمرة يصل إلى المفعول بالإلصاق كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ [المطففين:30] فإن أريد المرور الفوقي عدي بالاستعلاء كقوله تعالى: ﴿وَإِنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْحِحِينَ﴾ [الصافات:137] وكقوله تعالى: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:105].

**ح- التضمين:** والتضمين أسلوب بياني، يأتي في الأسماء والأفعال والحروف، بحيث يعطي لفظة معنى لفظة أخرى، ويكون فيه معنى اللفظتين جميعاً، قال حسن عباس: «لأن الكلمة تفيد إلى معناها معنى آخر منسجماً مع الأول، مكماً له، ليس بين المعنيين تنافر ولا اختلاف»<sup>(133)</sup>.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة:102] تكون بمعنى في ملك سليمان، قال البطليوسي: «فقد يجوز أن يكون من هذا الباب، وقد يمكن أن تكون "على" إنما استعملت هاهنا، لأن معناها: أنهم تقوّلوا على ملك سليمان ما لم يكن فيه، كما يقال: تقوّل على ما لم يقل»<sup>(134)</sup> قال حسن

(130) -لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، فضل حسن عباس:165

(131) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي:4/176

(132) -نتائج الفكر في النحو، السهيلي:230

(133) -لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، حسن عباس:52

(134) -الاقتضاب، البطليوسي:2/282

عباس: «ضمنت معنى تتقول وتكذب، والمعنى: "واتبعوا ما تتقوله الشياطين على ملك سليمان" فأنت ترى أن تتلو لم تخرج عن معناها، وإنما ضمنمت شيئاً آخر مؤكداً لهذا المعنى»<sup>(135)</sup> فهي على المعنيين التلاوة بالكذب. ومما ضمن في قوله تعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:54] قال محمد العثيمين: «ضمنت أدلة جمع ذليل، لا جمع ذلول الذي هو نقيض الضعف، لأن ذلولاً لا يجمع على أدلة، بل ذلل»<sup>(136)</sup> ومعنى أذلة: «لا يستكبرون على المؤمنين ولا يترفعون عليهم، بل يتطامنون لهم، ويدلون لهم أي: يتواضعون... وعديت أدلة بعلی دون اللام، يعني لم يقل: أدلة للمؤمنين بلا قال: أدلة عليهم، يعني: ذوي شفقة عليهم، وحنان عليهم دون استعلاء واستكبار، فأدلة مضمنة معنى الشفقة، يعني أدلة بشفقة»<sup>(137)</sup> الحرف "على" وراء هذه الصورة .

وعند قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتُحْمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم:12،11] ذهب عائشة وابن مسعود وقتادة والجمهور، إلى أن المرئي هو: جبريل عليه السلام مرة في الأرض ومرة في السماء عند سدرة المنتهى<sup>(138)</sup> على صورته الحقيقية، لأن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل، مقطوع فيها بحديث أبي ذر رضي الله عنه هل رأيت ربك؟ فقال «نور أنى أراه»<sup>(139)</sup> لم يره يعني حتى ليلة الإسراء والمعراج.

وأنى للاستبعاد، والممارسة أو الامتراء قال الراغب: «هي المحاجة فيما فيه مرية... وأصله من مريت الناقة: إذا مسحت ضرعها للحلب»<sup>(140)</sup> قال الألويسي عن التعدية: «لتضمينه معنى المغالبة، فإن المجادل والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم»<sup>(141)</sup> وحيء بالرؤية بالمضارع قال عنها أبو حيان: «وإن كانت الرؤية قد مضت إشارة إلى ما يمكن حدوثه بعد»<sup>(142)</sup> استحضاراً لرؤية جبريل عليه السلام، بل جاء المضارع مفيداً تجدها كما شهد الكون كله مدة تنزل القرآن؛ ثلاث وعشرين سنة .

(135) -لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، حسن عباس:51

(136) -البحر المحيط، أبوحيان:524/3

(137) -تفسير القرآن الكريم المائدة، محمد العثيمين:31/2

(138) -البغوي 247/4-248 والوسيط 97-98

(139) -أخرجه مسلم 161/1(178-291) والترمذي (3282) وأحمد في المسند 157/5-171 وأبو نعيم في الحلية 61/9

(140) -مفردات ألفاظ القرآن، الراغب:766

(141) -روح المعاني، الألويسي:50/27

(142) -البحر المحيط، أبوحيان:156/8

• حرف الوعاء:

معنى "في" كما جاء في الكتاب أنها: «للعواء، تقول هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغل، لأنه جعله إذا أدخله فيه كالوعاء له، وكذلك: هو في القبة، وفي الدار، وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله»<sup>(143)</sup> وقال المالقي: «معناها الوعاء حقيقة ومجازاً»<sup>(144)</sup> يقصد حساً ومعنى، واستعير لها الوعاء لأنه يحيط ما بداخله.

**أ- الظرفية:** قال الداني: «ومعنى الظرفية هو الأصل فيها ولا يثبت البصريون غيره»<sup>(145)</sup> وقال الصبان: «بأن يكون للظرف احتواء وللمظروف تحيز»<sup>(146)</sup> وأثبت لها دلالات تأولوها بحسب السياق، ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف:84] إذا كانت السماء هي العلو وأن الله عز وجل فيها، فما وجه دفع الإشكال في قوله: "وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ" قال محمد العثيمين: «فالظرف هنا لألوهيته؛ يعني: أن ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض؛ كما تقول: فلان أمير في المدينة ومكة؛ فهو نفسه في واحدة منهما، وفيهما جميعاً بإمارته وسلطته؛ فالله تعالى ألوهيته في السماء وفي الأرض، وأما هو عز وجل ففي السماء»<sup>(147)</sup> والسماء تعني العلو.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة:60] عدل عن اللام بعد أن ذكر الفقراء والمساكين والعاملين والمؤلفة قلوبهم، إلى (في) قال الزركشي: «إيدانا بأنهم أكثر استحقاق للتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام، لأن (في) للوعاء، فنبه باستعمالها على أنهم أحق بأن يجعلوا مظنةً لوضع الصدقات فيهم: كما يوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه، وفي تكرير حرف الظرف داخلاً على (سبيل الله) دليل على ترجيحه على الرقاب والغارمين»<sup>(148)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء:70] انصرف عن حرف الاستعلاء وعدل إلى حرف الوعاء، قال العلوي: «والظاهر هو العلو على الأرض والفلك، إعلاماً بأن حرف الوعاء أقعد وأمكن ههنا من حرف الاستعلاء، لأن (على) تشعر بالاستعلاء لا غير من غير تمكن واستقرار و" في" تشعر ههنا

(143) -الكتاب، سيبويه: 226/4

(144) -رصف المباني، المالقي(تح): أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (دط تا): 367

(145) -الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: 476

(146) -حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك، الصبان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (دط) 1947م: 326/2

(147) -شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد العثيمين: 399

(148) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 176/4



بالاستقرار والتمكن، ومن حق ما يكون مستقراً فيها متمكناً أن يكون مستعلياً له، فلما كانت "في" تؤذن بالمعنيين جميعاً أثرها، وعدل إليها، وأعرض عن "على" دلالة على المبالغة التي ذكرناها»<sup>(149)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:15] قال الزمخشري «قلت معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له، كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم»<sup>(150)</sup> والفعل أصلح يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء:90] نزل منزلة اللام ثم عددي بـ "في" قال الألوسي: «ليفيد بأن الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم»<sup>(151)</sup> وكونه كالظرف له لتمكنه فيهم.

وقوله تعالى: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصفات:55] الظرفية أي في وسطها، قال البغوي: «وإنما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه»<sup>(152)</sup> وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر:17] وكرر الظرفية "في" مع النار ومع الخلود، قال وهبة الزحيلي: «تأكيدا كقولهم: زيد في الدار قائم فيها»<sup>(153)</sup> وهي وعاء لداخلها أعادنا الله منها.

**ب- مراداً بها الاستعلاء:** يتداخل معنى الظرفية "في" مع الاستعلاء "على" في مواضع، ولذلك يقع بعضهما موقع بعض، قال البطليوسي: «معنى على: الإشراف والارتفاع، ومعنى في: الوعاء والاشتمال وهي خاصة بالأمكنة، ومكان الشيء قد يكون عاليا مرتفعا، وقد يكون متسقلا منخفضا، ويدل على ذلك استعمالهم فوق وتحت في الظروف، وأحدهما يدل على العلو، والآخر على السفلى»<sup>(154)</sup> وعدم إدراك هذا أثر سلبي في الفهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:16] السماء يراد بها العلو أو السقف، وحرف الجر "في" يحتمل وجهين: أحدهما: في على ظاهرها، و"مَن" تعني الله سبحانه، قال ابن تيمية: «أن الله في العلو لا في السفلى، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويجويه؟»<sup>(155)</sup> فالظرف ليس المظروف دائما، وفي القرآن ﴿ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة:26].

(149) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: 2/55، 56.

(150) - الكشاف، الزمخشري: 5/499.

(151) - روح المعاني، الألوسي: 26/19.

(152) - معالم التنزيل، البغوي: 7/41.

(153) - التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 14/468.

(154) - الاقتضاب، البطليوسي: 2/282.

(155) - مجموع فتاوى، ابن تيمية: 5/106، الأمالي، المرتضى: 2/168.

والظرفية بـ(في) تلزم المخلوق، قال الشنقيطي: «لأنه سبحانه منزه عن الظرفية بالمعنى المعروف والمنصوص في حق المخلوق، وقد دلت النصوص من السنة على نفي ذلك عنه تعالى، واستحالته عقلاً عليه سبحانه»<sup>(156)</sup> وذكر أبو حيان تقدير حذف مضاف: «أأمتم خالق من في السماء»<sup>(157)</sup> بمعنى خالق المخلوقات في السماء.

والظرفية لا يريد عز وجل الدخول في جوفها، وإنما يعني فوقها وعليها، والوجه الثاني: "في" للاستعلاء، والسماء السقف المحفوظ فيكون "من في السماء" من عليها؛ مراداً به الله سبحانه، قال البيهقي: «قد تضع العرب في "موضع" على" قال الله عز وجل: ﴿فَسَيِّئُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة:2] وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] ومعناه على الأرض، وعلى النخل فكذلك قوله في السماء، أي: على العرش فوق السماء، كما صحت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم»<sup>(158)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:71] انصرف المعنى للظرفية، قال الثعلبي: «لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور»<sup>(159)</sup> ولم يقل "على" كما ظن بعضهم، قال الزركشي: «لأن على للاستعلاء، والمصلوب لا يجعل على رءوس النخل، وإنما يُصلب في وسطها، فكانت (في) أحسن من على»<sup>(160)</sup> والعرب تجنح لهذا الأسلوب، قال علي ابن مسعود «لأن الداخل في الشيء من شأنه أن يكون هو المتحرك، فيتفق أن يجعل المتحرك المحتوى على الشيء داخلاً فيه على التوسع، فيطلق عليه لفظة "في" وإن كان ليس داخلاً على الحقيقة كما تقول أدخلت الخاتم في أصبعي وأدخلت خفي في رجلي»<sup>(161)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿فَسَيِّئُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل:36] آل عمران:137 والمراد عليها.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ سَلِّمْ سَلِّمْ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور:38] تحتل الظرفية، والاستعلاء قال أبو حيان: «أي يستمعون عليه أو منه، إذ حروف الجر قد يسد بعضها مسدّ بعض ومفعول "يَسْتَمِعُونَ" محذوف أي كلام الله تعالى»<sup>(162)</sup> وقال الألوسي: «السلم هو ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة، ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب؛ أي أم لهم سلم منصوب إلى السماء "يَسْتَمِعُونَ فِيهِ" أي صاعدين فيه... والظرفية على حقيقتها»<sup>(163)</sup> والاستفهام يأخذ شكله الاحتجاجي في إيقافهم على افتراءاتهم.

(156) -أضواء البيان، الشنقيطي: 425/5.

(157) -البحر المحيط، أبو حيان: 292/8.

(158) -الأسماء والصفات، البيهقي: 531.

(159) -فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1420هـ/2000م: 401.

(160) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 176/4.

(161) -المستوفى في النحو، علي بن مسعود الفرخان، (تح) بدوي المختون، دار الثقافة العربية، (دط) 1407هـ/1987م: 356.

(162) -البحر المحيط، أبو حيان: 149/8.

(163) -روح المعاني، الألوسي: 38/27.

**ج- في معنى الباء:** قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم:9] فيها عدة أقوال، قال الشنقيطي: «ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم، فالضمير الأول للرسل والثاني للكفار، وعلى هذا القول "في" بمعنى الباء، ويروى هذا القول عن مجاهد وقتادة ومحمد بن كعب، قال ابن جرير: وتوجيهه أن "في" هنا بمعنى الباء، قال: وقد سمع من العرب أدخلك الله بالجنة، يعني في الجنة»<sup>(164)</sup> ويمكن على ظاهرها، يؤيدها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعِظِ﴾ [آل عمران:119] وعض الأيدي عليها: حنقا لما جاءت به الرسل من الحق، وهي من سنن الله في التدافع بأن جعل للرسل أعداء.

ومنها أن الكفار جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم، وهو قول عبد الله ابن مسعود، وعبد الرحمن بن أسلم، ومعنى ذلك أن "في" بمعنى: "إلى" «مستدلين بأن ردّ تتعدى أيضا بـ "إلى" وهذا المعنى تتحقق فيه الغائية مع الظرفية؛ لأن الأفواه ظروف في المعنى وغاية لردهم»<sup>(165)</sup> فقد يشير الكفار إلى أفواههم للرسل المتكلم أن اسكت، واحتمل أن بمسك الكفار أيدي الرسل فيجعلونها في أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم!! فالمظروف المردود إليه بـ "إلى" إما أفواه الكفار، وإما أفواه الرسل عليهم السلام.

**د- في معنى إلى:** من ذلك دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:129] وجاءت آية أخرى شبيهة بها ولكن الخطاب من الله قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ﴾ [البقرة:151] وجاء في كليهما: "في" بمعنى إلى أو اللام، قال ابن عاشور: «وإنما قال فيهم ولم يقل لهم لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة، فلا يكون ذلك الرسول رسولا إليهم فقط، ولذلك حذف متعلق رسولا ليعم... ومظهر هذه الدعوة هو محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما»<sup>(166)</sup> ونعمة الرسول هي أعظم المنن وأتمها، وخصوصا إذا أدركت.

وقيمة الرسول تعرف بقيمة ما جاء به، قال محمد العثيمين: «لا يمكن أن نعرف أن هذا مما يرضاه الله أن نتعبده به، وهذا مما لا يرضاه إلا بواسطة الرسل؛ ولو أن الإنسان وكل إلى عقله في العبادة ما عرف كيف يعبد الله؛ ولو وكل إلى عقله في العبادة ما اجتمع الناس على عبادة الله: لكان كل واحد يقول: هذا هو الصواب؛ ولو أن الإنسان وكل إلى عقله في العبادة ما كانت أمتنا أمة واحدة»<sup>(167)</sup> ولفظة فيهم التي أحدثت هذا الخير العام، هو بركة دعاءهما عليهما السلام إبراهيم وإسماعيل.

(164) -أضواء البيان، الشنقيطي: 126/3

(165) -معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م: 752/2

(166) -التحريير والتنوير، ابن عاشور: 722/1

(167) -تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة، محمد العثيمين: 161/2

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ:2] عدي العروج بالظرف "فيها" والأصل تعديته بالغاية "إلى" كما في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:4] قال العثيمين: ﴿يَعْرُجُ فِيهَا﴾ مضمناً معنى "يدخل" فيصير المعنى: وما يعرج فيدخل فيها وعليه، يكون في الآية دلالة على أمرين: على عروج ودخول<sup>(168)</sup> لأنه لا دخول في السماء إلا بعد العروج، الفعل يعرج ضمن معنى يتلاءم حرف الوعاء، وأفاد معنيي العروج والدخول، وقيل هو من تناوب الحروف.

**هـ- في للمقايسة:** قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد:26] الأصل في دلالات "في" الظرفية ولا يثبت البصريون غيره ولكن تجيء أيضاً لدلالة «المقايسة»<sup>(169)</sup> قال الصبان: «المقايسة: أن ما قبلها ملحوظ بالمقاييس لما بعدها، أو هي الواقعة بين مفضول سابق وفاضل لاحق كما في المغني ويظهر لي صحة العكس أيضاً»<sup>(170)</sup> وقايس نعيم الدنيا بالآخرة، قال الزمخشري: «ونعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نرزا يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تمرات أو شربة سويق أو نحو ذلك»<sup>(171)</sup>.

**و- في بمعنى "من":** أي ابتداء الغاية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل:89] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات:64] في تفيد معنى مرادفه: من.

**ز- في بمعنى "عن":** قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء:72] قال الزمخشري: «والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر، وأما في الآخرة؛ فلأنه لا ينفعه الاهتداء»<sup>(172)</sup> والمعنى عن هذه.

وعلى العموم أن حروف الجر هي حروف معاني توظف حججاً حسب السياق الذي ترد فيه، ولا تقوم مقام بعضها البعض، فتخرج إلى دلالات غير دلالاتها الأصلية، وقد ضلت فرق عند قضايا عقدية لما اكتفت بالمعنى المعجمي لبعض الحروف دون أن تراعي المعنى السياقي لها.

(168) - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد العثيمين: 192/1

(169) - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: 251

(170) - حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية بن مالك: 327/2

(171) - الكشاف، الزمخشري: 350/3

(172) - م، ن: 538/3

• **توطئة:**

العطف من عطفت الشيء «أملته، وانعطف الشيء انعاج...وعطفا كل شيء جانباه»<sup>(1)</sup> وهو اللَّي والانشاء، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج:9] أي: لاوي عنقه، وهو قسمان عطف البيان، وعطف النسق وهذا الأخير هو المقصود هنا في البحث، قال عبد الحميد: «النسق بفتح النون وسكون السين، فهو مصدر قولك: "نسقت الكلام" إذا كنت قد عطفت بعضه على بعض»<sup>(2)</sup> يعني طريقة الكلام على نظام واحد؛ وقال أبوحيان: «النسق عبارة الكوفيين، وأكثر ما يقول سيبويه: باب الشَّرْكَ»<sup>(3)</sup> واصطلاحاً: هو «التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف»<sup>(4)</sup> وهو ما يميزه عن عطف البيان.

• **أسلوب أو:**

تأتي الحرف "أو" ملازماً للعطف وتخرج لعدة معاني قال سيبويه: «وأما أو فإنما يثبت بها بعض الأشياء، وتكون في الخبر والاستفهام»<sup>(5)</sup> وعدت حرف من الأضداد، قال ابن الأنباري: «تكون بمعنى الشك في قولهم يقوم هذا أو هذا، أي يقوم أحدهما، وتكون عاطفة، في الشيء المعلوم الذي لا شك فيه»<sup>(6)</sup> وقال السيوطي: «تجيء لإحدى الشئين أو الأشياء»<sup>(7)</sup> كمجيئها بعد الاستفهام بقولك: «أزيد عندك أو بكر؟ تريد أحدهما عندك؟ فالجواب "لا أو نعم"، وإذا جعلت مكانها "أم" فأنت مثبت أحدهما غير أنك شك في عينه»<sup>(8)</sup> ومجيئها في الخبر كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:89] بإثبات التخخير.

قال ابن هشام: «ذكرها يشعر السامع بمشاركة ما قبلها لما بعدها فيما سيقى لأجله من شك وغيره، وقد يذكر ما قبلها دون تردد يوجب إلى "أو" ثم يحدث ما يوجب إليها فتذكر، وتعرض مشاركة ما قبلها بما بعدها فيما يقتضيه»<sup>(9)</sup> فتعلقها بطرفين أشكلت على الفهم.

(1) - كتاب العين، الفراهيدي (تح) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م: 182/3

(2) - عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد: 353/3

(3) - ارتشاف الضرب، أبوحيان، (تح) رجب عثمان ورمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1998م: 1975

(4) - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، اللبدي: 224

(5) - الكتاب، سيبويه: 169/3

(6) - الأضداد، ابن الأنباري، (تح) أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، (دط)، 1407هـ/1987م: 278

(7) - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي: 247/5

(8) - الصاحي في فقه اللغة، ابن فارس: 99

(9) - شرح الكافية الشافية، ابن مالك: 538، 537/1

**أ- إثبات الشيء والأشياء بها:** يثبت بها شيئاً أو شيئين أو بعض الأشياء في حالة مجيئها بعد الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف:40] حيث جاءت الآية بأسلوب التعجيب المستفهم، إشارة إلى تعلق الهداية بالله، وأن الله لم يهدهم، قال الألوسي: «لا يزيدون إلا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة، وتصامما عما يسمعون من بينات القرآن»<sup>(10)</sup> فأثبت لهم الصمم المقرون بالعمى.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ\* أَوْ يَنْعَمُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:72-73] ثلاثة أشياء: السمع، النفع، والضرر، وهي من معاني الربوبية، أوردها إبراهيم عليه السلام للإفحام، بحيث أنها غير موجودة ومنعدمة في آلتهم المدعاة، وأوردها بالسؤال، قال سيوييه: «وإنما أدخلت هل ههنا لأنك إنما تقول: أعلمني»<sup>(11)</sup> وقد علموا أنها لا تملك لهم سمعا ولا نفعاً ولا ضراً؟ ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ نُحِيسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَّهُمْ رِكْرًا﴾ [مریم:98] فأثبت شيئين.

فإذا أدخل النهي على شيء من الأشياء لا يثبت أحد منهم البتة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:24] قال سيوييه: «أي: لا تطع أحداً من هؤلاء»<sup>(12)</sup> وجاء في المغني: «وإذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع إذ المعنى: لا تطع أحدهما فأيهما فعله فهو أحدهما»<sup>(13)</sup> قال ابن عاشور: «ومقتضى الظاهر أن يقول ولا تطعهم، أو ولا تطع منهم أحداً، فعدل عنه إلى "آثِمًا أَوْ كَفُورًا" للإشارة بالوصفين إلى أن طاعتهم تفضي إلى ارتكاب إثم أو كفر... فكان ذكر أحد الوصفين مغنياً عن الآخر ولكن جمع بينهما لتشويه حال المتصف بها قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:176]»<sup>(14)</sup>.

وقد لا يؤتى بـ"أو" للتخيير خاصة إذا تعلق أحكام بها كما في كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة:33] قال الماوردي: «منها أنها على التخيير وأن الإمام فيهم بالخيار بين أن يقتل أو يصلب أو يقطع أو ينفي، وهذا قول سعيد ابن المسيب ومجاهد وعطاء وإبراهيم، والثاني: أنها مرتبة تختلف على قدر اختلاف الأفعال... وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي»<sup>(15)</sup> كذلك إثبات الأمرين معا "التقتيل والتصليب" دون تخير، مثل ما

<sup>(10)</sup> -روح المعاني: الألوسي: 84/25

<sup>(11)</sup> -الكتاب، سيوييه: 177/3

<sup>(12)</sup> -م، ن: 184/3

<sup>(13)</sup> -مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 62/1

<sup>(14)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 404/29

<sup>(15)</sup> -النكت والعيون، الماوردي: 33/2

روى البيهقي في سننه عن ابن جريح قال: «كل شيء في القرآن فيه "أو" للتخيير، إلا قوله تعالى: ﴿أَنْ يُقَاتِلُوا أَوْ يُصَالِبُوا﴾ [المائدة: 33] ليس بمخير فيهما، قال الشافعي: وبهذا أقول»<sup>(16)</sup>.

**ب- أو بمعنى بالواو:** و هو الملازم لـ(أو)، وللكوفيين احتجاجات من القرآن الكريم إذ خرجوا الآيات المعطوفة بـ(أو) بمعنى الواو وبل من ذلك: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: 6] فهي إذا أمن اللبس بمعنى الواو، قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: 44] وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113] قال الشنقيطي: «إذ جعلوا أو بمعنى: الواو أي: لأجل الإعذار والإنذار كمجيء ذلك في قول عمرو بن معد يكرب:

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم \*\*\* ما بين ملحم مهرد أو سافع. أي: وسافع»<sup>(17)</sup>

وكقول قول جرير: جاء الخلافة أو كانت له قدرا \*\*\* كما أتى ربّه موسى على قدر<sup>(18)</sup>

**ج- معنى الإبهام:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24] فأبهم من هو الطرف المهتدي ومن هو الضال وكل يعرف حقيقة دخيلته، قال إميل بديع: «فخرج الكلام مخرج الشك لضرب من المسامحة وحسم العناد... فالله سبحانه وتعالى، يعلم أنه على الهدى وأنهم على الضلال لكنه أخرج الكلام مخرج الشك مسامحة»<sup>(19)</sup> وحفاظا على استمرارية الحوار، والدعوة إلى الله بالأخلاق والحكمة.

أما الفراء فقال: «وإننا لعلى هدى وأنتم في ضلال مبين، معنى "أو" معنى الواو عندهم، وكذلك هو في المعنى، غير أن العربية على غير ذلك: لا تكون "أو" بمنزلة الواو... والمعنى في قوله "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ" إنا لضالون أو مهتدون، وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال: الضالون، فأنت تقول في الكلام للرجل: إن أحدنا لكاذب، فكذبه تكذيبا غير مكشوف، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير: أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عُرف»<sup>(20)</sup> ويمثله قال الزجاج: «إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين، وإنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين... ويؤول معنى الآية إلى: إِنَّا لِمَا أَقْمَنَا مِنَ الْبُرْهَانِ لَعَلَىٰ هُدًى، وإنكم لنفي ضلال مبين»<sup>(21)</sup> فآل معناها إلى الواو وإن احتملت أوجها صيغت للتلطف بالخصم.

<sup>(16)</sup> -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 213/4

<sup>(17)</sup> -أضواء البيان، محمد الأمن الشنقيطي: 686/8

<sup>(18)</sup> -ينظر: خزنة الأدب، البغدادي(تح) عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م: 69/11

<sup>(19)</sup> -موسوعة علوم اللغة العربية، إميل يعقوب بديع: 298/1

<sup>(20)</sup> -معاني القرآن، الفراء: 362/2

<sup>(21)</sup> -معاني القرآن، الزجاج: 253/4، أمالي ابن الشجري، هبة الله ابن علي: 72/3

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: 147] حيث أجزاها الكوفيون بمعنى: الواو، ويعزز تخريجهم ما روي من أن جعفر بن محمد قرأها بالواو: «وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون»<sup>(22)</sup> وكذلك عندهم ترد للإضراب قال الفراء: «أو ههنا بمعنى: بل، كذلك في التفسير مع صحته في العربية»<sup>(23)</sup> وحزم الفراء في موضع آخر مشددا على أنها بمعنى "بل": «من زعم أن "أو" في هذه الآية يقصد آية الصفات على غير المعنى "بل" فقد افترى على الله، لأن الله تبارك وتعالى لا يشك»<sup>(24)</sup> والتوجيهات قصدها حسن لتنزيه المولى عز وجل.

أما البصريون أبقوها على الوضع والمراد به الشك والتخيير، وعزاه ابن الشجري إلى سيبويه، إذ المعنى: «أنه إذا رآهم الرائي يخير في أن يقول هم مئة ألف وأن يقول يزيدون»<sup>(25)</sup> وتمسكوا بالوضع وكذلك أثبتها الأخفش على حالها بقول: «كانوا كذاك عندكم»<sup>(26)</sup> وفي موضع آخر قال: «فإنما يقول: أرسلناه إلى مائة ألف عند الناس، ثم قال: أو يزيدون عند الناس لأن الله تبارك وتعالى لا يكون منه شك»<sup>(27)</sup> فأسند التقدير إلى الرائي.

وأما رأي ابن جني فقال: «وأرسلناه إلى جمع لو رأيتهم لقلت أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون، فهذا الشك إنما دخل الكلام على الحكاية لقول المخلوقين، لأن الخالق جل جلاله و تقدست أسماؤه لا يعترضه الشك في شيء من خبره»<sup>(28)</sup> ورد ابن تيمية على الذين زعموا أن "أو" باقية على وضعها بالشك: «وقول من قال أو بمعنى الواو أو لتشكيك المخاطبين، فإن الله سبحانه يريد بالأمثال البيان و التفهيم، لا يريد التشكيك والإبهام»<sup>(29)</sup> فالشك ليس الوحيد بل تخرج لدلالات أخرى.

والآية هنا في حالة إخبار عن يونس عليه السلام وقومه، قال ابن تيمية: «والعطف "أو" إذا دخل الخبر دل على الشك والإبهام، وإذا دخل الأمر والنهي دل على التخيير أو الإباحة»<sup>(30)</sup> وقال ابن القيم عن السر في مجيئها في هذه المواضع «تقرير المذكور قبلها... والمعنى إن لم يزيدوا على المائة ألف لم ينقصوا عنها، فهو تقرير لنصيحة

(22) -المحتسب، ابن جني: 2/226، البحر: 6/360، معجم القراءات، أحمد مختار وعبد العال مكرم: 5/248

(23) -معاني القرآن، الفراء: 2/393، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف الزبيدي: 75

(24) -معاني القرآن، الفراء: 1/250، الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 99

(25) -مجاز القرآن، أبو عبيدة: 2/175، المقتضب، المراد: 3/304، أمالي ابن الشجري، هبة الله ابن علي: 3/77

(26) -معاني القرآن، الأخفش الأوسط: 491

(27) -م، ن: 1/34

(28) -سر صناعة الإعراب، ابن جني، (تح) حسن هندداوي: 1/406

(29) -مجموع الفتاوي، ابن تيمية: 7/277

(30) -الصالح، الجوهري: 6/2274، مجموع الفتاوي، ابن تيمية: 7/276



عدد المائة الألف فتأمله»<sup>(31)</sup> وأجمل ابن فارس القول: «قال قوم: هي بمعنى الإباحة، كأنه قال: إذا قال قائل: هم مائة ألف فقد صدق، وإن قال غيره: بل يزيدون على مائة ألف فقد صدق»<sup>(32)</sup> وكأنه ترك الآية على حالها.

**د- معنى التنويع:** وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74] قال الزجاج «قست في اللغة غلظت ويست وعسيت، فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع، من القلب، والقاسي والعاسي: الشديداً الصلابة»<sup>(33)</sup> ومعنى التنويع أورده أبو حيان في جملة المعاني ومال إليه، فقال: «وكان قلوبهم على قسمين قلوب كالحجارة قسوة، وقلوب أشد قسوة من الحجارة، فأجمل ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ثم فصل ونوع إلى مشبه بالحجارة، وإلى أشد منها إذ ما كان أشد كان مشاركاً في مطلق القسوة، ثم امتاز بالأشدية، وانتصاب قسوة على التمييز وهو من حيث المعنى تقتضيه الكاف، ويقتضيه أفعال التفضيل»<sup>(34)</sup> والظاهر أنه قريب من معنى إثبات الشيء والشيئين.

**هـ- الإباحة:** ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110] جاءت أو للإباحة، ويشاركها الفعل أدعوا الذي يتحكم في المعنى، فإذا كان الدعاء بمعنى النداء فإنه متعد لمفعول واحد، وهو محمول على الإباحة، ويعضده سبب النزول حيث قال الطبري: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات يوم فدعا الله تعالى فقال في دعائه: يا الله يا رحمن، فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو إلهين اثنين: الله والرحمن، فنزلت»<sup>(35)</sup>.

والإباحة هنا استعمال أحد الاسمين الجليلين: الله أو الرحمن في ندائه ودعائه، والمقصود اللفظ، قال الألوسي: «كما تقول نادي النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد أو بأحمد، مع أن اختلاف مفهوميهما يكفي لصحته»<sup>(36)</sup> وإذا كان الدعاء بمعنى التسمية فيتعدي لمفعولين، قال الزمخشري: «والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول دعوته زيداً، ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال: دعوت زيداً»<sup>(37)</sup> لكن الاسمين خص بهما

<sup>(31)</sup> -مدارج السالكين، ابن القيم: 3/337

<sup>(32)</sup> -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 171.

<sup>(33)</sup> -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 1/155، مجموع الفتاوى، ابن تيمية: 7/30

<sup>(34)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 1/428

<sup>(35)</sup> -جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) شاكر: 15/210

<sup>(36)</sup> -روح المعاني، الألوسي: 15/242

<sup>(37)</sup> -الكشاف، الزمخشري: 2/378

رب العالمين فجيء بها للإباحة، قال الأصهباني: «إن دعوت بأحدهما كان جائزاً، وإن دعوت بهما جميعاً كان جائزاً، وهذان الاسمان ممنوعان، أي: لم يتسم بهما غير الله تعالى»<sup>(38)</sup> ومعناها التسوية التي لا تفاضل فيها.

والتسمية لا تنفك عن النداء، قال ابن القيم: «معناه المعهود المطرد في القرآن، وهو دعاء السؤال ودعاء الشاء، ولكنه متضمنٌ معنى التسمية، فليس المراد مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل التسمية الواقعة في دعاء الشاء والطلب، فعلى هذا يصح أن يكون في (تدعوا) معنى (تسموا) فتأمله. والمعنى: أي ما تسموا في ثنائكم ودعائكم وسؤالكم»<sup>(39)</sup> فالتسمية لا تكون مفرغة من مضمونها الحقيقي.

وأكثر ورود (أو) للإباحة تأتي في التشبيه أو التقدير، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 77] قال البيضاوي: «قيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى، فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب، مبالغة في استقراجه»<sup>(40)</sup> و"أو" للتخيير أو بل، فأفادت سرعة وسهولة قيام الساعة عند الله، وعلق ابن مالك في تشبيهه أو بالواو بقوله: «فلو جيء بالواو في مثل هذا من الكلام لم يختلف المعنى»<sup>(41)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 9].

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ \* صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ \* أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 19] أو هنا للإباحة «فالمعنى أن التمثيل مباح لكم في المنافقين، إن مثلتموهم بالذي استوقد نارا فذاك مثلهم، وإن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهذا مثلهم، أو مثلتموهم بهما جميعاً فهما مثلاهم، كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فكلاهما أهل أن يجالس، إن جالست الحسن فأنت مطيع، وإن جمعتهما فأنت مطيع»<sup>(42)</sup> وبالجملة فإن مصير أو العاطفة بيد السياق، وورودها بين الخبر والطلب يتحدد على ضوءه معنى الآيات القرآنية.

<sup>(38)</sup> - إعراب القرآن، للأصهباني قوام السنة: 206

<sup>(39)</sup> - بدائع الفوائد، ابن القيم: 8/3

<sup>(40)</sup> - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 2/273

<sup>(41)</sup> - شرح الكافية الشافية، ابن مالك: 1/549

<sup>(42)</sup> - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 1/96

• **أسلوب بل:**

تأتي دلالة بل في اللغة مراداً بها (الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه)<sup>(43)</sup> مما يتوهم أن شيئاً ما استبان، قال المالقي: «إما تركا له وأخذاً في غيره، لمعنى يظهر له... وإما لغلطه بذكر لفظه وأنت تريد غيره»<sup>(44)</sup> ثم يتبين أن الأولى غيره الذي صدر منك، فكأنها وضعت (للتدراك)<sup>(45)</sup> وهذا ما جاءت عليه في الأسلوب العربي.

قال المرادي: «تدخل على المفرد فتكون حرف عطف، ومعناها الإضراب»<sup>(46)</sup> مسبقاً بنهي أو نفي أو أمر أو إيجاب، أمّا دخولها على الجملة فقال ابن مالك: «فإن كان الواقع بعدها جملة فهي للتنبية على انتهاء غرض واستئناف غيره، ولا تكون في القرآن إلا على هذه الوجه»<sup>(47)</sup> ولأجل حالها المختلف، رأى أبو حيان<sup>(48)</sup> وتابعه الزركشي<sup>(49)</sup> أنها مع الإبطال حرف ابتداء واستئناف، ومع الانتقال حرف عطف، قال ابن فارس: «الكوفيون لا ينشئون بها إلا بعد نفي... والبصريون يقولون: لما كانت "بل" تقع للإضراب، وكنا نضرب عن النفي وقعت بعد الإيجاب كوقوعها بعد النفي و"لا بل" مثلها»<sup>(50)</sup> فاختلف في النسق بما بين الإثبات والنفي.

وأسلوب الإضراب: (هو التوقف والعدول عن حكم ما لإحاطته ونقله إلى آخر... والإبطال مصدر الفعل أبطل، ويقال: أبطلت الشيء أي عطلته وجعلته يذهب خسراً وضياعاً، وفي الاصطلاح: هو إسقاط الحكم والغاؤه)<sup>(51)</sup> فهو أحد وجهيه وقسيماً لمصطلح الانتقال من وصف إلى وصف، ولكن مصطلحات النحو: كالإبطال والإعراض وغيرها، جعلت من أراد تنزيه القرآن أراد دفع هذا الوهم الذي يتسرب من المصطلح ظناً منه أنه في لغة القرآن، ولا شك أن مقصده حسن، والقرآن لا يجوز عليه شيء من هذا الاستدراك؛ لأنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42] كما لا يجوز القفز على الوضع؛ لأنه حينئذ لا يكون لدينا مستند لغوي، وبديهي أن الوضع من أساسيات الفهم والتفاهم.

(43) - ينظر: التعريفات، علي الجرجاني: 45

(44) - رصف المباني، المالقي (تح): أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (دط تا): 230

(45) - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: 141

(46) - الجنى الداني، المرادي (تح) فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الكتب العلمية بيروت، ط1، 1413هـ/1992م: 235

(47) - شرح الرضى على الكافية، رضى الدين الأستراباذي: 1233/3

(48) - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 258/4

(49) - ينظر: التذييل والتكميل، أبو حيان، (تح) حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، (دط تا): 170/4

(50) - الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: 117

(51) - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي: 22

والاستعمال القرآني لهاته الأدوات شيء آخر، يوضحه السياق ويفسره، فقد يكون الكلام من المخلوق والإبطال من الخالق، وقد يكون الكلام من المخلوق والإبطال من المخلوق، ولكل سببه ودلالته، من حيث إيراد الشبهات وتفنيدها، ومن حيث إتيان الإضراب على وجه من وجوه التأكيد.

**1-إفادة بل التقرير والتحقيق بين جمل مختلفة:** يكون في هذه الحالة حكم ما بعدها، قال ابن القيم: «شبيهه بمصحوب "قد"، وتجريد العناية بالكلام إلى ما بعده أهم عندهم من الاعتناء بما قبله»<sup>(52)</sup> كقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: 16] أفادت الانتقال من معنى إلى معنى آخر، وقررت الإثبات في الجملة الأخيرة.

وقوله تعالى: كقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: 17] فهو انتقال من وصف عن وصف كما بعدها في قوله: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ\* وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا\* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20، 18، 19] من أكلهم التراث، وحبهم المال، وإهمال المسكين، ودخلت على عدم إكرام اليتيم؛ لأن المقصود تقرير هذا النفي وتحقيقه، فقد كان يشيع في المجتمع الجاهلي هذه الأخلاقيات التي يأكل فيها القوي الضعيف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا أَنَاكُم عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: 40، 41] تقرير لترك دعائهم آلهتهم، وتقرير لدعائهم الإله الحق، ويكون وقت نزول العذاب، أو الساعة، قال ابن القيم: «إذا نزل بكم هذا الأمر العظيم لا تدعون غير الله، بل تدعونه وحده... فيدخل في مثل ذلك على مقرر بعد مقرر، والأول تارة يكون تقريره توطئةً للثاني»<sup>(53)</sup> فالإضراب لإبطال دعوة غير الله.

**2-إفادة بل التقرير والتحقيق بين جملتين متضادتين:** وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: 154] أموات وأحياء؛ أموات بغيابهم من دنيانا، وأحياء على الحقيقة التي نعتقدها عند الله عز وجل، قال ابن القيم: «فوقعت بين جملتين متضادتين أفادت تقرير كل واحدة منهما... فالمقصود تقرير الطلب والخبر»<sup>(54)</sup> ودخلت "بل" على الثانية لإفادة التوكيد، وتصحيح قضية موت الشهداء.

وكقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44] الجملة الأولى هنا: كالأنعام؛ وهي موطئة لما بعدها، والجملة الثانية هي: أضل من الأنعام، فأقرت "بل" الجملتين، ودخلت على الثانية للاهتمام بها، وإدراك أن هؤلاء زادوا على الأنعام كثيرا دل عليه التفضيل.

(52) - بدائع الفوائد، ابن القيم: 4/1656

(53) - م، ن: 4/1657

(54) - م، ن: 4/1657

قوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ﴿[الأنبياء: 39، 40] الإضراب لا عمل له لدخوله على الجملة الفعلية، قال القنوجي: «إضراب انتقالي من بيان السبب إلى بيان كيفية الموعود»<sup>(55)</sup> فذكر السبب توطئة لما هو أشد، أو أن تقدير الإضراب: قال ابن عطية: «إن الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم بل تأتيهم بغتة»<sup>(56)</sup> والبيغته الفجأة من غير مقدمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31] بل: نفي الأول وإثبات الثاني، ومعنى النفي كأنه يقول: دعك من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى، قال وهبة الزحيلي: «بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات، إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك، لعلمه بأن قلوبهم لا تدين له»<sup>(57)</sup> ووظيفة القرآن ليست هذه.

**3- إفادة بل التقرير بعد كلام مردود:** قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 26] للإضراب والاستئناف، والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب، والإضراب إبطلائي للكلام الأول؛ والمقصود إبطال بنوة الملائكة، والمعلوم عند الناس أن العبودية تنافي الولادة؛ فلا يكون عبد الإنسان من ولده، وتقرير حقيقتهم أنهم ليسوا كذلك "بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ"، ومثله في التقرير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 70] إضراب إبطلائي، المقصود به إبطال كلام الكفار.

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: 8] قال الألوسي: «إضراب عن مجموع الكلامين السابقين: حديث الحسد في قوله "أَنْزَلَ" ألخ وحديث الشك في قوله تعالى "بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ" أي لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال ما بهم من الحسد والشك»<sup>(58)</sup> والأخيرة للانتقال، ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: 3] قال السمين: «والإضراب هنا على القاعدة المقررة في القرآن أنه إضراب انتقال لا إضراب إبطلال»<sup>(59)</sup> وهذا ما قرره ابن مالك في شرح التسهيل حيث جعل (بل) تدخل على «مقرر بعد مردود»<sup>(60)</sup> فيكون من وصف لوصف.

(55) -فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي: 329/8

(56) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 170/6

(57) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 183/7

(58) -روح المعاني، الألوسي: 168/23

(59) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 195/6

(60) -شرح التسهيل، ابن مالك: 369/3

**4-إفادة بل التكرار:** قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْعَاطُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ [الأنبياء:5] بل حرف إضراب واستئناف لا عمل لها، لأن بعدها جمل، ومعنى المحكي عنهم الذي قرروه: أن الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم: أضغاث أحلام؛ وافتراء وشاعر، قال ابن القيم: «وهذه الثلاث لم يقصدوا إبطال ما قبل كل واحدة، بل قصدوا أولوية المتأخر بالقصد إليه والاعتماد عليه مع ثبوت ما قبله»<sup>(61)</sup> و"بل" الأخيرة للعناية بها والتوكيد، فهي تزيد لغالب ما كان يصدر منهم.

**5-إفادة بل التقرير بعد القسم:** قال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ\*بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:1،2] لأن القسم جاء للتقرير ولتصحيح الحكم الذي قبله وإبطال ما بعده، قال الأخفش: «وقع القسم وذلك أنهم زعموا أن "بل" ههنا إنما هي: إن، فلذلك صار القسم عليها»<sup>(62)</sup> وقال ابن القيم: «ومن موارد ما مجيئها بعد قسم لم يُدكَر جوابه فيتضمن تحقيق ما بعدها وتقريره، ويتضمن ذلك مع القسم تحقيق ما قصد بالقسم وتقريره»<sup>(63)</sup> وتحقيق ما بعدها، قال ابن فارس: «ومعناها: إن الذين كفروا في عزة قالوا: وذلك أن القسم لا بد له من جواب»<sup>(64)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [ق:2].

**6-بل العاطفة على جملة في التركيب:** قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:88] بل: حرف: إضراب وعطف، ولأن بعدها جملة فلا تعطف، وغلف: إما جمع أغلف الذي لم يختن على طبيعته، أو جمع لغلاف، فهي في كلا المعنيين مغطاة وعليها غشاوة، قال السمين: «أن قلوبنا أوعية للعلم فهي غير محتاجة إلى علم آخر، والتغليف كالتغشية في المعنى»<sup>(65)</sup> وهي هنا للاستئناف لإبطال الحكم الأول، قال أبو حيان: «النسبة التي تضمنها قولهم إن قلوبهم غلف لأنها خلقت متمكنة مفطورة لإدراك الصواب، فأخبروا عنها بما لم تخلق عليه»<sup>(66)</sup> بالكذب لعدم قبولهم الحق، ودافع قولهم: إسكات الرسول صلّى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:135] الإضراب إبطالي «لأنها تبطل ما سبق؛ يعني: بل لا نتبع ولا نكون هودا، ولا نصارى بل ملة إبراهيم»<sup>(67)</sup> وملة إبراهيم هي التوحيد الخالص والإسلام الذي جاء به عليه السلام، وهي مفعول به لفعل محذوف تقديره: نتبع.

(61) -بدائع الفوائد، ابن القيم:4/ 1658

(62) -معاني القرآن، الأخفش 1/20-21

(63) -م، س:4/ 1659

(64) -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:117

(65) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي:1/501

(66) -البحر المحيط، أبو حيان:1/470

(67) -تفسير القرآن الكريم الفاتحة -البقرة، محمد العثيمين:2/84

قال تعالى: ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100] الإضراب للانتقال قال محمد العثيمين: «من وصف نقض العهد ونبذته، إلى وصف عدم الإيمان؛ فعليه يكون هذا الإضراب إثباتاً لما قبله، وزيادة وصف؛ وهو انتفاء الإيمان عن أكثرهم... ولو أنهم آمنوا ما نقضوا العهد الذي بينهم وبين الله، أو الذي بينهم وبين عباد الله»<sup>(68)</sup> وقال السمين: «أكثرهم معطوف على فريق»<sup>(69)</sup> عطف المفردات.

قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: 28] قال أبو حيان «بل: هنا للإضراب والانتقال من شيء إلى شيء آخر من غير إبطال لما سبق، وهكذا يجيء كتاب الله تعالى إذا كان ما بعدها إخبار الله تعالى لا على سبيل الحكاية عن قوم، فتكون (بل) فيه للإضراب كقوله: ﴿بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: 5]»<sup>(70)</sup> وهو إضراب لإبطال قولهم: ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27] «أي بل لن يؤمنوا ولو ردوا»<sup>(71)</sup> لأهم كاذبون.

ومثله قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 42] قال ابن عطية التقدير: «كأنه قال ليس لهم مانع ولا كالي»<sup>(72)</sup> الإضراب للإبطال.

**7- بل العاطفة على جملة ليست في التركيب:** قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 150] الكلام معطوف قال محي الدين الدرويش: «كأنه قيل: فليسوا أنصاراً لكم حتى تطيعوهم بل الله، وقرئ الله بالنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: بل أطيعوا الله»<sup>(73)</sup> وبل: حرف إضراب وعطف

قال تعالى: ﴿قَالَ لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: 259] العطف جملة على جملة محذوفة، قال أبو حيان التقدير: «قال ما لبثت هذه المدة بل لبثت مائة عام»<sup>(74)</sup> فقدر لها جملة ليست جملة التركيب.

**8- إثبات "بل" وحذفها:** يؤتى بها ومحذفها حسب السياق الذي ترد فيه، فلما كانت إجابة على سؤال إبراهيم عليه السلام، جيء في جوابهم محذوفة، قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 53] لأنه لا

<sup>(68)</sup> -م، ن: 323/1

<sup>(69)</sup> -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 26/2

<sup>(70)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 107/4

<sup>(71)</sup> -تفسير القرآن الكريم سورة الأنعام، محمد العثيمين: 146/1

<sup>(72)</sup> -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 171/6

<sup>(73)</sup> -إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويش: 544/1

<sup>(74)</sup> -البحر المحيط، أبو حيان: 303/2

يستدعي الإضراب، ولما كان سؤاله استفهام إنكاري مراداً به النفي قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكُمْ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء:73] فكأنهم أجابوا: لا هم لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضررون ولكن وجدنا آباءنا يعبدونهم.

**9-بل بمعنى أم:** قوله تعالى: ﴿بَلِ ادْرَاكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [التمل:66] قال الفراء: «والعرب تجعل "بل" مكان "أم" و "أم" مكان "بل" إذا كان في أول الكلام استفهام، مثل قول الشاعر: فو الله ما أدري أسلمى تغولت \*\*\* أم النوم أم كل إلي حبيب»<sup>(75)</sup> "أم" الثانية بمعنى "بل".

وليس القصد نفي إدراك علمهم في الآخرة، ولا نفي شكهم فيها، وإنما هو الانتقال من مقرر إلى مقرر وإعطاء الأولوية لجملة "العمين" قال أبوحيان: «لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم، وهو جمع عم: وهو أعمى القلب والبصيرة، وهو أبلغ مما قبله»<sup>(76)</sup> والاستفهام بها «أشبه بالاستهزاء بأهل الجحد، كقولك للرجل تكذبه: بلى لعمرى لقد أدركت السلف فأنت تروي ما لا نروي، وأنت تكذبه»<sup>(77)</sup> وحاصل الكلام أن أسلوب الإضراب تتحدد دلالاته من السياق الذي يرد فيه.

<sup>(75)</sup> -معاني القرآن، الفراء:2/299

<sup>(76)</sup> -التفسير المنير، الزحيلي:10/373

<sup>(77)</sup> -م، س:2/300



• أسلوب "ثم":

"ثم" حرف ثلاثي يشرك المعطوف مع المعطوف عليه لفظا وحكما، مع إفادته التراخي والترتيب، والتراخي (ويقصد بالتراخي هنا المهلة والانفصال الزمني)<sup>(78)</sup> أما الترتيب فيكون في ذكر المتعاطفين بتقديم أولهما، وأحصى الشيخ عزيمة أن "ثم" جاءت: «في ثلاثمئة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم وجاءت في هذه المواضع عاطفة للجملة ولل فعل المنصوب والمجزوم وللجار والمجرور فلم تقع في القرآن عاطفة اسما مفردا على اسم مفرد»<sup>(79)</sup> ولها دلالات إضافية غير دلالتها الأصلية. أفرد لها علماء التفسير والمعاني اهتماما بالغا.

**أ- إفادتها الترتيب والتراخي:** قال أبو موسى: «التراخي الرتي هو بيان البعد بين الأمرين وهذا غير الاستبعاد، إذ المراد أن الأمرين من جنس واحد، ولكن ما بعد "ثم" أعلى مرتبة في هذا الجنس وأبلغ مما قبلها، فليس بين الأمرين تفاوت كما في الاستبعاد، وإنما بينهما تفاوت وهما من جنس واحد»<sup>(80)</sup> وكثيرا ما يفيد التعجب والاستعجاب

وقال أبو البقاء عن الحرف "ثم" «وقد يجيء بمعنى التعجب»<sup>(81)</sup> نحو هذه الآية في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1] جاء العطف جملة على جملة، قال ابن عاشور: «للتراخي الرتي الدال على أن ما بعدها يتضمن ما قبلها معنى من نوع ما قبله، وهو أهم في بابه، وذلك شأن "ثم" إذا وردت عاطفة جملة على أخرى، فإن عدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بأنه خالق الأشياء، أمر غريب فيهم أعجب من علمهم بذلك... والخبر مستعمل في التعجب على وجه الكناية بقرينة موقع "ثم"»<sup>(82)</sup> والتعجب عام في كل مشرك.

قال ابن عطية عن دلالة التراخي أنه بيّن: «قبح فعل الذين كفروا، لأن المعنى أن خلقه السماوات والأرض وغيرها قد تقرر، وآياته قد سطعت، وإنعامه بذلك قد تبين، ثم بعد هذا كله عدلوا برهم، فهذا ما تقول: يا فلان، أعطيتك وأكرمتك وأحسنك إليك ثم تشتمني؟ أي: بعد مهلة من وقوع هذا كله، ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم التوبيخ كلزومه بـ "ثم"»<sup>(83)</sup> فأفادت التعجب لجحدهم الحقائق، وعدلهم به في الإلاهية.

(78) -معجم المصطلحات النحوية والصرفية، سمير النجيب اللبدي: 92

(79) -دراسات لأسلوب القرآن، عزيمة: 102/2

(80) -البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، بيروت (د ط تا): 239

(81) -الكليات، أبو الكفاء الكفوي: 325

(82) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 128/7

(83) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 311/3

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8] قال الزمخشري معنى: «ثم» بعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر، وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر، لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة»<sup>(84)</sup> ففيه دلالة على قبح تصورهم

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَكُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصفات: 67] ذكر الطعام في الآيات التي قبلها بتلك الكراهة والبشاعة وأفرده، قال محمود صافي: «ثم أفرد ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بـ"ثم" للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه»<sup>(85)</sup> فأفادت البعد لإقراره.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ\* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: 21، 22] قال خالد الأزهري: «فعبأ بالفاء بعد أماته، لأن الإقبار في عقب الموت، وراخى بعد ذلك لأن النشور يتأخر»<sup>(86)</sup> والنشور بعد الموت معلوم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ\* فَفَعَلْ كَيْفَ قَدَّرَ\* ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ\* ثُمَّ نَبَّأَ كَيْفَ وَبَسَرَ\* ثُمَّ أَبَدَّ\* وَاسْتَكْبَرَ\* فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ\* إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: 18، 25] ولسوء نيته المبيتة كان نظره وإجالة فكره باحثاً أما يدفع به أمر القرآن، قال البقاعي: «فكان ظاهره أنه لتطلب الحق، فكان الإصرار مع الباطل في غاية البعد... معبراً بأداة البعد: "ثم" أي بعد هذا التروي العظيم "أدبر" أي: عما أداه إليه فكره من الإيمان بسلامة المنظور فيه وعلوه عن المطاعن، فحاد عن وجوه الأفكار إلى أفئائها "واستكبر" أي: وأوجد الكبر على الاعتراف بالحق إيجاداً من هو في غاية الرغبة فيه، وكان هذا غاية العناد»<sup>(87)</sup> فدفع الحق بعد ما عرفه وآثر هواه عليه.

**ب- عدم اقتضاءها الترتيب والتراخي:** ومما أريد منها أنها لا تقتضي الترتيب قوله تعالى: ﴿فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 46] جاء الحرف "ثم" لترتيب الأخبار، قال العكبري: «غير مقتضيه ترتيباً في المعنى، وإنما رتب الأخبار بعضها على بعض كقولك: زيد عالم ثم هو كريم»<sup>(88)</sup> وقال ابن فارس: «ثم بمعنى واو العطف... أي وهو شهيد»<sup>(89)</sup> والعطف جملة على جملة.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59] قال العكبري: «ثم هنا لترتيب الخبر، لا لترتيب المخبر عنه؛ لأن قوله: كن: لم يتأخر عن خلقه، وإنما هو في المعنى

(84) -الكشاف، الزمخشري: 326/2

(85) -الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي: 64/12

(86) -شرح التصريح على التوضيح، الأزهري خالد بن عبد الله: 164/2، معاني النحو، السامرائي: 238/3

(87) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 55/21

(88) -النيبان في إعراب القرآن، العكبري: 195/1

(89) -الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس: 121

تفسير لمعنى الخلق، وقد جاءت ثم غير مقيدة بترتيب المخبر عنه... ويجوز أن تكون لترتيب المخبر عنه على أن يكون المعنى صورته طينا، ثم قال له كن لحما ودما»<sup>(90)</sup> والضمير في خلقه لآدم عليه السلام.

والآية نزلت في وفد نجران مقيمة الحجة عليهم، بأنه ما دام قولكم: المسيح ليس له أب فهو ابن الله، فأدم ليس له أب ولا أم!! فإذا كان أحد من البشر أحق بالنبوة فأدم عليه السلام أولى؟؟ فإقراركم أن آدم عليه السلام ليس ابن الله، يلزمكم المسيح ابن مريم ليس ابن الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 72].

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: 2] "ثم" هنا تتعلق بمعنى "قضى" و"لد" قضى "معنيين، قال ابن عطية: «"ثم" تخرج من معهودها في ترتيب زمني وقوع القضيتين، ويبقى لها ترتيب زمني الإخبار عنه، كأنه قال: أخبركم أنه خلقكم من طين ثم أخبركم أنه قضى أجلاً، وإن جعلت "قضى" بمعنى: أوجد وأظهر، ويرجع ذلك إلى صفة فعل فيصح أن يكون خلق آدم من طين قبل إظهار هذا الأجل وإبدائه، وتكون "ثم" على بابها في ترتيب زمني وقوع القضيتين»<sup>(91)</sup> وقال ابن فارس: «كلمتك اليوم ثم قد كلمتك أمس، أي: إني أخبرك بذلك ثم أخبرك بهذا»<sup>(92)</sup> فتأتي مجرد الإخبار.

**ج- دلالة التراخي الزمني:** قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: 6] الذين رأوا أن خلق الذر قبل التناسل فإنه أريد بـ "ثم" في الآية ترتيب الإخبار، قال المرادي: «أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر، ثم خلق بعد ذلك حواء، فعلى هذا تكون "ثم" على أصلها، من الترتيب في الزمان»<sup>(93)</sup>.

والذين رأوا بالذرية بعد التناسل حملوا "ثم" على الواو، قال الدماميني: «خلق حواء لم يكن بعد خلق الذرية، فثبت أن "ثم" استعملت بمعنى الواو مجازاً للاتصال الذي بينهما في معنى العطف، فالواو لمطلق العطف، و"ثم" لعطف مقيد، والمطلق داخل في المقيد فيثبت بينهما اتصال معنوي، فيجوز أن تستعمل بمعنى الواو»<sup>(94)</sup> وتمسكوا بالآية التي فيها الواو موضع "ثم"، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: 189] فتكون "ثم" للإخبار أو الذكر وليس للترتيب الزمني، ويكون التراخي في الحال والمنزلة.

(90) -م، س: 80/1

(91) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 3، 312، 313

(92) -الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس: 120

(93) -الجنى الداني في حروف المعاني، ابن قاسم المرادي: 430

(94) -شرح الدماميني على مغني اللبيب، الدماميني (تح) عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، ط1، 2007م: 435/1

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ\* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ\* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ﴾ [السجدة: 7، 8، 9] قال الألوسي: «ثم للترتيب الرتي أو الذكري»<sup>(95)</sup> وقالوا عدم اقتضاءها الترتيب والتراخي لأن التسوية جاءت بعد جعل النسل منه، وأجاب ابن هشام: «بأن "سواه" عطف على الجملة الأولى لا الثانية»<sup>(96)</sup> بمعنى أن الآية التاسعة معطوفة على الآية السابعة، وليس الآية الثامنة، فيكون العطف تعلق بآدم عليه السلام، قال ابن عاشور: «والضمير المنصوب في سواه عائد على نسله، لأنه أقرب مذكور ولأنه ظاهر العطف... وذكّر التسوية ونفخ الروح في جانب النسل يؤذن بأن أصله كذلك، فالكلام إيجاز»<sup>(97)</sup> وقيل "ثم" على ظاهرها والعطف في الأخيرة متعلق بما قبلها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: 36] عطف جملة على جملة: قال ابن عاشور: «وهو استطراد تخلص به إلى قرع أسماعهم بإثبات الحشر الذي يقع بعد البعث الحقيقي»<sup>(98)</sup> وهي محمولة على التهديد والوعيد لأنهم كانوا كالموتى في عدم انتفاعهم بالإيمان.

**د- دلالة الاستبعاد:** والاستبعاد هو غير البعد، ويكون الاستبعاد كما قال محمد أبو موسى: «إذا كان ما بعد "ثم" أمر مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها»<sup>(99)</sup> أي: استبعاد مضمون ما بعدها عما قبلها، وتدخل فيه اعتبارات الطبع والعادة والعقل، فتجيء "ثم" مبينة بين الكلامين يتعذر ترتب أحدهما على الآخر.

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 79] قال أبو حيان: «أتى بلفظ "ثم" التي هي للمهلة تعظيماً لهذا القول، وإذا انتفى هذا القول بعد المهلة، كان انتفاؤه بدونها أولى وأحرى، أي أن هذا الإيتاء العظيم لا يجمع هذا القول، وإن كان بعد مهلة من هذا الإنعام العظيم»<sup>(100)</sup> فحشدت الآية مجموعة من الأسباب يستحيل في الطبع والعقل والعادة، أن يصير معها المرئوب رباً؛ وهي دعواهم، فالألوهية تناقض البشرية، كما هو مستقر في الفطر والعقول.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74] قال محمد أبو موسى: «عطف قسوة القلوب ب"ثم" وهي لا تدل هنا على التراخي الزمني وإنما تدل على استبعاد وقوع القسوة

(95) -روح المعاني، الألوسي: 124/21

(96) -مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 226/2

(97) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 217/21

(98) -م، ن: 208/7

(99) -البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد أبو موسى: 238

(100) -البحر المحيط، أبو حيان: 504/2

بعد جلاء الآية، وهذا معنى دقيق ينهض به هذا الحرف في كثير من الصياغات»<sup>(101)</sup> ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83] وموطن العجب أنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: 22] "ثم" للاستبعاد، قال ابن عاشور: «لقصده الدلالة على تراخي رتبة الإعراض عن الآيات بعد التذكير به تراخي استبعاد وتعجيب»<sup>(102)</sup> قال الزمخشري معناها: «الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها، وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها، مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ولم تنتهزها، استبعادا لتركه الانتهاز»<sup>(103)</sup> فاستبعدت لعدم تكررها.

**هـ- "ثم" للابتداء:** "ثم" حرف عطف واقعة في جملة مستأنفة في قوله تعالى: ﴿أَوْمَرُوا بِرَبِّهِمْ كَيْفَ يُبَدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: 19] "ثم" للاستئناف في الآية يؤيده قوله تعالى بعدها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: 20] والاستئناف أحد المعاني التي تؤديها ثلاثة من الأحرف، هي: (الواو، والفاء، وثم) وحين يكون الحرف للاستئناف لا يكون للعطف.

وتكون "ثم" للابتداء<sup>(104)</sup> كقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ\* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 31، 32] قال ابن عاشور: «ثم للترقي في الاستئناف، وهذا ارتقاء في التنويه بالقرآن المتضمن التنويه بالرسول صلى الله عليه وسلم وعروج في مسرته وتبشيره، فبعد أن ذكر بفضيلة كتابه وإيتاءه أمة هم المصطفون من عباد الله تعالى، وتبشيره بأنهم يعملون به ولا يتركونه كما ترك أمم من قبله كتبهم ورسلمهم... فهذه البشارة أهم عند النبي صلى الله عليه وسلم من الأخبار بأن القرآن حق مصدق لما بين يديه، لأن هذه البشارة لم تكن معلومة عنده فوقها أهم»<sup>(105)</sup> فأبانت منزلة الأمة في ميراث الكتاب والاصطفاء.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: 11] جاءت "ثم" لا يُنصَرُونَ بالرفع غير معطوفة على ما قبلها وأفادت الآية الترقى فمن عدم الضرر، إلى توليهم الأدبار، إلى التئيس المطلق بأنهم لا ينصرون وهي أعلى درجات الترقى، قال ابن عاشور: «والكلام بـ"ثم" مستأنف... وإنما استأنف هنا ليدل على أن الله لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا»<sup>(106)</sup> للاهتمام بما بعد "ثم".

(101) -التصوير البياني، محمد أبو موسى: 27

(102) -التحري والتنوير، ابن عاشور: 234/21

(103) -الكشاف، الزمخشري: 37/5

(104) -ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي: 325

(105) -التحري والتنوير، ابن عاشور: 311/22

(106) -التيبان في إعراب القرآن، العكبري: 85/1

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف:12] قال محمود الصافي: «ليس المراد أن يعلم الله شيئاً هو داخل في نطاق علمه، ولكنه أراد ما تعلق العلم به من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً، وليكون ذلك من الألفاظ الخفية على المؤمنين في زمانهم، أو ليحدث تعلق علمنا تعلقاً حالياً، أي نعلم أن الأمر واقع في الحال بعد أن علمنا قبل أنه سيقع في مستقبل الزمان»<sup>(107)</sup>.

**و-ثم والواو:** والواو أوسع عطفاً من بقية الحروف الأخرى، وتأتي لمطلق الجمع، وللترتيب وغير الترتيب، وهناك من زعم أنها لا تفيد الترتيب، وهو أحد دلالاتها التي تجاء لأجله، قال ابن هشام: «وقول السيرافي: إن النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب، مردود، بل قال بإفادتها إياه قطرب والربيعي والفراء وثعلب وأبو عمر الزاهد والشافعي»<sup>(108)</sup> وأورد الرماني من رأى بإفادتها الترتيب قائلاً: «ذهب قطرب وعلي بن عيسى الربيعي، إلى أنه يجوز أن تكون مرتبة نحو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:18] وهذا كلام مرتب»<sup>(109)</sup> إذ شهادة الملائكة وأولو العلم من شهادة الله وبعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف:11] رأوا بأن الأمر بالسجود جاء بعد الخلق، ويقصدون عدم اقتضائه الترتيب، قال الماوردي: «صورهم في صلب آدم ثم قال للملائكة اسجدوا»<sup>(110)</sup> وعليه يكون معناه ليس مقصوداً به الجمع، قال الأخفش: «مراداً به آدم، كما تقول للقوم قد ضربناكم، وإنما ضربت سيدهم»<sup>(111)</sup> فاحتمل أن تكون "ثم" بمعنى الواو، قال الرماني: «ثم ها هنا وقع موقع الواو لاشتراكهما في العطف»<sup>(112)</sup> وأن تكون "ثم" على باهما من التراخي.

وفي قوله تعالى: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء:49] وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه:71] في الآيتين السابقتين جاء التهديد بالصلب معطوفاً بالواو، وفي قوله تعالى: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:124] طه والشعراء: فصلتا في إيمان السحرة وكيد فرعون بشكل أكثر وأوسع، قال الخطيب الإسكافي: «والواو أشبه بهذا المعنى، لأنه يجوز أن يكون ما بعدها ملاصقاً لما قبلها كالتعقيب الذي يفاد بالفاء، ويجوز أن يكون متراحياً عنه كالمهلهلة التي تفاد بـ "ثم"»

(107) -الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيان، محمود صافي: 148/8

(108) -مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 354/4

(109) -معاني الحروف، الرماني: 59، ارتشاف الضرب، أبو حيان: 1982/4

(110) -النكت والعيون، الماوردي: 203/2

(111) -معاني القرآن، الأخفش: 321/1

(112) -معاني الحروف، الرماني (تح) إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، ط2، 1401هـ/1981م: 105

لا بل يجوز أن يكون ما بعدها مقدما على ما قبلها، ومجامعا لها، إذا هي موضوعة للجمع ولا للترتيب فيها، فكانت الواو أشبه بهذين المكانين»<sup>(113)</sup> أما الأعراف بخلافهما.

**ز-ثم والفاء:** "ثم" كالفاء كلاهما يفيد الترتيب: «وهو التوالي في الذكر... حيث قيل في الأولى إنها للترتيب والتعقيب، وقيل في الثانية: إنها للترتيب والتراخي، ومعنى الترتيب في الاثنتين أن يقدم في ذكر المتعاطفين: أولهما»<sup>(114)</sup> قال المبرد: «مثل الفاء إلا أنها أشد تراخيا»<sup>(115)</sup> أي انفصالا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 12-14] وقعت "الفاء" موقع "ثم" قال أبو حيان: «الفاء في "فخلقنا" "فكسونا" واقعة موقع "ثم"، لما في معناه من المهلة»<sup>(116)</sup> للبعد أو المهلة بين خلق وخلق كما هو حادث ومعلوم، قال الخفاجي: «واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة»<sup>(117)</sup> "ثم" للبعد لاختلاف خلق عن آخر، من الأجزاء الترابية والماء واللحم والعظام، ومن حيث الألوان والصور: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] ف"الفاء" و"ثم" تعاورتا في الآيات.

وتأتي أيضا "الفاء" بمعنى "ثم" كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى \* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: 4، 5] قال خالد الأزهري: «فإن جعل المرعى لا يعقبه جعله غثاء أحوى، أي يابس أسود... بأن الفاء نابت عن "ثم" والمعنى ثم جعله غثاء»<sup>(118)</sup> معناه يتراخى إلى أن يصير كذلك بعد وقت، فحسن في موقع الفاء ثم.

**ح-ثم لبيان المنزلة:** وهي تبيان التدرج والارتقاء بحيث يكون المعطوف أعظم من المعطوف عليه، قال ابن المنير: «أن التراخي كما يكون باعتبار الزمان، يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها في العلو بالنسبة إلى غيرها»<sup>(119)</sup> وتستعار ثم في الدلالة على الدرجة والمنزلة، فتعطى العناية للإخبار الثاني على حساب الأول.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 199] فيه قولان: أحدهما قول عائشة وعروة ومجاهد وقتادة أنها: «نزلت في قريش وكانوا يسمون الحمس، لا يخرجون من الحرم في حجهم، ويقفون بمزدلفة، ويقولون:

<sup>(113)</sup> -درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي: 678/2

<sup>(114)</sup> -معجم المصطلحات النحوية والصرفية، سمير نجيب اللبدي: 91

<sup>(115)</sup> -المقتضب، المبرد: 10/1

<sup>(116)</sup> -ارتشاف الضرب، أبو حيان: 1188/4

<sup>(117)</sup> -عناية القاضي وكفاية الرازي (حاشية الشهاب)، الخفاجي، دار صادر بيروت (دط تا): 323/6

<sup>(118)</sup> -شرح التصريح على التوضيح، الأزهري خالد بن عبد الله: 161/2

<sup>(119)</sup> -حاشية الكشاف، ابن المنير: 412/1



نحن من أهل الله، فلا نخرج من حرم الله، وكان سائر الناس يقفون بعرفات، وهو موقف إبراهيم عليه السلام... والثاني أنها لجميع الخلق من قريش وغيرهم، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس»<sup>(120)</sup> قال الطيبي: "«ثم» لبيان أن تكون إفاضتكم من حيث أفاض الكملة من الناس، ومثاله الصريح: أحسن إلى الناس ثم ليكون إحسانك إلى الكريم منهم... وإيقاع اسم الجنس على الواحد إذا كان رئيساً جائزاً»<sup>(121)</sup> والمراد به إبراهيم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: 22، 23] قال الألوسي: «الظاهر لما عاينوا هول ذلك اليوم، وتحملى الملك الجبار جل جلاله عليهم بصفة الجلال... حاروا ودهشوا فلم يستطيعوا الجواب إلا بعد زمان، ومما ينبى عن دهشتهم وحيرتهم أنهم كذبوا، وحلفوا في كلامهم هذا، ولو لم يكونوا حيارى مدهوشين، لما قالوا الذي قالوا؛ لأن الحقائق تنكشف يوم القيامة»<sup>(122)</sup> فتمهلهم في الإجابة لجلالة الموقف.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: 30] قال الزمخشري: «ثم» لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة، وفضلها عليه؛ لأن الاستقامة لها الشأن كله، ونحوه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ \* ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15] والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً<sup>(123)</sup> وقال ابن عباس: «استقاموا على أداء فرائضه»<sup>(124)</sup> أي: ثبتوا.

في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ \* وَصَاحِبَةٍ \* وَأَخِيهِ \* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ \* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا \* ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: 11-14] قال البقاعي: «فيعلم انه لا ينجيه من الخطايا المحيطة المحبطة شيء، فدل على الاستبعاد بأداة البعد فقال عاطفا على يفتدى: ثم ينجيه، أي ثم يود لو يكون له بذلك نجات تتجدد له في وقت من الأوقات»<sup>(125)</sup> وحيء بالردع "كلاً" للودادة التي جعلته يطمع في المستحيل ممكناً، فكان استبعاداً ما بعده! والسياق للافتداء بأعز ما يملك بدءاً بالأبناء والصاحبة فالفصيطة ومن في الأرض جميعاً.

(120) -النكت والعيون، الماوردي: 261/1

(121) -فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي: 305/3

(122) -روح المعاني، الألوسي: 123/7

(123) -الكشاف، الزمخشري: 381/5

(124) -الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: 105/13

(125) -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 395/20



• **دلالة أن المصدرية الناصبة:**

تعتبر "أن" المصدرية الناصبة أم النواصب في نصب الأفعال، وهي حرف ثنائي مفتوح الهمزة ساكن النون، تقع على الماضي كقوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم:14] وتقع على فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف:50] وكقوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج:26] وتدخل على المضارع فتخلصه للاستقبال، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة:189].

واختصت من بين النواصب أن تعمل ظاهرة ومضمرة قال المبرد: «أن» هي أمكن الحروف في نصب الأفعال، وكان الخليل يقول: لا ينتصب فعل البتة إلا بأن مضمرة أو مظهرة<sup>(1)</sup> وتعرب هي وصلتها حسب مواقعها كما سيأتي لاحقاً، قال سيبويه: «تقول: كتبت إليه ألا تقل ذلك، وكتبت إليه أن لا تقول ذلك، فأما الجزم فعلى الأمر، وأما النصب فعلى قولك لئلا يقول ذلك، وأما الرفع فعلى قولك: لأنك تقول ذلك، أو بأنك لا تقول ذلك، تخبره بأنّ ذا قد وقع من أمره»<sup>(2)</sup> كأنما توضحه له وتفسره.

وعند قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:13] "أن أقيموا" بدل من الضمير الذي وقع للمفعول شرع المتقدم في الآية، قال العكبري: «يجوز أن تكون بمعنى أي»<sup>(3)</sup> يقصد التفسيرية، و"أن الناصبة" كثيراً ما تحمل دلالة التفسير فتسمى "أن" التفسيرية، خاصة إذا سبقها قول أو معنى القول، وجاء بعدها جملة منفية<sup>(4)</sup> قال السهيلي: «ولا تأتي "أن" التفسيرية" وما بعدها في تأويل المصدر، ولكنها تشارك "أن" التي تقدم ذكرها في بعض معانيها، لأنها تحصين لما بعدها من الاحتمالات، وتفسير لما قبلها من المصادر المحتملات، التي في معنى المقالات والإشارات»<sup>(5)</sup> فالتفسير معنى زائد عن المصدرية، مع اشتراطهم الفعل بلفظ الأمر والنهي.

ومن فوائد تعبيرهم بـ"أن" المصدرية الناصبة مع فعلها أكثر من إتيانهم بالمصدر الصريح ما قاله السهيلي: «أن فيه تحصين للمعنى من الإشكال، وتخليص له من شوائب الاحتمال، وذلك أنك إذا قلت: "كرهت خروجك" أو "أعجبني قدومك" احتمل الكلام معاني منها: أن يكون نفس القدوم هو العجب لك دون صفة من صفاته وهيئته... فإذا قلت: "أعجبني أن قدمت" كانت على الفعل "أن" بمنزلة الطابع والعنوان من عوارض الاحتمالات المتصورة في الأذهان»<sup>(6)</sup> فإذا اقترنت بمعنى التفسير، كان المصدر المؤول أكثر من المصرح.

(1) -المقتضب، المبرد: 6/2

(2) -الكتاب، سيبويه: 481/1

(3) -البيان في إعراب القرآن، العكبري: 339/2

(4) -ينظر: البحر المحيط، أبو حيان: 250/4

(5) -نتائج الفكر في النحو، السهيلي: 98

(6) -م، ن: 97

وحذف "أن" وإثباتها ظاهرة أسلوبية، قال حسن عباس: «يؤتى بها إذا أردنا طي بعض الكلام واختصاره، والانتقال إلى النتائج، دون ذكر جميع المقدمات والحقائق، ونترك "أن" إذا لم نرد أن نوجز الكلام ونختصره»<sup>(7)</sup> فحذف إثبات "أن" حقائق مطوية وإنما سيق الكلام للإيجاز، تخفيفاً من الإطناب الذي لم تذكر معه أن.

**أولاً: أن الناصبة المظهرة:** وتكون في موضعين.

**أ-الموضع الأول:** ويكون في الابتداء، قال ابن هشام: «"أن" تكون: حرفاً مصدرياً ناصباً للمضارع، وتقع في موضعين: أحدهما في الابتداء فتكون في موضع رفع... والثاني: بعد لفظ دال على معنى غير اليقين»<sup>(8)</sup> فتكون "أن" مع ما بعدها في محل رفع مبتدأ كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:184] والخيرية هي التفضيل: الصوم أفضل من الفدية «إذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى»<sup>(9)</sup> والمصدر المؤول هو: صومكم أو صيامكم، قال سيبويه: «يعني الصيام خير لكم»<sup>(10)</sup> فجاءت أن وصلتها مبتدأ لأنها قدرت بالاسم، وصدرت بها الجملة، والخبر معنى من المعاني، وأفاد الابتداء العناية بأحد أركان الإسلام؛ الصوم.

ويأتي المبتدأ مؤخرًا كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم:25] قال ابن مسعود: «قامتا على غير عمد بأمره... وقال ابن عباس: يريد: بقوته وقدرته»<sup>(11)</sup> والمصدر المؤول في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: ومن آياته قيام السماوات والأرض، واستمسакها بغير عمد.

وأجازوا حذفها من "يريكُم" في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم:24] وبقي على أنه مبتدأ وخبر، وهو أحد أوجه الإعراب، وقال الأخفش: «لم يذكر فيها "أن" لأن هذا يدل على المعنى»<sup>(12)</sup> كما استندوا قياساً على الأفعال التي جاءت في السورة نفسها والمذكورة بعد "وَمِنْ آيَاتِهِ".

ويجاء بالمبتدأ وخبره محذوف، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لُنُبِدَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم:49] تداركه إما فعل ماض مبني على الفتح أو فعل مضارع أدغمت إحدى تائيه في الأخرى، والمصدر المقدر من "أن" والفعل في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف.

(7) -لطائف المنان وروائع البيان، فضل حسن عباس، دار النور، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م:265

(8) -مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام:1/160،163

(9) -فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي:1/365

(10) -الكتاب، سيبويه:3/153

(11) -التفسير البسيط، الواحدي:18/38

(12) -معاني القرآن، الأخفش الأوسط:2/474

**ب-الموضع الثاني:** وتجيئ "أن" بعد أفعال غير أفعال التحقيق، فينتصب المضارع بعدها، قال المالقي: «ألا تقع بعد فعل يقين كعلم، وتحقق، وتيقن ونحوها، فإنها حينئذ المخففة من الثقيلة، نحو: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ [المزمل:20] خلافا للفراء جوز أن تلي "أن الناصبة" للمضارع لفظ العلم، وما في معناه مستدلا بقراءة قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه:89] بالنصب وهي بمعنى أفلا يعلمون»<sup>(13)</sup> وينصب المضارع بعدها إذا أفادت الأفعال التي قبلها الشك أو القرينة من التيقن.

وتأتي "أن" وصلتها في موضع الفاعل، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:16] قال الزجاج: «الفعل يأن من أنى يأتي ويقال آن يئين، وفي هذا المعنى، ومعناه حان يحين»<sup>(14)</sup> والمصدر: إناه أي: جاء وقته وحان، وفاعله: أن تخشع؛ المصدر المؤول، وفي الآية عتاب كما قال ابن عباس وغيره: «إن الله استبسطاً قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشرة سنة من نزول القرآن»<sup>(15)</sup> وحذرهم أن يماثلوا أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ [العنكبوت:2] وهنا جاءت "أن مصدرية ناصبة" رغم تقدم حسب وهو الظن عليها، لأنهم أجازوا فيها أن تكون المخففة من الثقيلة، وما بعدها الرفع كما اشتراطوا سابقا، ورغم ذلك جاءت مصدرية ناصبة في " أَنْ يُتْرَكُوا" قال أبو حيان: «وليس في الواقعة بعد الشك إلا النصب»<sup>(16)</sup> ولعل أبا حيان أراد بقوله أن يكون الشك على إطلاقه، أي شك حتى القريب من العلم، والمصدر المؤول من أن وصلته تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين، وهو في محل نصب سد مسد مفعولي حسب.

وتجيئ في موضع المفعول لأجله، قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:56] المصدر المؤول من أن والفعل متعلق بمفعول له والتقدير: أي كراهة أن تقول، أو خشية أن تقول، وهو قول الكفار يوم القيامة، والجانب لعة: الجانب، أي حقه وشرعه، قال الماوردي: «الجانب المؤدي إلى رضا الله، والجانب والجانب سواء»<sup>(17)</sup> فتعم كل نفس فرطت، ويزيدها تأكيداً تنكير "نفس" التي أفادت العموم، وقال البيهقي(ت458هـ) «تكون الحسرة على ما ضيعت من أمر الله»<sup>(18)</sup> وهي كلمة جامعة.

(13) -رصف المباني، المالقي:112، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي:88/4

(14) -معاني القرآن وإعرابه للزجاج:125/5

(15) -الكشاف، الزمخشري:49/6

(16) -همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي:89/4

(17) -النكت والعيون، الماوردي:133/5

(18) -الأسماء والصفات، البيهقي، (تح) محمد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة (دط تا):339

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: 65] أن وما تلاها بتأويل المصدر، في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلق بالقادر، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: 282] المصدر المؤول في محل جر بحرف الجر المقدر "عن" والتقدير: عن الكتابة.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: 156] في محل نصب مفعول له "لأجله" ومعناها: (كراهية قولكم) وجملة تقولوا صلة أن ليس لها محل إعرابي.

وكذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: 82] المصدر المؤول من "أن يغفر" في محل جر بحرف الجر، تقديره: أطمع في غفرانه لخطيئتي، أو بأن يغفر، وحسن النصب هنا لأنه جاء بعد فعل الطمع من مثل أرجوا، أخاف، وأحشى، وهي غير أفعال التحقيق.

ويجاء المصدر المنسبك منها وفعلها اسما لكان مؤخرا، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: 114] أن يَدْخُلُوهَا: في موضع رفع على اسم كان، والمعنى: إن دخلوا المساجد فعلى حال التهيب والخوف، وكما قال الزجاج: «أعلم الله في هذه الآية أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفا»<sup>(19)</sup> وهذا يتعلق بثبات المسلمين على دينهم، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: 37] والافتراء يراد به الاختلاق، فالمنتجب الهمداني: «وهي في تأويل المصدر بمعنى: وما كان هذا القرآن افتراء»<sup>(20)</sup> وأن والفعل في موضع خبر كان.

وجاءت خبرا لـ "عسى" كقوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: 52] قال عبد الواحد صالح: «أن المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر "إتيان" وهذا المصدر بتأويل آتيا في محل نصب خبر عسى»<sup>(21)</sup> ومثله خبراً في قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ﴾ [الأعراف: 129] أن يهلك: بمعنى الهلك والإهلاك.

وتجيء مع فعلها في موضع المستثنى أوفي محل جر بدل كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 40] قال الألوسي «الاستثناء متصل من "حق" وأن وما بعدها في تأويل مصدر بدل من منه، لما في غير من معنى النفي، وحاصل المعنى لا موجب لإخراجهم إلا التوحيد»<sup>(22)</sup> والبدل على الجر من حق، أو انتصب على الاستثناء المنقطع من إن كان هناك حق، قال سيبويه: «أي ولكنهم يقولون ربنا الله»<sup>(23)</sup> والكلام مخرج بأسلوب التهكم، لأن المشركين هم من أخرج الذين آمنوا، مدعين أنهم على الحق!!.

(19) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 1/196

(20) -الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني: 3/382

(21) -الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل، بهجت عبد الواحد صالح: 3/84

(22) -روح المعاني، الألوسي: 17/162

(23) -الكتاب، سيبويه: 2/225

فاستعمل الكفار القهر واستولوا على أموال المسلمين، ومزقوا أسرهم بسبب إيمانهم فأخرجوهم!! وهي سنة يفعلها المجرمون في التاريخ كله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم:13] وقوله تعالى: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف:88] قال عمر ابن الخطاب: «إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام»<sup>(24)</sup> فالحق في القرار ثابت وفطري، ولا يزول الحق إلا بما قرره الشرع، أو تعارف عليه الناس.

وأحيانا تحمل الآية الرفع والنصب والجر كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ﴾ [البقرة:224] أجاز النحاس في " أن تَبَرُّوا " التقديرات الثلاث الرفع والجر والنصب<sup>(25)</sup> فالرفع يكون تقدير خبره: أولى، وتكون الجملة على الاستئناف، والجر يكون بحذف "في" بتقدير: "في أن تَبَرُّوا " على أن يكون بدل من أيمانكم، والنصب يكون مفعول لأجله، قال محيي الدين الدرويش: «لا تجعلوا الله كالغرض المنصوب للرماة، فكلما أردتم الامتناع من شيء- ولو كان خيرا- تتواصلون إلى ذلك بالحلف " اللغو " الساقط الذي لا يؤبه له، ولا يعتد به من كلام وغيره، والمراد به هنا ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف»<sup>(26)</sup> نهي عن المدام.

**ج-عدم تخلص المضارع للاستقبال:** ومع أنّ "أنّ" تخلص المضارع من الحال إلى للاستقبال دائما، كما ألمح أبو حيان بقوله: «وتخلص المضارع للاستقبال، خلافا لمن زعم أنها تأتي غير مخصصة له»<sup>(27)</sup> إلا أنها تأتي لغير الاستقبال حيث ساند هذا الرأي وأثبته أحد الباحثين المعاصرين عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج:8] فتأتي «لغير الاستقبال... فإنهم مؤمنون في الحال ولا يراد بهم الاستقبال»<sup>(28)</sup> والمصدر المؤول من " أن وصلته يؤمنوا " في محل نصب مفعول به، والتقدير الإيمان، ومثله: قوله تعالى: ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [التوبة:92] وقوله تعالى: ﴿ أَتَفْتَلُونُ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [غافر:28] وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [المتحنة:1] في كلها غير مخلصته للاستقبال.

**د-إفادة أن التعليل:** ويكون المصدر المقدر من أن وصلتها تعليلا لكلام سبقها، كقوله تعالى: ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:15] المبدأ الحركة والاضطراب، وأن تميد مفعول له، قال ابن الأنباري «في تقديره وجهان أحدهما: أن يكون تقديره، كراهة أن تميد بكم وكراهة منصوب على أنه

(24) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 275/17

(25) -ينظر: إعراب القرآن، النحاس: 311/1

(26) -إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش: 293/1

(27) -ارتشاف الضرب، أبو حيان: 1637/4

(28) -معاني النحو، السامرائي: 337/3

مفعول له، والثاني: أن يكون تقديره لئلا تميد بكم... والوجه الأول أوجه الوجهين، لأن حذف المضاف أكثر من حذف لا»<sup>(29)</sup> فعللت الآية إلقاء الرواسي في الأرض.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تُزِيلُونَ﴾ [النساء: 176] وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: 282] أفادت التعليل، قال ابن تيمية: «التعليل موجود في أفعال الله، وأحكامه»<sup>(30)</sup> على الحقيقة خلافا لمن أدخله في المجاز، وقفز به على الوضع.

**ه- تدخل مع إما في الاختيار:** قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نُحْنُ الْمُتْلِقِينَ﴾ [الأعراف: 115] إما حرف تفصيل لا عمل له وهنا أفادت التخيير، وجاءت "أَنْ الناصبة" بعده وشاركته في الاختيار، قال الفراء: «فلما آذنت إما بالتخيير أحدثت لها "أَنْ"»<sup>(31)</sup> وفي إعراب المصدر المؤول هنا وجهان: إما مبتدأ وخبره محذوف، وإما مفعول به منصوب "مقول القول".

ومثله قوله تعالى: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: 65] الشاهد هنا ورود حرف التفصيل "إمّا" للتخيير مع "أَنْ" في كلا المصدرين، المصدر المؤول "أَنْ تُلْقِيَ" في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، تقديره: إلقاءك أول، والمصدر المؤول "أَنْ نَكُونَ" في محل رفع معطوف على المصدر الأول.

ولكن الحرف "إمّا" التفصيلية جاء في آيات أخر غير مقترن بالحرف الناصب المصدرية "أَنْ" كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُوعَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 106] وقد أجاب الفراء عن هذا الوجه في الآية، بقوله: «ولو وقعت إمّا وإمّا مع فعلين قد وصلا باسم معرفة أو نكرة ولم يصلح الأمر بالتمييز في موقع إمّا، لم يحدث فيها أَنْ»<sup>(32)</sup> فلا يجوز دخولها في إخبار غيبي، والآخرون الذين أخرج البت في قضيتهم تخلفهم عن الجهاد هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم، فصعب الأمر قبل وقوعه أن يتعين أحدهما أو كلاهما؛ لأن الأمر غيب ومتعلق بمشيئة الله عز وجل، فلو دخلت أن لأفادت نوعا من التأكيد لأحد الخبرين، ألا ترى أن الأمر لا يصلح ها هنا، فلذلك لم يكن فيه أَنْ.

(29) -البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري: 76/2

(30) -منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (تح) رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام بمكة، 1406هـ/1986م: 142/1

(31) -معاني القرآن، الفراء: 389/1

(32) -معاني القرآن، الفراء: 389/1، 390

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86] الشاهد مجيء حرف التفصيل "إِنَّمَا" للتخيير مع "أَنْ" في "أَنْ تُعَذِّبَ" على أنه في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، تقديره: تعذيبك واقع أو كائن، وفي "أَنْ تَتَّخِذَ" في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره: اتخذك حسناً واقع بهم.

**ثانياً: أن الناصبة المضمرة:** وتضم في مواطن عدة منها:

**أ- مع لامى التعليل والجمود:** كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 143] اللامان جاءا للتعليل والنفي لنعلم: لام التعليل، ليضيع: لام النفي بعد فعل الكون، والتقدير: ما كان الله راضياً لضياح إيمانكم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46] قراءتان في لام "لِتَزُولَ" بالفتح وبالكسر، قال ابن خالويه: (والحجة لمن فتح جعلها لام التوكيد، والقراءة توجب زوال الجبال لشدة مكرهم، والحجة لمن كسر جعلها لام الجحد... ومعنى ذلك أن مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال)<sup>(33)</sup> فلكل قراءة تعليل.

**ب- مع فاء السببية:** ينتصب الفعل المضارع بأن المضمرة بعد الفاء قال السهيلي: «هي الموضوعة للتعقيب، وقد تكون للتسبيب والترتيب، وهما راجعان إلى معنى التعقيب»<sup>(34)</sup> بشروط منها: أن تكون سبباً لما قبلها، وأن تكون جواباً لأحد أمور قال سيبويه: (الأمر، والنهي، والنفي، والعرض والتحضيض، والاستفهام، والتمني)<sup>(35)</sup> مثال ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: 36] المصدر المنسبك واقع جواباً للنفي، وتقديره: لا يقضى عليهم يموت آخر فيستريحوا.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] الفاء سببية وهي حرف عطف، تفرق فعل مضارع بأن المضمرة بعد فاء السببية، وهو واقع جواباً للنهي، قال القاضي أبو محمد رحمه الله: «وهذه الآية تعم أهل الأهواء، والبدع، والشذوذ، في الفروع وغير ذلك من التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرصة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد»<sup>(36)</sup> والمصدر المسبك من أن المضمرة والفعل معطوف على مصدر منتزع من الكلام السابق، والمقصود النهي عن اتباع السبل لأنها سبب في تفرقكم عن سبيله.

**ج- مع حتى:** ينتصب الفعل المضارع بعد حتى بأن مضمرة لا بها؛ لأن الأصل فيها أنها من عوامل الأسماء كقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: 91] حتى هنا حرف غاية وجر بمعنى "إلى أن"

(33) - ينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (تح) سالم مكرم، دار الشروق القاهرة، ط3، 1399هـ/1979م: 203

(34) - نتائج الفكر في النحو، السهيلي: 196

(35) - الكتاب، سيبويه: 3/ 223

(36) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 3/ 495



والفعل يرجع: منصوب بأن مضمرة لا بها، وتعلقت حتى هنا بـ"عاكفين" قال الدماميني: «أي: قالوا لا نزال مقيمين على العجل وعبادته إلى أن يرجع إلينا»<sup>(37)</sup> وانتصب الفعل لأنه جاء مستقبلاً.

**د-مع أو:** وينتصب الفعل المضارع بعد "أو" بأن مضمرة كانتصابه بعد الفاء، قال صاحب الكتاب: «واعلم أن ما انتصب بعد أو "على إلا أن" كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء... قال امرؤ القيس<sup>(38)</sup>:

فقلت له لا تبك عينك إنما \*\*\* نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

والقوافي منصوبة، فالتمثيل على ما ذكرت لك، والمعنى: على إلا أن نموت فنعدرا»<sup>(39)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف:53] أو حرف عطف، وقراءة بن أبي إسحاق<sup>(40)</sup> النصب بنصب الدال في "نرد" عطف على يشفعوا، قال ابن جني: «لأنه جواب الاستفهام وفيه معنى التمني»<sup>(41)</sup> قال أبو حيان: «فيكون الشفعاء في أحد أمرين: إما في الخلاص من العذاب، وإما في الرد إلى الدنيا»<sup>(42)</sup> أفيد من النصب والرفع.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَهُمْ فَيَقَلِّبُوا خَائِبِينَ \* لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:127،128] يجوز في أو وجهان، قال ابن الأنباري: «أحدهما: أن يكون عطفًا على ليقطع، وتقديره: ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم، والثاني: أن تكون أو بمعنى: "إلا أن" وتقديره: ليس لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم»<sup>(43)</sup>.

**ه-مع واو المصاحبة:** وقوع الواو على الفعل المضارع، قال المبرد: «الجمع بين الشيين، ونصبها على إضمار أن؛ كما كان في الفاء، وتنصب في كل موضع تنصب فيه الفاء»<sup>(44)</sup> منه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:27] قراءة أهل المدينة والكسائي برفع الأفعال الثلاث، وقراءة حمزة، وعاصم النصب في الباء والنون في الفعلين الأخيرين، ووافقهم ابن عامر في الفعل الأخير<sup>(45)</sup> فعلى العطف بالرفع

(37) - شرح الدماميني على مغني اللبيب، الدماميني: 460/1

(38) - الخزانة، البغدادي: 601/3

(39) - الكتاب، سيبويه: 47/3

(40) - ينظر: معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم وأحمد مختار: 368/2

(41) - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني: 251/1

(42) - البحر المحيط، أبوحيان: 308/4

(43) - البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري: 221 /1

(44) - المقتضب، المبرد: 25/2

(45) - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 257/2



واقعة جوابا للتمني ويدخل فيها الأفعال الثلاثة «الرد، وألاً نكذب، والكون مع المؤمنين»<sup>(46)</sup> وعلى نصب الأخيرين (جواب للتمني... والواو في هذا كالفاء)<sup>(47)</sup>.

### • دلالة اللام الناصبة:

اللام حرف من حروف المعاني، ويرجع تقسيمها عموماً إلى عاملة وغير عاملة، ومن العاملة الناصبة عند الكوفيين بنفسها، قال الزبيدي: «أما تنصب الفعل بنفسها لا يسلم، بل إنها تنصب تارة بتقدير "أن" وتارة بنفسها، وليس حملها على إحدى الحالتين بأولى من حملها على الحالة الأخرى»<sup>(48)</sup> لأن البصريين يرون النصب بأن مضمره بعدها، وكذلك مذهب ابن كيسان (ت299هـ): أن الناصب بعدها يجوز فيه أن المضمره ويجوز فيه "كي"<sup>(49)</sup> وهي التي «يصلح موضعها "من أجل»<sup>(50)</sup> باعتبار الأصل فيها أنها حرف خفض عاملة في الأسماء.

والتعليل باللام إذا دخل على المضارع يجيء لبيان العلة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:25] ومعناها يلتقي مع التعليل بـ"لعل" كونها من أساليب التعليل «وهي الأصل في التعليل وما بعدها نائب عنها»<sup>(51)</sup> وإذا ارتبط التعليل "كي" بالمضارع فقط، فإن لام التعليل أوسع منه، لارتباطه به وبغيره، وهي أدوات تعرف بها الحكمة والغاية من الشيء المعلن بالسلب أو الإيجاب.

وهناك فرق بين الإرادة الكونية وهي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد، والإرادة الشرعية وهي ما طلب منا أن نفعله على إرادة الأمر، قال الشنقيطي: «فالإرادة قد تكون دينية شرعية، وهي ملازمة للأمر والرضا، وقد تكون كونية قدرية، وليست ملازمة لهما، لأن الله يأمر الجميع بالأفعال المرادة منهم ديناً، ويريد ذلك كوناً قدرياً من بعضهم دون بعض»<sup>(52)</sup> وقال الألوسي: «من أنكر تعليل بعض الأفعال - لاسيما الأحكام الشرعية كالحدود - فقد كاد أن

(46) - الحجة في علل القراءات، أبو علي الفارسي: 464/2، التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 143/1

(47) - التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 144/1

(48) - ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف الزبيدي: 151

(49) - موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع: 457/7

(50) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 340/4، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عضيمة: 435/2

(51) - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، محمد الخضري: 195/1

(52) - أضواء البيان، الشنقيطي: 7194/7

ينكر النبوة»<sup>(53)</sup> وقد دفع التعنت إنكار دلالة اللام: كالتعليل، على حساب الوضع والعرف، وتطويبا للغة في نصرة المذاهب، فانحرفوا بمعناها عن وضعها الحقيقي، مما أدى إلى خلل فكري وعقدي.

**أ-التعليل باللام:** لام التعليل الحقيقي أو لام كي: وهي تفيد ما تفيده كي، وأشبهتها لأن كلاهما ينتصب ما بعده بأن مضمرة، ويقال لها: العلة الغائية، وإفادتها التعليل في القرآن كثير؛ قال ابن تيمية: «الجمهور يقولون لام التعليل داخلة في أفعال الله، وأحكامه»<sup>(54)</sup> ومرد ذلك إلى حكمته سبحانه، وقال عن دلالة اللام «هي لام كي ولام التعليل، التي إذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له، وتسمى العلة الغائية، وهي متقدمة في العلم والإرادة، متأخرة في الوجود والحصول، وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل»<sup>(55)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56] اللام حرف جر للتعليل، والفعل منصوب بأن المضمرة بحذف النون، والنون المكسورة للوقاية وكسرتة دلالة على حذف الياء، قال الشنقيطي: «فإرادة عبادتهم المدلول عليها اللام في قوله "ليعبدون"، إرادة دينية شرعية وهي الملازمة للأمر، وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل بطاعة الله، لا إرادة كونية قدرية؛ لأنها لو كانت كذلك لبعده جميع الإنس والجن، والواقع خلاف ذلك»<sup>(56)</sup> فالجميع أمرهم بالعبادة، ثم يهدي من يشاء ويضل من يشاء بعلمه الذي سبق كونا وقدرًا.

وفي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:79]: قال الأخفش: «هي للتعليل كأنه يقول للاشتراء ف"يشترؤا" لا يكون اسما إلا بـ"أن" مضمرة وهي الناصبة وهي في موضع جر باللام»<sup>(57)</sup> فاللام داخل في اللفظ على الفعل، وفي المعنى على الاسم.

ومثله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء:64] اللام لام التعليل ونائب الفاعل مستتر جوازا هو: «أي: فيما جاء به من عندنا لأنه مطلوب مراد من المكلفين شرعا ودينا، وقوله بـ"بِإِذْنِ اللَّهِ" يدل على أنه لا يقع من ذلك إلا ما أَرَادَهُ اللهُ كونا وقدرًا»<sup>(58)</sup> والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كل ميسر لما خلق له»<sup>(59)</sup> لأنه سبحانه يعلم ذلك من قبل.

(53) -روح المعاني، الألويسي:252/1

(54) -منهاج السنة النبوية، ابن تيمية:142/1

(55) -دقائق التفسير، ابن تيمية:529/4

(56) -أضواء البيان، الشنقيطي:714/7

(57) -معاني القرآن: الأخفش الأوسط:127/1

(58) -م، س:719/7

(59) -صحيح مسلم كتاب القدر، مسلم ابن الحجاج:1222رقمه:2646

واللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُمَلِّي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: 178] قال الشنقيطي: «ذكر في هذه الآية الكريمة أنه يملي للكافرين ويمهلهم لزيادة الإثم وشدة العذاب»<sup>(60)</sup> اللام للتعليل وللعاقة، قال محمد العثيمين: «للتعليل باعتبار فعل الله، يعني أنه عز وجل يملي من أجل زيادة الإثم، وللعاقة باعتبار حال المشركين أو الكافرين؛ لأنهم لم يكفروا لأجل أن يزدادوا إثماً، ولكن كفرهم كان سببا في زيادة الإثم»<sup>(61)</sup> وفي الحديث «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»<sup>(62)</sup> والإملاء الاستدراج من الله يفعله لحكمة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: 30] اللام لام كي للتعليل، كقولك جئتكم لتكرمني، والفعل بعدها منصوب (بأن) مضمره وما بعدها من الفعل في تأويل المصدر مجرورا بلام كيما بعدها من الفعل في تأويل المصدر مجرورا بلام كي.

وجاء التعليل في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] فهم يقرون بوجود الله، والأصنام لا يعبدونها لذاتها بل لتقربهم إلى الله، ونصت الآية في بدايتها أن الله لا يقبل إلا الذين الخالص الخالي من شوائب الشرك فهم يقرون بالله، قال الزجاج: «ويقولون لمن يقول لهم لم عبدتموهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، أي: قربي»<sup>(63)</sup> اللام حرف جر للتعليل والفعل منصوب بـ "أن" المضمره وضمير المتكلمين مفعول به، والجار والمجرور متعلق بـ "ما نعبدهم".

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143] اللام في لتكونوا لام التعليل، قال الزجاج: «والمعنى جعلناكم أحيارا لأن تكونوا شهداء، فنصب تكونوا بأن "وشهداء" نصب خبر تكونوا»<sup>(64)</sup> والمصدر المؤول في محل جر.

ولام التعليل في ليعلم من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: 140] أراد بها: العلم الموجود الذي يقيم به الحجة على الناس ويرتب عله الجزاء قال الشعراوي: «فإنه علم تقوم به الحجة واضحة على من آمن، وعلى من لم يحسن الإيمان»<sup>(65)</sup> وعلم الله أزلي يعلم الثابت من غيره، وهو علم سيوجد، ولكن لا نرى نحن به الحجة، أمّا العلم الموجود فيتعلق بالتجربة في دنيانا، فإذا نزل البلاء والاختبار استبان لنا دلائل أنفسنا، والمعلول محذوف تقديره: ليميز الثابتون من غير الثابتين.

(60) -م، س: 353/1

(61) -تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، محمد العثيمين: 467/2

(62) -صحيح البخاري كتاب التفسير، محمد ابن اسماعيل: 1159، رقمه 4686

(63) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 344

(64) -م، ن: 219/1

(65) -تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: 1783/3

**ب- لام العاقبة أو الصيرورة أو المال:** ذات معنى واحد، قال المالقي: «لام العاقبة وهي التي ما بعدها يخالف غرض ما قبلها»<sup>(66)</sup> قال ابن تيمية: «تجيء في حق من لا يكون عالماً بعواقب الأمور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها... فأما من يكون عالماً بعواقب الأفعال ومصايره فلا يتصور منه أن يفعل فعلاً له عاقبة لا يعلم عاقبته»<sup>(67)</sup> فنتيجتها غير مقصودة.

ففي قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:8] لِيَكُونَ: لام العاقبة أو الصيرورة أو المال، قال ابن القيم: «وهي هنا في الحقيقة لام كي ولكنها لم تتعلق بالخبر لقصد المخبر عنه وإرادته، ولكنها تعلقت بإرادة فاعل الفعل على الحقيقة وهو الله سبحانه وتعالى، أي: فعل الله ذلك ليكون كذا وكذا... فهي متعلقة بالقدر وفعل الله»<sup>(68)</sup> فليس العلة في التقاط فرعون لموسى عليه السلام، ولو علموا أنه يكون لهم عدوا وحزنا ما التقطوه، ولكن هذا أمر قدره الله عز وجل بعلمه فكان نتيجة لما تقدم.

والسر في ذكر الالتقاط دون ذكر: تم بقضاء الله وقدره، قال ابن القيم: «ذكر فعلهم دون قضائه؛ لأنه أبلغ في كونه حزناً لهم وحسرة عليهم، فإن من اختار أخذ ما يكون هلاكه على يديه إذا أصيب به كان أعظم لحزنه وغمه وحسرتة من أن لا يكون له فيه من صنع واختيار... فذكر فعلهم به في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر»<sup>(69)</sup> واللام في الآية السابقة مثله في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس:88] قال: الأخفش (ت215هـ) مشبها اللام هنا بلام موسى عليه السلام وآل فرعون «أي: فضلوا... فكأن هذه اللام تجيء في هذا المعنى»<sup>(70)</sup> وفي الياء قراءة الضم والفتح.

واللام في قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلْيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:105] اللام للعاقبة أو الصيرورة، أي يقول الكفار في عاقبة الأمر، قال وهبة الزحيلي: «تصريف الآيات يستهدف أن يهتدي بها المستعدون للإيمان، وأن يقول الجاحدون المعاندون: إنما درست هذا وقرأته على غيرك»<sup>(71)</sup> وقد قالوه: كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:103].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الشورى:15] اللام للصيرورة، قال محي الدين الدرويش: «وهذا أسلم من قول الجلال وشارحيه: أن اللام بمعنى الباء، وأن المصدرية مقدرة، إذ لم نر اللام ترد

(66) -رصف المباني في حروف المعاني، المالقي: 225

(67) -دقائق التفسير، ابن تيمية: 527/4

(68) -بدائع الفوائد، ابن القيم: 175/1

(69) -م، ن: 288 /3

(70) -معاني القرآن، الأخفش الأوسط: 377/1

(71) -التفسير المنير، الزحيلي: 338/4

## الفصل الرابع: دلالات الحروف ومواقعها وتأثيراتها الإقناعية **مبحث: حروف النصب**

بمعنى الباء، ولم يذكر أحد من النحاة، أنّ "أنّ" المصدرية تضمّر بعد الباء، وإنما المراد أن الأمر مفض إلى العدل بينكم»<sup>(72)</sup> والمصدر المؤول منها والفعل في محل جر، والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله.

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:2] الفتح هو صلح الحديبية<sup>(73)</sup> حيث انظم إلى الإسلام خلق كثير، والتعليل بكبي حيث جعل الله تعالى فتح مكة علة للمغفرة، قال بن عطية «هي لام كي لكنها تخالفها في المعنى، والمراد هنا أن الله تعالى فتح لك لكي يجعل لك ذلك أمانة وعلامة لغفرانه لك، فكأنه لام صيرورة»<sup>(74)</sup> فالفتح كونه جهادا وعبادة سبب للغفران فيه: المغفرة، إتمام النعمة، الهداية، والنصر العزيز.

**ج- لام الجحود:** هي حرف جر وهي «المسبوقة بكون منفي أي بعد ما كان ولم يكن»<sup>(75)</sup> لأن الفاعل للفعل بعدها يكون عائدا على اسم كان، قال الزركشي: «وضابطها أنها لو سقطت تم الكلام بدونها؛ وإنما ذكرت توكيدا لنفي الكون، بخلاف لام كي»<sup>(76)</sup> وسميت بلام الجحود لاختصاصها بالنفي، حتى رأى البعض أنها تقع في كل فعل تقدمه نفي، ولا يجوز إظهار "أنّ" بعدها بخلاف لام كي.

ومما يختص بهذه اللام، قال السهيلي: «أن تجيء كان التي قبل لام الجحد بلفظ المضى أو في معناه، لا بلفظ الاستقبال وتكون زمانية ناقصة لا تامة، ولا يقع بعد اسمها ظرف ولا مجرور... وأن الفعل بعد "لام" الجحود لا يكون فاعله إلا عائداً على اسم "كان" لأن "اللام" وما بعدها في موضع الخبر عنه»<sup>(77)</sup>.

ففي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:33] قال ابن القيم: «جاء بلام الجحد حيث كان النفي لأمر متوقع، وسبب مخوف في المستقبل... وجاء باسم الفاعل الذي لا يختص بزمان حيث أراد نفي وقوع العذاب بالمستغفرين على العموم في الأحوال»<sup>(78)</sup> والمصدر المقدر في محل جر متعلق بخبر كان، التقدير: "ما كان الله مريدا عذابهم".

ففي قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:32] قال الفراء: «دخلت "إلا" لأن في "أبيت" طرفا من الجحد؛ ألم تر أن "أبيت" كقولك: لم أفعل ولا أفعل، فكأنه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد»<sup>(79)</sup>

(72) - إعراب القرآن الكريم وبيانه، الدرويش: 26/7

(73) - ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (تح) تركي: 242/21

(74) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية: 665/7

(75) - قاموس الأدوات النحوية، حسين سرحان مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 2007م: 124

(76) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 344/4

(77) - نتائج الفكر في النحو: 106، 107

(78) - بدائع الفوائد، ابن القيم: 174/1

(79) - معاني القرآن، الفراء: 433/1

وقال أبو البقاء (538-616هـ) «يأبي بمعنى يكره، ويكره بمعنى يمنع؛ فلذلك استثنى لما فيه من معنى النفي والتقدير يأبي كل شيء إلا إتمام نوره»<sup>(80)</sup> والمصدر المقدر في محل جر بالإضافة.

**د- اللام بمعنى أن:** قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: 26] قال الفراء مُسَوِّباً بين أن واللام التي بمعنى كي: «العرب تجعل اللام التي على معنى كي في موضع أن في أردت وأمرت، فتقول أردت أن تذهب، وأردت لتذهب... قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 71] وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: 14] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: 8] و﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾ [التوبة: 32]»<sup>(81)</sup> واستشهد مستندا بأقوال العرب وأشعارهم.

ومثله قال الكوفيون «معنى اللام معنى أن، وأردت وأمرت، تطلبان المستقبل، لا يجوز أن تقول: أردت أن قمت ولا أمرت أن قمت»<sup>(82)</sup> وردّ الزجاج قولهم، وكذلك ابن عطية في تفسيره، على رأي الزجاج، وقال مذهب سيويه «لأن يبين، والمفعول مضمر، تقديره: يريد الله هذا، فإن كانت لام الجر، أو لام كي، فلا بد فيهما من تقدير أن لأنهما لا يدخلان إلا على الأسماء»<sup>(83)</sup> ووصف رأي الكوفيين والفراء بالضعف.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 71] جعل الأخفش اللام بمعنى "كي"، وبمعنى "أن" يقول: «إنما أمرنا كي نسلم لرب العالمين» كما قال: قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 104] أي: إنما أمرت بذلك»<sup>(84)</sup> والمراد كي الناصبة بنفسها، كقوله تعالى: ﴿كَيْلًا تَأْسُؤًا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: 23] لأن حرف الجر لا يدخل على مثله، وهو مذهب سيويه.

وفي الأخير نقول مع الزركشي رحمه الله بأن اللام في القرآن هي «اللام الواردة في أحكامه وأفعاله لام الحكمة والغاية المطلوبة من الحكمة»<sup>(85)</sup> وأن السياق هو الذي يحدد نوعها، وأحكامه معللة في القرآن، فلا يمكن القفز على الوضع بحجة تنزيه الله عز وجل، فنقع في محذور، وما علم من الوضع والسياق أصوب.

(80) -التيبان في إعراب القرآن، العكبري: 1/183

(81) -م، س: 11/261

(82) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 2/43

(83) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 2/525

(84) -معاني القرآن، الأخفش: 1/303

(85) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 3/93

• **دلالة "لن":**

ذهب الخليل والكسائي أن معنى لن مركب من «لا أن» بمعنى: ما هذا وقت أن يكون كذا»<sup>(86)</sup> يقصد أنّها جاءت لنفي الحال، فحذفت الهمزة تخفيفاً، ثم حذفت الألف للالتقاء الساكنين، واعتبر صاحب الكتاب لن حرف من نواصب المضارع مفردة غير مركبة عملاً بالظاهر؛ لأن لها ما يشبهها من الحروف سواء في النواصب أو الجوازم، وفند الآراء التي قالت بالتغيرات الداخلة عليه<sup>(87)</sup> فهي حرف تختص بالنفي ينصب المضارع بنفسه ويخلصه للاستقبال، ونقل ابن عصفور: «أن "لن" لتأكيد ما تعطيه "لا" من نفي المستقبل، وأن مذهب سيبويه والجمهور أن "لن" لنفي المستقبل من غير أن يشترط أن يكون النفي بها أكد من النفي بلا»<sup>(88)</sup> والنقاش بين المتقدمين جرى في أكثر صورته حول أصلها وبين المتأخرين حول بعض دلالاتها في صحته من عدمه.

**أ- دلالة "لن" للحال والاستقبال:** قال السهيلي «تخلص الفعل للاستقبال بعد أن كانت صيغته للحال، فأغنت عن السين و سوف... وتنفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معنى النفي في حرف لا»<sup>(89)</sup> ففي قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:22] لن يُجِيرَنِي: لن حرف نفي واستقبال، والمضارع منفي بها منصوب في الحال والاستقبال، والآية متعلقة باستماع الجن للقرآن، قال الماوردي: «ويجتمل وجهين: أحدهم لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد، الثاني: لن يجيرني مما قدره الله علي أحد»<sup>(90)</sup> "لن" توكيد للحال وللأستقبال، في أمر إجارة الله له وحده، وبكلمة "قل" تلقينا، وهذا خالص التوحيد.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران:177] لن حرف نفي ونصب واستقبال، ويضروا منصوب بها بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو في محل رفع فاعل، والألف فارقة، والجملة في محل رفع خبر إن، فالضّرر المخبر به في الجملة يحيق بهم، قال الواحدي: «عائد الوبال في ذلك عليهم، وقال عطاء يريد: لن يضرّوا أولياء الله شيئاً»<sup>(91)</sup> والله: مفعول به للتعظيم، بمعنى: أولياء الله فحذف المضاف المنصوب وحل المضاف إليه محله، وانصب النفي على أن يصيب أحدا من أولياءه.

**ب- بين لن ولا:** ذكر ابن القيم (691-751هـ) أن ابن جني قال: «مكثت برهة وإذا ورد علي لفظ أخذ معناه من نفس حروفه وصفاته وجرسه وكيفية تركيبه، ثم أكشفه، فإذا هو ظننته أو قريبا منه»<sup>(92)</sup> وأن شيخه ابن تيمية أكد له أن هذا كثيرا ما يقع له مثله، وإذا جئنا إلى المقارنة بين "لن و لا" فكلاهما وظيفته النفي، لكن من الناحية

(86) -الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:256

(87) -الكتاب، سيبويه:5/3

(88) -ارتشاف الضرب، ابوحيان:1644/4

(89) -نتائج الفكر في النحو، السهيلي:100

(90) -النكت والعيون، الماوردي:121/6

(91) -التفسير البسيط، الواحدي:194/6

(92) -بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية:166/1

الصوتية: نلاحظ قصور معنى النفي في "لن"، وطوله في "لا"، قال السهيلي: «وتأمل حرف "لا" كيف تجدها: لا ماً بعدها ألف، يمتدُّ بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النفس، فأذن امتداد لفظها بامتداد معناها، و"لن" بعكس ذلك، فتأملها، فإنه معنيٌّ بديع»<sup>(93)</sup> فكأنه أراد الأحق بالتأييد الأطول صوتاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ إِنَّا كَاشِفُو الْعُنُقِ وَإِنَّا نَجْزِي السَّاعَةَ أَجْرًا﴾ [الأعراف: 143] تشير الآية إلى قضية الرؤية وحوها قامت آراء بتطويع بعض الحروف حسب معتقدها، وقفزت عن أسلوب العرب في كلامها، واصطنعت بآرائها لمذهبها دليلاً مزيفاً على حساب الوضع وصناعة النحو، وصحيح الأحاديث النبوية، وما نزل من الآيات القرآنية، والرؤية ثابتة بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23] وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] وقوله تعالى: ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] وفي السنة: سأل ناس عن رؤية الرب يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ فقالوا: لا يا رسول الله! قال: هل تضارون في الشمس ليس دونهما سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك»<sup>(94)</sup> وهو معتقد أهل السنة والجماعة.

ولا يلزم الإدراك لقوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: 103] والآية «نفت الإحاطة ولم تنف الرؤية فلم يقل تعالى لا تراه الأبصار»<sup>(95)</sup> ونحن في الدنيا نعلم ربنا بقلوبنا يقينا، ولا ندرك كيفيته وحقيقته، تأكيدا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: 110] فالإدراك لذات الباري عز وجل ممتنع على الإطلاق، وأتى بـ "لا" لما فيها من طول في قوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103] ولما كانت الرؤية غير ممتعة في الآخرة أتى بـ "لن" معها لما فيها من قصر في قوله عز وجل: ﴿لَن نَرَاكَ﴾ [الأعراف: 143].

ووجه نفاة الرؤية قائلهم: أن دلالة "لن" للنفي المؤبد والمؤكد، وجاءت في سياق الخبر الذي هو صدق من الله، لكن التأييد الذي يلحقونه بـ "لن" والتأكيد مجرد دعوى ليس لها مستند في كتب النحو، قال ابن مالك (6722هـ) في متن الكافية: «ومن رأى النفي بـ "لن" مؤبداً\*\*\* فقوله أردد، وخلافه اعضدا»<sup>(96)</sup>.

قال الواحدي في من تمسك بقول "لن" للتأكيد والتأييد؛ أحدهما أو كلاهما «هذه دعوى باطلة على أهل اللغة، وليس يشهد بصحته كتاب معتبر، ولا نقل صحيح»<sup>(97)</sup> وقال ابن هشام: «لن حرف نصب ونفي واستقبال... ولا

(93) - نتائج الفكر في النحو، السهيلي: 101، بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 167/1

(94) - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: 97/1 رقمه: 182

(95) - صفوة التفاسير، علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ط4، 1402هـ/1981م: 412/1

(96) - شرح الكافية الشافية، ابن مالك: 507/2

(97) - التفسير البسيط، الواحدي: 334/9



تفيد توكيد النفي خلافاً للزبخشري في كشافه، ولا تأييده خلافاً في أمودجه، وكلاهما دعوى بدون دليل»<sup>(98)</sup> وقال السهيلي: «ومن خواصها أنها تنفي ما قرب، ولا يمتد معنى النفي فيها»<sup>(99)</sup> وحزم أبو حيان أن القول «بالتوكيد والتأييد ونفي ما قرب؛ أقاويل المتأخرين، وإنما المرجوع في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لأئمة العربية المقانع الذين يرجع إلى أقاويلهم، وقال سيبويه رحمه الله و" لن " نفي لقوله سيفعل، وقال تكون " لا " نفياً لقوله: تفعل ولم تفعل»<sup>(100)</sup> والبلاء أن يبني عليها رأياً قلبياً دون الرجوع إلى الأثر.

فقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ هو أيضاً «دليل على جواز الرؤية، لأنه لو كان مستحيل الرؤية لقال: لا أرى، ألا ترى أنه لو كان في يد رجل حجر فقال له إنسان: ناولني هذا لآكل، فإنه يقول: "هذا لا يؤكل"، ولا يقول: لا تأكل، ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال: لا تأكل، أي: هذا مما يؤكل ولكنك لا تأكل»<sup>(101)</sup> قال الرازي رحمه الله: «لن لتأكيد نفي ما وقع السؤال عنه، والسؤال إنما وقع عن تحصيل الرؤية في الحال، فكان قوله " لن تراني " نفياً لذلك المطلوب فأما أن يفيد النفي الدائم فلا»<sup>(102)</sup> فالاحتجاج بالتأييد باطل لغة وعقلاً وشرعاً.

والثابت أن موسى عليه السلام طلب الرؤية في الدنيا، قال الواحدي: «فلا يقع على الآخرة، لأن موسى لم يقل: ارني في الآخرة، إنما سأل الرؤية في الدنيا فأجيب عما سأل»<sup>(103)</sup> وطلبه الرؤية هو دليل على جوازها، والذين ينكرون الرؤية ينكرون التكليم بالزوم، قال ابن القيم: «لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحداً، أو يراه أحدٌ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعته كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يجره باستحالة ذلك»<sup>(104)</sup>.

ومن هذا قوله عز وجل: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: 94، 95] وأكد "لن" بـ "أبدًا" كما أكدها في آية الجمعة للحرف " لا " في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: 7] قال الواحدي: «وعدم تمنئهم الموت لأنهم كفروا، وعرفوا أنهم كفره، ولا نصيب لهم في الجنة؛ لأنهم تعمدوا كتمان أمر النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه»<sup>(105)</sup> والانتساب إلى الله ومحبهه، وأحقيتهم بالجنة أمانى كاذبة، ولو كان خلوص الدار الآخرة لهم لتمنوا الموت، والتأييد مخصص ومطلق، قال ابن القيم: «التأييد المقيد والتأييد المطلق، فالمقيد كالتأييد بمدة الحياة، كقولك " والله لا أكمله أبداً " والمطلق كقولك: " والله لا أكفر بري أحداً " وإذا

<sup>(98)</sup> - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: 504، 501/3

<sup>(99)</sup> - نتائج الفكر، السهيلي: 130

<sup>(100)</sup> - البحر المحيط، أبو حيان: 249/1

<sup>(101)</sup> - التفسير البسيط، الواحدي: 333/9

<sup>(102)</sup> - مفاتيح الغيب، الرازي: 243، 242/14

<sup>(103)</sup> - م، س: 334/9

<sup>(104)</sup> - بدائع التفسير، ابن القيم: 265/2

<sup>(105)</sup> - م، س: 164/3

كان كذلك فالآية إنما اقتضت نفي تمني الموت أبد الحياة الدنيا، ولم يتعرض للآخرة أصلاً، وذلك لأنهم لحبهم الحياة وكرهاتهم للجزاء لا يتمنون الموت، وهذا منتف في الآخرة»<sup>(106)</sup> فتمنيهم الموت حقاً؛ هو يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ [الزحرف: 77].

وعند قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: 91] قال المراغي: «لن نبرح أي: لا نزال، عاكفين: مقيمين»<sup>(107)</sup> على عبادته، قال أبو حيان: «لن لا تقتضي التأييد خلافاً للزخمشري، إذ لو كان موضوعها التأييد لما جازت التغيية بحتي، لأن التغيية لا تكون إلا حيث يكون الشيء محتملاً فيزيل ذلك الاحتمال بالتغيية»<sup>(108)</sup> والتغيية بحتي تحديد لزمان لن.

واختلف في إتيان "لن" وما بعدها من الفعل للدعاء، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17] قال الدماميني: «وتأتي للدعاء كما أتت لا لذلك وفاقاً لجماعة منهم ابن عصفور»<sup>(109)</sup> ويمكن أن يكون قوله عليه السلام سيق مساق الاستعطف، قال السخاوي: (كأنه قال: رب اعصمني بما أنعمت علي من المغفرة؛ فلن أكون ظهيرا للمجرمين، وأراد بمظاهرة المجرمين: صحبة فرعون وانتظامه في جملة... وقيل: معناه: بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أولئك)<sup>(110)</sup>.

**ج- بين لن ولم:** كلاهما حرفان يختصان بنفي الفعل، قال ابن القيم: «ضارعت "لم" لتقارب المعنى واللفظ، حتى قدم عليها معمول فعلها، فقالوا: زيدا لن أضرب، كما قالوا: زيدا لم أضرب»<sup>(111)</sup> وهذا هو القاسم المشترك بينهما، ومن ثم جزم بلن في بعض المواطن من أساليبهم<sup>(112)</sup> وروى ابن كيسان عن الفراء «أن لن ولم أصلهما: لا، فأبدلت الألف نوناً في لن وميماً في لم»<sup>(113)</sup> وقال السيرافي (ت368هـ): «وزعم الفراء أن "لن ولم ولا" أصلها واحد، وأن الميم والنون مبدلتان من الألف في لا، وهذا ادعاء شيء لا نعلم فيه دليلاً، فيقال للمحتج عنه، ما الدليل على ما قلت؟ فلا يجد سبيلاً إلى ذلك»<sup>(114)</sup> لكن ثبت توافقهما في العمل.

(106) - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 168/1

(107) - تفسير المراغي، مصطفى المراغي: 162/16

(108) - البحر المحيط، أبو حيان: 253/6، روح المعاني، الألوسي: 250/16

(109) - شرح الدماميني على مغني اللبيب، الدماميني: 197/2

(110) - ينظر: تفسير القرآن، السخاوي (تح) موسى مسعود والقصاص، دار النشر للجامعات القاهرة، ط1، 2009م: 35/2

(111) - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 165/1

(112) - ينظر: ارتشاف الضرب، ابوحيان: 1642/4

(113) - م، ن: 1643/4

(114) - شرح كتاب سيويه، السيرافي: 83/1

فكما جزموا بـ "لن"، نصبوا بـ "لم" على العكس، ذكر أبو حيان أن النصب بها لغة لبعض العرب حكاه اللحياني علي ابن الحسن (220) في نوادره، وعليه خرجوا قراءة القارئ أبي جعفر المنصور: فتح الحاء في قوله عز وجل: ﴿أَمْ نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1]<sup>(115)</sup> وللعلم مجمع اللغة في القاهرة أجاز «الجمع بين "لم ولن" وبين "لا ولن"... ولم يرد ذلك في المأثور، ويرى المجمع تسويغ الصيغتين على أنهما من باب تنازع العاملين معمولا واحدا»<sup>(116)</sup> و"لم ولن ولا" أخوات في النفي، ولكل في سياقها معنى وحديث.

ففي قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24] "لم" شبيهة بحرف الجزاء الذي يقتضي جملتين، لكن أحد جملتيها محذوفة ومخففة، وجملة "لَنْ تَفْعَلُوا معترضة، قال الواحدي: «فإن لم تفعلوا فيما مضى، ولن تفعلوا فيما يستقبل أبدا»<sup>(117)</sup> وفائدة الاعتراض التي ليس لها موضع إعرابي: تأكيد المعنى الذي جاءت به جملة: لَمْ تَفْعَلُوا، واتقاء النار جواب الشرط للمعاند.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: 31] المراد بالقرآن الكتاب المقروء، والذي بين يديه ما تقدم من الكتب السماوية، أو ما ينزل بين يديه مما سيأتي من الأخبار؛ لأن الآية مكية، والقائلون كفار مكة وغيرهم، قال محمد العثيمين: «تأكيد النفي، ولم يقولوا: لا نؤمن، بل قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ يؤكدون انتفاء إيمانهم بالقرآن في المستقبل»<sup>(118)</sup>.

وخلاصة ما سبق: أنّ "لن" تؤكد المستقبل، ولا يراد بها التأييد المطلق، مثلما أثير حول قضية الرؤية، ولا يخفى أنّ القرآن جاء على أصلها بالوضع، كما للسياق دوره في ازدياد طولها وقصرها، فيقيدها أو يطلقها، وعليه فإن النواصب كغيرها من الحروف لا تخلو من وجهها الحجاجي في عرض قضايا عقدية تنسف ما تمسك به بعض الفرق بعيدا عن الوضع اللغوي.

<sup>(115)</sup> -ينظر: البحر المحيط، أبو حيان: 483/8، معجم القراءات، عمر مختار وعبد العال مكرم: 187/8

<sup>(116)</sup> -موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع: 584/7

<sup>(117)</sup> -التفسير البسيط، الواحدي: 255/2

<sup>(118)</sup> -تفسير القرآن الكريم سورة سبأ، محمد العثيمين: 201

\* الفصل الخامس:

-تنوع أساليب التعبير وتصوراتها التأثيرية:

- الصورة الحقيقية والمتخيلة
- التصوير بالمقابلة
- التصوير بالوصف
- التصوير في الحوار

• توطئة:

بواسطة الصورة ينتقل القرآن الكريم بالإنسان من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان دون حدودٍ، جيئةً وذهاباً، بل ينقلنا إلى الحياة الحقيقية المستقبلية التي لم تقع بعد؛ الدار الآخرة، فإذا هي حاضرة اليوم، تراها العين وتحسها النفس، وإن القرآن ليعرض صورة الإنسان مؤمناً أو كافراً حتى يقف كل إنسان ليحسب في نفسه بنفسه عن مصيره، ويحدد مكانه، وهو أسلوب قرآني فريد يستعمل للتوجيه والتربية.

والصور التي يرسمها القرآن وسائل تشارك في بناء العقيدة، وعرض العقيدة بالصورة والتربية عليها، فهو أحسن الأساليب فاعلية في الظفر بالحقيقة، قال سيد قطب: «لأنه يعبر بالصورة الحسية المتخيَّلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية»<sup>(1)</sup> وأفضلية التعبير بالتصوير في القرآن تشير إلى مزيتين فطريتين يتركز عليهما هذا الأسلوب في حياة البشر جميعاً:

الأولى: أنّ الصورة ملك الجميع من حيث القراءة؛ يقرأها العالم والجاهل، والصغير والكبير، بحيث تتواشج فيها الرؤية والخيال والإحساس، ومن ثم هي متاحة فطرياً لكل أنسان.

الثانية: أنّها أرفع وسائل التأثير لما لها من الأمانة والدقة في نقل الفكرة والحالة النفسية المصاحبة لها بوجه سافرٍ، دون تعقيد أو تشويش، ولا شيء أكبر في الدلالة من أن يُنقل المعنى وتأثيره.

والقرآن راعى المشاهد عامة؛ لأن المشهد قد يحوي صورة واحدة وقد يتسع لعدة صور ومشاهد القيامة خاصة، لإبراز ما ليوم الآخر من ثقل واهتمام في حياة الإنسان، قال سيد قطب: «هي مشاهد حية منتزعة من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة، ولا خطوط جامدة، مشاهد تقاس فيها الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات، والخواطر والخلجات وتُرسَّم المواقف وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في شخوص من الطبيعة تُخلع عليها الحياة»<sup>(2)</sup> فيؤتى بالمشهد مصوراً بأبعاد فنية ودلالية، لأن التعبير المصور أدعى في التأثير من التعبير المجرد.

واللغة أعظم ما فيها أنّها وسيلة تنقل لنا المشهد الذي هو قطعة من الحياة مصغرة إلى المستمعين، بحيث يتحوّل المستمع إلى مستمع ومشاهد في آنٍ واحدٍ، ويتفاعل مع أحداث المشهد كما لو كان جزءاً منه «لأننا حين ننقل الخبر إلى الغير، لا ننقل له حقيقة الأمر (لغة) وإنما ننقل إليه مشهداً... إذ المستمع لا يتوقف عند اللغة باعتبارها أصواتاً وألفاظاً وتراكيب وإتّما تتلاشى هذه الحدود في خلوده لتكشف عن مشكّلات المشهد المنقول»<sup>(3)</sup> فيتبع العقل أسلوب الصورة أكثر من أن يجنح إلى الأشياء المجردة.

(1) -التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: 36

(2) -م، ن: 43

(3) -شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، حبيب مونسيدويان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2009م: 4

وقد أدرك الجرجاني أن قضية التصوير قضية مهمة في الكلام بقوله: «ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يعبر التصوير والصوغ فيه، كالفضّة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار»<sup>(4)</sup> والذي يشير إليه عبد القاهر هنا أنّ الصورة ليس سبيلها المجاز من تشبيه وكناية واستعارة فقط، النظم أيضاً، وإن شئت ارتكازها على علم المعاني، فالصورة نمطان: حقيقية عملت فيها عناصر التقديم والحذف وغيره، فأحالتها على المباشر، وصورة بيانية كما علمت.

والمعاني في صورتها المجسمة أو هيئتها التشخيصية أسلوب القرآن من حيث إبلاغ حقائقه في صورتها الجمالية، ولا شك أن هناك اختلاف بين طريقتي التعبير المجرد، والتعبير بالصورة، قال سيد قطب: «المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي، وتصل إليهما مجردةً من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة الثانية تخاطب الحسّ والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى، من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد»<sup>(5)</sup> بينما تركز الطريقة التجريدية على الذهن مما يجعل التأثير أقل من سابقتها.

والتماس الإقناع لشد ما يكمن في عناصر الجمال التي هي وسائل تربط المعاني بالمباني من أصوات وصياغة للكلمات واختيار دقيق لها، أو بشكل عام في الصورة المستخلصة من الكلام، قال أبو زهرة «نجد السكاكي يعتبر التعبير المجازي أبلغ من التعبير عن المدلولات بالألفاظ التي وضعت لها»<sup>(6)</sup> وهذا مُلفت في القرآن، قال محمد دراز: «تقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام كأنتك لا تسمع كلاماً ولغاتٍ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة»<sup>(7)</sup> فصوره كثيرة ومثيرة لأنها محسنة، اختارها ليثبت بها المعاني لدى المتلقي.

والتصوير في الأسلوب القرآني ذو مساحة واسعة وآفاق فسيحة، قال سيد قطب: «يعبّر بالصورة المحسنة المنتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية»<sup>(8)</sup> فاعتمدها الأسلوب القرآني في صور عالم الغيب وإحضارها في عالم الشهادة ليستيقن المتلقي ويأخذ منها موقفاً.

(4) -دلائل الإعجاز، الجرجاني(تح) محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1424هـ/2004م:265

(5) -التصوير الفني في القرآن، سيد قطب دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ/2004م:194

(6) -المعجزة الكبرى القرآن، أبوزهرة:252

(7) -النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط1، 1417هـ/1997م:117

(8) -التصوير الفني في القرآن، سيد قطب:32

والقرآن كتاب تربية وتوجيه، الفن والدين فيه صنوان مازج بينهما، قال سيد قطب: «حيث وصل حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية»<sup>(9)</sup> في تبليغ أغراضه إلى النفس الإنسانية؛ لأنّ الجمال رغبة فطرية في الإنسان وعنصر أصيل في الكون الكبير، لأجل ذلك كانت تهمز أفئدة الذين لا يؤمنون به، ولا يستطيعون مقاومة تأثيره، والتقى الكافرون والمؤمنون على الإقرار بسحر القرآن وذاقوه وعرفوه بجلاوته وطلاوته وعلموا «أنها الحياة هنا وليست حكاية الحياة»<sup>(10)</sup> فالمزاوجة بين الغرض الديني والغرض الفني أمر واضح في الصورة القرآنية.

وفي الخطاب القرآني من خلال الأسلوب التصويري نلاحظ محورين كبيرين محور القصص ومحور الأمثال: فالقصة في القرآن الكريم ممدوحة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف 3] وكلها إقناع للنفس والدخول إليها من مسارب شتى لا يعلمها إلا الله، ولأهميتها تفعل في المتلقي فعل السحر لولعه بالمرئيات، قال محمد قطب: «وأياً كان الأمر فلا شك أن قارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخصها وحوادثها، فهو -على وعي منه أو غير وعي- يدس نفسه على مسرح الحوادث، ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذلك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق، أو يستنكر، أو يملكه الإعجاب، والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم»<sup>(11)</sup> فاعتمدها للإثارة وسهولة الإيصال وتبليغ الفكرة للناس كافة.

والمثل من أعجب الأساليب القرآنية، فهو أسلوب قائم على النقيضين، قال ابن القيم: «مثل السوء ومثل الحسن، فضرب سبحانه للمعارضين بين الوحي وعقولهم، مثل السوء بالكلب تارة، وبالحمير تارة، وبالأنعام تارة، وبأهل القبور تارة، وبالعمي الصم تارة، وغير ذلك من أمثال السوء التي ضربها لهم ولأوثانهم، وأخبر عن مثله الأعلى بما ذكر من أسمائه وصفاته وأفعاله، وضرب لأولياته وعابديه أحسن الأمثال، ومن تدبر القرآن فهم المراد بالمثل الأعلى ومثل السوء»<sup>(12)</sup> وضربت الأمثال للتأثير في القلوب، قال أبو حيان: «الغرض من ضرب المثل: تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل»<sup>(13)</sup>.

وقال ابن عاشور: «وكم في القرآن من مثل عقلي وحسي ينبه به العقول على حسن ما أمر به، وقبح ما نهي عنه، فلو لم يكن في نفسه كذلك لم يكن لضرب الأمثال للعقول معنى، ولكان إثبات ذلك بمجرد الأمر والنهي،

(9) -مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب: 269

(10) -التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 17، 1425هـ/2004م: 36

(11) -منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: 1/ 193، دار الشروق ط 12، 1409هـ/1989م

(12) -الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة، ابن القيم (تح) محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، (دط تا): 401/2

(13) -البحر المحيظ، أبو حيان: 360/7

دون ضرب الأمثال، وتبين جهة القبح المشهودة بالحسن والعقل»<sup>(14)</sup> ولذكر المثل والناتج عقب الإرشاد شأن ظاهر في تقرير الحقائق ولذلك نجد هذه الصور مبثوثة في القرآن الكريم.

### • الصورة الحقيقية والمنتخيلة:

قال إميل يعقوب الصورة في اللغة يراد بها: «الشكل والتمثال المجسم»<sup>(15)</sup> وهي إما حقيقية أو خيال، قال ابن الأثير: «الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته»<sup>(16)</sup> ومصطلح الصورة في القديم كان داخلا تحت مسمى الاستعارة أو المجاز أو ما سماه سيبويه: «سعة في الكلام»<sup>(17)</sup> وأسلوب الحقيقة والمجاز معروف ومستعمل في كلام العرب قبل ذلك وإن لم يكن المصطلح قد استقر.

لكن المجاز انخرق به عن مساره، واستغل مطعنا، وأخرجوه عن معناه الأصلي، وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية (661، 728هـ): «بأن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ، وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم: كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم. وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية»<sup>(18)</sup> يقصد تفسيرها.

ونعته تلميذه ابن القيم (691-751هـ) بأنه الطاغوت الثالث الذي «لهج به المتأخرون والتجأ إليه المعطلون، جعلوه جنة... ويصدون به عن حقائق الوحي المبين»<sup>(19)</sup> استعملته الجهمية في تعطيل حقائق الأسماء والصفات، وغلا ابن جني وادعى بأن أكثر اللغة مجاز عندما تعرض لخلق الأفعال<sup>(20)</sup> قال الزركشي: «بالغ ابن جني فادعى أن الغالب على اللغة المجاز... وقد استدرج بهذا المركب الصعب إلى أمور قبيحة تنزه الله عنها»<sup>(21)</sup> وفصل العلوي في استعمال اللفظة الواحدة قائلاً أن تكون: «مجازاً وحقيقة دفعة واحدة في وضع واحد، باعتبار معنى واحد، فهو

(14) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 293/24

(15) -موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب: 159/6

(16) -لسان العرب، ابن منظور: 2523/28

(17) -الخصائص، ابن جني: 447/2، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: 144

(18) -الإيمان، ابن تيمية: 84

(19) -الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة، ابن القيم: 690/2

(20) -ينظر: الخصائص، ابن جني: 447/2

(21) -البحر المحيط، الزركشي: 182، 181/2



مُحال، لاجتماع النفي والإثبات من الجهة الواحدة، لأنها باعتبار كونها حقيقة مستعملة في موضوعها، وباعتبار كونها مجازاً مستعملة لافي موضوعها، فيصير الموضوع حاصلًا غير حاصل، وهذا محال»<sup>(22)</sup>.

قال أبو البقاء الصورة: «ما تُنتقش به الأعيان وتميزها عن غيرها، وقد تطلق الصورة على ترتيب الأشكال ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها وهي الصورة المخصوصة، وقد تطلق على تركيب المعاني التي ليست محسوسة فإن للمعاني ترتيباً أيضاً وتركيباً وتناسباً»<sup>(23)</sup> وقال مصطفى ناصف عن الصورة: «تجيء للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات»<sup>(24)</sup>.

وفائدتها تقربنا من المعنى الكلي المجرد، يقول سيد قطب: «المعنى يظل حائراً في التصور البشري ومائعا حتى يتمثل في صورة محسوسة، ومهما أوتي العقل البشري من القدرة على التجريد فإنه يظل في حاجة إلى تمثيل المعنى المجرد في صور وأشكال وخصائص ونماذج؛ ذلك شأنه مع المعاني المجردة التي تمثل المحدود، فكيف بغير المحدود؟ لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس؛ ويقرب إلى حسهم معانيه الكبرى بوضعها في صور ومشاهد، ومحسوسات ذات مقومات وخصائص وأشكال»<sup>(25)</sup> فالخطاب بها تعليمي وتوجيهي يراد منه الإقرار.

وقال أبو زهرة عن أسلوب القرآن: «اعتمد في مسالكة على الأمر المحسوس أو الأمور البديهة التي لا يمتري فيها عاقل، وليس فيه قيد من قيود الأشكال المنطقية من غير أن يخل بدقة التصوير، وقوة الاستدلال، وصدق كل ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج في أحكام العقل»<sup>(26)</sup> فهو أسلوب فطري.

**1- الصورة الحقيقية:** حد الحقيقة كما عرفها ابن جني (ت392هـ) بأنها: «ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة»<sup>(27)</sup> أمّا السكاكي (ت626هـ) فقد عرفها بقوله: «الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع»<sup>(28)</sup> فأضاف عدم التأويل، وترتكز الصورة الحقيقية على النظم أو علم المعاني؛ لأن الصورة لا ترد فقط على الصورة البيانية، قال ماهر هلال: «فهي لا يقتصر ورودها على التشبيه والمجاز والكناية بل تأتي أيضا بأسلوب الحقيقة»<sup>(29)</sup> خالية من أي مرتكز بياني.

(22) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: 103، 102/1

(23) - الكليات، أبو البقاء الكفوي: 559

(24) - الصورة الأدبية للدكتور مصطفى ناصف: 3

(25) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 2296/4

(26) - المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة: 196

(27) - الخصائص، ابن جني: 444/2

(28) - مفتاح العلوم، السكاكي: 588

(29) - التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، ماهر هلال: 141

**2- الصورة المنتخبة:** هي الصورة التخيلية أو التخيل وهي تركز على العناصر البيانية، والخطاب بها تعليمي قال عيد بليغ: «هي حمل للملتقى على تصور أشياء بوصفها وسيلة للتمكين لحقيقة تعليمية في ذهنه، ومن ثم فإن أهم الفوارق بين التخيل في الخطاب التعليمي والخطاب الشعري أنه في الخطاب التعليمي لا يهدف إلى تحقيق غاية جمالية تحسينية خالصة، ولكن يهدف إلى إقرار حقيقة والتمكين لها في نفس المتلقى»<sup>(30)</sup> والتخيل يهدف إلى تصور الأمور الغيبية فيما جاء من مصدرها الموثوق، ويقرب الصورة وقيمتها.

والصورة التخيلية تقرنا من المعنى المجرد، والخيال هو أحد ركائز الصورة البيانية وبه تفرق عن الصورة الحقيقية، قال ماهر فهمي: «هي تجسيم لمنظر حسي أو مشهد خيالي، ويتخذ اللفظ أداة له، وهناك بالإضافة إلى تجسيم اللون والظل، أو الإيحاء والإطار، وكلها عوامل قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها»<sup>(31)</sup>.

**أ- صورة ضلال المعتقد:** وتجيء إما لأنهم لا يحبون أن يسمعوا الحق بتاتا، أو انتكسوا على أعقابهم بعد الاهتداء، فيرسم لهم صورة في غاية الزرابة والحقارة، تعجب من حالهم، وضلالهم وهم بعد يملكون وسائل الإدراك والنفذ، ومن ضلال معتقد الكافرين هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171] والتعبير من قبيل التمثيل المركب، صورته أن الراعي كما قال ابن الهائم: «يصيح بالغنم فلا تدري ما يقول لها إلا أنها تنزجر بالصوت عما هي فيه»<sup>(32)</sup> فشبه إعراضهم عن الهدى بالأغنام، ووجه الشبه بين الطرفين هو الضلال وسلب الإدراك.

فزاوج بين الغرض الدنيوي: وهو رفض الذين كفروا تلقى أمر العقيدة من الله بتلقيهم العقيدة من غير الله، بتقليد آبائهم بلا تعقل ولا إدراك، وأتى بصورة التقليد والجمود، قال سيد قطب «صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني! بل هم أظل من هذه البهيمة فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي»<sup>(33)</sup> لعدم الانتفاع بالحواس التي هي منافذ المعرفة.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11] تدل الصورة على ضعف العقيدة «والتعبير القرآني يصوره في عبادته لله (على حرف) غير متمكن من العقيدة، ولا مثبت في العبادة، يصوره في حركة جسدية

(30) - مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، عيد بليغ، دار الكتب المصرية، ط1، 1429 هـ 2008م: 623

(31) - المذاهب النقدية، ماهر فهمي، مكتبة النهضة، القاهرة، (دط تا): 204

(32) - التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم (تح) عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م: 100

(33) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 1/155.

متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى، ومن ثم ينقلب على وجهه عند مس الفتنة، ووقفته المتأرجحة تمهد من قبل لهذا الانقلاب»<sup>(34)</sup> لأن الإيمان لم يخالط قلبه.

روي سعيد ابن جبير عن ابن عباس: «قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاما، ونتجت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء»<sup>(35)</sup> ولا شك أن هذا حساب التجارة، فيه الربح وفيه الخسارة، لا يصلح للعقيدة التي هي حق يعتنق لذاته، والتي شرطها الرضى بالمقدور، والاستسلام لله رب العالمين في نجوة عن الحسابات.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ\* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 175، 176] وكلمة انسلخ من الانسلاخ، قال ابن منظور: «كل شيء يُفْلَقُ عن قشر فقد انسلخ، و منسلاخ الحية وسلختها جلدتها التي تنسلخ عنها»<sup>(36)</sup> فوصف بالحقارة والضعفة لما انسلخ منها، قال ابن القيم: «خرج منها كما تنسلخ الحية من جلودها، وفارقها فراق الجلد يسلم عن اللحم، ولم يقل فسلخناه منها لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه... فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفرسته، فكان من العاوين العاملين بخلاف عملهم»<sup>(37)</sup> وكان الرجل من علماء بني إسرائيل.

قال سيد قطب عن هذه الصورة: «إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات، إنسان يؤتاه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ينسلخ كأنما الآيات أدبم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أدبمه اللاصق بكيانه»<sup>(38)</sup> وقال ابن القيم: «أخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم وإنما هي بإتباع الحق وإيثاره، وقصد مرضاة الله تعالى»<sup>(39)</sup> فلم يك ينفعه علمه بلا تقوى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: 44] إنها لصورة ميؤوس منها تلك التي رسمها القرآن للذين لا ينتفعون بالقرآن حيث جعلهم كمن ينادى عليه فلا يسمع

(34) -م، ن: 4/2412

(35) -صحيح البخاري كتاب التفسير، محمد ابن إسماعيل البخاري: 918 رقمه: 4742

(36) -لسان العرب، ابن منظور: 21/2062

(37) -أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم: 1/129

(38) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 3/1396

(39) -أمثال القرآن، ابن القيم: 55

لبعد المسافة قال الفراء: «تقول للرجل الذي لا يفهم قولك: أنت تُنادى من مكان بعيد، وتقول للفهم إنك لتأخذ الشيء من قريب»<sup>(40)</sup> والبعد نفسي مرتكز على الكناية، وإن كانت أجسادهم حاضرة.

**ب- صور الآلهة المصطنعة:** وهي صور ترسم للآلهة التي يتخذها أصحابها من دون الله أيًا كان نوعها، فيأتي بها القرآن ويقارن بينها وبين الإله الحق، ويفضحها وعابديها في شكل من التحدي، مما يسري الإقناع للناس جميعا فيعرفوا الله الأحق بالعبادة، والقرآن مملوء بهذا لمن تدبره، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 29] المثل بناؤه: أن المملوك الأول يملكه جماعة مختلفون، والمملوك الثاني يملكه مولى واحد، قال ابن القيم: «أي: خالصا له وحده لا يملك معه غيره»<sup>(41)</sup> فالمقارنة بينهما تبين لمن توجه العبادة الخالصة لله وحده.

قال ابن القيم: «احتج سبحانه وتعالى على قبح الشرك بما تعرفه العقول من فرق بين حال مملوك يملكه أرباب متعاسرون سيئو الملكة، وحال عبد يملكه سيد واحد قد سلم كله له، فهل يصح في العقول استواء حال العبدین؟ فكذلك حال المشرك والموحد الذي قد سلمت عبوديته لإله الحق؟ لا يستويان»<sup>(42)</sup> وقال المراغي: «فأي العبدین أحسن حالا وأحمد شأنًا؟ الجواب لا يحتاج إلى بيان، هكذا حال المشرك الذي يعبد آلهة شتى يبقى ضالًّا حائرًا لا يدري أيُّ تلك الآلهة يعبد؟ ولا على أيهم يعتمد؟ ومن يطلب رزقه؟ ومن يلتمس رفته؟ أما من لم يثبت إلا إلهًا واحدًا فهو قائم بما كلفه، عارف ما يرضيه وما يسخطه، لا شك أن البون بين حالهما شاسع»<sup>(43)</sup> وضرب المثل من أجل أن تكون العبادة خالصة لله وحده دون سواه؛ وهو ما كانت تأباه كفره قريش.

وكقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 28] قال ابن القيم: «يحتج سبحانه عليهم بما في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكًا له، فإذا كان أحدهم يستقبح أن يكون مملوكه شريكه، ولا يرضى بذلك، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي؟ وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفطر، والسمع نبه العقول وأرشدتها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك»<sup>(44)</sup> والشرك الذي كانت تزاوله قريش هو شرك الإلهية: المتمثل في المحبة والتعظيم.

(40) -معاني القرآن، الفراء: 20/3

(41) -بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: 600/2

(42) -مدارج السالكين، ابن القيم: 264/1

(43) -تفسير المراغي، مصطفى المراغي: 164/23

(44) -م، س: 263/1-264

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: 76] وقال ابن القيم: «هذا مثل ضربه الله لنفسه وللصنم، فهو سبحانه الذي يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، والصنم مثل العبد الذي هو كَلٌّ على مولاه، أينما يوجهه لا يأتي بخير»<sup>(45)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: 73] وملازمة الضرب للمثل قال رشيد رضا: «يؤتى به عند إرادة التأثير وهيج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه»<sup>(46)</sup> وهو جانب فني للتشويق.

قال ابن عاشور: «وبني فعل "ضُرب" بصيغة النائب فلم يذكر له فاعل... إذ أسند الضرب إلى المشركين، لأن المقصود هنا نسج التركيب على إيجاز صالح لإفادة احتمالين: أحدهما: أن يقدر الفاعل الله تعالى وأن يكون المثل تشبيها تمثيلا، أي: أوضح الله تمثيلا يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات كما هو مشاهد لكل أحد، والثاني: أن يقدر الفاعل المشركين ويكون المثل بمعنى المماثل، أي: جعلوا أصنامهم مماثلة لله تعالى في الإلهية»<sup>(47)</sup> قال سيد قطب: «الإبداع في عرض الحقيقة بصورة ترسم العجز عن بلوغ مسألة هينة من ظاهرها، والجمال هنا هو في تلك الظلال التي تلقيها خطوات الصورة من خلال التعبير»<sup>(48)</sup> في عجز الآلهة عن الخلق بل في استرداد المسلوب، فيحيا المعنى الساكن ويتحرك بالتخييل.

والطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ جيء في معناهما أقوال، قال وهبة الزحيلي: «عجز الطالب وهو الإله المعبود، من استنقاذ الشيء المسلوب من الذباب المطلوب، أو ضعف عابد الصنم والصنم المعبود»<sup>(49)</sup> ومن جعل شيئا لها مع الله فما قدره، ولا عرفه، ولا عظمه حق تعظيمه، والآلهة المزعومة التي تدعي الربوبية وتنتحل الإلهية عاجزة عن رد النزر التفه الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف.

(45) -م، ن: 476/3

(46) -تفسير المنار، رشيد رضا دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ/1947م: 236/1

(47) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 338/17

(48) - كتب وشخصيات، سيد قطب دار الشروق، بيروت (د ط تا): 30

(49) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 303/9

ومما يستأنس به ما حكاه الجاحظ عن قاضي البصرة الذي كان أشد الناس وقارا وسكونا وقد نزل به الذباب وعضه من مؤقه وأرنبة أنفه، وتجلد زمنا ثم ضعف وتحرك، فقال: «استغفر الله! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا... فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه!»<sup>(50)</sup> ثم تلا الآية.

**ج- صور من اليوم الآخر:** القرآن المكي كَلَّه حديث عن اليوم الآخر، لأنه كان يواجه منكرين للبعث جاحدين لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يحدثهم عن الغيب عموما، قال محمد قطب: «ظل يتكلم عنه في القرآن المدني بصورة مسهبة، مما يدل على أن القضية قضية تمس جوهر الإنسان، مؤمنا أو مشركا، فهذا القرآن للبشرية كافة، على اختلاف مستوياتها النفسية والروحية، والاجتماعية والحضارية، وأن كل مستوى من البشر يجد فيه حاجته ويجد انعكاس نفسه فيه كما ينظر في المرأة»<sup>(51)</sup> ويأتي اليوم الآخر في القرآن المدني مباشرة بعد الإيمان بالله و مرتبطاً به وهذا ما يزيد في قضية الإيمان به والتأكيد عليه، كقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وبالتربية على اليوم الآخر والخوف منه، قال سيد قطب: «عاش المسلمون في هذا العالم عيشةً كاملةً: رأوا مشاهده وتأثروا بها وخفقت قلوبهم تارة، واقشعرت جلودهم تارة، وسرى في نفوسهم الفرع مرة، وعادوهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظاً، ورف إليهم من الجنة نسيم ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود»<sup>(52)</sup> فكيف استطاع الإسلام أن ينتقل بقوم منكرين للبعث، إلى قوم مؤمنين به؟ وما هي طريقته في ذلك؟ ولاشك أنها طريقة التصوير: في رسم صورهم وهم يعذبون أو يتنعمون، وعرض حالهم يومذاك، وترك المستمع يقارن، ويتوقع نهايته كيف تكون.

ومن أمثلة التصوير بأسلوب الحقيقة قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ\* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: 42، 43] قال المراغي والمعنى: «إنما يجهلهم ويمتعهم بكثير لذات الحياة ولا يعجل عقوبتهم، ليوم شديد الهول ترتفع في أبصار أهل الموقف وتبقى مفتوحة لا تطرف من الفرع والاضطراب»<sup>(53)</sup> وهو تصوير حسي لصور حقيقية، فشخص أبصار الظالمين والإهطاع أي: الإسراع إلى الداعي بذلة واستكانة، ورفع رؤوسهم دون أن تطرف أعينهم، والأفئدة الهواء التي تجيش في صدورهم كلها صور متزاحمة على وجه الحقيقة تعكس هول الموقف.

(50) -الحيوان، الجاحظ، (تح) عبد السلام محمد هارون، ط2، 1384هـ/1965م: 345/3

(51) -دراسات قرآنية، محمد قطب: 45

(52) -مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب: 42

(53) -تفسير المراغي، مصطفى المراغي: 165/13

ومما يصوره القرآن، تَصْيِيرِ الْمُسْتَقْبَلِ حَاضِرًا وَجَعَلَ الْحَاضِرَ مَنْسِيًا، قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:28] قال محمد قطب: «في كلمات يطوى الزمن كله في لحظات، وهاهم في الجنة يسترجعون ذكرى حياتهم الدنيا التي أصبحت ماضياً، تمّ القرار الأخير»<sup>(54)</sup> ففصلت كلمة "قبل" بين مرحلتين.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:40] فعن هؤلاء الكافرين، قال الزمخشري: «لا يصعد لهم عمل صالح، وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى: لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة، وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين، وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون»<sup>(55)</sup> وقراءة نافع وابن كثير وعاصم "تفتّح" بضم التاء الأولى وفتح الفاء وتشديد التاء الثانية مبالغة في الفتح توكيد على نفي الفتح له<sup>(56)</sup> والتشديد أدل «فاللفظ إذا كان على وزن ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أي يتضمن من المعنى أكثر ما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زادت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة»<sup>(57)</sup>.

والإخبار عن حالهم جاء «بأسلوب تأكيد الدم بما يشبه المدح في تركيب الآية، فقد جعل انتفاء دخولهم الجنة امتداداً مستمراً، إذ جعل غايته شيئاً مستحيلاً باستحالة دخول الجمل سم الخياط»<sup>(58)</sup> وتوحي الصورة بأن أملهم «كامل جمل لا عقل له، يراقب ثقب إبرة ينفجر له، فيلج فيه، ليصل إلى حيث يجد ما يطلب، مما تشتهي نفسه»<sup>(59)</sup> فجاء المعنى كما قيل: «لا يدخلون الجنة حتى يتفحم أعظم الأشياء وأكبرها عند العرب في أضيق الأشياء وأصغرها، فكأنه قيل: لا يدخلون حتى يوجد هذا المستحيل»<sup>(60)</sup> وتعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع الشرط أي: لا يوجد هذا أبداً، وهي صورة تثير «الخيال، وتجعله عاكفاً على تمثل تلك الحركة العجيبة التي لا تتم ولا تقف ما تابعها الخيال... ليس فيها استعارة ولا كناية ولا تشبيه، ولكنها فقط تعبر عن معنى المستحيل غيباً بصورة المستحيل حساً ومشاهدة»<sup>(61)</sup> وفيها الخذلان والتبكيك وحسرتهم.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيئًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك:7،8] وصورة جهنم هنا، قال سيد قطب: «مخلوقة حية، تكظم غيظها فترتفع أنفاسها في شهيق وهي تفور، وبملاً جوانحها الغيظ والحنق على الكافرين، فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم، وهي تنطوي على بغض وكره يبلغ حد الغيظ والحنق على

<sup>(54)</sup> -دراسات قرآنية، محمد قطب: 66 وما بعدها.

<sup>(55)</sup> -الكشاف، الزمخشري: 78/2

<sup>(56)</sup> -ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد: 280، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 269/2

<sup>(57)</sup> -البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 34/3

<sup>(58)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 127/8.

<sup>(59)</sup> -معارج التفكير ودقائق التدبر، حبنكة الميداني: 226/4

<sup>(60)</sup> -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلي: 320/5

<sup>(61)</sup> -الصورة الأدبية في القرآن، عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1995م: 24

الكافرين، والتعبير في ظاهره يبدو مجازاً تصويرياً لحالة جهنم، ولكنه، فيما نحس، يقرر حقيقة، فكل خليقة من خلائق الله، حية ذات روح من نوعها، وكل خليقة تعرف ربها وتسبح بحمده»<sup>(62)</sup> تقال صبحي الصالح: «المشهد حافلاً بالحياة والحركة... فليس في الصورة استعارة معقول محسوس فقط، وإنما استعيرت لجهنم شخصية آدمية، لها انفعالات وجدانية، وخلجات عاطفية، فهي تشهق شهين الباكين، وهي تغضب وتثور، وهي ذات نفس حادة الشعور»<sup>(63)</sup> فالصورة على حقيقتها نؤمن بصفاتها ولكننا لا ندرى كيفيتها.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185] قال سيد قطب: «ولفظ زحرح بذاته يصور معناه بجرسه، ويرسم هيئته، ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبيه تشد إليها من يقرب منها، ويدخل في مجالها! فهو في حاجة إلى من يزحرحه قليلاً قليلاً ليخلصه من جاذبيتها المنهومة! فمن أمكن أن يزحرح عن مجالها، ويستنقذ من جاذبيتها، ويدخل الجنة، فقد فاز»<sup>(64)</sup>.

**د- صور لضلال الأعمال:** من ضلال الأعمال وزهوقها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 18] وهي حالة عجيبة في تبيان أعمال الذين كفروا بما فيها الخيرات ثم لم ينتفعوا بها يوم القيامة، قال ابن عاشور: «شبهت أعمالهم المتجمعة العديدة برماد مكس فإذا اشتدت الرياح بالرماد انتشر وتفرق تفرقا لا يرجى معه اجتماعه، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اضمحلال شيء كثير بعد تجمعه، والهيئة المشبهة معقولة»<sup>(65)</sup> ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران: 91] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: 47] الآية تشير إلى الذين يموتون على الكفر لا تقبل منهم فدية من عذاب الجحيم، قال ابن منظور: «الملء اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ، يقال أعطى ملاءه، وملاؤه، وثلاثة أملائه»<sup>(66)</sup> والآية تبين نوع الفدية وهي ملء الأرض ذهباً ومثله معه، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك»<sup>(67)</sup> فلا يقبل منه، وفيه زيادة عذاب النفس إلى عذاب الجسد.

(62) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 3634/6

(63) - مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 325

(64) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 539/1

(65) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 212/13

(66) - لسان العرب ابن منظور: 158/1

(67) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 85/4



ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ [الرعد:18] لو قال: والذين لم يستجيبوا له لن ينفعهم شيء يوم القيامة، لأدى التعبير معناه، ولكن أين هذا المعنى الذهني من هذه الصورة؟ قال محمد قطب: «فالخيال يعمل في تتبع الصورة، صورة إنسان يمتلك ما في الأرض جميعاً، وذلك مستحيل في عالم الواقع ولكن الصورة تزيد الأمر استحالة "ومثله معه" ومن أين يأتي بالمثل حتى ولو أراد؟! ثم الافتداء ذاته، كيف يقوم به؟ كيف يتقدم إلى الله بملء الأرض، ومثله معه؟ إن الخيال ليرسم صورة إنسان يحاول أن يتأبط الكرة الأرضية جميعاً فضلاً عن مثلها معها! فيتجسم معنى الاستحالة بأضعاف ما يتمثله الذهن المجرد الذي يتعامل مع المعاني التجريدية للألفاظ»<sup>(68)</sup> بهذا التصوير، الإنسان يرى نفسه ويُقرّر مصيره.

**هـ- صور للسنن الربانية:** والسنن جمع سنة بضم السين، قال ابن عاشور: «وهي السيرة من العمل أو الخلق الذي يلزم المرء صدور العمل»<sup>(69)</sup> وقال عبد الرحمن الميداني: «هي النموذج أو المثال ويطلق المثل في القرآن ويراد منه ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع أو عمل من الأعمال، أو سنة من السنن»<sup>(70)</sup>.

منه قوله الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:17] المثل تشبيهي منتزع من متعدد، قال وهبة الزحيلي: «تشبيه الحق والإيمان بالماء المستقر والمعدن النقي الصافي، وتشبيه الباطل والكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتنسفه الرياح، أو تشبيهه بالطافي فوق المعدن المذاب، فكذلك الكفر وشبهاته وخيالاته تذهب وتضمحل ويبقى الجوهر الصافي من الماء، والمعدن النقي»<sup>(71)</sup>.

والصورتان متقابلتان: الماء الجارف للزبد والجفاء، فذهب الجروف وبقي الماء وحده يخرج به النماء والخير، والمعادن والمواد الخبيثة والأقذار تطفوا عند فتنها، فيجري طرحها والتخلص منها، ويبقى المعدن الخالص منه الحلية والمتاع، كذلك الحق والباطل، الباطل في زهوه وسرعته، يعلو ويربوا ومآله الزهوق والذهاب كزبد السيل والمعدن، والحق في ثباته وسكونه وعاقبته، يبقى ويشمر كالماء والمعدن الصافي، قال سيد قطب: «كذلك يقرر مصائر الدعوات، ومصائر الاعتقادات، ومصائر الأعمال والأقوال، وهو الله الواحد القهار، المدبر للكون والحياة، العليم بالظاهر والباطن، والحق والباطل والباقي والزائل»<sup>(72)</sup> والمثل تقرير لسنة من سنن الله عز وجل.

(68) -دراسات قرآنية، محمد قطب: 172

(69) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 96/4

(70) -أمثال القرآن وصور من أدبه الرقيع، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: 43

(71) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 162/7

(72) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 2054/4

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: 18] قال الزركشي: «الْقَذْفُ والدَّفْعُ مستعاران، وهما محسوسان، والحق والباطل مستعار لهما، وهما معقولان»<sup>(73)</sup> والجار والمجرور متعلق بالقذف «ويجوز أن يكون الجار والمجرور "على الباطل" متعلقاً بحال محذوفة من "الحق" بمعنى فيمحقه أو فيشججه حتى تبلغ الشجعة الدماغ بمعنى: فيكسر دماغه وهذا التعبير الكريم مبالغة بديعة في أهلاك الباطل»<sup>(74)</sup> والمعنى: نورد الحق على الباطل فيذهب، فاستعيرت لفظنا "القذف و الدمغ" لزيادة لا تتضمنها لفظنا "الإيراد و الإذهاب" فالقذف أبلغ من الإيراد قال العسكري: «لأن فيه بيان شدة الوقع، وفي شدة الوقع بيان القهر وفي القهر ها هنا بيان إزالة الباطل على جهة الحججة لا على جهة الشك والارتياب والدمغ أشد من الإذهاب»<sup>(75)</sup>.

قال صبحي الصالح عن مكونات الصورة هنا: «التجسيم والتشخيص والتخييل، أما التجسيم ففي تصوير الحق بالقذيفة الثقيلة، وأما التشخيص ففي دمغ الحق بالباطل وإزهاقه إياه، وأما التخييل في تصور نوع الثقل الذي تحدته حركة القذف ثم الدمغ ثم الإزهاق، فإنها أصوات شداد توشك أن تكون صدى لعظام الباطل وهي تتحطم وتقعقع»<sup>(76)</sup> وهي صورة لا يتعجلها أصحاب الحق وإن طال انتفاش الباطل، والباطل زاهق والحق ثابت، فالصورة بما تحمله من مفرداتها: الظل والجرس والتخييل والتجسيم، أداة قرائية تقرب وتوضح الدلالة.

**و- من صور الطبيعية:** والطبيعية في القرآن مخلوق حيٌّ وجميل، يسمع ويستجيب، يسجد ويخضع يتكلم ويأبى ييكي ويغضب، ومشاعرها مندججة بالمشاعر الإنسانية؛ ممّا يطرأ على الإنسان من صفات، لكن لا نعرف كيفيتها، يستخدمها القرآن على الحقيقة في إيقاظ الحسّ الإنساني وربطه بالقدرة الخالقة، وتقريب الغيب وجعله مشهودا.

منها قوله الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: 13] واختار القرآن صورة الرعد وهو يسبح وسط سياق جو كله دعاء ورهبة يشارك فيه البرق والسحاب الثقال والملائكة، قال سيد قطب: «وقد يكون المدلول المباشر للفظ يسبح هو المقصود فعلا، ويكون الرعد يسبح فعلا بحمد الله، فهذا الغيب الذي زواه الله عن البشر لا بد أن يتلقاه البشر بالتصديق والتسليم وهم لا يعلمون من أمر هذا الكون ولا من أمر أنفسهم إلا القليل!»<sup>(77)</sup> وفي هذا الجو الرهيب الذي تعنوا فيه الخلائق العظمى وتسبح، يجادل المجادلون، والصورة على حقيقتها.

(73) -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 1547/4

(74) -الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح: 197/7

(75) -الصناعتين الكتابة والشعر، العسكري (تح) محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ط2، 1971م: 278

(76) -مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح دار العلم للملايين، بيروت، ط 10، 1977م: 325

(77) -في ظلال القرآن، سيد قطب: 2051/4

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾ [يس:37] الصورة من الوجه المحسوس، قال السيوطي: «فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل، وهما حسيان، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر، وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل، والترتب أمر عقلي»<sup>(78)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:24] هذا المثل عبارة عن قول مشبه بقول، يشتركان في شيء محسوس لأجل التقريب والبيان، قال وهبة الزحيلي: «صورتاه كلمة طيبة كشجرة طيبة، والكلمة الطيبة: هي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن والشجرة الطيبة، هي النخلة... "كلمة خبيثة" هي كلمة الكفر "كشجرة خبيثة" هي الحنظل»<sup>(79)</sup> يقول ابن القيم: «فشبهه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر العمل النافع... والكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة»<sup>(80)</sup> وهو تصوير منتزع مما يعهدون.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ\* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات:64-65] قال حسن القنوجي: «الطلع: حقيقة اسم لثمر النخل أول بروزه، فإطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة، والمعنى ثمرها وما تحمله كأنه في تناهي قبحه وهوله وشناعة منظره "رؤوس الشياطين" فشبه المحسوس بالمتخيل؛ وإن كان غير مرئي للدلالة على أنه غاية في القبح كما يقولون في تشبيهه من يستقبحونه كأنه شيطان، وفي تشبيهه من يستحسنونه كأنه ملك كما في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31]»<sup>(81)</sup> فهو تقريب حال المشبه بما تصوره المخيلة، ومما يعرفونه من كلامهم وأمثالهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف:99] الصورة مبنية على استعارة، قال السيوطي: «أصل الموج حركة الماء، فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة، والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه من الكثرة»<sup>(82)</sup> والصورة من الوجه المحسوس.

<sup>(78)</sup> -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 1546/4

<sup>(79)</sup> -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 260/7، 261

<sup>(80)</sup> -أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية: 171/1

<sup>(81)</sup> -فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي: 393/11

<sup>(82)</sup> -الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 1546/4

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَّهُ أَوَاتٌ﴾ [ص:18،19] الصورة تبين الجبال الجامدة تسبح مع داوود عليه السلام بالعشي والإشراق، والطير مجتمعة للتسبيح والاستماع للترجيع العذبة، وهو ما لا نعهده في دنيا الناس، والصورة محمولة على الحقيقة لأنها إخبار من الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:109] قال أبو السعود: البحر «جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الخبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر الآيات الداعية إلى التوحيد المحذرة من الإشراك (لنفد البحر) مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه "قبل أن تنفد" وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد" كلمات ربي " لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر»<sup>(83)</sup> والصورة مثال لعلم الله الذي لا يتناهى.

وفي الآية الموالية ذكر الأشجار أقلاما، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:27] قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل: "من شجرة" بالتوحيد؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتفصيلها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد برت أقلاماً... فإن قلت: "الكلمات" جمع قلة، والموضع موضع تكثير، قيل: كليم، قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه؟»<sup>(84)</sup> والصورة لا تقوم بعد على شيء من المجاز.

**ز- صور للحركة في الكون:** الحركة أنماط: منها الوئيدة والسريعة، والخافية والظاهرة، والهادئة والنعيفة، تتناسب والسياق العام والغرض الديني اللذين يتحكمان فيها، قال صبحي الصالح: «ونريد ألا نغفل عن الحياة والحركة والتناسق الفني في المشاهد القرآنية، فإنها أوضح من أن تكتم، وأقوى من أن تهمل»<sup>(85)</sup> ففي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:95-99].

فالمصورات كلها حركة، قال محمد قطب: «الحب والنوى وهو يفلق باطن الأرض ليخرج منه نبات حي، الحركة الدائبة في إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي... حركة الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، حركة

(83) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: 562/3

(84) - الكشاف، الزمخشري: 236/3

(85) - مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 327

النسل التي أخرجت البشرية من نفس واحدة، وما تزال دائبة في المستودع والمستقر، حركة الماء التازل من السماء فيخرج منه نبات كل شيء، ثم حركة التنويع في النخل والأعنان والزيتون والرمان<sup>(86)</sup> والحركة هنا خافية ووثيدة، تشير إلى القدرة الربانية، والقرآن يركز على "الحركة" في الصورة ليعرّف من خلالها الفاعل الحقيقي: الحي القيام الذي لا ينام سبحانه وتعالى ولا يغفل عما يجري في ملكه.

والحركة المختلفة في الكون يصحبها تنويع في التعبير نلاحظه: [بين فالق وجعل، ويخرج ومخرج، وبين ألفاظ الإخراج: فأخرجنا به، فأخرجنا منه، نخرج منه، وبين: المشتبه والمتشابه، والثمر إذا أثمر] والتنويع في التعبير إلى جانب التصوير إعجاز يراود منه ربط القلوب بالخالق، والاحتفاء بالحركة في الصورة وإبرازها هو لفت الحس لهذه الحركة الخفية التي لا يعلمها إلا الله كيف تمت، والتركيز عليها يجعل التعبير كما لو أطلق أول مرة.

وهذه حركة من نوع آخر فيه حدة وغضب يصورها قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ\* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ\* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ\* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ وَمِمَّا أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ\* وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مَّظْلُمُونَ\* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ\* وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ\* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ\* وَأَيَّةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا دُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ\* وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ\* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ\* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس:33 حتى 44].

فالمشهد مملوء كله بالحركة القوية، حيث تصطف الكلمات في التعبير بالتصوير، قال محمد قطب: (نوع الحركة عنيفة وسريعة؛ فالعيون المفجرة وعملية سلخ النهار من الليل، وسرعة الشمس لمستقرها، ومنازل القمر حتى عاد كالعرجون القديم، وسباق الشمس والقمر، والليل والنهار، والفلك المشحون، وألفاظ الإغراق والصريح والإنقاذ)<sup>(87)</sup> وغير ذلك من الألفاظ التي تحدّد نوعية الحركة في الآيات.

وجيء بهذا النوع من الحركة لتأكيد محور السورة الأساسي وتثبيتته وهو: قضية البعث والنشور فجاءت الآيات فواصلها قصيرة وتأثير طرقاتها على الحس عنيفة، فضربت لهم صور مما يتعهدونه من الموت والحياة، كالأرض الميتة وإحياءها، وكسلخ النهار من الليل وغيره، فناسبت الحركة القصيرة، أن هذا الأمر الذي ينكرونه: هو مشاهد عندكم في دنياكم ومما تعرفون، وأنه على الله يسير.

**ح- صور من الدعوة:** وهي أحداث كان يلقيها صلى الله عليه وسلم من دعوته الناس إلى الإسلام، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم:51] قال ابن عاشور: «جعل الإزلاق بأبصارهم على وجه الاستعارة المكنية، شبهت الأبصار بالسهم ورمز إلى المشبه به بما هو من رواده وهو

(86) -منهج الفن الإسلامي، محمد قطب دار الشروق، بيروت، ط6، 1400هـ/1983م:146

(87) -ينظر: م، ن: 149

فعل "يزلقونك"... وجاء "يكاد" بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل وجاء فعل سمعوا ماضيا لوقوعه مع "لما" وللإشارة إلى أنه قد حصل منهم ذلك وليس مجرد فرض»<sup>(88)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ \* كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ \* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدرثر: 49، 50] والإعراض من دعوتهم للهدى يمكن أن يؤدي في صورة تجريدية مثل: إثم لينفرون أشد النفرة من الإيمان فيمتلى الذهن وحده بمعنى التفور في برود وسكون، قال سيد قطب: «ولكن التعبير القرآني يؤديه في هذه الصورة الحية... فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال ويثور في النفس شعور السخرية وشعور الجمال، السخرية من هؤلاء القوم النافرين كالحمر الوحشية المذعورة من الأسد، والجمال في حركة الصورة السريعة الطليقة»<sup>(89)</sup> وهي قائمة على تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه منتزع من متعدد.

وعند قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلِبُونَ﴾ [هود: 5] ويشنون: مضارع ثنى الشيء لواه وعطفه، قال الألوسي: «وهو كناية عن الإعراض عن الحق أو مجاز عن الإخفاء لأن ما يجعل داخل الصدر فهو خفي لأنهم يضمرون الكفر والتولي عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها أنه باق على حقيقته، والمعنى أنهم إذا رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فعلوا ذلك وولوه ظهورهم»<sup>(90)</sup> والمراد إعراضهم، وتوليهم.

ويُصور هذا المعنى على الطريقة القرآنية، قال سيد قطب عنه: «في صورة مرهوبة، وهم في وضع خفي دقيق من أوضاعهم، حين يأوون إلى فراشهم ويخلون إلى أنفسهم، والليل لهم ستار وأعطيتهم لهم ستار، ومع ذلك فالله معهم من وراء هذه الأستار حاضر ناظر قاهر، يعلم في هذه الخلوة ما يسرون وما يعلنون»<sup>(91)</sup> وما تبينه الصورة من خداع المشركين بالسر والعلن أهم ما تلقه الصورة إلينا.

وقوله الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35] النور في الآية نوعان: نور صفته سبحانه، ونور مخلوق، فالنور الذي خلقه: بائن حسي كالشمس ونور القمر والنجوم والسر والسر والنور الذي يخلق في قلوب عباده للهداية في الدنيا وفي الآخرة، قال محمد العثيمين: «النور حقيقي لله سبحانه وتعالى

(88) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 108/29

(89) - كتب وشخصيات، سيد قطب: 29

(90) - روح المعاني، الألوسي: 209/11

(91) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 1855/4

فهو نور وصفاته نور، وكذلك آياته نور؛ سماها الله تعالى نورا؛ لأنّ الله تعالى وصف نفسه بهذا الشيء، ولكن ليس كالنور الذي نتصوره أو نتخيله»<sup>(92)</sup> فهو نور بائن عن خلقه من الأنوار.

أخرج مسلم من حديث له «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»<sup>(93)</sup> فلا يبقى شيء، لأنّ بصره ينتهي إلى كل شيء، وأثبت الصفة أيضا لله عز وجل حديث الطائف «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخر، أن ينزل بي سخطك أو يحل علي غضبك»<sup>(94)</sup> فأثبت لوجهه نورا، وحديث «أنت نور السماوات والأرض»<sup>(95)</sup> وسؤال أبي ذر رضي الله عنه، هل رأيت ربك؟ قال صلّى الله عليه وسلم: «نور أنى أراه»<sup>(96)</sup>.

والنور في قوله: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" قال السمين: «تَوَوَّلَ عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ أَيْ: ذُو نَوْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْمَرَادُ بِالنُّورِ عَدْلُهُ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ وَقَاعَ مَوْجِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ أَيْ: مُنُورِ السَّمَاوَاتِ»<sup>(97)</sup> وأمّا النور الثاني المضروب مثلا: فهو النور الذي يخلقه الله في قلب المؤمن مُثَلَّ له كما «قال أبي بن كعب: المشكاة الصدر، والزجاجة القلب، والمصباح الإيمان»<sup>(98)</sup> والمشكاة هي: الكوة التي لا منفذ لها، أي: موضع الفتيلة، وسبب ضرب المثل أن اليهود سألو الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ قال ابن كثير: «فشبهه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف»<sup>(99)</sup> فضرب المثل لتقريب المعنى.

وهكذا يستعمل القرآن الصورة كمستند حجاسي ظاهر، لا يستطيع أن ينكره المعارض، لأن المعايينة هي أقصى دلالات الإقناع فليس بعدها دليل، ولأمر ما احتلت الصورة ثلاثة أرباع القرآن، فأسلوب التعبير بالتصوير هو الأسلوب المفضل في العملية الإقناعية.

(92) -تفسير القرآن الكريم سورة النور، محمد العثيمين: 238

(93) -صحيح مسلم كتاب الإيمان، مسلم ابن الحجاج: 96، رقمه: 179

(94) -تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابن كثير: 53/6، فقه السيرة منير محمد غضبان: 254

(95) -صحيح البخاري في التهجد والتوحيد: 35/8

(96) -صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: 96، رقمه: 178

(97) -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 403، 402/8

(98) -تفسير القرآن، أبي المظفر السمعاني: 530/3

(99) -تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابن كثير: 53/6

• **أفانين المقابلة:**

المقابلة في اللغة مصدر: «قابل، وقابل الشيء بالشيء عارضه»<sup>(1)</sup> قال القزويني: في الاصطلاح «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو عدة معان متوافقة، ثم يؤتى بمقابلات لها على ترتيبها»<sup>(2)</sup> وقال صاحب البرهان: «هي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب "المفاعلة"، كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق»<sup>(3)</sup> والمطابقة ضرب من المقابلة.

قال ابن الأثير في جامعه: «إن الطباق أحد أنواعه المقابلة؛ لأنه لا يخلو الحال في ذلك من ثلاثة أقسام: إما أن يقابل الشيء بضده أو بمثله أو بغيره أو بمثله ليس لنا قسم رابع»<sup>(4)</sup> وقال الكفوي «الغالب أن لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها»<sup>(5)</sup> فهي أوسع منه، إذ المقابلة يكون التقابل فيها بين معنيين على الأقل، بينما المطابقة: «تسمى الطباق والتضاد، وتعني في الاصطلاح البلاغي: أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتناقى وجود معنيهما معا في شيء واحد في وقت واحد، أي أن يجمع في كلام واحد معنيين متقابلين»<sup>(6)</sup> بين معنى واحد ومقابله، فاعتبر الطباق أحد أنواعها.

ومصطلح التقابل قد يكون فيه التطابق وقد يكون فيه الاختلاف بين طرفين، وقد أورد له الزركشي أنواع ثلاثة: «نظيري، ونقيضي، وخلافي»<sup>(7)</sup> لكنه ظاهرة دلالية تساعد في معرفة العلاقات المعنوية بين الألفاظ المتقابلة، سواء كان بين معنيين أو أكثر فإسهام صورته في إيصال المعنى سريعا، وبيان علاقة التطابق والاختلاف على وجه أكمل «بل المقصود من هذه الظاهرة: التقابل بين الصورة الكلية بما هي عليه من نسق خاص، وبما فيها من إيقاع موسيقي، وانفعال نفسي، وبين ما يقابلها في صورة كلية أخرى، وهي على النقيض تماماً من سابقتها»<sup>(8)</sup> فيكون التقابل تاما وشاملا بين الصورتين.

وأعظم ما في المقابلة أثرها في النفس من معرفة قيمة الصورة، قال محمد أبو زهرة: «المقابلة بين شيئين أو أمرين، أو شخصين تكون ليعرف أيهما المؤثر في عمل معين، وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل التقدم على غيره، وقد كان ذلك النوع من ينابيع الاستدلال كثيرا في القرآن الكري»<sup>(9)</sup> وهذا ما جعل صور القرآن مسرحا

(1) - موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب: 43/9

(2) - التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (تح) هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1430هـ/2009م: 87

(3) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 457/3

(4) - الجامع الكبير، ابن الأثير الجزري (تح) مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط1، 1375هـ/1956م: 212

(5) - الكليات، أبو البقاء: 845، معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب: 288

(6) - المفصل في علوم البلاغة العربية، العاكوب: 559

(7) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 458/3

(8) - الصورة الأدبية في القرآن، عبد التواب: 134

(9) - المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: 378



للمقابلات، بين الإله الحق والآلهة الزائفة، وبين المؤمنين والكفار، وبين الهدى والضلال، وبين التوحيد والشرك وبين الدنيا والآخرة، فالمقابلة أسلوب صوري يساعد في العملية الإقناعية بما يكفله من مقارنة بسيطة.

**1- مقابلة النظر:** قال الراغب: «والنظير المثل، وأصله المناظر، وكأنه ينظر كل واحد منهما إلى صاحبه فيباريه»<sup>(10)</sup> في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] السنة والنوم: من الأوصاف التي تلازم المخلوق ولا تجوز على الخالق، فالسنة: النعاس وهو مقدمة النوم يكون خفيفاً، قال الثعلبي: «والنوم هو المستقل المزبل للقوة والعقل، فنفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة ولا يجوز عليه الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه تغير الأحوال، ولأنه قهر، والله تعالى قاهر غير مقهور، ولأنه للاستراحة ولا يناله تعب فيسترح ولأنه أخ الموت»<sup>(11)</sup> والله حي لا يموت والجن والإنس يموتون.

**2- مقابلة النقيض:** المناقضة في القول: «أن يتكلم بما يتناقض معناه، والتناقض خلاف التوافق»<sup>(12)</sup> وهي في الاصطلاح تهدف إلى «تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه»<sup>(13)</sup> وتكون في حق المخلوقين، أما في حق الخالق فلا يجوز عليه ذلك.

من هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] التقابل بين الأسماء الأربعة في الزمان والمكان لإحاطة الله بكل شيء، وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»<sup>(14)</sup> قال ابن عاشور: «الجمع بين الصفات فائدته إجراء الوصفين المتضادين على اسم الله تعالى هنا: للتنبيه على عظم شأن الله تعالى ليتدبر العالمون في مواقعها»<sup>(15)</sup> فالأسماء الأربعة كلها للباري جل علاه.

والأصل التناقض في هذه الأسماء ولكن في حق المخلوقين، أما في حق الخالق فلا تناقض فيها فلا يجوز عليه، والأسماء الأربعة المتقابلة كلها خبر للضمير: هو، وكلها معطوفة، والأخبار بواسطة حرف العطف أقوى من دون العطف، قال محمد العثيمين: «لأنها أولاً: تؤكد السابق؛ لأنك إذا عطفت عليه؛ جعلته أصلاً؛ والأصل ثابت، ثانياً: إفادة الجمع، ولا يستلزم ذلك تعدد الموصوف»<sup>(16)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

(10) - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: 814

(11) - الكشف والبيان، الثعلبي: 231/2

(12) - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: 115/5

(13) - الكليات، الكفوي: 849

(14) - صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، 2/1247 رقمه: 2713

(15) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 363/27

(16) - شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد العثيمين: 183/1

وُخْرِجَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزْرُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَبْرٍ حِسَابٍ ﴿[آل عمران: 25، 26] مجموعة من "المتناقضات" في الآية [توتى وتنزع، تعزو تذلل، الخير والشر، الليل والنهار، الحي والميت] قال عبد الفتاح لاشين: «تصف قدرة الله تعالى في أوسع معانيها وسلطانه في أكمل مظاهره، فجمعت بين الضدين، وحكمت بأنه يقدر على الأمرين جميعا... فإذا كان الوصف لله تعالى أدركنا ضرورة اجتماع الضدين لتكتمل الصورة، ويسمو المعنى ويعظم السلطان»<sup>(17)</sup> فالمقابلات دلت على تفرد الله بهذه الصفات التي لا تجمع لغيره.

وتبين الآية لوازم الربوبية، قال السعدي: «تصريف الأمور، وتدبير العالم العلوي والسفلي، واستحقاقه بالملك المطلق والتصريف المحكم... فهو الذي يخرج المتضادات بعضها من بعض وقد انقادت له جميع العناصر»<sup>(18)</sup> وهذه لو قبلت في آلهتهم كما يعلمون فلا تقوم بذلك، فتلزمهم الحجة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي\* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 43، 44] التقابل بشائية ضدية مشهودة في دنيا الناس، أضحك وأبكى وأمات وأحيا، قال سيد قطب: «حشود من الصور، وحشود تطلقها هذه الكلمات القلائل، فتفهز القلب البشري من أعماقه، فلا يتمالك نفسه ولا يتماسك تحت إيقاعاتها المنوعة الأصداء!»<sup>(19)</sup> وكل جملة مؤكدة بضمير الفصل "هو" لإفادة القصر على الفاعل الحقيقي .

وفي قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ\* وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: 67، 68] يجيء في مقابلهما، قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ\* وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 71، 72] فالتعبير القرآني دقيق يصف هؤلاء وهؤلاء وهم يتعايشون جنبا إلى جنب، وأول ما يلفتنا هذا التعبير المتنافر لفظا ومعنى، صورة: "الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" وصورة: "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ" فيوحي كل تعبير إلى الاختلاف العميق بين جبلي الخير والشر المتمثل في طبيعة الإيمان وطبيعة النفاق، ثم يبدأ بعد ذلك بالتفصيل.

صورتان متقابلتان لكل منهما أربع صفات، قال سيد قطب: «في المؤمنين: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لتقابل من صفات المنافقين والنهي عن المعروف ونسيان الله وقبض الأيدي، وإن رحمة الله للمؤمنين لتقابل لعنته للمنافقين والكفار، وإن تلك الصفات هي التي وعد الله المؤمنين عليها بالنصر والتمكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية»<sup>(20)</sup>.

(17) - البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين دار الفكر العربي، القاهرة (دط) 1419هـ 1999م: 25.

(18) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ناصر السعدي: 214/1

(19) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 3415/6

(20) - م، ن: 1676/3

وعند قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس:26] الآية قائمة على صورة عكسية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، والقتر: غبرة فيها سواد تعلقوا الكفار، بينما أصحاب الجنة لهم الجنة ورؤية الله عز وجل، جاء في حاشية الكشاف لابن المنير «فإن فيه تنبيهاً على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى فجدير بهم ألا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب، عكس المحرومين المحجوبين فإن وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد»<sup>(21)</sup> إنهما أعظم صورتين تبدأ بهما حياة الخلود.

وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:178] الآية فيها تقابل لصورة المهتدي، والمضل الذي عمي عن الطريق، قال ابن عاشور: «وقد علم من مقابلة الهداية بالإضلال، ومقابلة المهتدي بالخاسر أن المهتدي فائز رابح، فحذف ذكر ربحه إيجازاً»<sup>(22)</sup> والمضلون ذكر خسراهم، ونبعتوا باسم الإشارة للقصر وتمييزاً لهم للتحذير منه، وقصر الاهتداء عليه بذكر لفظ الجلالة، ولم يظهره في الإضلال لأنه لا يريد شرعاً وإن كان مقدراً، قال محمد العثيمين: «هو من تمام سلطان الله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى هو المتصرف كما يشاء»<sup>(23)</sup> فإذا علم العبد هذا الأصل في الدين، صبر على ما يصيبه، وعلق رجاءه بالله ووجه دعائه إليه والاستعانة به وحده.

**3- مقابلة الخلاف:** والخلاف مصدر: ضد الاتفاق، والفعل خالف، ويعني: «المضادة وعدم الموافقة»<sup>(24)</sup> قال الكفوي: «الخلاف يتسع فيكون أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان»<sup>(25)</sup> وقضايا العقيدة تعرف بالخلاف مع غيرها من العقائد المنحرفة، إذا قوبلت بين صورها، فالخلاف وسيلة كاشفة.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:17] فالألوهية لا تقتضي أن يكون الإله عبداً، قال أبوحيان: «من كان مخلوقاً مقهوراً بالملك عاجزاً عن دفع ما يريد الله به، لا يكون إلهاً»<sup>(26)</sup> فالآية تبين قدرة الله ووحدانيته؛ وهما ما تقتضيه الألوهية، وتبين عجز المسيح وأمه عليهما السلام ومن في الأرض جميعاً عن رد الهلاك، وهو ما يثبت انتفاء إلهية المسيح عليه السلام وكذب المدعين.

فالمقابلة أظهرت فساد معتقدتهم، لأن الألوهية لها مقتضياتها الخاصة التي ليس لها مماثل أو شبيهه، قال ابن تيمية:

(21) -الكشاف، الزمخشري 131/3

(22) -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 181/9

(23) -تفسير القرآن الكريم سورة الأنعام، محمد العثيمين: 84/1

(24) -معجم المصطلحات النحوية والصرفية، سمير نجيب اللبدي: 77

(25) -الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: 426

(26) -البحر المحيظ، أبو حيان: 450/3

«والاعتقاد الصحيح والتوحيد الخالص أنه لا ضد له، ولا ندّ وأنه قدس أزلي»<sup>(27)</sup> فالمقابلة في قضايا التوحيد وفي صفات الله وأسماءه، ليس لها ما يضاهاها أو يناظرها أو يناقضها، ومن ثم علم جهل أهل الكتاب. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:10] قال الزركشي: «قابل الشر بالرشد؛ وهما خلافان، وضد الرشده الغي، وضد الشر الخير، والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمنا نظير الرشده قطعا، والغى الذي يخرج لفظ الرشده ضمنا نظير الشر قطعا»<sup>(28)</sup> وهي حالات تعرض للإنسان، فجاءت الإرادة للخير بالبناء للمعلوم، وجاءت الإرادة للشر بالبناء للمجهول وذلك أدبا مع الله كما تقرر في القرآن والسنة، قال السعدي: «الشر لا يضاف إلى الله تعالى لا وصفا ولا اسما ولا فعلا، ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره، فالخير والشر كله داخل في القضاء والقدر، فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن الشر لا يضاف إلى الله، فلا يقال بيدك الخير والشر، بل يقال بيدك الخير كما قال الله ورسوله»<sup>(29)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:17] صورتان خلافتان لحالتي الخير والضر تنوزعان الإنسان، وله عند كل واحدة منهما موقف، قال ابن عاشور: «قابل قوله: "وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ" بقوله: "إِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ" مقابلة بالأعم؛ لأن الخير يشمل النفع وهو الملائم، ويشمل السلامة من المنافر، للإشارة إلى أن المراد من الضر ما هو أعم، فكأنه قيل: إن يمسسك بضر وشر وإن يمسسك بنفع وخير، ففي الآية احتباك»<sup>(30)</sup> فجعل الضر ناب مناب الشر وهو أعم لأن مقابله الخير، وجاء نكرة في سياق الشرط مفيدا العموم؛ يعني كل ضرر فلا كاشف له إلا الله سبحانه، والصورتان أفادت إمساس الله بالضر، وإمساسه بالخير وحده لا غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج:24] القولان: الطيب من القول، وصراط الحميد، لكل جملة منهما مقابل من خارجهما، قال وهبة الزحيلي: «أرشدوا إلى القول الطيب وهو كلمة التوحيد، أو قوله تعالى حين دخول الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر:74] أو إلى تحية الملائكة لهم بالسلام، وهذا في مقابل أهل النار الذين يقرعون ويوبخون ويقال لهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج:22]»<sup>(31)</sup>.

وجملة: صراط الحميد؛ الذي هدوا إليه، قال الواحدي: «الإسلام، وهو دين الله وطريقته»<sup>(32)</sup> شبه بالصراط؛ لأنه موصل إلى رضى الله، والحميد من أسماءه فهو من إضاعة الصراط إلى الله، أو يكون الحميد صفة للصراط من

(27) -دره تعارض العقل والنقل، ابن تيمية(تح) رشاد سالم، جامعة الإمام، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م:109/5

(28) -البرهان في علوم القرآن، الزركشي:3/459

(29) -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ناصر السعدي:1/214

(30) -التحرير والتنوير، ابن عاشور:7/163

(31) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي:9/200

(32) -التفسير البسيط، الواحدي:15/339

إضافة الموصوف للصفة، ومقابله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: 25] قال ابن عاشور: « كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم اتباعهم صراط الله كذلك كان سبب استحقاق المشركين ذلك العذاب كفرهم وصددهم عن سبيل الله»<sup>(33)</sup> فقبول بين صورتين: للذين هودوا كما تأكدت مرتين، وللذين كفروا، وهذا من أفانين المقابلة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76] صورة للأبكم المتعب؛ الذي لا يأتي بخير، وصورة السليم العقل والخلقة؛ السالك الطريق المستقيم والأمر بالعدل، إنها مجموعة من الصفات متقابلة لكل شخص «فهما إذن بالبداهة لا يستويان، وإذا كان هذان الرجلان لا يستويان بداهة، فأولى ألا تتساوى في العبادة الأحجار مع خالق الكون، وهادى الخلق، ومانح النعم ومجريها رب العالمين»<sup>(34)</sup>.

ومن الصور للكافر والمؤمن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22] قال الثعلبي: «والمكب راكبا رأسه في الضلالة والجهالة، أعمى القلب والعين، لا يبصر يمينا ولا شمالا، وهو الكافر»<sup>(35)</sup> بينما صورة المؤمن فيها استواء وفيها استقامة وهو الأهدى.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ\* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا سَمَوْتُمُ الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 72، 73] تعرض الآيات مشهد من مشاهد القيامة، في صورتين متقابلتين؛ صورة لأهل النار وصورة لأهل الجنة، متحدثة عن نهاية الموقف في سوق أهل النار وأهل الجنة إلى الجنة.

والمقابلة أيضا يحدد العطف معاملها؛ لأنه يقرر أصل كل واحدة منها ويفصل بينها، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: 36] قال ابن عاشور: «والموتى يبعثهم الله» فالوجه أنه مقابل "الَّذِينَ يَسْمَعُونَ"... فمعنى الكلام: وأما المعرضون عنك فهم مثل الموتى فلا يستجيبون «<sup>(36)</sup> والتقدير: والموتى وهم الكفار وهو تعريض بأنهم لا يستجيبون لداعي الإيمان، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: 80] فارتكزت المقابلة على استعارة الموتى للذين لا ينتفعون بعقولهم، وعلى استعارة البعث للهداية بعد الضلال.

<sup>(33)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 236/17

<sup>(34)</sup> -المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: 386

<sup>(35)</sup> -الكشف والبيان، الثعلبي: 360/9

<sup>(36)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 208/7

ويقدم القرآن صورة خلق عيسى المختلفة لخلق آدم عليهما السلام، من باب إبطال الإشارك الذي كان يزاوله النصارى؛ بنوّة عيسى عليه السلام ففي قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿[آل عمران: 60، 59] عيسى خلق من أم ولا أب، قال محمد أبو زهرة: «فلو كان عيسى عليه السلام بسبب الخلق اتخذ إلهًا، فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مبررا لاتخاذ آدم إلهًا»<sup>(37)</sup> فيسد القرآن على المشركين من جميع الطوائف أبواب الشرك بالحجج الباهرة المقنعة.

#### 4-مقابلة الشيء بمثله: ويكون من باب مقابلة اللفظ بمثله أو مقابلة المعنى بمثله.

**أ-مقابلة اللفظ بمثله دون المعنى:** هي أن يكون في الكلام مجانسة بين لفظين، قال «إميل بديع فتكون من جانسه: شاكله أو اتحد معه في جنسه...تتوافق صيغتا اللفظين مع اختلاف المعنى»<sup>(38)</sup> منه قوله الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54] المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، فإذا انصرف إلى الخالق قال الفراء: «المكر من الله استدراج»<sup>(39)</sup> كما قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] وقال الزجاج: «والمكر من الله المجازاة على ذلك، فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه، كما قال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15] فجعل مجازاتهم على الاستهزاء بالعذاب، لفظه لفظ الاستهزاء، كما قال عز وجل: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40] فالأولى: سيئة والمجازاة عليها سميت باسمها، وليست في الحقيقة سيئة»<sup>(40)</sup> فالألفاظ تتقابل وتتجانس والمعنى يختلف.

ومكر الله: صفة فعلية لله متعلقة بالمشيئة، قال محمد العثيمين: «هذه صفة ثابتة مطلقة يعني لا تحتاج إلى قيد لأنها وصفت بكمال: خير، فالله خير الماكرين، يعني ما من أحد يمكر إلا ومكر الله فوقه وخير منه»<sup>(41)</sup> وأفضل المعاقبين «فالمكر في مقام المكر مدح وصفة كمال، والمكر في غير موضعه صفة نقص»<sup>(42)</sup> وهنا على حقيقته. وقوله جل جلاله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17] فأثبت أثر القتل والرمي لنفسه عز وجل، الحادثة في وقعة بدر، فنفي القتل عنهم، وهم مباشره، ولما رمى الرسول صلى الله عليه وسلم قبضة الحصباء في وجوههم وقال: «شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلوهم ويأسروهم، فليل لهم إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم، ولكن الله قتلهم بثبيت قلوبكم، وإلقاء الرعب في قلوبهم»<sup>(43)</sup> فاللفظان متجانسان، والرب فاعل سبحانه والمؤمنون ستار لقدرته.

(37) -المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: 398

(38) -موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب: 163/8

(39) -معاني القرآن، الفراء: 218/3

(40) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 419/1

(41) -تفسير القرآن الكريم آل عمران، محمد العثيمين: 321/1

(42) -م، ن: 319/1

(43) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 293/5

وإثبات الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن أبي الإصبع عنه: «إذ جاءت صورته على يده، ونفى معناه عنه، إذ كان لا يتأتى مثل ذلك الرمي إلا من الله سبحانه، فإن كل حصاة أصابت عين كل إنسان من القوم، وهذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى»<sup>(44)</sup> والله هو الذي بلغ أثر ذلك الرمي إليهم وأشغلهم بأعينهم.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142] ومخادعتهم الله: هي مخادعة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، قال محمد العثيمين: «ومخادعة الله إياهم يملي لهم حتى يستمروا على هذا ويستمرئوه، فيبقون كفاراً مع شياطينهم، ومسلمين مع المؤمنين، ويعصمون بهذا النفاق دماءهم وأموالهم، وهذا هو خداع الله تعالى لهم، أنه يملي لهم ليستمروا في نفاقهم، ثم بالتالي يختم لهم بسوء الخاتمة»<sup>(45)</sup> قال ابن المنير: «الوصف في حق الله عز وجل حيث أطلقه تعالى مقابلاً لما خدعه من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم، علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلاً سماه خداعاً: مقابلة ومشاكلة»<sup>(46)</sup> من جهة اللفظ.

ومن المقابلة اللفظية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194] قال ابن أبي الإصبع: «الاعتداء الثاني هو اشتراط للمثلية أمراً بالعدل»<sup>(47)</sup> فالجملتان تكررتا بنفس الصورة لفظاً، ولكن فرق بين اعتداء واعتداء، فالملتص ليس معتدياً، فكل له حكمه.

**ب-مقابلة المعنى بمثله دون اللفظ:** هي أن تكون الألفاظ غير متشاكلة مثل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: 50] قال الزركشي: «فالنفس كل ما هو وبال عليها وصار لها: فهو بسببها ومنها؛ لأنها أمانة بالسوء، وكل ما هو مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه، لأنه إذا دخل تحته مع علو محله كان غيره أولى به»<sup>(48)</sup> فليس التقابل من جهة اللفظ.

ومثله قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: 268] جاء التقابل بين: الفقر والفضل، وبين: المغفرة والأمر بالفحشاء، قال الزركشي: «لأن الفحشاء توجب العقوبة، والمغفرة تقابل العقوبة، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله، لأن ذكر أحدهم ملزوم ذكر الآخر»<sup>(49)</sup> والأصل أن الفقر يقابله الغنى والمغفرة يقابله التوعد بالعذاب، فجيء بما يلزمه.

(44) -بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: 304/2

(45) -تفسير القرآن الكريم سورة النساء، محمد العثيمين: 360/2

(46) -حاشية الكشاف، ابن المنير: 172/1

(47) -بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري: 325/2

(48) -الرهان في علوم القرآن، الزركشي: 462/3

(49) -م، ن: 463/3

وكذلك قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24] هما صورتان وحالتان في كل صورة، قال الزركشي: «فلما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، وبضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح السمع؛ فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة والأتم في الإعجاز»<sup>(50)</sup> وصورتا الفريقين هما: للكافر والمؤمن لا يستويان.

وعند قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: 118، 119] قال ابن النقيب: «الجوع هو خلو الباطن، والعري خلو الظاهر، والظمأ احتراق الباطن، والضحى احتراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحتراق بالاحتراق»<sup>(51)</sup> فاقتضت الآية نفي جميع الآفات.

فالمقابلة أرفع أدوات التأثير لما لها من تركيز على إحضار الصور والمقارنة بينها، والصور المقابلة هي التي كانت تزعج الكفار في رؤية ما يصيرون إليه وما هي الحال التي يكونون عليها، وهي التي تؤرق الإنسان متى ما راجع حسابه، ومن ثم هي منطلق التائبين وأوبتهم.

<sup>(50)</sup> -م، ن: 466/3

<sup>(51)</sup> -مقدمة تفسير ابن النقيب، ابن النقيب: 309



## • الوصف:

أصل الوصف: الكشف والإظهار، قال الراغب: «ذكر الشيء بحليته وبعته، والصفة: الحالة التي عليها الشيء من حليته وبعته، كالزينة التي هي قدر الشيء»<sup>(1)</sup> وأسلوب الوصف فن شامل من حيث نقل الصورة، فيندرج تحته المجاز بصورة عامة غير أنّ ما ينفرد به الوصف في غالب أحواله أنّه إخبار عن الشيء في نقل الصورة كما هي على أوليتها، قال العسكري: «حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك»<sup>(2)</sup> والفرق بين الوصف والتشبيه كما قال ابن رشيق: «أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل»<sup>(3)</sup> فهو لا يأخذ مثل التشبيه منعطفًا آخر في المقارنة بين الصورتين، بل يحتفظ بالصورة مباشرة.

وجاءت مادة "وصف" في القرآن الكريم أغلبها فعل مضارع، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91] أو مصدرًا كقوله تعالى: ﴿سَيَحْزَبُهُمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139] وصيغة "وصفهم" هي: بشأن النهي عن الوصف الكذب زورا وبهتانا على الله في ذاته وصفاته، أو التحليل والتحریم الذي كانوا يزاولونه ثم ينسبونهم إلى الله دون مستند، فهو وصف بالباطل تعالى الله عما يقول الكافرون.

**1- الوصف بكلمة "مثل":** وصف شيء ما في القرآن، كثيرا ما يطلق عليه كلمة "مثل" قال حسن الميداني: «يراد منه وصف الشيء بعبارة كلامية، نظرا إلى أن الأوصاف التي تذكر لشيء ما ترسم له مثلا وصفيا بدلالات تعبيرية»<sup>(4)</sup> ووصف شيء ما في القرآن حينما يركز عليه؛ فإنه ينقل بكليته وما يحيط به، وعلاقته بما حوله، صورة وصوتا وحركة، كما ينقل لنا ما يعتلج بدواخله من أسرار ونوايا، فهو وصف وليس ككل وصف!! إنه يصف بواطن الأشياء لا ظواهرها فحسب، وهو بعض لقطات الصورة مما يُقصد التركيز عليه، لا كل الصورة.

والمثل والمثل أصلهما واحد، قال ابن قتيبة: «مثل الشيء ومثله، كما نقول: هذا شبه الشيء وشبهه. ثم قد يصير المثل بمعنى صورة الشيء ووصفته، وكذلك المثل والمثال، يقال للمرأة الراقية: كأنها مثال، وكأنها تمثال، أي: صورة، كما يقال: كأنها دمية، أي صورة، وإنما هي مثل، وقد مثّلت لك كذا أي صورته ووصفته»<sup>(5)</sup> قال ابن الجزري: «مثل الرجل يمثّل مثولاً إذا انتصب قائما»<sup>(6)</sup> فالأوصاف مرسومة بالتعبير.

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرُ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ

(1) -المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 873، موسوعة علوم اللغة العربية، إميل يعقوب بديع: 429/9

(2) -الصناعتين، العسكري (تح) محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ط2، 1971م: 128/1

(3) -العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق (تح) محي الدين عبد الحميد، دار الجيل سوريا، ط5، 1981م: 294/2

(4) -أمثال القرآن وصور من أدبه الرُّبَيْع، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط2، 1412هـ 1992م: 33

(5) -تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 83

(6) -النهاية في غريب الأثر، ابن الجزري (تح) أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (دط) 1399هـ: 294/4

فَأَزْرُهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿29﴾ [الفتح:29] جاء الوصف بلفظة " ذَلِكَ مَثَلُهُمْ"، قال ابن قتيبة: «وإنما وصفهم وحلّاهم»<sup>(7)</sup> ولم يضرب لهم مثلاً، قال ابن عاشور: «المثل يطلق على الحالة العجيبة، ويطلق على النظير أي المشابه فإن كان هنا محمولاً على الحالة العجيبة فالمعنى: أن الصفات المذكورة في حالهم الموصوف في التوراة... فبين الله بهذه الآية أن الذين مع النبي صلّى الله عليه وسلم: هم المقصود بتلك الصفة العجيبة في التوراة، أي: أن التوراة قد جاءت فيها بشارة بمجيء محمد صلّى الله عليه وسلم ووصف أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم»<sup>(8)</sup> وتلك التي جحدتها يهود واستيقنتها أنفسهم.

وتتكئ الآية على صورتين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في التوراة ومفرداتها هي: المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد، شدة بأسهم، رحمتهم العظيمة، عبادتهم المخلصة التي تركت السیما في وجوههم، ومفردات هذا الوصف نفسه في الإنجيل أيضاً تبعاً لمعنى «الوقف على الإنجيل»<sup>(9)</sup> والاستئناف بما بعده.

وجملة وفي الإنجيل مفرداتها هي: الزرع من بداية شطئه إلى مرحلة استوائه، واعتمد فيها على مثل تشبيهي، لبدء الإسلام ضعيفاً وتقويته حتى استحکم أمره، فأغاظ الله بهم الكفار، والوصف ثابت في صفحة القدر ضربه الله لأهل الكتاب قبل القرآن، قال السخاوي: «في الإنجيل: سيخرج قوم يبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»<sup>(10)</sup> فالصورة تبين مبعثه، وأريد به التنويه بشأن الرسول صلّى الله عليه وسلم والثناء على المؤمنين معه، وهو وصف غريب الشأن جار مجرى الأمثال.

الوصف محذوف المبتدأ للاقتصار عليه، والتقدير «هو محمداً رسول الله»<sup>(11)</sup> وإليه مال ابن عاشور فقال: «وهذا المعنى هو الأظهر هنا إذ ليس المقصود إفادة أن محمداً رسول الله وإنما المقصود بيان رسول الله من هو بعد أن أجرى عليه من الأخبار... فيعتبر السامع كالمشتاق إلى بيان: من هذا المتحدث عنه بهذه الأخبار؟ فيقال له: محمد رسول الله، أي هو محمد رسول الله، وهذا من العناية والاهتمام بذكر مناقبه صلى الله عليه وسلم»<sup>(12)</sup> وهناك من أعربه مبتدأ وما بعده خبر له.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ بَحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:35] بدأت الآية بـ"مثل" وليس هو مثلاً مضروباً، قال ابن قتيبة (213-276هـ): «ولم يأت بالشيء الذي جعل له الجنة مثلاً... فأراد الله بقوله: "مَثَلُ الْجَنَّةِ" أي: صورتها وصفتها»<sup>(13)</sup> وقرأ الجماعة: «مَثَلُ الْجَنَّةِ" أي: صفة الجنة، وهو

(7) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 84

(8) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 207/26

(9) - كتاب إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأنباري: 901، معاني القرآن، الفراء: 69/3

(10) - تفسير القرآن الكريم، علم الدين السخاوي: 360/2

(11) - إعراب القرآن، الانصاري: 404

(12) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 203/26

(13) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: 83، إملاء ما من به الرحمن: العكبري: 65/2

مبتدأ والخبر مقدر أي: فيما يتلى عليكم مثل الجنة، وقرأ علي ابن أبي طالب " مِثَالُ الْجَنَّةِ " وقرأ علي ابن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود " أمثالُ الْجَنَّةِ " <sup>(14)</sup> وكلها صفة أو صفات الجنة، أو الصورة التي عليها.

واعترض المبرد (210-285هـ) وقدر له قولاً بأن: «فيما يتلى عليكم مثل الجنة، ثم قال: فيها وفيها، ومن قال إنما معناه الجنة فقد أخطأ؛ لأن مثل لا يوضع في موضع صفة، إنما يقال: صفة زيد أنه ظريف، ويقال: مثل زيد مثل فلان، وإنما المثل مأخوذ من المثل والحذو، والصفة تحلية ونعت» <sup>(15)</sup> فالمثال أشجار ذات ثمار دائمة وكذلك ظلها، والصورة التمثيلية تحتاج إلى قسمين: ممثّل به وممثّل له، وهنا جاء على الإخبار لانعدام طرف.

وشبهتها الصورة التعبيرية في فقوله تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:15] مثل الجنة: صفتها العجيبة، قال ابن النقيب: «أي صفة الجنة التي وعد المتقون كيت وكيت» <sup>(16)</sup> ومن أعجب ما فيها: الأثمار المختلفة الموصوفة مع الثمار والمغفرة.

وكذلك جاء المثل بمعنى الصفة، في وصف الحياة الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [يونس:24] والمقصود أي: صفتها وحالها.

ويستعمل "المثل" عبارة عن المشابه لغيره في معنى من المعاني، ويكون أعم الألفاظ الموضوعية للمشابهة: كـ "البد، النظر، المساوي" ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه عنه، جاء بـ "المثل" لعمومه فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] قال محمد العثيمين: « "المثل" و "المثّل" يرجعان إلى معنى واحد، وذلك كالتشبيه، والتشبيه، فيكون المراد بالمثل هنا (على رأيهم) الصفة؛ أي: ليست كصفتها شيء فمثّل بمعنى: مثّل والمثّل بمعنى: الصفة» <sup>(17)</sup> فلا شيء يشبهه لأنه خالق الأشياء سبحانه.

ومثله قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل:60] وقوله: ﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم:27] والمثل الأعلى: على الوصف الأكمل، قال ابن القيم: «فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده، وبهذا كان المثل أعلى، وهو أفعل تفضيل أي: أعلى من غيره» <sup>(18)</sup> وهو معروف به في السماوات والأرض.

(14) -معجم القراءات، الخطيب: 11/9

(15) -المقتضب، المبرد: 225/3

(16) -مقدمة تفسير ابن النقيب، ابن النقيب: 394

(17) -شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين، دار التيسير، ط1، 1426هـ/2005م: 132

(18) -الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم: 395/2

وقد يطلق المثل ويراد به الذات، قال الكفوي: «كقولك: ومثلك لا يفعل هذا، أي: أنت لا تفعله، وجود الكاف... والمراد نفي التماثل، فلا مثل لله حقيقة»<sup>(19)</sup> و"مثل" و"الكاف" كلاهما يدل على التمثيل والتشبيه ومن اجتماعهما جاء الاختلاف، وقال محمد العثيمين: «إن هذا من باب التوكيد، كأنه (عز وجل) كرر الكمة مرتين لتكرار نفي المماثلة»<sup>(20)</sup> وقالوا: مثل أو الكاف زائدة والتقدير: ليس كهو شيء، أو ليس مثله شيء.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: 137] جعل المثل يعود على الإيمان بالله، قال ابن الأنباري: «بمثل إيمانكم به أي: بالله، ولا يجوز أن يكون التقدير، بمثل الذي آمنتم به، فتجعل ما بمعنى الذي؛ لأنه يؤدي إلى أن نجعل لله تعالى مثل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»<sup>(21)</sup> قال الزجاج: «فإن قال قائل: فهل للإيمان مثل هو غير الإيمان؟ قيل له: المعنى واضح بين وتأويله: فإن أتوا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم بالأنبياء ووحدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أي فقد صاروا مسلمين مثلكم»<sup>(22)</sup> وهو أن يشترك الجميع في الإيمان بالإسلام لأنه هو المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19].

وإن أريد بالمثل الكتاب: والكتاب قد يكون القرآن وقد يكون جنس الكتاب؛ وهو كل منزل من عند الله عز شأنه، قال الثعلبي: «أي: بجميع ما آمنتم كيإيمانكم»<sup>(23)</sup> لأن الآية وردت في سياق الإيمان بما أنزل كله، والمؤمنون يؤمنون بالكتاب كله كقوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: 119] قال الواحدي: «المثل ها هنا الكتاب»<sup>(24)</sup> وقالوا في "مثل" أنها زائدة ومعلوم أن الذي «يجيء لمعنى في غيره أولى بالزيادة مما يجيء لمعنى في نفسه؛ ولهذا أنكر بعض النحويين زيادة الأسماء؛ لأنها جاءت لمعنى في ذاتها؛ بخلاف الحرف»<sup>(25)</sup> وجاز أيضا حمل المثل على الصلة ومعناه: فإن آمنوا بما آمنتم به، فوصفت الآية صورتان إخباريتان: صورة صادقة للذين آمنوا بكل ما جاء من عند الله سبحانه، فهم مطمئنين في إيمانهم، وصورة شوهاء لليهود والنصارى في شقاق بعيد.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ\* فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: 17، 18] مقالة الشيطان هذه يوم القيامة للكفار، قال وهبة الزحيلي: «والوصف تقديره مثلهم كمثل الشيطان... فحذف المبتدأ»<sup>(26)</sup> قال

(19) -الكليات، الكفوي: 851

(20) -شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين: 133

(21) -البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري: 1/125

(22) -معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 1/214

(23) -الكشف والبيان، الثعلبي (تح) ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1422هـ/2002م: 1/283

(24) -التفسير البسيط، الواحدي: 33/357

(25) -تفسير القرآن الكريم سورة البقرة، محمد العثيمين: 2/92

(26) -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 14/468

حسن الميداني: «هو تشبيه المنافقين وحلفائهم من يهود بني النضير بحال الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال إني بريء منك... الوصف هنا شبيه الوصف هناك»<sup>(27)</sup> وذلك أن المنافقين غرروا باليهود فدفعوا بهم إلى نقض العهد، فأكذبهم الله فيما قالوه كلمة كلمة، ونهايتهم الجلاء عن المدينة، فأشبههم بحال الشيطان.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا\* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا\* وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا\* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوَنُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا\* انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 4 حتى 9] والأمثال التي ضربوها له: هي الأوصاف التي وصفوه بها هنا في الآيات ظلما وزورا.

**2- الوصف مبدوء بـ"الرؤية":** ويجيء الوصف مصحوبا بفعل الرؤية فيذكر لمن تقدم علمه تعجبا، قال محمود الصافي: «والعرب تقول: ألم تر إلى فلان؟ وألم تر إلا كذا؟ وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من شيء، وعند تنبيه المخاطب كقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 23] أي: ألم تعجب بفعلهم؟ وألم ينته شأهم إليك؟»<sup>(28)</sup> وقد يذكر لمن لا يكون كذلك «فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهرت في ذلك حتى أجزيت مجرى المثل في هذا الباب بأنه شبه حال من "لم ير" الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازاً عن النظر، أو بمعنى الإدراك القلبي متضمناً معنى الوصول والانتهاء»<sup>(29)</sup> فيصبح الوصف مرئي لمن لم يره وتصبح الصورة مشاهدة كأنها حدثت للتو.

و"ألم تر" تشبه "ألم تعلم"، قال ابن عاشور: «إيقاظ للذهن ليقرب ما يرد بعد هذا الكلام، وذلك مثل قولهم: ألم تعلم، ولم يكن هذا المثل مما سبق ضربه قبل نزول الآية بل هي التي جاءت به، فالكلام تشويق إلى علم هذا المثل. وصوغ التشويق إليه في صيغة الزمن الماضي والدال عليها فعل "ضرب" بصيغة الماضي لقصد الزيادة في التشويق لمعرفة هذا المثل وما مثل به»<sup>(30)</sup> والوصف المبدوء بالرؤية كثير في القرآن خصوصا في أحداث الغيب ونكتة ربطه بذلك لجعله مجلوا علما وعيانا وليس الخبر كالمعاينة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27] أتى الوصف مصدرا بالرؤية متعلقا بقضايا العقيدة كأمر الغيب، ويرتكز القرآن على تبيان صورتهم

(27) - أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: 36

(28) - من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود محمد الطناحي، دار الفتحة، عمان، ط1، 1428هـ/2008م: 710/2

(29) - الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، الصافي: 516/1

(30) - التحرير والتنوير، ابن عاشور: 223/13

وهم موقوفون على النار، قال محمد العثيمين: «الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أو لكل من يتأتى خطابه، أي: لو ترى أيها الرائي وقفوا عليها، أي: أوقفتمهم الملائكة؛ لأنهم هم أنفسهم لا يريدون النار، لكن يوقفون عليها اضطراراً»<sup>(31)</sup> قال ابن الأنباري: «فيتمنوا ثلاثة أشياء: وهي أن يردوا، وأن لا يكونوا قد كذبوا، وأن يكونوا من المؤمنين»<sup>(32)</sup> وهو تمّي المحال، وهو غرض الوصف، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:30].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان:45،46] العلم يقول: الظل هو الظلمة الخفيفة الناشئة عن احتجاب الشمس في النهار، لوجود أجرام تكون بينها وبين الأرض، فتظهر حركة الظل، لكن الآية تلفتتنا إلى شيئين اثنين في آن واحد: قانون الطبيعة، ويد الجبار سبحانه تقف خلف المشهد تهيمن عليه تطويه أو تطلقه، والتعبير القرآني يبين حركة الظل في فيئه بأنها ليست وليدة القانون الطبيعي وإنما الله سبحانه وتعالى هو الذي يحركه إرسالاً ومدًا وقبضًا، تلك الحركة الوئيدة الجميلة التي تنشئها الصورة في ذهاب الظل ورجوعه.

والشيء الجالب الدهشة هو لفظة [إِلَيْنَا] أتدري ماذا فعلت هذه اللفظة المفردة في كيان الصورة كله؟! لقد كان الخيال يتبع حركة الظل الوئيدة في ذهابه وأوبته، هنا في الأرض! ويمتد البصر أو الخيال حين نقراً: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (ولكنك فجأة حين تصل إلى كلمة "إلينا" تجد إطار الصورة قد امتد وامتد وجاوز الشمس والأرض إلى...؟! إلى غير حدود! "إلينا"! ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(33)</sup> وحيء بالمفعول المطلق: قبضًا، للتأكيد على دلالة الفاعل الذي يمسكه ويرسله حقيقة.

فالآية تصلنا رأساً بالرب عز وجل متخطية الأسباب المادية وما ألفناه، ووسّعت إدراكنا لإطار الصورة فأخرجته من حيّزه الصغير إلى الحيّز الواسع، والمعلومات التي نعرفها عن الظل هي نفس المعلومات التي تقدمها الآية، غير أنّ طريقة الوصف التصويرية التي يعبر بها القرآن ويلامس بها الوجدان، تُزيل التبّلد عن الإحساس وتجعلنا نحس بحركة الظل كأنما تُشاهد لأول مرّة، بعد أن كنا سادرين في الإلف والغفلة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:18] جاءت الآية في سياق التوجه إلى الله بالعبادة الخالصة له وحده لا شريك، حيث نجد أن الكون كله ما نعلم منه وما لا نعلم يتجه إلى الله عابداً بفطرته، إلاّ الإنس والجن فإنّ فيهم من يندّ عن الاهتداء.

(31) - تفسير القرآن الكريم سورة الأنعام، محمد العثيمين: 144

(32) - البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري: 318/1

(33) - ينظر: دراسات قرآنية، محمّد قطب: 43

قال سيد قطب مشيراً إلى فحوى الآية: «يتدبر القلب هذا النص، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك. وإذا حشد من الأفلاك والأجرام. مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم. وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه»<sup>(34)</sup> بل هناك أشياء تلازم الإنسان كظلاله تسجد لله عز وجل رغماً عنه مثلما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد:15].

بهذا الأوصاف التي يفصل فيها القرآن الكريم والتي كان الكفار يعلمون أنها حقيقية لا مزية فيها، يتعين الوصف كمستند حجاجي لا يكابر معه المجادلون، ويزداد الذي آمنوا عند سماعه إيماناً، ولذلك لما تلا صل الله عليه وسلم أوائل سورة فصلت على عتبة بن ربيعة علم أنّ ما جاء من أوصاف فيها هو الحق، عند ذلك ناشده الرحم أن يكف عن القراءة<sup>(35)</sup> لعلمه أنها أخبار صادقة، فلم يثر معها جدلاً، فإذا تعلق الأمر بالغييب أو بالقضايا العقديّة فإنّ هذه الأوصاف التسليم والإيمان بها من أوجب الواجبات.

<sup>(34)</sup> - في ظلال القرآن سيد قطب: 2414/5

<sup>(35)</sup> - سبقت الإشارة للقصة في ص: 21

• **الحوار:**

وردت كلمة المحاورة في القرآن الكريم بصيغة الفعل مرتين في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [الكهف: 34 و37] ومرة واحدة بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرِكُمَا ﴾ [المجادلة: 1] قال ابن فارس: «حور: الحاء، الواو، الراء، ثلاثة أصول: شدة بياض العين... والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دور»<sup>(1)</sup> وقال ابن كثير عند آية الكهف: «وهو يحاوره أي يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويتأس»<sup>(2)</sup> وجاءت عدة كلمات مرادفة لها منها: المناظرة والمجاوبة والمخاطبة ومراجعة الكلام والمجادلة والمخاصمة، كلها في اللغة على اختلاف بسيط بينها، فقد تكون كلمة ضيقة وأخرى أوسع منها، وقد تكون واحدة تركز على النظر العقلي وأخرى تجيء عرضاً، وقد تكون واحدة يطبعها الهدوء، وأخرى مشحونة بالدد، قال الراغب: «فالمحاور والمحوار: المراد في الكلام ومنه التحوار»<sup>(3)</sup> وكلها تنضوي تحت: الرجوع.

والحوار أبرز الأساليب الحكيمة التي استعملها القرآن الكريم في أصليين كبيرين خاصة: إقامة التّديليل على الاعتقاد الصّحيح بتبيان قضية الألوهية وما يُضادها، وقضية صدق الرسل الكرام حملة الحقّ، قال عبد الحليم حفي: «نلمس من حرص القرآن على إبراز أهميّة المحاورة والمحااجة أنه... يجعلها في كثير من المواضع نماذج للتّربية والتعليم والتوجيه»<sup>(4)</sup> فنجد قضية الحوار مطلقة، بين الخالق عز وجل ومخلوقاته؛ ملائكة وإنسا وجنا، في الدنيا والآخرة، وفي الجنّة والنّار، وبين الملائكة والظالمين، وبين الأتباع والمتبوعين، وبين المؤمنين والكافرين.

والإسلام يجعل كل قضاياها سبيلها المحاورة، ولذلك لما كان يعرضها كانت تسقط أمامها الدعاوي الزائفة لأنها لا تملك معشاراً من الحق فسرعان ما تنهزم، وكثيراً ما تحول محاوروه إلى مجرمين حقيقين قال جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [الحج: 72] ولكنه لم يتخل عن أسلوب الحوار قيد أملة.

فالحوار محور أساسي في كل جزئية من جزئيات هذا الدين، انظر إليه وهو يؤسس لأدب الحوار في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: 24-25] فالآياتان تدعوان المسلمين لتهيئة أرضية المحاورة، ومع أن المحاور هو الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه على الحق، فإنه ملتزم بأداب الحوار مع الخصم، حينما يسلم الجميع بأنهم على خطأ، وكأن النص يشير إلى المحاور أن يسلك الطريق الأمثل في المحاورة، والجدال بالتي أحسن، واللفظ في التعبير، ويبقى الحوار أحد طرق القصة الذي

(1) -مقاييس اللغة، ابن فارس، (تح) محمد هارون، طبعة اتحاد الكتاب العربي: 1423هـ/2002م: 2/ 215

(2) -تفسير القرآن العظيم ابن كثير (تح) شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1419هـ/1998م: 3/ 87

(3) -مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: 262

(4) -أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، عبد الحليم حفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1995م: 27



ينقل لنا الأحداث على المباشر، حيث يريد كل طرف فيه التعبير بأمانة لإقناع الطرف الآخر، ولذا عبر القرآن عن قضايا العقيدة كثيرا بالحوار القصصي وأخرج ما هو مستور القلوب إلى حيز الجدل والعمل.

ومنهج القرآن وهو يجاور لا يرغم العقل أمام سبيل التجربة والمشاهدة احتراماً له، قال البوطي: «يفصل القول في الأمور الغيبية التي لا حيلة للحواس في إدراكها، ويدي في حقها بأحكام جازمة مبرمة؛ ذلك لأنه لا مطمع في الوصول إلى أي علم بها عن طريق وسائل التجربة والمشاهدة، وإنما السبيل العلمي الوحيد إلى ذلك خبر الصانع والخالق، ألا وهو الله عز وجل»<sup>(5)</sup> ولذلك نجد الحوار يركز على الاستشارة والتشاور حيناً وعلى المناظرة حيناً آخر، وفي كلِّ الإسلام لا يتجه إلى الافتحام بل يهدف إلى إسماع صوت الحق للآخر وإقناعه.

**1- حوار الرسل مع أقوامهم:** حيث تعرض العقيدة من خلال الجدل الذي يجري بين الرسل والأقوام الجاحدين ويتم إحقاق السنن الربانية عليهم بانتصار أصحاب الحق، وإزهاق الباطل وأصحابه، والعاقبة للمتقين، ويقدم الرسل في حجاجهم حواراً نفعياً، لكن المجرمين عبر التاريخ يقومون بإعاقة الحوار وقطع المناظرة.

**أ- بين إبراهيم والمملك:** قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258] طرفاً للحوار: هما إبراهيم عليه السلام والذي آتاه الله الملك، وموضوعه الربوبية (رب إبراهيم) وجاءت الصيغة بالاستفهام التعجبي لأن أمر الربوبية لا ينكره جاحد، وهو ما يبين أن هذا الملك وصل إلى درجة من الانحطاط الفكري لا يدانيها شيء.

وجرى الحوار بتقدّم إبراهيم لمعتقده، بأن ربه يحيي ويميت، وهو ضمناً حجاج يشير إلى أن الأرباب الزائفة لا توجد فيها هذه الصفة، وقدم إبراهيم عليه السلام حجته بدلالة يعجز عنها الناس، وقدم الملك دعواه مبنية على المغالطة والعناد بأنه: يحيي ويميت، وعدل إبراهيم عليه السلام عن هذه حتى لا يتذرع الملك بها مسيطراً على رقاب المحكومين، يقتل ويستحيي من يريد، فأخرجه من القصر إلى الكون وأجهز على حجته قائلاً له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ وحقق الحوار هدفه وأزال ادعاءه، عندئذ بهت.

**ب- بين موسى وفرعون:** قال الله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ\*أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ\* قَالَ أَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ\* وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبِغْيَةَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ\* قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ\* فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَسَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ\* وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ\* قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ\* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ\* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ\* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ\* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

(5) - أدب الحوار في كتاب الله عز وجل، البوطي، دار القمة: (دط تا): 115

لَمَجْنُونٌ\* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ\* قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ ﴿الشعراء: 16 حتى 29﴾.

فمن وصية الله عز وجل وأمره لموسى وأخيه عليهما السلام، نجد أنفسنا نشاهد الحوار مباشرة بين الطاغية الذي أراد إشغال موسى عليه السلام وإحراجه بقتله الرجل وسماها الفعلة، والامتنان عليه بتربيته منذ الصغر واللبث بينهم لسنين؛ ليشنيه عما جاء له، وفي ثنايا الحوار يخرج موسى إلى ما جاء له من الأهداف، وما نلبث حتى ترتفع حدة الحوار بصورة فيها توعده وتهدده، قال البوطي عن نبرة الحوار أتت: «متلاحقة متداخلة كأثام السهام يتراشقها المتحاربون في ميدان القتال، فالحوار يبدأ مناوشة وتحرشاً، فيجد في كلماته ثقاقلاً وبطئاً، وامتداداً وطولاً، ثم بعد أن يحمي الصراع ويشتد، تجيء كلمات الحوار قوية متقطعة، تجري في خفة واندفاع وتراشق، أشبه بالرمي بالسهم»<sup>(6)</sup> فبعد أن فضحه الله أمام الملا منه، أراد الله أن يفضحه أمام شعبه، وفي ساحة أوسع من قصره، وأن يؤمن من حاشيته بموسى منهم أمام عينيه رغماً عنه.

**ج- بين موسى وقومه:** قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ\* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 129، 128] يدور هذا الحوار بين موسى عليه السلام وقومه، وهو يعلق رجاءهم برهم، قال سيد قطب: «وضع لهم سنن الحياة ورؤية النبي لحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه، ولحقيقة الواقع الكوني، والقوى التي تعمل فيه، ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون»<sup>(7)</sup> ولكن التصاقهم بالأرض، وخوفهم الشديد من فرعون وملاه، حال دون بارقة أمل لديهم، فقالوا له أوذينا قبل مجيئك وبعد مجيئك، واستمر الأذى حتى ماله نهاية، والكلام هذا مضمن رفض الرسول؛ الذي لا يملك دفع مضرة أو جلب منفعة، وأسباب النصر ليست في مقدور أحد من العالمين، ولو كان من المقربين بل هي من عند الله.

ولا يرتكز الحوار على صورة بيانية، بل مادته النظم كما يصور خواجه صدر بن إسرائيل المضطربة التي ليس لها مستند تستند إليه، فازدادت بقله النصير وحشة وذعرا، بينما في نفس الوقت يصور نفسية الرسول موسى عليه الصلاة والسلام؛ الموصول بربه الذي لم ينقطع أمل، الصابر المنتظر وعد الله، والذي ليس له ملاذ سواه.

**د- يعقوب وبنيه:** قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 133] يقوم الحوار هنا على الاستشارة والتشاور، فهذه هي وصية إبراهيم علي السلام التي طلب من الله أن تكون سارية في عقبه، رعاها يعقوب عليه السلام حتى في لحظات الاحتضار؛ كانت شغله الشاغل:

<sup>(6)</sup> - من روائع القرآن، البوطي، مؤسسة الرسالة بيروت، (دط) 1420هـ 1999م: 133

<sup>(7)</sup> - في ظلال القرآن، سيد قطب: 3/1355

الأب يسأل: والسؤال له بعده الحجاجي، "مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي" وناسب تقديم المفعول (ما) ما يهتم له عليه السلام ويوليه العناية من الوصية.

الأبناء يجيبون: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِهْمًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وأجاب الأبناء بتحديد "الإله" الحق المتوارث من عهد إبراهيم عليه السلام بالإفراد لا شريك له، ويرمي الحوار: إلى نبذ الشرك، والسير على نهج إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، والقصد التعريض بالمشركين من طوائف العرب واليهود، والوصية الجامعة تبين حقيقة الميراث، وإيمان الرسل عليهم السلام.

**هـ- لقمان وابنه:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] الحوار بين الأب وابنه في شكل وصية يقدم الأب لابنه مواعظ هذه واحدة منها، والعظة غير متهممة من لقمان الحكيم عليه السلام لابنه، وهو ينهاه عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر، قال سيد قطب: «ويؤكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بتقدم النهي وفصل علته، ومرة بإن واللام وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد - صلى الله عليه وسلم - على قومه فيجادلونه فيها، ويشككون في غرضه من وراء عرضها... فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه ويأمره بها؟ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنة؟ ألا إنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس؛ يراد بها الخير المحض، ولا يراد بها سواه، وهذا هو المؤثر المقصود»<sup>(8)</sup> والتوحيد ونبذ الشرك دائما يستعمل له الحوار في القصص القرآني؛ وخاصة القصير لتحقيق الهدف المقصود، حيث يجعل الأمر مثيرا كأنه حدث اللحظة، فسرعة تأثيره أوكد.

**و- يوسف الصديق والسجينان:** والتذييل على الحوار أو الخروج منه والعودة إليه هو هدف قرآني مقصود، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ\* وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ\* يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَزْنَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ\* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 37 - 40] وجواب السجانين حاصله في الآية واحد وأربعون ولكنه لهدف عقدي محض قدم لهم موعظة قبل أن يجيبهم، ثم عاد إلى الحوار من جديد، والقرآن يحقق بالخروج عن الحوار والعودة إليه جانبا فنياً.

**ز- محمد صلى الله عليه وسلم والمشركين:** قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنِكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا

هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿[الأنعام:19]﴾ هذا الحوار من نوع خاص يأمر الله رسوله بمحاجة المشركين وسؤالهم، ثم في نفس الوقت يأمره أن يجيب هو نفسه صلى الله عليه وسلم ويبدأ كالتالي:

أ- (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) وجيء بكلمة "شيء" نكرة لتعم كل ما هو موجود ومعروف لهم

ب- (قُلْ اللَّهُ) هو أكبر شهادة وهو يقص الحق وهو خير الفاصلين فإذا اتفق على هذه القضية بأن الله هو أكبر شهادة، جيء بعده:

ج- (شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على تقدير: هو شهيد بيني وبينكم

وتكلم الآية عن التوحيد لب العقيدة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال سيد قطب: «إذا تقرر المبدأ: مبدأ تحكيم الله سبحانه في القضية، أعلن إليهم أن شهادة الله سبحانه تضمنها هذا القرآن الذي أوحاه إليهم لينذرهم به»<sup>(9)</sup> فكان صلى الله عليه وسلم يستوثق منهم عقيدتهم بالشهادة عليهم.

**2- الحيران والأصحاب:** قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُنَدِّعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمْرًا لِنُسَلِّمَ لِزَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:71] تبدأ الصورة بلفظة "قل" وتختتم بها بأسلوب الخطاب الإفرادي «والذي يوحى بأن هذا الأمر لله وحده، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما منذر ومبلغ؛ والذي يوحى بجلال هذا الأمر وعلويته ورهبته وأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو مأمور من ربه»<sup>(10)</sup> وهو الإيقاع القوي المعبر عن حقيقة الألوهية.

والاستهواء: بناؤه استفعال، قال الألوسي: «هوى في الأرض يهوي إذا ذهب، كأنها طلبت هويه وحرصت عليه»<sup>(11)</sup> قال حبنكة الميداني: «هذه القطعة من الحوار بين من استمالته شياطين الإنس والجن بزخرف أقوالها عن طريق تهيج أهوائه وإمتاعها بما تستلذه، وغاية استهوائها له إسقاطه في عذاب أليم وشقاء أبدي لا خلاص له منه»<sup>(12)</sup> وبين الأصحاب المؤمنين الذين ينادونه لتخليصه من حيرته التي أوقعه فيها الشياطين.

والصورة بأسلوب التشخيص المتحرك، قال سيد قطب: «تبين الضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد، والآلهة المتعددة من العبيد! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال، فيذهب في

<sup>(9)</sup> -م، ن: 1056/2

<sup>(10)</sup> -م، ن: 1131/2

<sup>(11)</sup> -روح المعاني، الألوسي: 236/7.

<sup>(12)</sup> -معارض التفكير ودقائق التدبر، حبنكة الميداني: 291/11

التيه...إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس: "الذي استهوته الشياطين في الأرض" ولفظ الاستهواء لفظ مصور بذاته لدلوله»<sup>(13)</sup> لأنهم يطلبونه ويحرصون عليه لأن يكون منهم.

**2-الحوار أو الخصومة بين أهل النار:** ومن الحوار الذي يرتفع إلى الجدل والخصومة بين أهل النار يوضح القرآن طرفاً منه وينقل لنا صوراً من العداوة بين المتبوعين والأتباع أصدقاء أمس أعداء اليوم، وهم يلعنون بعضهم بعضاً، ويُحْمِلُونَ بعضهم بعضاً العذاب الذي حق عليهم، بعد أن أضلّوهم في الدنيا، وهذه الخصومة التي تجري في النار حق كما عبر عنها القرآن، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ \* قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْقَرَارُ \* قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِذْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ \* وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ \* أَخَذْنَا هُمُ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ \* إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ \* قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص:59-65].

ولو أننا كتبنا الحوار بصورة مبسطة خارج النظم القرآني للتقريب لكان:

أ - قالت الملائكة للقادة وهم في النار: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ)

ب - قالت القادة: (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ)

أ - قالت الملائكة: (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ)، أو يحتمل - قالت القادة: (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ)

ج - قالت الأتباع: (بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْقَرَارُ)

ج - ثم قالت الأتباع: (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِذْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ) أو قالته الأتباع والمتبوعين جميعاً؛ ويؤكد أنه لا يوجد حرف عطف بين جملي "قالوا" وهم يريدون الكبراء أو الشياطين، قال ابن القيم: «الأتباع دعوا على سادتهم وكبرائهم وأئمتهم به... ويجوز أن يكون جميع أهل النار سألوا ربهم أن يزيد من سن لهم الشرك وتكذيب الرسل صلى الله عليهم وسلم عذاباً ضعفاً، وهم الشياطين»<sup>(14)</sup> وجاءت الجمل الأولى بدون كلمة القول، على عادة القرآن في تنويع الكلام، وإحداث المفاجأة.

ثم يلتفتون، فلا يجدون الذين كانوا منهم يستهزئون، فيتساءلون سؤال المرئب عنهم، إنما لأنهم فازوا في سعادة الفائزين، أو لأنهم كانوا معهم ومن هول جهنم لا يرونهم لزوغان الأبصار، وينتهي هذا الحوار عن حديث التخاصم في النار، بخروج الأسلوب من الحوار إلى السرد ليركز على مضامين عقدية يوجهها الرسول عليه الصلاة

(13) - في ظلال القرآن، سيد قطب: 1131/2

(14) - اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم: 54

والسلام إلى الناس جميعا وفي مقدمتهم مشركي مكة، وهي: تبيان وظيفة الرسول عليه السلام، وتبيان معنى لا إله إلا الله التي جاء بها، وحقيقة القرآن الذي عنه غافلون.

ويتخاصم العدو الأكبر للإنسان مع أوليائه... ينقل لنا القرآن صورة هذا الجدل، ويتبرأ الشيطان من أنصاره كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي لِي كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22].

وينقل القرآن الكريم حوار الملائكة الخزنة مع الجرمين لبيان دلالة تعطيل الحواس عن اتباع للهدى، في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْعَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ \* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ \* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ \* فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: 8-11].

ومثله في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ \* يُنَادُونَ لَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ \* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: 12 حتى 15] الرؤية هنا بصرية وهي لغير معين، والنور حقيقي.

أطراف الحوار: المؤمنون الملائكة المنافقون، يقول سيد قطب: «والمشهد هنا بإجماله وتفصيله جديد- بين المشاهد القرآنية- وهو من المشاهد التي يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسماً قويا، فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهدا عجيبا، هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم، ولكننا نرى بين أيديهم وبأيامهم إشعاعا لطيفا هادئا، ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم»<sup>(15)</sup> وتلاقهم الملائكة بالتبشير والتكريم، والطرف الثالث: المنافقون يطلبون من المؤمنين قبسا من نورهم، فينادى عليهم تهكما أنه خلفهم ثم يفصل بينهم بالسور.

والمشهد كله نور، ومناسب لأفاعيل المنافقين في الدنيا مما كانوا يدسون ويضمرون الكفر، ويدعون الإسلام، فلم يعد شيئا مبطونا ولا مخبوءا، وعلى الصراط فُضح كل مستور، وجيء بهذه الصور المؤثرة لكشف حقيقة النوايا

والأعمال، قال ابن عاشور: «الفاصل بين النعيم والعذاب هو الأعمال في الدنيا، وأن الأعمال التي يعملها الناس في الدنيا منها ما يفضي بعامله إلى النعيم ومنها ما يفضي بصاحبه إلى العذاب»<sup>(16)</sup>.

**3-الحوار داخل الجنة:** والحوار عن الجنة وفي الجنة كثير، نقتطف منه هذه اللقطات فيما بينهم وهم يتساءلون عن المجرمين في الجنات، ثم ينتقل بنا فجأة إلى مواجهتهم بالسؤال عن دخولهم النار قال تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ\* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ\* عَنِ الْمُجْرِمِينَ\* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ\* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ\* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ\* وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ\* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ\* حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ\* فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:39-48] وأصحاب اليمين «هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، فلا يرتنون بذنوبهم، وقد فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم»<sup>(17)</sup> فهم في جلسات حميمة يتساءلون عن المجرمين، ويسألونهم، ويجيب المشركون.

والحوار عموماً يجاء في سياق تصحيح مفاهيم وتصورات ومعتقدات خاطئة، منشؤها اتخاذ الشركاء وإنكار البعث، فتجيء في القرآن الصورة مفعمة بالحوارات لتجعل القضية مشاهدة، فتظهر من خلاله الأخطاء وكيفية تصحيحها، ليخلص المعتقد لله وحده: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:3].

<sup>(16)</sup> -التحرير والتنوير، ابن عاشور: 383/27

<sup>(17)</sup> -التفسير المنير، وهبة الزحيلي: 258/15

خاتمة



## • خاتمة:

أسفر البحث عن بعض النتائج، فالمتعلقة بكل مبحث وردت في ثناياه وفي ختامه، أمّا هنا فالإشارة إلى العامة للتذكير بها، فنلاحظ ابتداءً أن فهم العقيدة وكيف عُرضت لا يتم إلا من خلال شرطين أساسين:

**أولاً:** أنّ عرضها تمّ من خلال معهود العرب في خطابهم، لأن القرآن الكريم جاء موافقاً لهم في تراكيبيهم كما قال الطبري رحمه الله<sup>(1)</sup> فهذا الشرط هو معيار في الفهم وفي العرض، وهو أكثر ما يؤدّيه الخطاب الحجاجي في جميع الفصول عبر آلياته وأدلّته الخاصة إلى دفع المخاطب إلى التفكير والتأمل للإقرار بعقيدة القرآن الصحيحة، ونبذ ما يخالفها مما هو غير صحيح.

**ثانياً:** أنّ فهم العقيدة كيف عُرضت في القرآن الكريم، وكيف تُتلقى يجب أن يسبقه أطراح كليّ للمقررات السابقة، فلا يمكن أن نحاكم أموراً ربانية بما ترسب في عقولنا من أفكار لأن هذا خطأ في المنهج وفي التلقي. إذا توفر هذان الشرطان فكل نتيجة لهما تبع:

أ- اكتشف البحث: أن التأثير بالصوت هو الإعجاز الفريد للعرب والعجم لما فيه من سلطان على القلوب من الرب الكريم، وهذا التأثير فريد لأنه يخترق الألسنة وجميع الحواجز ويهز الفطرة من سباتها، ويهيئها للاستجابة.

- والتأثير في المخاطب عند سماعه القرآن هو مما يميز الأسلوب القرآني عن غيره من كلام البشر، وتتمظهر هذه التأثيرات عند بلاغته في تصريف القول وفي ترتيب القرآن الذي تبرز فيه الظواهر الصوتية كالتكرارات، والتنغيم، والفاصلة، والحركات والسكتات، والمدود وغيرها، فكلها لها معنى تؤديه من خلال اختلافاتها في اللفظ، فتتوأكب الألفاظ والمعاني في سياقاتها تفرع الأسماع والقلوب، فما إن تلامس الأذن حتى تشدها للانتباه والإصغاء.

ب- الاختلاف في البناء الصرفي حتماً يترتب عليه الاختلاف في الدلالة، فإذا أضيف إليه السياق كان المعنى الدلالي قد أخذ وجهاً آخر.

- ومنها أن أمور العقيدة التي وصفت باسم الفاعل لا يجب حملها دائماً على التجدد والحدوث كما هو الظاهر من تعريفات النحويين! وإنما اسم الفاعل في القرآن الكريم جاء للدلالة على الثبوت أكثر من كونه طارئاً لما يتعلق الأمر بقضايا الألوهية والربوبية، فالتعريفات شيء وتطبيقاتها شيء آخر.

- وصيغ الأفعال تأتي في القرآن الترادف والتكرار، وكل صيغة لا تسد مسد الأخرى في التعبير عن المعنى المقصود.

(1) - سبق قوله في صفحة: 119

ت-والأصل في التركيب البقاء على أصله عند التعرض لأمر عقدي والتمسك به، وبه تتحدد مرجعية الخطاب ويفهم المعنى المراد، فالأصل في الأساليب إجراؤها على ظاهرها دون اللجوء إلى التأويل إلا للضرورة.

-وكل أسلوب يتحدد من السياق الذي ورد فيه، فأسلوب الاستفهام مثلا أعظم الأساليب إقناعا لارتكازه على المقارنة في استمالة المتلقي والتأثير عليه، ووضعه موضع المخير بنفسه، فدل على مسائل الاعتقاد والتشريع وبالأخص قضايا الألوهية والربوبية، وحمل المخاطبين على الإيمان موافقة للفطرة، والرد على شبهات المبطلين، ومثله بقية كل الأساليب التي جاءت في فصل التركيب كونها ذات أبعاد حجاجية فهي لا تغفل متلق حقيقيّ مضمّن أو صريح.

ث-وكذلك الحرف: لا تظهر دلالاته إلا من سياقه، فيُضمّن أو يختارُ حسب مواقعه لهدف مقصود في صورة حجاجية، فيأتي للتعليل مثلا بغرض الإقناع، والتعليل جاء في القرآن لتأثيره وتسهيل العملية الإقناعية، على خلاف من ينكره من بعض الفرق، ويريد أن ينزه الله من حيث هو موجود في كلامه.

-كما تخضع الحروف والكلمات والتراكيب في الجانب العقيدي للسمع من القرآن والسنة واللغة فلا تعمل الوسائل والحجج بعيدا عن هاته المصادر، ولذلك لما استقلت بعض الفرق بدلالة "الن" عن تقييدها بما جاء في السنة حدث انحراف عقدي عند هاته الفرق، وظهر القصور في منهجها والجهل في استعمال الوسائل.

ج-والأسلوب بالصورة هو الإقناع ذاته يؤتى به لتقريب الحقائق الغيبية، وعرضها على المباشر في أشكال مثل: الوصف، والحوار، والأمثال، والمقابلة، مما يتأكد أفضلية الطريقة التصويرية على الطريقة التجريدية.

-كما كشفت الظواهر الصورية عن طبيعة العلاقات في التراكيب، وأسهمت كآلية مقارنة في معرفة الفروق الدلالية، وأدت دورها في القرآن لإثبات أمور العقيدة معتمدة على الترغيب والترهيب والتنبيه والإقرار، والأسلوب التصويري عموما بما فيه من ظل وجرس وتخيل وتجسيم، يسهل من قراءة المشهد وإيضاح للدلالة، فيحمل المتلقي على تصور الأمر الغيبي وجعله مُشاهدا.

ونخلص في النهاية أن قضايا العقيدة المعروضة في القرآن بالأساليب العربية الصحيحة تفي بالعملية الإقناعية حاجتها الذهنية والقلبية، السهلة والسريعة، وتأتي مبانة لمناهج الاستدلال الجافة عند المناطقة والمتكلمين وغيرهم، وأنّ الآليات الحجاجية جميعها تعد فعلا قرائيا للخطاب القرآني باعتباره يزاوج بين طابعه الإخباري والحجاجي، كما لا يمكن أن يقوم الاحتجاج وخصوصا في العقيدة بدوره بعيدا عن مستنده السماعي القرآن والسنة واللغة.

# الفهارس العامة:

- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية
- الشواهد الشعرية
- المصادر والمراجع
- المحتويات



الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا تُلْعَقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾	195	197	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾	31	96
﴿تُمْ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ﴾	199	230	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا﴾	36-37	89-175
﴿حَهْمٌ وَلَيْسَ الْعِمَادُ﴾	206	67	﴿أَبِي قَدْ جِئْتُكُمْ بَأَيَّةٍ﴾	49	30
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	208	22	﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾	52	188
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾	210	153	﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾	54	100-278
﴿تُمْ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ﴾	224	237	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾	59-60	224-278
﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾	243	183	﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾	62	109
﴿وَوَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ﴾	255	124-68	﴿وَمَنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ﴾	75	194
﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي﴾	258	120-135	﴿مَا كَانَ لِيَشْرِيَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾	79	226
﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾	259	221	﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾	83	48-138
﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي﴾	260	161-130	﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾	84	202
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾	268	280	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا﴾	91	264
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾	281	175	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا﴾	102	92-178
﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِينَ عَلَيْهِ﴾	282	238-19	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾	110	ب-183
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾	285	157	﴿وَإِذَا خَلَقُوا عَضُوا عَلَيْكُمْ﴾	119	209-284
<b>سورة آل عمران</b>					
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ﴾	123	192	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ﴾	123	192
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾	5	201-135	﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ﴾	127	238
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	6	109-51	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾	128	238
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾	7	41	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾	133	71
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾	9	140-75	﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾	137	80-208
﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى﴾	11	227	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾	140	243
﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾	17	83	﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾	144	130
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ﴾	18	79-23	﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرٌ﴾	150	221
﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَامُ﴾	19	284	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ﴾	151	190
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	20	130	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	153	178
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾	23-22	285-66	﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾	175	146
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾	25	271	﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ﴾	177	247
﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ﴾	27-26	157	﴿إِنَّمَا مَلْمِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا﴾	178	241
﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾	28	92	﴿فَمَنْ رُحِّخَ عَنِ النَّارِ﴾	185	35-72-84
﴿قُلْ إِنْ تَحْفُوا﴾	29	58	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾	191	36-158
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾	30	25	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾	192	36

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾	193	36	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾	33	213-212
﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾	194	36-176	﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا﴾	37	135
<b>سورة النساء</b>					
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾	192	45	﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِي﴾	52	236
﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيًّا﴾	7	64	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	54	111-57
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾	26	246	﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾	61	196
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾	41	130	﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا﴾	64	190-68
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾	45	197	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾	72	225-165
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	59	29	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾	73	42
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾	64	242-175	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ﴾	83	15
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	65	167	﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ﴾	89	211-7
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	69	114-64	﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَعَاهِدُونَ﴾	91	131
﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُطِغَّرَ﴾	72	27	﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدًّا﴾	95	38
﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا﴾	76	90	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾	112	130-43
﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾	84	104	﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾	113	130
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾	87	124-104	﴿وَإِزْقُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ﴾	114	97
﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾	95	89	﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾	116	112
﴿وَعَدَ اللَّهُ حَمًّا وَمَنْ أَصْدَقُ﴾	122	104-92	﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾	118	109
﴿بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ﴾	138	146	<b>سورة الأنعام</b>		
﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾	140	81-75	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ﴾	1	223
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾	142	279	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾	2	225
﴿مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	143	84	﴿لَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾	8	224
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَمًّا﴾	151	92	﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَلْحَدًا وَلِيًّا﴾	14	246-123
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	164	143-87	﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾	17	276
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	166	193	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾	19	292-173
﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾	171	148	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾	22-23	230-123
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	174	201	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا﴾	27	240-221
﴿لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا﴾	176	238-146	﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا﴾	28	221
<b>سورة المائدة</b>					
﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾	6	108-191	﴿وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ﴾	17	174
﴿وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ﴾	17	276	﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾	35	159
﴿يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	26	207			

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾	36	278-226	﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرُكُوا﴾	38	26
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا أَنَا كُمْ عَذَابٌ﴾	41-40	218-139	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	40	262
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾	54	64	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾	44	92
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾	60	190	﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾	50	233
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ﴾	65	235	﴿بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ﴾	52	56
﴿وَأَمْرًا لِّسَلِيمٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	71	246-246	﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعْعَاءَ﴾	53	240
﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾	80	151	﴿وَلَا تَفْعَلُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾	86	189
﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾	84	139	﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾	88	237-123
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾	91	91	﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ﴾	105	200
﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾	93	159	﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا﴾	115	238
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾	99-95	268-76	﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾	124	228
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾	100	140	﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا﴾	128	290
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ﴾	102	59	﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾	129	290-236
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾	103	248	﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾	133	56
﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلُبِّيْنَهُ﴾	105	244	﴿وَحَاوَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	138	193
﴿وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	109	163	﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾	143	248-155
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾	115	117	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾	156	116
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾	123	101	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾	157	113
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا﴾	124	67-42	﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	158	174-113
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾	130	172-121	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	169	53
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾	131-128	172	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾	170	198
﴿سَيَحْزِبُهُمْ وَصَفَّهُمْ﴾	139	281	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾	172	147-126
﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾	149	151	﴿أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ﴾	175	259
﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾	153	198-239	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾	176	259
﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾	156	236	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾	178	275-153
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾	158	154	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	180	142
<b>سورة الأعراف</b>					
﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	4	183	﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	185	127
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾	11	228	﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ﴾	186	185
﴿قَالَ فِيمَا أُعْوِثَنِي لِأَفْعَدَنَّ﴾	16	199	﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْثُهَا إِلَّا هُوَ﴾	187	65
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾	29	184	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	189	225

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾	191	127	﴿وَإِذَا ثَقُلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾	15	5
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾	204	15	﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ﴾	22	172
<b>سورة الأنفال</b>					
﴿لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ﴾	8	95	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	24	283
﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	10	109	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾	25	150
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾	17	279	﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾	26	275-107
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾	22	101	﴿جَزَاءً سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾	27	196
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾	30	101	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾	34	127
﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾	31	151	﴿قُلْ هَلْ مِنْ﴾	35	28
﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ﴾	33	245	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾	37	236
﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾	40	66	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ﴾	45	39
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى﴾	50	137	﴿فَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ﴾	46	224
<b>سورة التوبة</b>					
﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾	2	208	﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾	55	168
﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا﴾	13	122	﴿وَلَا يَجْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ﴾	65	42
﴿وَيَتَوَسَّطُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾	15	201	﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾	68	63
﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ﴾	25	192	﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾	71	149
﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾	28	113	﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾	82	95
﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزِّلَ نُورَهُ﴾	32	246-245	﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾	88	244
﴿أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾	38	26	﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ﴾	90	195
﴿وَإِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾	60	206	﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾	104	246
﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾	62	163-104	<b>سورة هود</b>		
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾	67-68	274	﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾	5	270
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾	71-72	274	﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ﴾	12	77
﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾	92	237	﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾	13	122-18
﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُوزَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾	106	238	﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	37	204-195
﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	117	115	﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾	40	204
﴿وَمَا رَحِبَتْ وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ﴾	118	226	﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	44	95
<b>سورة يونس</b>					
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾	3	59	﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَتَبِ﴾	49	6
﴿لِيَهِيَ مَرْجِعُكُمْ حِمِيمًا وَعَدَّ﴾	4	92	﴿إِنْ نَعْمَلُ إِلَّا اعْتِرَاكَ﴾	54	184



الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾	87	111	﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾	33	149
﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾	90	113	﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾	34	98
﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾	105	55	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ﴾	35	282-148
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾	119	163	﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾	43	166
<b>سورة يوسف</b>			<b>سورة إبراهيم</b>		
﴿وَأَسْأَلُ الْقُرْيَةَ﴾	2	1	﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾	9	209
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ﴾	3	107-92	﴿قَالَتْ رُسُلُهُم أِنِّي اللَّهُ﴾	10	122
﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا﴾	31	267	﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ﴾	13	236
﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾	40-37	291	﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾	18	264
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾	55-54	59	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا﴾	22	294
﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾	75-74	38	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ﴾	24	267
﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾	77	97	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا﴾	30	242
﴿وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ﴾	82	153	﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ﴾	33	222
﴿فَصَبَّرَ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ﴾	83	48	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾	34	58
﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾	84	53	﴿فَمَنْ تَبِعِي فَإِنَّهُ مَيِّ وَمَنْ﴾	36	113
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي﴾	86	49	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ﴾	39	200
﴿قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾	91	185	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾	43-42	262
﴿لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾	100	57	﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ﴾	46	239
﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾	101	147	﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا﴾	47	140
﴿بِمَرْوَنَ عَلَيْهَا وَهُمْ﴾	105	204	﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا﴾	48	79
<b>سورة الرعد</b>			<b>سورة الحجر</b>		
﴿وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾	5	49	﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾	41	202
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾	6	200	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي﴾	72	168
﴿الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾	9	81-55	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ﴾	87	157
﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾	13	266	<b>سورة النحل</b>		
﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ﴾	17	265-192	﴿أَتَى أُمْرُ اللَّهِ﴾	1	182
﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾	18	264	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	9	151
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ﴾	24-23	159-90	﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾	15	237
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾	26	210	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾	18	58
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾	28	179	﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ﴾	27	40
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ﴾	31	219-160	﴿وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾	30	67

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾	32	196	<b>سورة الكهف</b>		
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾	33	154	﴿وَمَا يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قِيمًا﴾	2-1	201-45
﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	36	208	﴿فَلَعَلَّكَ بَاحِعٌ بِفُسْكَ﴾	6	77
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	38	162	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لَتَعْلَمَ﴾	12	228
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾	40	87	﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾	18	74
﴿لَتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾	44	ب	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾	22	148
﴿لَا تَتَّخِذُوا الْهَيْبَةَ الَّذِينَ﴾	51	173	﴿وَهُوَ يُجَاوِزُهُ﴾	37 و 34	288
﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾	60	283	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾	45	111
﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	65	135	﴿وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ﴾	46	97
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾	76	277-260	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾	47	183
﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَةٍ﴾	77	216-99	﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾	64	55
﴿اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾	81	134	﴿سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ﴾	78	147
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾	83	227	﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾	82	147
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾	89	210	﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾	86	238
﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾	100	191	﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾	99	267
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ﴾	101	160	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾	109	267
﴿لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾	103	244-69	<b>سورة مريم</b>		
<b>سورة الإسراء</b>			﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾	3-6	147-36
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾	9	146	﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ﴾	9	156
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾	12	71	﴿وَهَزَبْنَا بِكَ الْجَدْعَ﴾	25	197
﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾	37	203	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي﴾	30-31	183
﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ﴾	43	190	﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ﴾	34-40	59
﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾	54	105	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	59	53
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ﴾	55	157	﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	65	125
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾	70	206	﴿أَوْلَا يَذُكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا﴾	67	156
﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾	72	210	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾	68	169
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾	73	188	﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾	75	185-86
﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾	83	158	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾	83	126-86
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ﴾	84	100	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ﴾	88-93	36
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ﴾	102	51	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ﴾	98	212
﴿قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	110	175-142	<b>سورة طه</b>		

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	5	143-115	﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾	77	188
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ﴾	8	142-48	﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾	90	207
﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا﴾	13	195	<b>سورة الحج</b>		
﴿وَلِئَلْنَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	39	204-196	﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ﴾	9	211
﴿وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾	41	196	﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾	11	258-73
﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	44	213	﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ﴾	15	63
﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى﴾	50	28	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾	18	293
﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ﴾	53	69	﴿وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾	22 و 24	277
﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ﴾	65	238	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	25	197-179
﴿فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِيَّاكَ أَنْتَ﴾	68	102	﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾	26	233
﴿وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ فِي جُدُوعٍ﴾	71	228-208	﴿حُتَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾	31	179-94
﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾	78	61	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾	38	137-71
﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ﴾	89	235	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾	40	236
﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾	91	250-239	﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾	51	81
﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾	108	24	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ﴾	63	83
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	110	248	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾	72	288
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾	113	213	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ﴾	73-74	261-91
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	114	155	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ﴾	78	91
﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا﴾	118	280	<b>سورة المؤمنون</b>		
﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا﴾	119	280	﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾	12-14	229-137
﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي﴾	125	155	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾	24	151
<b>سورة الأنبياء</b>					
﴿بَلْ قَالُوا أَضْعَافٌ أُخْلَامٍ﴾	5	221-220	﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾	32	164
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾	18	265	﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾	70	219
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾	26	219-93	﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾	91	281
﴿أَفَأَنْ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾	34	130	﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾	99	155
﴿مُحَلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	35	76	﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾	118	155
<b>سورة النور</b>					
﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	39-40	219	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا﴾	30	105
﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ﴾	42	221	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾	35	270
﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾	53	221	﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ﴾	43	194
﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾	62	126	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	55	32

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَسَلِّمُوا عَلٰى أَنْفُسِكُمْ نَحِيَّةً﴾	61	90	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ﴾	59	129-98
<b>سورة الفرقان</b>					
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	9-4	285-39	﴿أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾	60	124-30
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾	23	264	﴿بَلِ ادَّارِكُ عِلْمُهُمْ﴾	66	222-26
﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾	25	194	﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	79	202
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ﴾	30	155-147	﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوْتَى﴾	80	278
﴿كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	32	89-87	﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾	87	182-65
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾	33	106	<b>سورة القصص</b>		
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	43	139	﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾	8	244
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾	44	218	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾	17	250
﴿أَلَمْ تَرِ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾	46-45	286	﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾	25	241
﴿الرَّحْمَنِ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾	59	194-115	﴿لَا تَهْدِي مَنْ أُخْبِتَ﴾	57-56	13-6
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾	63	203-50	<b>سورة العنكبوت</b>		
<b>سورة الشعراء</b>					
﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾	3	78	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ﴾	19	227-122
﴿فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا﴾	29-16	290-123	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	20	227
﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾	49	228	﴿فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾	40	191
﴿أَنْ اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ﴾	63	193	﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ﴾	45	98
﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾	73-72	222-212	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾	46	103
﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾	82	236	<b>سورة الروم</b>		
﴿فَكُفِّبُوا فِيهَا﴾	94	26	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾	25-24	234
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	105	167	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾	27	283-105
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾	106	122-122	﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾	28	260
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾	190	32	﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ﴾	30	94-5
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	191	32	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾	47	92
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾	193	197	﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	57	161
<b>سورة النمل</b>					
﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾	9	109	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾	13	291
﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾	14	15	﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾	16	57
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلٰى وَادٍ﴾	18	200	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾	18	203
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾	19	أ	﴿وَلَعِنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ﴾	25	165

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾	27	268	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾	9	180
<b>سورة السجدة</b>			﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ﴾	28	75-138
﴿أَمْ يَمُولُونَ﴾	3	219	﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ﴾	31-32	227
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	7-9	226	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	34	69-53
﴿فَدُفِنُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ﴾	14	155	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ﴾	36	239
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾	18	79	﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾	37	35
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ﴾	22	227	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ﴾	41	146
<b>سورة الأحزاب</b>			﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ﴾	42	162
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	3	186	<b>سورة يس</b>		
﴿وَتَضَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	10	47	﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾	1-3	166
﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	11	72	﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	25	70
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولٍ﴾	21	262	﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾	26	70
﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾	25	197	﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾	30	45
﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	36	86	﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾	33-44	269
﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾	38	92	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا﴾	52	124-44
﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	43	115	﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾	58	90
﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا﴾	44	90	﴿فَلَا يَخْزَنكَ قَوْلُهُمْ﴾	76	42
﴿وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ﴾	47	146	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾	82	156
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا﴾	56	88	<b>سورة الصافات</b>		
﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾	62	92	﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾	1-4	165
﴿وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ﴾	66-67	47	﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾	5	158-165
<b>سورة سبأ</b>			﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾	12	57-49
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾	2	210	﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾	25	39
﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾	3	170-64	﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾	44	82
﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾	7	91	﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ﴾	64-65	267-210
﴿فَاعْرَضُوا فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾	16	196	﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ لَسُوءًا﴾	67	224
﴿وَمَرَفْنَاهُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ﴾	19	91	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾	72	170
﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى﴾	24-25	213-203	﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ﴾	75	67
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	31	251	﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾	78-79	150
﴿فُلِنْ إِنْ ضَلَلْتَ فَإِنَّمَا أَضِلُّ﴾	50	280	﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	84	196
<b>سورة فاطر</b>			﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ﴾	91-93	202

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَ أَنْعِبُدُونَ مَا تَنَحُّونَ﴾	95	123	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي﴾	56	233
﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾	107	52	﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾	60	126-83
﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ﴾	125	100	﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾	61	192
﴿إِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ﴾	137	204	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾	65-66	139-أ
﴿وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾	138	204	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	72	278-67
﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾	147	214	﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ﴾	73	278-60
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾	180	93	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	74	277-68
﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾	181	199	<b>سورة غافر</b>		
<b>سورة ص</b>			﴿عَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾	3	77
﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾	2-1	220-166	﴿لَيَمُنَّ الْمَلَكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾	16	117-80
﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾	5	127-30	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾	27	83
﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾	8	219	﴿أَتَفْتُلُون رَجُلًا أَنْ يَقُولَ﴾	28	237
﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ﴾	9	111	﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾	32	55
﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾	19-18	267	﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ﴾	41	39
﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ﴾	24	188	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾	64-66	59
﴿أَمْ لِمَجْعَلِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	28	122	<b>سورة فصلت</b>		
﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾	65-59	293	﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فُرْآنًا﴾	3	4
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾	71	76	﴿إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي﴾	9	132
﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾	84	95	﴿إِنِّي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾	11	52-51
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ﴾	85	95	﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾	13	21
<b>سورة الزمر</b>			﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا﴾	15	105
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾	3	243-90	﴿لِنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْحُزْيِ﴾	16	104
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ﴾	6	225	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	26	6
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾	18	106	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	30	230
﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا﴾	21	83	﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ﴾	40	201-128
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾	23	106-73	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾	41	149
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ﴾	29	260-82	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾	42	217
﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ﴾	35	103	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ فُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾	44	259-128
﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾	45	73	<b>سورة الشورى</b>		
﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	47	264	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	11	283
﴿وَاتَّبَعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ﴾	55	106	﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾	13	233



الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ ﴾	15	244	<b>سورة الفتح</b>		
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾	40	278-196	﴿ لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ﴾	2	245
<b>سورة الزخرف</b>					
﴿ لَتَتُومُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	9	43	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا ﴾	10	52
﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾	8	99	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	18-19	183
﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾	40	212	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا ﴾	26	103
﴿ وَنَادَاوَا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ ﴾	77	250	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﴾	27	80
﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ﴾	84	206	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴾	28	195-193
<b>سورة الدخان</b>					
﴿ أَتَىٰ هُمُ الدِّكْرَىٰ ﴾	13-12	131	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ ﴾	29	282
﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	39	195	<b>سورة الحجرات</b>		
﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامٌ ﴾	44-43	48	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	1	10
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الكَرِيمُ ﴾	49	110	﴿ كَجَهَنَّمَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾	2	146
<b>سورة الجاثية</b>					
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	11	25	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾	14 و 15	230-179
﴿ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ﴾	2	109	﴿ قُلْ أَنْتَ لَعَلَّكُمْ ﴾	16	40
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اخْتَرَحُوا ﴾	21	66	<b>سورة ق</b>		
﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ ﴾	22	66	﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾	1-2	220-166
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾	23	139	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾	16	105-27
﴿ قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ ﴾	32	83	﴿ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا ﴾	35	248
﴿ وَوَلَّهُ الْكِبْرِيَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾	37	109	﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾	44	141
<b>سورة الأحقاف</b>					
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ﴾	10	160	<b>سورة الذاريات</b>		
﴿ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي لِي ﴾	15	207	﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾	1-5	169
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	20	69	﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾	8	169
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا ﴾	29	15	﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	18	192
﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ ﴾	33	190	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾	22	170
﴿ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ ﴾	35	148-122	﴿ فَفُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	23	169
<b>سورة محمد</b>					
﴿ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾	25	50	﴿ وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾	47	78
﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ ﴾	1	179	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴾	56	242
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ﴾	8	95	<b>سورة الطور</b>		
﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنَ ﴾	14	149	﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مُّسْتَوِيرٍ ﴾	1-2	166
﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ ﴾	15	283-85			

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾	7	166	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾	75-77	166
﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا﴾	15	124	﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾	83-85	39
﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ﴾	28	262	﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	88-89	149
﴿أَمْ هُمْ سَلَمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾	38	208	<b>سورة الحديد</b>		
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ﴾	48	195	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ﴾	3	273
<b>سورة النجم</b>			﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	12-15	287
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾	1	167-163	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أ﴾	16	235
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا﴾	4-2	167	﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن﴾	21	71
﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾	9	216	﴿كَيْلًا تَأْسَفُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾	23	246
﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾	12-11	205	<b>سورة المجادلة</b>		
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكَى﴾	44-43	274	﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾	1	288
﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾	52	98	﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾	21-22	137-64
<b>سورة القمر</b>			<b>سورة الحشر</b>		
﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَلْوَابِ﴾	13	204	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ﴾	2	69
﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾	14	204-68	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾	9	149
﴿فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾	16	129	﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا﴾	17-18	284-207
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾	17	31	﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾	23	117
﴿فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾	30	33	﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	24	157
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾	32	131	<b>سورة الممتحنة</b>		
﴿فَأَخَذْنَاَهُمْ أَحْذَرَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	42	111-82	﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾	1	237-105
﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾	46	104	﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ﴾	10	198
﴿فِي مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ﴾	55	111-82	<b>سورة الصف</b>		
<b>سورة الرحمن</b>			﴿مَنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾	6	107
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾	13	20-17	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾	8	246
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا﴾	60	125	﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾	10-11	131
<b>سورة الواقعة</b>			<b>سورة الجمعة</b>		
﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	1	22	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي﴾	1	117
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾	11-10	40	<b>سورة التغابن</b>		
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ﴾	52-51	29-22	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي﴾	1	140
﴿فَنَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾	55	85	﴿رَزَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	7	170
﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾	72	78	<b>سورة التحريم</b>		



الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَ نَبِيُّ الْعَلِيمِ الْحَبِيرِ﴾	3	109	﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾	16	86
<b>سورة الملك</b>					
﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا﴾	8-7	263	﴿السَّمَاءِ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾	18	198-82
﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا﴾	11-8	294-94	<b>سورة المدثر</b>		
﴿أَأَمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾	17-16	207-40	﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾	25-18	128-32
﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾	22	277-99	﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْبَيْعِينَ﴾	48-39	294
<b>سورة القلم</b>					
﴿ن وَالْقَلَمِ﴾	1	168-28	﴿فَمَا لَهُم عَنِ التَّذْكَرَةِ﴾	50-49	270
<b>سورة القيامة</b>					
﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَحْسُونَ﴾	4-2	168	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾	23-22	248-141
﴿بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ﴾	6	197	﴿كَأَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾	27-26	43
﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾	14	233	﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾	35-34	33
﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾	49	234	<b>سورة الإنسان</b>		
﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	51	269	﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾	1	125
<b>سورة الحاقة</b>					
﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾	3-1	129-22	﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾	6	192-188
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ﴾	11	204	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾	23	89
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾	20-19	60	﴿وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ أَنفَمَا﴾	24	212
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾	29-25	60	<b>سورة المرسلات</b>		
<b>سورة المعارج</b>					
﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾	1	194	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾	1	169
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾	4	210	﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾	6	213
﴿يَوْمَ الْمُحْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي﴾	14-11	230	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	15	23
<b>سورة نوح</b>					
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	17	88	﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأُولِينَ﴾	16	129
<b>سورة الجن</b>					
﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ﴾	10	276-158	﴿كَذَلِكَ نَفْعُ الْبِأْسِ بِالنَّارِ﴾	18	129
﴿قُلْ إِنِّي لَن مُّجِيبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	22	247	﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾	23	67
<b>سورة المزمل</b>					
﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾	4	55	﴿انظَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ﴾	30-29	29
﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾	8	89	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	49	50
﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾	13-12	23	<b>سورة النبأ</b>		
<b>سورة النازعات</b>					
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ﴾	34	21	﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا﴾	5-4	31
﴿لَا يَدُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾	25-24	23	﴿إِن لِّلْمُتَّقِينَ مَعَارِجًا﴾	31	192

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
<b>سورة عبس</b>			<b>سورة الغاشية</b>		
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴾	17	38	﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾	4-5	77
﴿ ثُمَّ أَمَانَةٌ فَأَقْبِرَةٌ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ ﴾	21-22	224	﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾	25-26	142
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴾	33	20	<b>سورة الفجر</b>		
<b>سورة التكوير</b>			﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ ﴾	4	55
﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ ﴾	17-18	163	﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾	17	218
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾	19	113	﴿ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ ﴾	18-20	218
﴿ فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ ﴾	26	128	﴿ وَجَاءَ رَيْكُ وَالْمَلِكُ صَفًا ﴾	22	153-143
<b>سورة الإنفطار</b>			﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾	27-28	186-84
﴿ وَإِذَا الْعُشُورُ بُعْثِرَتْ ﴾	4	72	<b>سورة الليل</b>		
﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ ﴾	6	194	﴿ لَا يَصْنَعُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾	15	102
﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾	17-18	31	﴿ وَسِيحْبَبُهَا الْأَتْقَى ﴾	17	102
<b>سورة المطففين</b>			<b>سورة الضحى</b>		
﴿ كَلَّا بِنِ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾	14	43	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	1-3	70
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ﴾	15	248	﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾	7	168
﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيَّونَ ﴾	19	128	<b>سورة الشرح</b>		
﴿ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴾	20	129	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾	1	251
﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾	28	192	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	5-6	32
﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾	30	204	<b>سورة القدر</b>		
<b>سورة البروج</b>			﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ﴾	5	136
﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾	1	166	<b>سورة البينة</b>		
﴿ وَمَا نَعَمُوا مِنْهُمْ ﴾	8	237	﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ ﴾	1-2	42
﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾	12	166	﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾	6	101
﴿ وَهُوَ الْعَقُورُ الْوُدُودُ ﴾	14	112	<b>سورة الزلزلة</b>		
﴿ فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ ﴾	16	79	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	1	86
<b>سورة الأعلى</b>			<b>سورة القارعة</b>		
﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴾	1	103	﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾	1-3	129-22
﴿ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾	4-5	230	<b>سورة الحمزة</b>		
﴿ وَنُيْسِرُكَ لِلْيَمْرَىٰ ﴾	8	103	﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوْصَدَةٌ ﴾	8	21
﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	16	218	<b>سورة الماعون</b>		
﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾	17	97	﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	5	188

الآية	رقمها	الصفحة	الآية	رقمها	الصفحة
				<b>سورة الكافرون</b>	
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	2-1	28	﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾	4	75
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	4	142		<b>سورة النصر</b>	
				<b>سورة الناس</b>	
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾	3	72	﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾	4	116
			﴿يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾	5	188
				<b>سورة الإخلاص</b>	

الصفحة	الراوي	الحديث
158-68	البخاري، مسلم	(إن يمين الله ملامى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار)
106	البخاري	(إنّ من البيان لسحرا)
89	البخاري	(إنّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله)
72	البخاري، مسلم	(سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي)
100	البخاري، مسلم	(يقال لهم أحيوا ما خلقتم)
94	البخاري	(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه)
96	البخاري، مسلم	(لا يؤمن أحدكم حتىّ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)
72	مسلم	(من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة...)
107	مسلم	(الحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله)
55	أم سلمة	(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية...)
67	أبي داود سليمان	(وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)
261	البخاري	(يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له لو كان لك ملء الأرض ذهباً...)
267	الطبراني	(أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا...)
268-205	مسلم، الترميذي	(نور أنى أراه)
270	مسلم	(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء...)
256	البخاري	(كان الرجل يقدم المدينة،...)
268	البخاري	(أنت نور السماوات والأرض...)
267	مسلم	(حجابه النور، لو كشفه...)
190	البخاري، مسلم	(يد الله ملامى سحاء الليل والنهار...)
240	مسلم	(كل ميسر لما خلق له...)
246	مسلم	(هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ فقالوا: لا يا رسول الله...)
241	البخاري	(إن الله ليملي للظالم حتىّ إذا أخذه لم يفلقته)
136	الشيخان، أحمد	(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن...)
154	البخاري	(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...)
154	مسلم	(ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأول...)
164	مسلم	(والذي نفس محمد بيده لأنبيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها)
125	ابن عباس	(هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد...)

164	مسلم	(...والله لا يؤمن، قلنا من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه)
165	البخاري	(ألا رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)
164	البخاري	(إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)
164	البخاري	(والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة خير منه)
181	البخاري	(ما زالت أكلة خبير تعاودني، فهذا أوان انقطاع أهجري)
ب	البخاري	(خير أمتي قرني)
156	مسلم	(يا عمّ قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله)
157	النسائي والحاكم	(الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)

الصفحة	الشاعر	الشاهد الشعري
34	جرير	*** -أعبداً حلّ في شُعبي غريباً ألوماً لا أبا لك واغتراباً
213	جرير	*** -جاء الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر
240	امرؤ القيس	*** -فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدراً
200	المتنبي	*** -فلشد ما جاوزت قدرك صاعداً ولشد ما قربت عليك الأنجم
151	إسحاق الخديمي	*** -فلو شئت أن أبكي دما لبكيتته ولكن ساحة الصبر أوسع
222	عند الفراء بدون نسبة	*** -فو الله ما أدري أسلمى تغولت أم النور أم كل إلي حبيب
213	عمرو بن معد يكرب	*** -قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهرة أو سافع
249	ابن مالك	*** -ومن رأى النفي ب"الن" مؤبداً فقله أردد، وخلافه أعضدا
20	البحثري	*** -يقضقض عصلا في أسرته الردى كقضقض المقرار أرعه البرد

• أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم بروايتي حفص عن عاصم وورش عن نافع.
- البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (تح) محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية بيروت، ط4، 1425هـ 2004م
- مسلم: ابن الحجاج، صحيح مسلم (تح) محمود محمد حسن، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1424هـ 2003م
- 1- ابن الأثير: ضياء الدين نصر الله أبو الفتح بن الأثير بن محمد بن عبد الكريم الجزري:  
- الجامع الكبير في صناعة الكلام من المنظوم والمنثور (تح) الجمع العراقي، ط1، 1375هـ 1956م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مطبعة نخضة مصر، ط1، 1380هـ 1960م
- 2- الأخفش: سعيد بن مسعدة، معاني القرآن (تح) هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة ط1، 1411هـ 1990م
- 3- الأزهري: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة (تح) عبد السلام هارون وعلي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط تا)
- 4- ابن الإصبع: عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع، بديع القرآن (تح) محمد شرف، نخضة مصر، القاهرة، (دط تا).
- 5- الأصبهاني: أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني:  
- إعراب القرآن (تح) فائزة بنت عمر، مكتبة الملك فهد، الرياض، (دط) 1415هـ 1995م
- المبسوط في القراءات العشر (تح) حمزة حاكمي مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق (دط تا)
- 6- الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد:  
- الأضداد (تح) أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، (دط)، 1407هـ 1987م
- أسرار العربية (تح) بهجت البيطار مطبوعات الجمع العلمي العربي، دمشق، (دط تا)
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين (تح) جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1 (دتا)
- البيان في غريب إعراب القرآن (تح) عبد الحميد طه، مطابع الهيئة المصرية (دط تا)
- 7- الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم، إيضاح الوقف والابتداء (تح) رمضان، المطبعة التعاونية دمشق (دط) 1391هـ 1971م
- 8- الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن (تح) أحمد صقر، دار المعارف، مصر (دط تا)
- 9- البطلوسى: عبد الله بن محمد، الاقتضاب (تح) مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، دار الكتب القاهرة، (دط) 1983م
- 10- البغدادي: عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب (تح) عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ 1986م
- 11- البيهقي: الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الأسماء والصفات (تح) محمد الكوثري، المكتبة الأزهرية، (دط تا)

- 12- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية:  
 - اقتضاء الصراط المستقیم لمخالفة أصحاب الجحيم (تح) عبد الكريم العقل، دار إشبیلیا، السعودية، ط2، 1419هـ 1998م  
 - الإيمان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، 1416هـ 1996م  
 - التفسير الكبير (تح) عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا)  
 - درء تعارض العقل والنقل (تح) رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ط2، 1411هـ 1991م  
 - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (تح) محمد السيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط2، 1404هـ 1984م  
 - مجموع فتاوى (تح) عبد الرحمن بن محمد وابنه محمد، مكتبة الملك فهد الرياض، (دط) 1425هـ 2004م  
 - مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية (تح) عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة دمشق، ط2، 1392هـ 1972م  
 - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (تح) رشاد سالم، ط1، 1406هـ 1986م  
 13- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر:  
 - البيان والتبيين (تح) عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط6، 1418هـ 1998م  
 - الحيوان (تح) عبد السلام محمد هارون، ط2، 1384هـ 1965م  
 14- الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن:  
 - أسرار البلاغة (تح) محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1412هـ  
 - دلائل الإعجاز (تح) محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1424هـ 2004م  
 - المقتصد في شرح الإيضاح (تح) بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق (دط تا)  
 - المقتصد في شرح التكملة (تح) إبراهيم الدويش، جامعة محمد بن سعود الرياض، ط1، 1428هـ 2007م  
 - شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم (تح) عمر محمد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1418هـ 1998م  
 15- الجرجاني: علي بن محمد، التعريفات (تح) نصر الدين التونسي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2007م  
 16- الجزري: مجد الدين بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر (تح) الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ.  
 17- ابن جني: أبو الفتح عثمان ابن جني:  
 - الخصائص (تح) علي النجار، دار الكتب المصرية، (دط) 1331هـ 1913م.  
 - سر صناعة الإعراب (تح) هذاوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ 1993م.



- المحتسب في تبیین شواذ القراءات (تح) علي النجدي وآخرون، إحياء كتب السنة، مصر، (دط) 1994م.
- المنصف (تح) إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ 1954م.
- 18- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت ط3، 1404هـ 1984م.
- 19- الجوهري: إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تح) عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م
- 20- الجويني: عبد الملك أبو المعالي، الإرشاد إلى قواطع الأدلة (تح) يوسف وعبد المنعم، مكتبة الخانجي مصر (دط) 1950م
- 21- ابن الحاجب: أبو عمرو عثمان، أمالي ابن الحاجب (تح) سليمان قدارة، دار عمار، عمّان، (دط) 1409هـ 1989م
- 22- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، فتح الباري (تح) شبّية الحمد، مكتبة الملك فهد الرياض، ط1، 1421هـ 2001م
- 23- حيان: أثير الدّين أبو عبد الله محمد بن يوسف أبو حيان:
- ارتشاف الضرب من لسان العرب (تح) رجب عثمان ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1998م.
- البحر المحيط (تح) عادل أحمد عبد الموجود آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ 1993م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (تح) حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، (دط تا).
- 24- ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه:
- الحجة في القراءات السبع (تح) سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1399هـ 1979م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (دط) 1985م.
- إعراب القراءات السبع وعللها (تح) سليمان العثيمين، مطبعة المدني، السعودية، ط1، 1413هـ 1992م.
- 25- الخطيب الإسكافي: محمد بن عبد الله، درة التنزيل وغرة التأويل (تح) آيدين، جامعة أم القرى ط1، 1422هـ 2001م
- 26- الخطيب القزويني: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع (تح) خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط3، 1413هـ 1993م
- التلخيص في علوم البلاغة (تح) عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1430هـ 2009م
- 26- ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، دار الجليل، بيروت، (دط تا) .
- 27- الخليل: بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم (تح) هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003م
- 28- الداني: عثمان بن سعيد، النشر في القراءات العشر (تح) قباوة ونديم، الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ 1992م
- 29- الرازي: محمد بن عمر:

- المحصل في علم الأصول(تح)طه العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ط1، 1400هـ
- مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ1981م
- 30- ابن رشيقي: الحسن، العمدة في محاسن الشعر(تح)محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، سوريا، ط5، 1401هـ1981م.
- 31-الرماني: علي بن عيسى أبو الحسن، كتاب معاني الحروف(تح)إسماعيل شليبي، دار الشروق جدة، ط2، 1401هـ1981م
- 32-الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري:
- تفسير أسماء الله الحسنى(تح)يوسف الدقاق، دار المأمون، دمشق، ط5، 1406هـ1986م
- معاني القرآن وإعراجه(تح)عبد شليبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ1988م
- 33-الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق:
- الإيضاح في علل النحو(تح)مازن المبارك، دار النفائس، ط3، 1399هـ1979م
- اشتقاق أسماء الله(تح)عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ1986م
- 34-الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله:
- البرهان في علوم القرآن(تح)محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت(دط)1391هـ1984م.
- معنى لا إله إلا الله(تح)علي القره، دار الاعتصام القاهرة، (دط تا)
- 35-الزخشري: محمود بن عمر، الكشاف(تح)محمد معوض وآخرون، مكتبة العبيكان الرياض، ط1، 1418هـ1998م
- 36-زنجلة: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات(تح)سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ1997م.
- 37-ساجقلي زاده: محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل(تح)سالم قدوري الحمد، دار عمار عمان، ط2، 1429هـ2008م
- 38-السجستاني: أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن، مطبعة علي الصبيح وأولاده، (دط)1383هـ1963م
- 39-السدّي: أبو محمد إسماعيل، تفسير السدي الكبير(تح)عطا يوسف، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1414هـ1993م
- 40-السراج: أبو بكر محمد بن السراج، الأصول في النحو(تح)الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417هـ1996م.
- 41-السرقسطي: سعيد بن محمد، الأفعال(تح)محمد شرف ومهدي علام، المطابع الأميرية القاهرة، ط1، 1400هـ1980م
- 42-السكاكي: سراج الدين يوسف بن علي، مفتاح العلوم(تح)نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1407هـ1987م
- 43-سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب(تح)عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1408هـ1988م
- 44-السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

- الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية بيروت، (دط تا)
- الإتيان في علوم القرآن، المدينة المنورة، (دط) 1426هـ
- الإقتراح في علم أصول النحو، علق عليه سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، السويس، (دط تا)
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور (تح) عبد المحسن التركي، مركز هجر، القاهرة، ط1، 1424هـ 2003م
- المزهري في علوم اللغة العربية (تح) محمد البجاوي وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط3 (دتا)
- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (تح) سامي النشار وعلي عبد الرزاق مجمع البحوث الإسلامية الأزهر (دط تا)
- معجم الهوامع شرح جمع الجوامع (تح) سالم مكرم وآخرون، دار البحوث العلمية، الكويت (دط) 1975م 1980م
- معترك الأقران في إعجاز القرآن (تح) أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ 1988م.
- 45- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى:
- الاعتصام (تح) حسن آل سليمان، مكتبة التوحيد (دط تا)
- الموافقات في أصول الشريعة (تح) عبد الله دراز وابنه محمد، دار المعرفة، بيروت (دط تا) .
- 46- الشجري: هبة الله بن علي بن محمد، أمالي الشجرية (تح) محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ 1992م.
- 47- ابن طبري: أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري:
- جامع البيان عن تأويل القرآن (تح) محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2 (دتا).
- جامع البيان عن تأويل القرآن (تح) عبد المحسن تركي، دار هجر، ط1، 1422هـ 2001م.
- 48- عبيدة: معمر بن المثنى، مجاز القرآن (تح) فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط تا)
- 49- العسكري: أبو هلال الحسن بن سهل، كتاب الصناعتين (تح) البجاوي وإبراهيم، دار الفكر العربي بيروت، ط2، 1971م
- 50- ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله ابن عقيل:
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تح) محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، 1997م.
- المساعد على تسهيل الفوائد (تح) كامل بركات، دار الفكر، دمشق، (دط) 1400هـ 1980م.
- 51- العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين:
- إعراب القراءات الشواذ (تح) أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1417هـ 1996م
- إملاء ما من به الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا)

- التبيان في إعراب القرآن (تح) علي محمد البجاوي (دط) 1396هـ 1976م
- اللباب في علل البناء والإعراب (تح) غازي طليمات، دار الفكر، سوريا، ط1، 1416هـ 1996م.
- 52- العلوي: يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف مصر (دط) 1332هـ 1914م
- 53- غلبون: أبو الحسن بن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان (تح) رشدي سويد، الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة (دط تا).
- 54- ابن فارس: أحمد ابن فارس:
- الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، 1328هـ 1910م.
- معجم مقاييس اللغة (تح) محمد هارون، طبعة اتحاد الكتاب العربي، 1423هـ 2002م.
- 55- الفارسي: أبو علي الحسن بن أحمد:
- الحجة في علل القراءات السبع (تح) أحمد عبد الموجود، محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ 2007م
- الحجة للقراء السبعة (تح) بشير حوجاتي وآخرون، دار المأمون للتراث دمشق ط1، 1404هـ 1984م
- 56- الفراء: يحيى بن زياد، معاني القرآن (تح) محمد علي النجار ويوسف نجاتي، عالم الكتب بيروت، ط3، 1403هـ 1983م
- 57- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة:
- تأويل مختلف الحديث (تح) محيي الدين الأصغر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1419هـ 1999م.
- تأويل مشكل القرآن (تح) أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ 1973م.
- تفسير غريب القرآن (تح) أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت، (دط) 1398هـ 1978م.
- 58- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية القاهرة (دط) 1430هـ 1922م
- 59- ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر:
- أعلام الموقعين عن رب العالمين (تح) محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ 1996م.
- الأمثال في القرآن الكريم (تح) محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (دط) 1981م.
- التبيان في أقسام القرآن، مكتبة المتنبي، القاهرة، (دط تا).
- التبيان في أيمان القرآن (تح) سالم البطاطي، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ.
- التفسير القيم (تح) حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت (دط تا).
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1404هـ 1984م.

- بدائع التفسير (تح) يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي الرياض، ط1، 1427هـ.
- بدائع الفوائد (تح) أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1994م.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام (تح) شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، ط2، 1407هـ 1987م
- زاد المعاد في هدي خير العباد (تح) شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1418هـ 1998م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (تح) حامد الفقي، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1363هـ 1973م
- الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة (تح) محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، (دط تا).
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار التراث القاهرة، (دط تا).
- 60- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم (تح) شمس الدين، الكتب العلمية بيروت ط1، 1419هـ 1998م
- 61- الكرمانى: محمود بن حمزة الكرمانى:
- غرائب التفسير وعجائب التأويل (تح) يونس العجلي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (دط تا)
- أسرار التكرار في القرآن (تح) أحمد عطا، دار الفضيلة، (دط تا)
- 62- اللالكائي: هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (تح) حمدان، دار طيبة السعودية (دط تا)
- 63- مالك: بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك:
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (تح) كامل بركات، دار الكاتب العربي، (دط تا).
- شرح التسهيل (تح) عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط1، 1410هـ 1990م.
- شرح الكافية الشافية (تح) علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ 2000م.
- 64- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب (تح) عبد الخالق عزيمة، إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ط3، 1415هـ 1994م
- 65- مجاهد: ابن جبر المخزومي، تفسير مجاهد (تح) محمد عبد السلام، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1410هـ 1989م
- 66- المرادي: الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني (تح) قباوة وفاضل، الكتب العلمية بيروت ط1، 1413هـ 1992م
- 67- المراغي: مصطفى أحمد، تفسير المراغي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1365هـ 1946م
- 68- المرتضى: الشريف أبو القاسم علي، أمالي السيد المرتضى، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1325هـ 1907م
- 69- مقاتل: أبو الحسن بن سليمان، تفسير مقاتل (تح) محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، ط2، 1423هـ 2002م
- 70- المقدسي: مجير الدين بن محمد، فتح الرحمن في تفسير القرآن (تح) نور الدين طالب، دار النوادر لبنان، ط2، 2011م

71- مكّي: حموش بن أبي طالب القيسي:

-الرعاية لتجويد القراءة(تح)حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط3، 1417هـ1996م

-مشكل إعراب القرآن(تح)صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1405هـ1984م

72- منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب(تح)عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة (دط تا)

73- النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل:

-القطع والائتناف، النحاس(تح)إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب السعودية، ط1، 1413هـ1992م

-إعراب القرآن(تح)غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405هـ1985م

- معاني القرآن الكريم (تح) علي الصابوني، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1408هـ1988م

74- هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري:

-أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن(تح)محمد نعش، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1403هـ1983م.

-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب(تح)أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث بيروت، ط1، 1422هـ2001م.

-شرح قطر الندى وبل الصدى(تح)محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط11، 1383هـ1963م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب(تح)عبد اللطيف محمد الخطيب، مطابع السياسة الكويت، ط1، 1421هـ2000م.

### • ثانياً: المراجع:

75- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م

76- أحمد بدوي طبانة:

-معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، ط3، 1408هـ1988م

-من بلاغة القرآن، نخضة مصر للطباعة، القاهرة، (دط)2005م

77- أحمد البنا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر(تح)محمد إسماعيل، عالم الكتب بيروت، ط1، 1407هـ1987م

78- أحمد الجواري: نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (دط تا)

79- أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف(تح)حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م

80- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، (دط تا)

81- أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة(دط)1418هـ1997م

- بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، 1417هـ 1996م

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (دط) 1983م

83- الأزهري خالد: التصريح على التوضيح (تح) باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1421هـ 2000م

84- الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إحياء التراث بيروت (دط تا)

85- الأنصاري: زكريا بن محمد، إعراب القرآن (تح) محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1430هـ 2009م

86- البغوي: محمد بن حسين المسعود، معالم التنزيل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1414هـ 1993م

87- البقاعي: أبو الحسن إبراهيم، نظم الدرر (تح) عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1415هـ 1995م

88- بكري أمين الشيخ: التعبير الفني في القرآن الكريم دار العلم للملايين، بيروت؛ ط1، 1994م.

89- بنت الشاطيء عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني في القرآن ومسائل أزرق، دار المعارف، مصر، ط5، 1971م

90- بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، عمان، (دط تا)

91- البوطي: محمد سعيد رمضان البوطي:

- أدب الحوار في كتاب الله عز وجل، دار القمة (دط تا)

- لا يأتيه الباطل، دار الفطر، دمشق، ط1، 1428هـ 2007م

- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ 1999م

92- البيجوري إبراهيم بن محمد: تحفة المرید على جوهرة التوحيد (تح) محمد الشافعي، دار السلام القاهرة، ط1، 2002م

93- البيضاوي: عبد الله بن عمر محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مطبعة عثمانية، (دط) 1305هـ

94- التفتازاني: مسعود بن عمر، شرح مختصر التصريف العزي (تح) سالم مكرم، المكتبة الأزهرية، ط8، 1417هـ 1997م

95- تمام حسان:

- اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ 2007م

- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1413هـ 1993م

- اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، (دط) 1994م

- 96- التهانوي: محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون (تح) علي دحروج، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1996م
- 97- توفيق الحمد ويوسف الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، الأردن، ط2، 1414هـ 1993م
- 98- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وأسرار العربية، المكتبة العصرية بيروت، ط2، 1420هـ 2000م
- 99- الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان (تح) علي معوض وآخرون دار إحياء التراث بيروت ط1، 1418هـ 1997م
- 100- الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد، الكشف والبيان (تح) ابن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1422هـ 2002م
- 101- الجرمي: إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ 2001م
- 102- الجوجري: محمد بن عبد المنعم، شرح شذور الذهب (تح) نواف الحارثي، مكتبة فهد الرياض، ط1، 1424هـ 2004م
- 103- حديد: عبد الحميد بن أبي الحديد، الفلك الدائر (تح) الحوفي وبدوي طبانة، دار الراجعي الرياض، ط2، 1404هـ 1984م
- 104- حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد العراق، (دط) 1980م
- 105- حسن عمر يوسف: شرح الرضى على الكافية، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1996م
- 106- حسين سرحان: قاموس الأدوات النحوية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 2007م
- 107- الخازن: علاء الدين علي، لباب التأويل في معاني التنزيل، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر (دط تا)
- 108- خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة بغداد، ط1، 1385هـ 1965م
- 109- الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد، عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب)، دار صادر بيروت (دط تا)
- 110- خليل العطية: في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، (دط) 1403هـ 1983م
- 111- دراز: محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 1417هـ 1997م.
- 112- الدماميني: محمد بن أبي بكر الدماميني، شرح مغنى اللبيب (تح) عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2007م
- 113- الرازي: محمد بن أبو بكر، مختار الصحاح (تح) ديب البُعَا، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990م
- 114- الراغب: أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن (تح) صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ
- 115- الراجعي مصطفى صادق عبد الرزاق:
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1393هـ 1973م
- تاريخ آداب العرب (تح) سعيد العريان، مطبعة الاستقامة القاهرة، ط2، 1359هـ 1940م



- 116-رشيد رضا: محمد بن علي، تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ1947م
- 117-الرضي: محمد بن الحسن الإسترابادي، شرح كافية ابن الحاجب(تح)حسن عمر، جامعة قان يونس، ليبيا، ط2، 1996م
- 118-الزبير: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل(تح)سعيد الفلاح دار الغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1428هـ2007م
- 119-الزحيلي: وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ2009م
- 120-الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن(تح)أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م
- 121-زمنين: محمد بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز(تح)حسين والكنز، مطبعة الفاروق مصر، ط1، 1423هـ2002م.
- 122-السامرائي: فاضل بن صالح:
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد، بغداد، (دط)1390هـ1971م
- معاني الأبنية، دار عمار، عمان، ط2، 1428هـ2007م
- معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط1، 1420هـ2000م
- 123-السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، تفسير القرآن(تح)موسى والقصاص، النشر للجامعات القاهرة، ط1، 1430هـ2009م
- 124-السعود: أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تح)أحمد عطا، مكتبة الرياض(دط تا)
- 125-سليمان بن بنين الدقيقي: اتفاق المباني وافتراق المعاني(تح)يحيى جبر، دار عمار، عمان، ط1، 1405هـ1985م
- 126-السمرقندي أبو الليث نصر: بحر العلوم(تح)علي معوض وآخرون دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1413هـ1993م
- 127-السمعي أبو المظفر منصور بن محمد: تفسير القرآن(تح)أبو تميم ياسر، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ1997م
- 128-السمين: أحمد بن يوسف الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون(تح)محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (دط تا)
- 129-السهيلي عبد الرحمن:
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام(تح)عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، ط1، 1387هـ1967م
- نتائج الفكر، عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ1992م
- 130-السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيويه(تح)محمد حجازي وآخرون، مطابع الهيئة المصرية (دط تا)
- 131-شاكر أحمد محمد: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، المنصورة، ط2، 1426هـ2005م
- 132-شاكر محمود محمد:

- جمهرة المقالات (تح) عبد الرحمن العقل، دار الرياض مصر، ط1، 1426هـ 2005م
- مداخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني، مصر، ط1، 1422هـ 2002م .
- 133- الشريف محمد حسن: معجم حروف المعاني في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ 1996م
- 134- الشعراوي محمد متولي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، (دط تا)
- 135- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1417هـ 1996م
- 136- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل (تح) محمد كيلاني، دار المعرفة بيروت، ط2، 1395هـ 1975م
- 137- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية (تح) عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء (دط تا)
- 138- الصبّان: احمد بن محمد، حاشية الصبّان على شرح الأشموني، مطبعة الاستقامة، القاهرة (دط) 1947م
- 139- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977م
- 140- الصفاقسي: أبو الحسن علي، غيث النفع في القراءات العشر (تح) الحفيان، دار الكتب بيروت، ط1، 1425هـ 2004م
- 141- صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1995م
- 142- صلاح عبد الفتاح الخالدي:
- لطائف قرآنية. دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ 1992م.
- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1403هـ 1983م
- 143- الطناحي محمود محمد: من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، دار الفتح، عمان، ط1، 1428هـ 2008م
- 144- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000م
- 145- الطيبي: شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الإمارات، ط1، 1434هـ 2013م
- 146- عادل: عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب (تح) عبد الموجود وآخرون، دار الكتب بيروت، ط1، 1419هـ 1998م
- 147- عبّاس حسن: النَّحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5 (دتا)
- 148- عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ 1997م
- 149- عبد الجبار بن أحمد: متشابه القرآن (تح) عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة (دط تا)
- 150- عبد الحق ابن عطية: المحرّر الوجيز (تح) الفاروق عبد الله وآخرون، وزارة الأوقاف قطر، ط2، 1428هـ 2007م.
- 151- عبد الحلیم حفني: أسلوب المحاوره في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1995م

- 152- عبد الحميد محمد محيي الدين: عدة السالك إلى تحقيق أوضاع المسالك، المكتبة العصرية، بيروت، (دط تا)
- 153- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:
- أمثال القرآن وصور من أدبه الرقيع، دار القلم دمشق، ط2، 1412هـ 1992م
- معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ 2000م
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ 2009م
- 154- عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق ط1، 1428هـ 2007م
- 155- عبد الرحمن عميرة: دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1413هـ 1992م
- 156- عبد العال مكرم وأحمد مختار: معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، 1408هـ 1988م
- 157- عبد العلي المسؤول: معجم مصطلحات علم القراءات وما يتعلق به، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ 2007م
- 158- عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة (دط) 1419هـ 1999م
- 159- عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة (دط تا)
- 160- عبد الكريم بكار: الصفوة من القواعد الإعرابية، دار القلم، دمشق، (دط) 1435هـ 2014م
- 161- عبد اللطيف الخطيب: معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، (دط تا)
- 162- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت، ط2، 2007م
- 163- عبد الله فالخ: معجم ألفاظ العقيدة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1417هـ 1997م
- 164- العز: علي بن علاء الدين بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (تح) الجبرين، دار الصميعي الرياض، ط1، 1431هـ 2010م
- 165- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام: مجاز القرآن (تح) حسين الذهبي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (دط تا)
- 166- عزالدين علي السيد: التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1407هـ 1986م
- 167- العزاوي أبو بكر: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م
- 168- عضيمة محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن، دار الحديث، القاهرة (دط) 1972م .
- 169- العقاد: عباس محمود: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، (دط) 1995م
- 170- علي بن مسعود الفرخان: المستوفى في النحو (تح) بدوي المختون، دار الثقافة العربية، (دط) 1407هـ 1987م
- 171- علي الحمد محمد الصالح: الضوء المنير على التفسير، مؤسسة النور بالتعاون مع دار السلام، (دط تا)
- 172- علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة العربية - المعاني - البيان - البديع، منشورات جامعة حلب (دط) 1421هـ 2000م

- 173- عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1980م.
- 174- غانم قدوري الحمد: أبحاث في علوم القرآن، دار عمار عمان، ط1، 1426هـ 2006م
- 175 - فضل حسن عباس:
- البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، دار الفرقان، اليرموك، ط4، 1417هـ 1997م
- لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور، بيروت، ط1، 1410هـ 1989م
- 176- الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب:
- القاموس المحيط، المطبعة الأميرية، ط3، 1301هـ
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (تح) علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت (د ط تا)
- 177- القرضاوي يوسف: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1421هـ 2000م
- 178- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر:
- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (تح) حسن جبل، دار الصحابة، للتراث، طنطا، ط1، 1416هـ 1995م
- الجامع لأحكام القرآن (تح) عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ 2006م.
- الموضح في التجويد (تح) غانم قدوري، دار عمار عمان، ط1، 1461هـ 2000م
- 179- قطاع: علي بن جعفر السعدي ابن القطاع، الأفعال، مطبعة المعارف العثمانية، ط1: 1360هـ.
- 180- قطب: سيد إبراهيم:
- التصوير الفني في القرآن الكريم. دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ 2004م .
- في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة، ط16، 1990م
- كتب وشخصيات. دار الشروق، بيروت (د ط تا)
- مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق القاهرة، ط5، 1418هـ 1997م
- 181- قطب: محمد:
- دراسات قرآنية. دار الشروق، بيروت، ط4، 1404هـ 1983م.
- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، (د ط) 1992م.
- لا يأتون بمثله. دار الشروق، القاهرة، ط1، 1422هـ 2002م.

- منهج التربية الإسلامية. دار الشروق، القاهرة، ط12، 1989م .
- منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، 1400هـ1983م
- 182-القنوجي صديق بن حسن: فتح البيان في مقاصد القرآن(تح)إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، (دط) 1992م
- 183-قوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية، الأفعال(تح) علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1993م.
- 184-الكفوي: أيوب بن موسى، الكليات(تح)عدنان دروسي ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1432هـ1993م
- 185-كمال محمد بشر:
- دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، (دط)1998م
- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، (دط)2000م
- 186-لطف الله الغياث: المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية(تح)محمد شاهين، مكتبة الشباب(دط)1984م
- 187-المالقي: أحمد بن عبد النور: رصف المباني في شرح حروف المعاني(تح)محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق (دط تا).
- 188-مالك ابن نبي: الظاهرة القرآنية، تقديم محمد دراز ومحمود شاكر، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4، 1987م
- 189-الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد: النكت والعيون تفسير الماوردي(تح)بن عبد المقصود، دار الكتب بيروت (دط تا)
- 190-المبارك: محمد بن عبد القادر: فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، مطبعة جامعة دمشق، (دط تا)
- 191-محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، بيروت، (دط تا).
- 192-محمد أويس الندوي: التفسير القيم لابن القيم(تح)حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط تا)
- 193-محمد بن صالح العثيمين:
- القول المفيد(تح)سليمان بن عبد الله وخالد بن علي، دار العاصمة القاهرة، ط1، 1415هـ
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية(تح)فواز الصميل، دار ابن الجوزي، السعودية، ط6، 1421هـ
- شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، 1434هـ
- تفسير القرآن الكريم، مؤسسة العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، 1436هـ
- تفسير جزء عم، صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط2، 1423هـ2002م
- شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، دار التيسير، ط1، 1426هـ2005م

- 194- محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م
- 195- محمد حماسة: النحو والدلالة، دار الشروق القاهرة، ط1، 1420هـ 2000م
- 196- محمد رضا مبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م
- 197- محمد سمير اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1405هـ 1985م
- 198- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط) 1984م.
- 199- محمد محمد أبو موسى:
- آل حم الجاثية- الأحقاف دراسة في علم البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1432هـ 2011م
- آل حم الشورى- الزخرف- الدخان دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1431هـ 2010م
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، بيروت، (دط تا)
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1413هـ 1993م
- خصائص التراكيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ 1996م
- دلالات التركيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، عابدين، ط2، 1408هـ 1987م
- 200- محمود الصافي: الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، مؤسسة الإيمان، ط3، 1416هـ 1995م
- 201- محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، (دط تا)
- 202- المخزومي مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1406هـ 1986م
- 203- المراغي: مصطفى أحمد، تفسير المراغي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1365هـ 1946م
- 204- المسؤول عبد العلي: معجم مصطلحات علم القراءات وما يتعلق به، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ 2007م
- 205- مصطفى الحصن المنصوري: المقتطف من عيون التفاسير (تح) علي الصابوني، دار القلم دمشق، ط2، 1417هـ 1996م
- 206- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس، المكتبة العصرية، صيدا، ط28، 1414هـ 1993م
- 207- المقدسي: مجير الدين، فتح الرحمن في تفسير القرآن (تح) نور الدين طالب، دار النوادر، لبنان، ط2، 1432هـ 2011م
- 208- المنتجب: حسين الهمداني، الفريد في اعراب القرآن (تح) نظام الدين الفتيح، دار الزمان الرياض، ط1، 1427هـ 2006م
- 209- المودودي: أبو الأعلى المودودي، المبادئ الأساسية لفهم القرآن، الدار السعودية، الدمام، ط1، 1407هـ

- 210-موصلي: محمد ابن الموصلبي، مختصر الصواعق المرسله (تح)عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف الرياض، ط1، 2004م.
- 211-مونسي الحبيب: شعرية المشهد في الإبداع الأدبي. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2009م.
- 212-ناصر عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن (دط تا)
- 213-ناصر الطيار: تفسير جزء عم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط8، 1430هـ
- 214-نبيل عبد الحميد: الجامع الكبير في علم التجويد، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 1426هـ 2005م
- 215-النسفي: عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تح)بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ 1998م
- 216-النقيب: محمد بن سليمان ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب (تح)سميد علي، مكتبة الخانجي القاهرة (دط تا)
- 217-الهائم: أحمد بن محمد بن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن (تح)عبد الباقي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط1، 2003م
- 218-هادي نهر: الصرف الوافي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1431هـ 2010م
- 219-الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي:
- التفسير البسيط (تح) محمد بن صالح الفوزان، جامعة محمد بن سعود الرياض، السعودية، (دط تا)
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تح)عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1415هـ 1995م
- 220-يعقوب إميل بديع:
- معجم الأوزان الصرفية، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1413هـ 1993م.
- موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ 2006م.
- 221-يعيش أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش بن علي:
- شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ 2001م.
- شرح الملوكي في التصريف (تح)فخر الدين قباوه، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1393هـ 1973م
- المجالات:
- 222-الباحث في الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، الجزائر، العدد الحادي عشر، أكتوبر 2014
- 223-فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، الجزائر، العدد السابع، المجلد الثاني، سبتمبر 2014
- 224-عالم الفكر، مجلة فكرية محكمة، الكويت، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر-ديسمبر 2011

الصفحة	المحتويات
	• البسمة
	• الآية
	• الإهداء
أ ب ج د	• مقدمة
14-1	• مدخل
61-15	• الفصل الأول: - التلوينات الصوتية دلالاتها المختلفة وتأثيراتها الإقناعية:
16-15	- توطئة
33-17	-المبحث الأول: -التكرار
	-تكرار الحرف -تكرار الكلمة -تكرار الجملة
45-34	-المبحث الثاني: -التنغيم
	-التنغيم في المفردة والمقطع والسورة -التنغيم في الأساليب -التنغيم في الوقف والاستئناف
54-46	-المبحث الثالث: -الصوائت
	-المصوتات الطويلة -المصوتات القصيرة
61-55	-المبحث الرابع: -الفاصلة
	علاقة الفاصلة بالآية -علاقة الفاصلة بالمقطع -علاقة الفاصلة بالسورة
118-62	• الفصل الثاني: -البنية الصرفية وتأثيراتها الإقناعية
63-62	-توطئة
73-63	-المبحث الأول: -صيغ الأفعال
	-المجرد الثلاثي -مزيد الثلاثي -الرباعي -مزيد الرباعي
84-74	-المبحث الثاني: -اسم الفاعل
	-اسم الفاعل من الثلاثي -اسم الفاعل من مزيد الثلاثي -اسم الفاعل من الرباعي ومن مزيده
96-85	-المبحث الثالث: -المفعول المطلق
	-المفعول المطلق المصدر -المفعول المطلق غير المصدر -المفعول المطلق الوصف المضاف للمصدر
107-97	-المبحث الرابع: -أفعل التفضيل
	-أفعل للمفاضلة -أفعل مسلوب المفاضلة
118-108	-المبحث الخامس: -الأبنية المجاورة





الصورة الحقيقية والمتخيلة - ضلال المعتقد - الآلهة المصطنعة - اليوم الآخر - ضلال الأعمال - الطبيعية - الحركة	
277-269	-المبحث الثاني: -التصوير بالمقابلة
-مقابلة النظير -مقابلة النقيض -مقابلة الخلاف -مقابلة الشيء بمثله	
284-278	-المبحث الثالث: -التصوير بالوصف
-الوصف مبدوء بـ "مثل" -الوصف مبدوء بـ "الرؤية"	
292-285	-المبحث الرابع: -التصوير في الحوار
-حوار الرسل مع أقوامهم -الحيران والأصحاب -الحوار والخصومة بين أهل النار-الحوار داخل الجنة	
294-293	. خاتمة
الفهارس العامة:	
310-295	-فهرس الآيات القرآنية
312-311	-فهرس الأحاديث النبوية
313	-فهرس الشواهد الشعرية
330-314	-المصادر والمراجع
333-331	-المحتويات

## • ملخص:

يتناول البحث: الأساليب الإقناعية التي عرضت من خلالها العقيدة في القرآن، وهي أساليب العرب وافقها تنزل القرآن، وصاغ فيها أمور العقيدة بأسلوب قرآني فريد معجز يظهر الإقناع في لغته وخطابه، والقرآن خطابه كوني موجّه للإنسان؛ فهو كتاب تربية وتوجيه، يتأسس الخطاب فيه على ثنائية ذات طابع إخباري وحجاجي، تخضع حروفه وكلماته وتراكيبه للسمع من القرآن والسنة واللغة، فلا تعمل وسائل الخطاب وحججه بعيدا عن هاته المصادر التي تتواشج فيما بينها، ولذلك لما استقلت بعض الفرق بدلالة أدوات نحوية عن تقييدها بما جاء في السنة حدث انحراف عقدي عندها، وظهر القصور في منهجها.

فالإقناع هو ثمرة الاستعمال القرآني للآليات الحجاجية التي تتميز من خلالها العملية الإقناعية وتتحدّد بها مرجعية الخطاب، ويتفرد بها القرآن في عرضه لمفهوم العقيدة الحقيقي طريقة ومنهجاً.

## • Résumé:

La recherche traite les styles persuasifs qui ont servi à la présentation de la doctrine dans le Coran et qui sont au fond des styles arabes utilisés dans le discours coranique. Pourtant plusieurs doctrines sont exprimées par un style coranique unique dans son langage et son discours. Ce qui exprime que le Coran est un discours universel adressé à toute l'humanité et fondé sur une dualité informative et argumentative. Les mots de ce style coranique étant sujets à l'écoute du Coran, de la Sunna et d'une langue basée sur les mécanismes argumentatifs qui déterminent la référence du discours et mettent en évidence la manière particulière du Coran de présenter le concept d'une vraie croyance.